



موسوعة التراث الفلسطيني  
العدد الخامس



جامعة القدس المفتوحة  
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

# التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة بيت لحم هوية وانتماء

الإشراف العام والتحرير  
أ.د. حسن عبد الرحمن سلوادي

جامعة القدس المفتوحة  
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

التراث الشعبي الفلسطيني  
في محافظة بيت لحم

موسوعة التراث الفلسطيني  
العدد الخامس

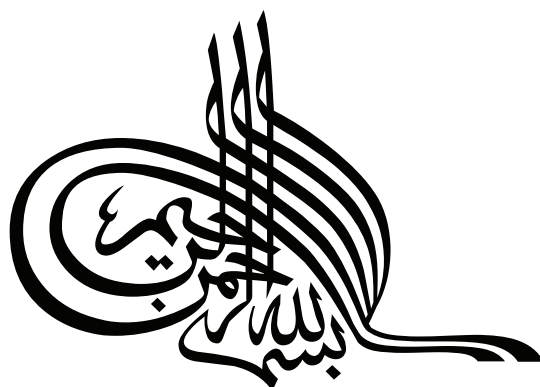


جامعة القدس المفتوحة  
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

الناصيون - رام الله / فلسطين  
1437 هـ / 2016 م



بدعم من: جوال





## التراث الشعبي الفلسطيني

في محافظة بيت لحم

أبحاث المؤتمر الخامس للتراث الشعبي الفلسطيني

في محافظة بيت لحم - هوية وانتماء

يومي 20 - 21 / 4 / 2015م

الناشر:

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

جامعة القدس المفتوحة

الماصيون- رام الله / فلسطين

ص.ب: 1804

هاتف: +970- 2- 2984491

+970- 2- 2952508

فاكس: +970- 2- 2984492

بريد الكتروني: [sprgs@qou.edu](mailto:sprgs@qou.edu)

تصميم وإخراج فني:

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

جامعة القدس المفتوحة



جامعة القدس المفتوحة  
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا  
موسوعة التراث الشعبي الفلسطيني  
العدد الخامس



## التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة بيت لحم

أبحاث المؤتمر الخامس للتراث الشعبي الفلسطيني  
في محافظة بيت لحم - هوية وانتماء  
يومي 20 - 21 / 4 / 2015م

الإشراف العام والتحرير:  
أ. د. حسن عبد الرحمن السلواي

1437هـ / 2016م

# المحتويات

كلمات افتتاح المؤتمر:		عريف المؤتمر: أ. د يوسف ذياب عواد
الصفحة	اسم المتحدث	الكلمة
10	كلمة سيادة الرئيس محمود عباس- أبو مازن، راعي المؤتمر ألقاها نيابة عنه معالي رئيس ديوان الرئاسة د. حسين الأعرج	
14	كلمة رئيس جامعة القدس المفتوحة أ. د يونس عمرو	
18	كلمة اللجنة التحضيرية للمؤتمر د. ضيف الله عثمان	
أبحاث المؤتمر:		
الصفحة	اسم الباحث	الجلسة/ المحور
23	مداخلتة   الأدب العربي في عيون الأتراك. ضيف المؤتمر: أ. د إبراهيم يلماز- جامعة أتاتورك/ تركيا	
43	كنيسة المهدي والمعتقدات الشعبية والدينية المتعلقة بها. أ. د قسطندي شوملي	
87	حارات بيت لحم القديمة. د. إبراهيم أبو ارميس	الجلسة الأولى
111	خصائص المساكن القديمة في مدينة بيت لحم. د. محمد الخطيب	المحور الأول: التراث الشعبى الفلسطيني في محافظة بيت لحم (قيم وأصالة واتصاف)
133	الأزياء الشعبية النسائية التراثية في محافظة بيت لحم بين الطمس والإحياء. د. عطا أبو جبين	
163	زراعة أشجار الكرمة والصناعات القائمة عليها في بيت لحم في العصر الفرنجي 1099 - 1187م. د. سعيد البيشاوي	

أبحاث المؤتمر:		
الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث
177	د. إدريس جرادات	سادن التراث في بيت لحم د. توفيق بشارة كنعان الخوري البيتجالي 1882 - 1964 م.
197	ضيف المؤتمر: أ. د سيف الله قورقماز- جامعة أرجياس/ تركيا	مداخلت   صلات الثقافة الفلسطينية بالثقافة التركية.
207	د. عمر عتيق	العادات والتقاليد في الأعياد المسيحية: مقارنة وتأصيل.
229	أ. مها السقا	ثوب الملك (ثوب عروس بيت لحم) .
265	د. طالب الصوافي	الحرف الشعبية في مدينة بيت لحم (صناعة الحفر على خشب الزيتون والصدف نموذجاً) .
305	د. مفيد أبو عرقوب	التشبيهات الشعبية الفلسطينية: ماهيتها، تصنيفاتها ودلالاتها (منطقة بيت لحم وعرب التعامرة أنموذجاً) .
331	أ. جمال بنورة	من التراث الشعبي الفلسطيني- تقاليد وأغاني الأعراس.
373	د. زهير الحروب	الدلالة التربوية للأمثال الشعبية.
421	أ. د قسطندي شوملي	مظاهر الحياة الاجتماعية والدينية والتراث في مدينة بيت لحم في مطلع القرن العشرين.
447		البيان الختامي والتوصيات
449		الملاحق والصور

**الجلسة الأولى**  
المحور الأول: التراث  
الشعبى الفلسطيني  
في محافظة بيت لحم  
(قيم وأصالة وانتماء)

**الجلسة الثانية**

المحور الثاني: التراث الشعبى  
الفلسطينى وتجلياته  
في محافظة بيت لحم



جامعة الصوابيا  
تحت رعاية السيد الرئيس  
محمود عباس ابو مازن  
تعد عمادة البحث العلمي والدراسات العليا  
بالتعاون مع فرع بيت لحم  
المؤتمر التراثي الخامس بعنوان:  
**التراث الشعبي الفلسطيني  
في محافظة بيت لحم**

# كلمات افتتاح المؤتمر

- ◆ كلمة سيادة الرئيس محمود عباس / أبو مازن راعي المؤتمر، ألقاها نيابة عنه معالي د. حسين الأعرج رئيس ديوان الرئاسة.
- ◆ كلمة رئيس جامعة القدس المفتوحة.
- ◆ كلمة اللجنة التحضيرية للمؤتمر.





## كلمة

سيادة الرئيس محمود عباس - أبو مازن، راعي المؤتمر

ألقاها نيابة عنه معالي رئيس ديوان الرئاسة

وعضو مجلس أمناء الجامعة

د. حسين الأعرج



## بسم الله الرحمن الرحيم

**السيد رئيس الجامعة وأسرة الجامعة. السادة أعضاء المؤتمر  
أسمحوا لي جميعاً باسمكم واسم فخامة السيد الرئيس أن أرحب بالضيوف من تركيا  
الشقيقة التي لها المواقف الثابتة والمؤازرة للقضية الفلسطينية.**

السادة الحضور أنه من دواعي سروري مشاركتكم افتتاح مؤتمر التراث الشعبي الخامس الذي تقيمه جامعة القدس المفتوحة، كتقليد سنوي يعتد به، ويشرفني أن أكون ممثلاً لسيادة الرئيس محمود عباس أبو مازن، لأنقل تحياته واحترامه وتقديره لكم جميعاً ولهذا الصرح المميز جامعة القدس المفتوحة. شاكرًا لكم جهودكم المتواصلة في الاهتمام بالتراث الشعبي كمكون أساسي من مكونات هويتنا الوطنية الفلسطينية. والحفاظ على اسم فلسطين وتراثها الوطني والحضاري وحمايته وتجديده بما يتوافق مع روح العصر، ليكون ركيزة أساسية من ركائز التلاحم بين أبناء شعبنا ومرآة لهويته وأصالته. وكما تعلمون فإن تراث محافظة بيت لحم - كما هو تراثنا فلسطين بشكل عام - غني بهوية متعددة الروافد، ويملك رصيذاً ثقافياً وفنياً وحضارياً جديراً بالإعجاب، ويتعين علينا وعلى مؤسساتنا الأكاديمية والثقافية الرسمية والأهلية تشجيع هذا التنوع وتجديد تراثنا الثقافي كافة بما يحفظ من القيمة الحضارية والذوق العصري ويعززه بمختلف أنماط التراث في تكامل بين التقاليد الأصيلة والإبداعات المعاصرة.

ولقد تم في هذا السياق إقرار اعتماد بيت لحم عاصمة للثقافة العربية عام 2019، وهي جديرة بذلك، ونحن في فلسطين مأسسنا هذا القرار بتشكيل لجنة وطنية عليا لمتابعة هذا الهدف.

### السيدات والسادة:

إن العمل على إبراز الهوية الوطنية لشعبنا وتعزيزه وتعميقه وصونه وتوثيقه، يتطلب العمل المشترك وتشجيع البحث العلمي والفكري وغير ذلك من المرتكزات والأهداف التي لا يمكن تحقيقها من طرف واحد بمعزل من الآخرين؛ لأن حفظ التراث هي مسؤولية الجميع.

ومن هنا نقدر عالياً سياسة جامعة القدس المفتوحة بتشجيع البحث العلمي والثقافي

والتراثي وإصدار الموسوعة التراثية لأبناء شعبنا في مواقعهم المختلفة. وهو تكامل مع وزارة الثقافة لإنشاء السجل الوطني للتراث الثقافي غير المادي، وتوثيق عناصر عدة من عناصر تراثنا الفلسطيني وتصنيفها من أجل ذاكرتنا الثقافية وصونها، وفي سياق ذلك فإن مؤسساتنا الثقافية والأكاديمية وفي مقدماتها الجامعات الفلسطينية وجهودكم المخلصة في جامعة القدس المفتوحة ومبادراتكم في عقد مثل هذا المؤتمر تسهم في تحقيق الاستراتيجية الوطنية في حماية قطاع التراث عبر البحث والتوثيق واحترام التعددية، والتسلح بها وصولاً إلى التحرر من الاستعمار العنصري الاستيطاني الذي تعاني منه فلسطين. إننا على ثقة أن تعميق ونشر الوعي الثقافي عنصر ضروري من عناصر ترابط مكانات ثقافتنا الفلسطينية، وتعزيز التلاحم والقدرة على التواصل بين الأجيال وبين أبناء شعبنا في الوطن والشتات.

### السيدات والسادة:

إن ما تقدمونه جميعاً من جهود مخلصه في مجال الثقافة وهو جزء من معركتنا ونضالنا ضد هذا الاحتلال، وهو مكمل أساسي لما تبذله القيادة الفلسطينية وعلى رأسها السيد الرئيس أبو مازن من جهة، ومتابعة على المستوى السياسي من أجل وضع القضية الفلسطينية على الخريطة الدولية أمام المحافل الدولية كافة، وفي مقدمتها مجلس الأمن الدولي استكمالاً لمحققناه في الجمعية العامة للأمم المتحدة والمنظمات الدولية، وكذلك إعادة القضية الفلسطينية إلى قائمة الصدارة على الأجندة العربية والدولية.

### السيدات والسادة:

إن تراثنا ضارب الجذور في هذه الأرض وهو عامل أساس في تثبيتنا على أرضنا، فنحن على هذه الأرض منذ عشرات آلاف السنين، فلن نتركها ولن نتخلى عنها مهما كانت الظروف، وهو ما يؤكد عليه شعبنا دوماً، ولن يكون هنا تكرر لمأساتنا في الهجرة عام 1948، ولا نكسة النزوح عام 1967. ولا نرضى عنه بديلاً فنحن على هذه الأرض باقون فلا وطن لنا إلا هذا الوطن. فنحن المؤتمنون على هذا التراث وهذه الأرض وحضارتها وسنظل سندها. ولن نتخلى عن مسؤوليتنا تجاه أرضنا وشعبنا وتراثنا.

تحية لكم ولمؤتمركم ولجهودكم في الحفاظ على تراثنا الوطني والتصدي لمحاولات

التشويه والسرقة والانتحال والتهويد بحق تراث شعبنا وآخرها القرار الإسرائيلي بمصادرة أملاك الغائبين في القدس وغيرها.

إن مقدساتنا وشعبنا هي أمانة في أعناقنا وكقيادة فلسطينية سنحافظ عليها مهما كانت الظروف صعبة.

شكراً لكم ولمؤتمركم ولجهودكم المخلصة، والتي نقدرها في الحفاظ على تراثنا ولكل من ساهم في إعداد هذا المؤتمر. عاشت فلسطين حرة عربية. الحرية لأسرانا الأبطال والمجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

**والسلام عليكم**

**كلمة**

**رئيس جامعة القدس المفتوحة**

**أ. د. يونس عمرو**



## بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ والصديق الدكتور حسين الأعرج/ ممثل فخامة رئيس دولة فلسطين – راعي المؤتمر.

### الأخوة على المنصة

### الأخوة الضيوف جميعاً من رسميين ومن أهليين

الأخوة والزملاء من جامعة القدس المفتوحة أرحب بكم جميعاً خاصة بالذكر ضيفين عزيزين من الجامعات التركية الأستاذ الدكتور إبراهيم يلماز من جامعة أتاتورك والأستاذ الدكتور سيف الله قورقماز من جامعة أرجاس، وهما اللذان جاءا إلى فلسطين للمشاركة في أرشيف الصور الفلسطينية في الأرشيف العثماني نشكرهما ونرحب بهما في هذا اليوم الجميل الذي نحتفي به بمؤتمر التراث الخامس الفلسطيني. والذي خصصته جامعة القدس المفتوحة لمحافظة بيت لحم.

سلسلة المؤتمرات التي دأبت عليها جامعة القدس المفتوحة كانت تهدف في الأصل إلى أمرين: الأمر الأول دفاعي نضالي باعتباره رداً على ممارسات الاحتلال الإسرائيلي بشطب هويتنا الفلسطينية وانتزاع جذور من هذه الأرض بانتحالها لكل ما هو تراثي فلسطيني من مختلف التوجهات والجهات حتى الإسلامية والمسيحية التي لم تستطع الاعتداء عليها وتجبيرها وانتحالها التي دأبت على طمسها وهدمها وإزالتها.

وليس مستغرباً أن نرى كل ما هو فلسطيني في الدعاية السياحية والثقافية الإسرائيلية يجبر على أنه إلى يهود، هذا الهدف الأول، وأما الهدف الثاني فكان في إبراز الهوية الفلسطينية المتجذرة مع هذه الأرض منذ ما يزيد على عشرة آلاف عام تدرجاً إلى ستة آلاف عام.

لننتهي في نهاية المطاف إلى احتمال من اكتمال حلقة هذه المؤتمرات بإصدار موسوعة متخصصة في التراث العربي الفلسطيني، هذان هما الهدفان اللذان سعت إليه جامعة القدس المفتوحة من خلالها إلى عقد سلسلة المؤتمرات هذه.

ولكنها أيضاً تنبعت إلى أمر مهم؛ وهو كل هذه المؤتمرات عقدت في كل مدينة واحد وفي كل سنة مؤتمر حرصاً منا على إبراز التمايز التراثي والثقافي من بلادنا فلسطين ولعل

من أهم هذه المؤتمرات المؤتمر الخامس الذي يعقد في بيت لحم والذي نهدف من خلاله إلى إبراز صورة التعايش العربي الفلسطيني واللحمة والاجتماعية والثقافية. والسياسية والاقتصادية وفضلاً عن الدينية بين المسيحيين والمسلمين لتقدم للعالم صورة مشرفة على حسن التعايش وحسن اللحمة وقوتها بين شقي شعب لنقول إن التعايش واللحمة ليسا لظرف سياسي عابر أو لصراع أو لدافع خارجي، وإنما هو قديم قدم هذه الأرض. فمعروف أن بيت لحم تتوسط الخليل والقدس في إبراز الصورة الفلسفية العربية القديمة جداً في شقي هذا الشعب المسيحي والإسلامي في تراث عميق الجذور يصل قدمه إلى ميلاد المسيح عليه السلام فيما يزيد عن ألفي عام هذا النبي المعجز الذي بُشر بمحمد صلى الله عليه وسلم، والذي كثرت فيه وفي أمه عليهما السلام الأقاويل والادعاءات، فكان من مولده حتى وفاة حياته على الأرض مداداً للخلاف والحديث.

وعلى الرغم من أن الخلاف بين المسلمين والمسيحيين عميق في هذه المسألة إلا أنه لم يكون يوماً سبباً لخلاف جاد يؤدي إلى بعض الإشكالات. حتى إن الله سبحانه وتعالى وضح جانباً هذه الخلافات من وجه إلى المسيح عليه السلام سؤلاً استذكاريًا يقول فيه: يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اعبدوني وأمي من دون الله، فيرد على ربه قائلاً: "إن كنت قلت هذا فقد علمته"، تصوروا الرد على الخلاف في هذا السؤال وهذا الجواب بين رب معبود وعبد عابد نبي كريم، هذا ما نهدف إليه اليوم في مؤتمرنا الخامس للتراث هوية وانتماء في بيت لحم، وأما جامعة القدس المفتوحة فلم تقتصر أبداً اليوم على مهمة نقل التعليم والتعلم لقطاعات شعبنا المختلفة، وهي جامعة الوطن التي تسعى دوماً إلى تدريس جميع ما يلزم لأبناء شعبنا في الظروف المختلفة وفي الأماكن المختلفة، فلقد دأبت الجامعة بقطاعاتها الخاصة ومواقعها المختلفة وفي كل الوجوه. ولعل هذا أهل هذه الجامعة لتكون أكبر الجامعات الفلسطينية وأكثرها عملاً لصالح شعبنا في مختلف الظروف ومختلف المواقع. وأهنتكم وأهنتى نفسي وأهنتى الجامعة لحصولها على جائزة القرن الذهبية للجودة والتميز للتكنولوجيا والإجراءات الإدارية التي حصلت عليه مؤخراً من المؤسسة العالمية للتميز والجودة والتميز والتكنولوجيا هذه المؤسسة التي تمنح جائزة CQE لإحدى المؤسسات من (50) دولة في كل عام، والجائزة لم نتقدم إليها بطلب، بل هي تراقب عمل الجامعات من بعيد من خلال الاعلام ومواقع المؤسسة. لقد فوجئت حينما تلقيت الرسالة منهم يخبروني



فيها بأن جامعتك مرشحة لهذه الجائزة، لم نتقدم بطلب ولم نتلقَ أو نستعمل أيّاً من الخبراء أو الفاحصين.

وإنما كان نتيجة اطلاعهم هم من بعيد على أداء الجامعة، وحسب معاييرهم استحقت الجامعة هذه الجائزة، وبدورنا في إدارة الجامعة ومجلس أمنائها قمنا بإهداء هذه الجائزة إلى فخامة رئيس دولة فلسطين محمود عباس حفظه الله؛ وذلك لسبب الأول: هو أن هذا الرجل رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، أي أنه الرئيس الأعلى لهذه الجامعة كونها ذراعاً من أذرع منظمة التحرير، والثاني: هو أنه سعى بسياسته الحكيمة ونضاله الحكيم، إلى تحويل فلسطين من إقليم متنازع عليه إشكالات ومشكلات إلى دولة. لأن هذا الجائزة لا تمنح إلا للدول، ولا تمنح إلى أقاليم. لذا استحق أن نهدّي هذه الجائزة إليه من هذين الوجهين. فأهنئكم وأرحب بكم وأشكركم وأشكر الداعمين والباحثين وأشكر اللجان التحضيرية والعلمية. ودائماً إلى الأمام.

**والسلام عليكم**

**كلمة**

**اللجنة التحضيرية للمؤتمر**

**د. ضيف الله عثمان**



## بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى أخيه سيدنا عيسى بن مريم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين

معالي الدكتور حسين الأعرج المحترم/ ممثل فخامة الرئيس محمود عباس، رئيس دولة فلسطين حفظه الله

حضرة أ. د. يونس عمرو المحترم/ رئيس جامعة القدس المفتوحة

حضرة أ. د. حسن السلواي المحترم/ عميد البحث العلمي والدراسات العليا/ رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر

الحضور الكرام..

يسعدني أن أرحب بكم باسمي واسم زملائي في الهيئتين الإدارية والأكاديمية، وطلبة الجامعة في فرع بيت لحم، وأثمن مشاركتكم لنا في وقائع "مؤتمر التراث الشعبي في محافظة بيت لحم - هوية وانتماء"، هذا المؤتمر الذي يجيء ليؤكد على أهمية تراثنا الفلسطيني عامة، وتراثنا التلحمي خاصة، هذا التراث العريق، الموغل في أعماق التاريخ في هذه الأرض المقدسة، والذي يمثل وجودنا وثقافتنا وحضارتنا منذ كنعان الأول وحتى يومنا هذا، والذي أصبح يتهدده الطمس والمصادرة والتهميد والانتحال والتشويه على أيدي الاحتلال الإسرائيلي المغتصب، ومن هنا تأتي أهمية هذا المؤتمر في تسليطه الضوء على أصالة تراث بيت لحم اجتماعياً، ودينياً، وإرثاً موروثاً،

وبيت لحم، أيها السيدات والسادة، مدينة اختصها الله بأعظم حدث في تاريخ الإنسانية.. ميلاد السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، هذا النبي وهذا الرسول الذي كان ميلاده معجزة، وحباه الله بالمعجزات أيضاً.. فهو رسول السلام، رسول الإنسانية والمحبة والتسامح للمسيحيين والمسلمين وسائر المؤمنين.. وهو فوق ذلك النبي والرسول الفلسطيني الذي بشر بخاتم النبيين.. الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قال الله على لسانه: ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه " أحمد".

ومدينة بيت لحم، توأم مدينة القدس تكتسب في زماننا هذا مكانة عظيمة في فلسطين وفي العالم أجمع.. فإليها يحج ملايين المسيحيين في كل أرجاء المعمورة، ولا غرو أن تكون عاصمة الثقافة العربية لعام 2019.

وكنيسة المهدي، حيث ولد المسيح، عيسى بن مريم، عليهما السلام، مكان مقدس للمسيحيين والمسلمين، فنحن في بيت لحم نوكد دائماً واقعاً وممارسةً ونهج حياة على تعايشنا المشترك، وعلى وحدتنا الوطنية والاجتماعية، وعلى مصيرنا المشترك وأماننا التحدي والتناقض المشترك في حياتنا -الاحتلال الإسرائيلي- الذي سلب الوطن، ومازال، والذي يهدد المقدسات المسيحية والإسلامية في القدس وفي كل فلسطين.

يأتي هذا المؤتمر ليكرس التسامح والهوية القومية والوطنية لنا جميعاً، من خلال استعراض أكاديمي لأبرز معالم تراثنا الديني والاجتماعي والمادي في هذه المدينة المقدسة والمحافظة الطيب أهلها، مؤكدين على أن تراثنا هو هويتنا الوطنية، وهو الشاهد الحي على وجودنا على هذه الأرض.

وختاماً أشكر فخامة الرئيس محمود عباس على رعايته لهذا المؤتمر بانتدابه معالي الدكتور حسين الأعرج ممثلاً عنه، والشكر موصول دائماً لمجلس أمناء الجامعة، ورئاسة الجامعة على الدعم المتواصل لمؤتمرات التراث السنوية التي تعقدتها الجامعة في محافظات الوطن إحياءً وحفظاً لتراثنا الخالد الزاخر برموز وحدتنا الوطنية وأصالتنا وعمق جذورنا في هذه الأرض، سعياً من الجامعة لتوثيق هذا التراث بسماته العامة والخاصة في كل بلدة ومحافظة في فلسطين.

كما أشكر اللجنة التحضيرية لهذا المؤتمر، والباحثين، وإدارة قصر المؤتمرات التي احتضنت المؤتمر ووفرت له كل أسباب النجاح. أشكر كذلك الممولين من مؤسساتنا الوطنية الرائدة وأخص منها (شركة جوال)، أشكر الفرق الفنية، ومديرة مركز تراث بيت لحم، كما أشكر عمادة البحث العلمي ودائرة العلاقات العامة في الجامعة، وقسم الإنتاج الفني، وزملائي في فرع بيت لحم الذين قدّموا الدعم والإسناد.

أتمنى لهذا المؤتمر النجاح والتوفيق، والخلوص إلى توصيات عملية تسهم في إحياء وحماية تراثنا الذي هو رمز وجودنا.

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،**



# الجلسة الأولى

## المحور الأول: التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة بيت لحم (قيم وأصالة وانتماء)

◆ مداخلة | الأدب العربي في عيون الأتراك.

ضيف المؤتمر: أ.د إبراهيم يلماز، جامعة أتاتورك / تركيا

◆ كنيسة المهد والمعتقدات الشعبية والدينية المتعلقة بها.

أ.د قسطندي شوملي

◆ حارات بيت لحم القديمة.

د. إبراهيم أبو ارميس

◆ خصائص المساكن القديمة في مدينة بيت لحم.

د. محمد الخطيب

◆ الأزياء الشعبية النسائية التراثية في محافظة بيت لحم بين الطمس والإحياء.

د. عطا أبو جيبين

◆ زراعة أشجار الكرم والصناعات القائمة عليها في بيت لحم في العصر الفرنجي

◆ (1187-1099م).

د. سعيد البيشاوي

◆ سادن التراث في بيت لحم د. توفيق بشارة كنعان الخوري البيتجالي 1882-1964م.

د. إدريس جرادات



## الأدب العربي بعيون الأتراك

ضيف المؤتمر:

أ.د. إبراهيم يلماز  
جامعة أتاتورك/تركيا.

الحمد لله أول ما يبتدأ به الكلام ويُستفتح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعلى ما يُثنى به على الرب ويُمدح، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أحلى البرية كلاما وأفصح، وأوزن الأنام حتماً وأرجح. لك الحمد ربنا أن جعلت العرب والعجم سواسية وألنت بجميل كلامك القلوب القاسية فعدت بالعلم كالجبال الراسية ونشرت دينك بين العباد في كل ناحية وواد فاهتموا بكتابك في جميع المسائل وشرحوا العلم للطالب والسائل ولم يمنعهم من تعلم لغته حائل فرأينا علماء مع عجمتهم كأنهم من أعرب العرب فأبدعوا باللغة والأدب وعرف فضلهم من أتى ومن ذهب، عرفوا النحو والتصريف وميزوا الصحيح من الضعيف وساهموا في خدمة كتاب الله الذي حفظ من التبديل والتحريف، والصلاة والسلام على من اتبع الدين الحنيف.

أما بعد: قبل الكلام عن نظرة الأتراك للأدب العربي واللغة العربية: أبدأ بتعريف عام للأدب وتاريخ المصطلح الأدبي ومدى تقارب المصطلح واللفظ بين اللغتين عموماً فأقول:

### أولاً - تعريف الأدب:

كلمة الأدبيات جاءت من جذر أدب في اللغة العربية، أُستُخدمت كلمة الأدب باعتبار أول حدوثها للدلالة على تصرفات جميع البشر. وتفيد داخل المفهوم الأدبي العرف والعادات المستخدمة في التاريخ العربي منذ القدم، والمواقف والتصرفات الحسنة التي أخذت شكل القواعد وأي شيء يكسب هذه المفاهيم من معلومات كتابية وشفهية.

كلمة الأدبيات أُشتقت من جمع كلمة أدب، لكن هذه الكلمة غير مستخدمة في اللغة العربية والأدب العربي حتى يومنا هذا.

أُكسبت كلمة الأدب من قبل المثقفين العثمانيين بعد فترة التنظيمات إلى لساننا بدلاً من مفهوم literature التي هي من اللسان الغربي وخاصة اللغة الفرنسية.



وبهذا الشكل دخلت الأدبيات إلى التاريخ الثقافي التركي، واعتباراً من هذا التاريخ أصبحت هذه الكلمة من المفاهيم النادرة الحركية والحيوية التي لا تفقد قيمتها واستخداميتها في التاريخ التركي.

المعنى الذي تحمله ازداد قيمةً وغنىً في كل يوم يمرّ عليه.

هذا الاعتبار كلما واجهت أدبياتنا أدبيات الشعوب الأخرى وكلما فُهمت المعاني التي يحملونها إلى أدبياتهم ازداد لمعاناً وأصبح يفهم بشكل أوضح.

هذه الكلمة المستخدمة في اللغة العربية "أدب"، وفي اللغة التركية "أدبيات" قال عن اشتقاقها ومعانيها القديمة المفكرون والأدبيون الأتراك والأدباء العرب أفكاراً قريبة من بعضها.

هؤلاء باتباعهم المنهاج نفسه واستفادتهم من المصادر نفسها يحاولون تثبيت أول استخدام لها كأول معلومة خام موجودة في المصادر لهذا المعنى وحاولوا التعليق وتدوين معلومات المصادر الحاملة لهذا المعنى.

والنتائج التي وصلوا إليها في هذا السياق أصبحت قريبة من بعضها، بالنسبة إليهم "الدعوة إلى الضيافة" هو واحد من أقدم المعاني المستخدمة في المفهوم الأدبي، وأما الآخر "التأدب والظرافة" يعني حُسن الخلق.

هذه المعلومات هي الفكرة التي اتفقوا عليها واعتبروها صحيحة، بالنسبة إلى أقدم الآثار، حالة اسمه مشتقة من المصدر الأدبي، وبهذا الشكل دُوّنت في المعاجم بمعنى الدعوة، والمواقف والتصرفات الحسنة، واللطافة، والرقي، والإعجاب، والتقدير.

بين الدعوة التي هي من المعاني الأولى لكلمة الأدب والمعنى الثاني الذي هو الخلق الحسن (الدعوة والفضيلة) يوجد بينهما علاقة قريبة: فالأديب بمعنى آخر هو الشخص نفسه الذي يدعو إلى الفضيلة.

مع الزمن طرأ على كلمة الأدب بعض التغييرات في المعنى وعرفت بأشكال مختلفة في الآثار الأدبية.

في العصور (الثامن / 8 / 14) قال الفيومي عن معنى هذه الكلمة بأنها رياضة النفس (ترقية الروح بالتعمق في العبادة وترك متطلبات النفس)، ونقلاً عن أبي زيد الأنصاري (214 / 216) (هي أي فضيلة أو رياضة للنفس الحسنة).

السيد الشريف الجرجاني الذي جاء بعد عصر منه والمتحدث باسمه في الأدب العربي بواسطة القاموس العربي الذي ألفه، عرف الأدب بهذا الشكل «هي المعلومة

التي تُفيد تصحيح أي خطأ».

الزبيدي في معجمه هو الذي أعطى - بعد ابن المنظور - أكبر قيمة لكلمة الأدب وأكسبه قيمته الحقيقية، يقول عن الأدب الذي وصل إلى فترته «كلمة الأدب أستخدمت باعتبارها مصطلحاً يضمّ جميع علوم العرب بعد الإسلام، أي التصرف الحسن والعمل الحسن، والملكة التي تُبعد الإنسان عن الشرور، والخلق الأفضل المتعارف عليه بين الناس».

أكثر مختصي الألسنة العرب، مع أنهم يقولون أنّ كلمة الأدب جاءت من جذر «أدب» إلا أنّ VOLLERS و C. A. NALLINO الذين هم من المستشرقين، اشتقت من كلمة «دأب» التي هي المعنى المرادف للسُّنة!

لكنّ هذا الإدعاء لا يبدو أنه صحيح.

«أدب» ليس من «دأب» بل ينبغي أنه اشتقّ باعتباره متعلقاً بكلمة «آداب» التي هي جَمْعُ كلمة «أدب»، مثلما أنه لم تلاحظ أيّة معلومة في المعاجم العربية القديمة الموثوقة بها تؤكد أنّ أصل كلمة «أدب» هو من «دأب»، والباحثون العرب المعاصرون ومؤرخو الأدبيات قبلوا هذه الفكرة التي لم تُؤيد بأية وثيقة.

ابن المنظور يقول أنّ أصل كلمة الأدب هي من جذر «أدب» ويؤكدُ خصوصاً أنها تعني «الدعوة»، وعلى نحو متوازن أيضاً ابن قتيبة لفت الانتباه أنّ هذه الكلمة كانت تستخدم في الأدب العربي منذ القدم في اللغة العربية وأن «أدب، مَأدَبَة، مَأدَبَة» جاءت من نفس الجذر، وأنها تعني طعام الضيافة أو طعام العُرْس.

معنى كلمة الأدب والمعاني التي تحيط بها لها قيمة متفاوتة من حيث استخدامها الواسع جداً في الأدبيات العربية والتركية. من جهة أخرى مقابلها في اللغات الأخرى أيضاً تحمل معاني مهمة كل أمة تعطي لأدبياتها قيمة كبيرة.

هذه الكلمة والكلمات التي تُعادلها في الاستخدام المهمّ فيها هي المعاني المفهومية. في كل لغات العالم المعنى المرادف لكلمة «أدب» تُختصر بمعنى التوجّه إلى القيم الإنسانية والأصالة.

لا توجد في القرآن كلمة الأدب أو كلمة من نفس الجذر؛ لكن كلمة الأدب - وجمعها الآداب - التي تأتي من الجذر نفسه مرت كثيراً - فعلاً واسماً - في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما قيل في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود: (إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم) استفاد منه كُتّاب المعاجم للربط بين معنى «العواديات

الحسنة“ و”الدعوة“ التي هي من جذر كلمة الأدب.

حَسَبَ رأي ابن منظور كاتب المعجم الكبير، القرآن الكريم هو الكتاب الذي حوى أنواع الأدب، أيضاً في الثقافة العربية هناك قول مأثور جميل (كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين). وكما رأينا في عصر الجاهلية وبداية عصر الإسلام أن كلمة الأدب ومشتقاتها من نفس الجذر بُحِثَ عنها بشكل متقطع، واستخدمت بمعنى الدعوة، واللفظ، والرقي، و الإعجاب، والعادة بمصطلحات خارجة عن نطاق الدين داخله في محتوى القيم الأخلاقية. وهكذا استخدمت كلمة الأدب في بيت من الشعر لسهم بن حنظلة الذي هو من المخضرمين بمعنى العادة والمواقف التقليدية، وهذا القيد مهم لنا لكونه يرينا استخدام كلمة الأدب في المواضيع الأخلاقية.

أول المتخصصين فيما يتعلق بالأدبيات واللسان العربي، لفتوا الانتباه في آثارهم التي كتبوها ووقفوا فيها على العلاقة القريبة فيما بين المعاني التي تحتوي العناصر الأخلاقية والدينية وآخرها الأدبية التي اكتسبتها فيما بعد و المعاني المعجمية الأولى لكلمة الأدب.

اعتباراً من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) بدأت تستخدم كلمة الأدب بمعنى التصرفات وجميع المعلومات اللازمة ليكون الشخص مثقفاً.

وفي هذا السياق خرج لَوْحده كنوع جديد، وأهم ممثل لهذا النوع ابن المقفع (142هـ، 759م) كتب رسالتين باسم الأدب الصغير والأدب الكبير، في الأولى تكلم عن شكل التصرفات والنصائح الأخلاقية، وفي الثانية تكلم عن الطريقة التي يجب التعامل بها مع الحكماء.

وهو أيضاً بترجمته لكيلة ودمنة وبالأثار الذي كتبها باسم الأدب الوجيز للولد الصغير أصبح واحداً من أهم المتقدمين في المفهوم الأدبي الذي هو مفيد في التدريب وواسع في المعنى.

في الأدب العربي يعدُّ الجاحظ من أكبر الممثلين للثقافة الأدبية في العصر الثالث (التاسع) والذي استفاد من الثقافة العربية الإسلامية ومعها الثقافة الأجنبية من الأدوات المنقولة من الثقافة التركية وبالخصوص من الأدب الإيراني، ويعود إليه الفضل الأكبر في أخذ الشكل المعين للطرز المتعلق بالأدبيات واللسان للنوع الأدبي.

الجاحظ الذي قُبِلَ باعتباره الأستاذ الأكبر للنثر العربي أصبح واحداً من أكبر الممثلين لهذا الطراز باعتبار الفترة التي عاشها والذي حمل كلمة الأدب وظائف اللغة والأدبيات

الذي تُشابه في المعنى الموجود في عصرنا اليوم، ومن جانب آخر، أكسب طرازاً جديداً وأصالةً جديدةً يستطيع جميع المثقفين أن يقرؤوها إلا فئةً محددةً منهم بتأليفه جملةً من الآثار مثل: كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان.. الخ، وفي الوقت نفسه هو تكلم في تأليفاته المذكورة أعلاه عن فن الزراعة والانتروبولوجي والوسط الاجتماعي إلى جانب اللغة والأدبيات وبذل جهداً كبيراً لإظهار أن علم الأدب بجميع اتجاهاته يحيط بالحياة وهو وسيلة لعيش حياة بشكل أفضل كفرع علمي وممارسة.

الأثر المسمى بـ أدب الكاتب لابن قتيبة ت (889 / 276) وهو من أقدم المصادر \_ إن لم يكن الأهم \_ المتعلقة بتاريخ الثقافة الإسلامية والعربية.

الكاتب هنا يتحدث أولاً عن تأديب اللسان، ومن ثم يتطرق في البحث عن تأديب النفس، وأوضح أنه يجب على المرء تأديب نفسه وتحسين أخلاقه قبل تأديب لسانه.

ابن قتيبة في هذا الأثر أكثر ما يُخاطب فئة الأدباء، وفي أثره الآخر المسمى بـ عيون الأحبار يُخاطب جميع الطبقات المثقفة، وأوضح أنه لا يمكن للمرء أن يكون مثقفاً إلا إذا أحاط بجميع أنواع الأدب وكسب المهارة فيها، وأصبح لهذا الكتاب أثر كبير للأدباء الذين أتوا بعده، كالكامل للمبرد (889 / 258) و أبي علي القالي (966 / 356) في كتابه المسمى بـ الأمالي، الذي اتبع منهج ابن قتيبة في كتابه عيون الأحبار، وكتبه لنفس الهدف.

يرى ابن خلدون أن الأدب ينبني على أربعة كتب أساسية وأنها تظهر الأدب و البيان و النحو واللغة والمعلومات العائدة إلى العرب، وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، والأمالي لأبي علي القالي.

وأيضاً يجب أن نذكر من بين هذه الآثار العقد الفريد لابن عبد ربه (940 / 328) الذي يُعدُّ موسوعةً منهجيةً، وأطلقَ عليها اسمَ المحاضرات، والتي يُعتقدُ بأنه كتبه متأثراً بالآثار المذكورة سابقاً.

يذكر في الأدب العربي كآساتذة للنثر بعد الجاحظ أبو علي التنوخي (994 / 384) وأبو حيان التوحيدي (1023 / 414). أبو علي التنوخي هو أستاذ في اللغة وضع النص بشكل يجذب القارئ والذي أغنى شرحه بالنكت والأغاني والأمثال الشعبية. وكتاباتهِ تشرح الأحداث التاريخية واليومية على شكل حكايات، هدفه أن يجعل القارئ والمستمع يمضيان أوقاتاً جميلة. كتابه المسمى الفرّج بعد الشدة تُرجم إلى لغات عدّة وكان له أثر كبير، ومن جهة شرحه للمباحث الحياتية أثر على الثقافة اليهودية والإيرانية والتركية والثقافة العالمية.

أما أبو حيان التوحيدي فقد تربى في مدرسة الفارابي وعُرف كعالم للأدب وفيلسوف، ويقال إنه أفضل كاتب للنثر بعد الجاحظ، في الفترة التي عاصرها أَسْمَوْه بـ (أديب الفلاسفة) و (فيلسوف الأدباء) و (الجاحظ الثاني)، وأخذ مكانه بين العلماء والأدباء المختارين في العصر الرابع فيما يتعلق بجميع نواحي العلم والثقافة من تصوّف وفلسفة إلى الكلام والفقه والأدبيات واللغة.

العلماء والأدباء الذين ذكرنا أسماءهم وتحدّثنا عن ميزاتهم في الأعلى طوّروا الثقافة الأدبية، وجعلوها ساحة علمية جذّابة وملونة للناس المثقفين على مدى العصور. الأدب في أيديهم أكثر من كونه علماً خاماً فقد أحاط الحكمة والعلم الذي يحيط بالإنسان إحاطة علمية بجميع قيمه المعنوية والمادية وتصرفاته ومشاعره، وبهذا الشكل توسع مفهوم الأدب وظهرت فوائده التدريبية وسَمَحَ للكاتب والمفكرين أن يكتبوا في هذا المجال.

بالرغم من أن كتاب الماوردي (أدب الدنيا والدين) ليس على القدر الذي كان عليه المذكورون في الأعلى، ففي المعنى العام يحتوى على موضوع الأدبيات وتحدث عن الأدب وقسّمه إلى أدب العقل و أدب العلم و أدب الدين و أدب الدنيا و أدب النفس.

أيضاً هنا لا يمكن العبور من دون ذكر أثر موسوعة الأدبيات للنويري (733/1332) نهاية الأرب في فنون الأدب، الكاتب في كتابه هذا تحدّث عن الكتابة ثم انتقل إلى المواضيع الأدبية وهنا بجانب المواضيع الأدبية أعطى مكاناً للفلك والجغرافيا والتاريخ وعلم الإنسان.

بعض الكتاب قاموا بالكتابة عن الآداب في مواضيع الأدبيات والتاريخ ممن تبنّوا العديد من التخصصات على أصول أبي علي التنوخي.

مثلاً، الصولي (335/946) أدب الكُتاب، القلقشندي (821/1418) صبح الأعشى، تكلّموا في كتبهم عن التاريخ والمواضيع المختلفة إلى جانب اللغة والأدبيات، هذه الآثار لفتت الانتباه من حيث إظهارها للعلاقة بين التاريخ والأدبيات.

وفيما بعدُ تفرقت العلوم وأصبح لكل علم موضوعه الخاص، وهكذا فإن عبد القادر البغدادي (1093/1682) صاحب الآثار الكلاسيكية في الأدبيات العربية سمّى جميع العلوم المتعلقة باللغة العربية وأدبياتها مثل الشعر والنحو والنثر بعلم الأدب، وقوله بأنه يجب أن يُطلق اسمُ الأديب- باعتبار زمانه- على الأشخاص الذين حازوا على هذه العلوم هو تطوّر جديد، ويفيد أن مثل هذه العلوم نشأت بعد الإسلام بعقود، وأن هذا التطور يجب أن يُهتمَّ به.

حتى نهاية هذا القرن تقريباً كان الفهم السائد لمعنى كلمة الأدب هو المعنى المجازي ويمكننا أن نعرف كلمة الأدب المجازي على الشكل التالي: هو ما يجعلك ترتقي بمستواك وتكون مستحقاً للجلوس على مائدة العلماء

والأدب يحتوي على شعر العرب ونثره وعلى لغة العرب وتاريخهم وبعبارة أخرى الأدب يحتوي على حضارة العرب وغيرهم ممن نشأ في ظل حضارتهم الأصيلة.

وكانت هذه الكلمة تستخدم في العصر الجاهلي وحتى بداية العصر الإسلامي استخداماً مغايراً لما هي عليه اليوم.

كانت تدل في تلك الفترة على علم العرب، وكل ما يتعلق بهم كالتاريخ والسفر وغيره من معارف العرب وحياتهم وأقوالهم وأخبارهم ثم تطور مفهوم الأدب بعد القرن الهجري الثاني وعلا شأن الأديب وتفوق على أقرانه من المعلمين وأصبح يطلق على مربّي عامة الأطفال معلم. أما من يؤدّب أبناء الخاصة من الملوك والسلاطين فيطلق عليه الأديب. وفي تلك الفترة كانت كلمة الأديب تطلق على من توافر لديه أمران:

أولهما من توافرت لديه ملكة لقول الشعر والنثر.

والأمر الآخر تطلق على من وضع قدماً في بداية طريق الاستنباط من كتاب الله وسنة رسوله، وكانت عنده المقدرة على تمييز كلام العرب مجازاً وصريحاً وكنائته

وقد بذل العلماء جهداً في سبيل إيصال المعنى الحقيقي لهذه الكلمة، إلا أن الإبهام لم يرتفع عنها بشكل كافٍ وبقي فيه شيء من الغموض.

وعُدّت المهارات التي اشتهر بها العرب كالرماية وركوب الخيل والشطرنج من أنواع الأدب وتعد أقوال الحسن بن سهل الذي توفي في 850 م في شرح مفهوم الأدب في ذلك العصر من أحسن ما كتب في معنى هذا المصطلح، وقد بين في شرح معنى الأدب تأثير الأدب العربي بالأدب الفارسي في تلك الفترة، وقد اشترط الحسن بن سهل في الأديب أن يتخطى أبواب الأدب العشرة ويكون متقناً لها

أما الأبواب فهي: عزف العود والشطرنج والرماية، وأن يكون حاذقاً في الطب، ويعرف علم الحساب وركوب الخيل ومعرفة الشعر وعلم الانساب ومعرفة تاريخ العرب ومناقبتهم وأخبارهم، وأن يكون متكلماً في الأفراح والأتراح والمناسبات العامة والخاصة وقادراً على التأثير في الناس في جميع أحوالهم وقد أهمل الحسن بعض الأشياء ولم يذكرها كالرياضة وعلم اللغة والشعر وعلم الكهانة. وكان أصحاب هذا الفن يُنظّمون المسابقات لمعرفة المتميزين فيه.

وفي بداية القرن العشرين تَقَلَّصَ معنى هذه الكلمة وأصبحت تطلق على بعض أنواعه فقط، وبعد ذلك بدأت تقترب شيئاً فشيئاً إلى المعنى الذي نستخدمه الآن.

عندما يطلق في اللغة العربية مصطلح علوم الأدب فإنها تحدد في ثمانى معان وهي: النحو والصرف واللغات والتصريف والقافية والشعر واخبار العرب وانسابهم.

المترجم عاصم أفندي يشرح كلمة الأدب في كتابه ترجمة القاموس فيقول: الادب يعني اللطافة واللِّبَاقَة والتَّادِبَ وحسن المعاملة في القول والفعل.

والأدب قسمان: أما القسم الأول فهو أدب النفس والآخر أدب الدرس

فالقسم الأول متعلق بالأخلاق والثاني بالمعاملات

ويُعَقَّبُ قائلًا: اللِّبَاقَة واللطافة تكون واضحة بالأقوال، ولكنها في الأفعال تكون أكثر وضوحاً ثم يقول: إن هذه المصطلحات اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والبيان والعروض والقافية والنثر عندما يُتَقَنَّها الأديب جيداً فإنها تحميه من الازدراء والتصغير وهذه المصطلحات بمجموعها تسمى الأدب.

وهناك بعض المعاني التي كانت تفهم من إطلاق كلمة الادب ففي العصر الجاهلي مثلا كانت تطلق على الدعوة الى تناول الطعام وفي صدر الاسلام توسع معناها وأصبحت تطلق على الدعوة الى الفضيلة أو يراد بها الفضيلة ذاتها وبعد ذلك اصطلح العلماء على إطلاقها على التربية وعلوم الأدب

في ضوء هذه المعاني فإن الأدب إذا أطلق فإنه يفيد الأخلاق أكثر من إفادته علوم البلاغة ونحوها والاسلام يعني الأدب تحت هذا المعنى، وكما يقول مولانا جلال الدين الرومي:

الإنسان بلا أدب ليس بإنسان وما يُمَيِّزُ الإنسان عن الحيوان هو الأدب

افتح عينيك وانظر الى كلام الله جملة كل آيات القران تعبر عن الأدب

وفي ضوء هذه البيانات نلاحظ أن الأدب مصطلح ذو معان متعددة وواسعة، فيشمل ما يطلق عليه في الغرب (hömanizim) التي تعني الانسانية وهو أشمل من مصطلح (lit-teratür) في الفرنسية فهم يستخدمون هذا المصطلح بمعنى أضيّق من مصطلح الأدب في العربية

ومن جهة أخرى الحقيقة أن معنى الأدب يختلف من دولة إلى أخرى ومن حضارة لأخرى.

## ثانياً - نظرة الأتراك للأدب واللغة العربية:

والآن أريد ان أعطي لكم نموذجاً من الخطابات بين السلاطين العثمانيين وعمّالهم في البلاد العربية:

إن الأرشيف العثماني يضم كثيراً من الخطابات العربية، المتبادلة بين العلماء والقضاة والحكام والأمراء العرب وزعماء القبائل العربية وشيوخها وغيرهم من الأعيان المرموقين في الجزيرة العربية، وبين السلاطين العثمانيين ممثلين في الباب العالي بشكل مباشر أو من خلال ولايات الحجاز والشام وبغداد. وهذه الخطابات وإن كانت نادرة؛ إلا أنها ليست قليلة كما ادّعي بل عددها غير قليل إذا قورنت بالوثائق الخاصة بالجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، لكن إذا قورنت بمجموع الوثائق التي يحويها الأرشيف العثماني والتي تقدر بمئة وخمسين مليون وثيقة، فإن عددها قليل جداً.

ونأخذ نموذجاً على مدى رُقّي الخطاب باللغة العربية بين السلاطين الاتراك، ومع الجاليات العربية وما فيه من جماليات اللغة والادب وغير ذلك. ومن هذا المثل الذي سأذكره يتبين قدرة السلاطين في تذوق اللغة العربية ومعرفة قدرها وحبهم لها وكيف كانت تُكتب إليهم مُرصّعة بأجمل العبارات وأروع الدلالات والإشارات محتوية على مرتبة عالية من البلاغات والتشبيهاً. طبعاً وهذا لا يقتصر على السلاطين، فإن كان عند السلطان هذا النوع من التذوق للأدب والبلاغة واللغة العربية فهو عند العلماء والادباء من باب أولى لتفرغهم لهذا النوع من العلوم وليس عندهم الانشغال بالحكم كما عند السلطان وكتابات العلماء القدامى والمتأخرين من البلاغة العربية والتذوق والادب ما لا يخفى ومنهم:

1. أحمد بن مصطفى لالي شلبي: متأدب بالعربية. تركي الاصل والنشأة. تنقل في الوظائف إلى أن كان قاضياً في أماسية. له كتب صغيرة، منها (شرح الامثلة) في مغنيسا و (شرح قصيدة البردة) فيها قال حاجي خليفة: شرّحها أولاً بالعربية ثم شرّحها بالتركية سنة 1001 و (الابحاث والاسئلة) صرف.

2. الكمشخانوي (1227-1311هـ = 1812-1893م): هو أحمد بن مصطفى عبد الرحمن الكمشخانوي، ضياء الدين: عالم بالحديث، تركي الأصل والمنشأ، 169.. ولد في (كمشخانه) بولاية طرابزون (بتركيا) وتعلم في الآستانة، وتوفي بها. أقام ثلاث سنين في مصر. وكانت له مطبعة تطبع بها كتب السنة وتوزع على فقراء العلماء مجاناً. وأنشأ ثلاث مكاتب لمطالعة الجمهور في بلاده. له نحو خمسين كتاباً، منها (جامع الأصول) وشرحه (لوامع العقول - ط) خمسة مجلدات، و (العابر، في الأنصاري والمهاجر) و (راموز الأحاديث).



3. محمد زاهد الكوثري: هو محمد زاهد بن حسن بن علي بن خضوع بن باي بن قانيت بن قنصو الجركسي الكوثري، نسبة لقرية الكواثرية بضفة نهر شبز القوقاز ويعد من أبرز علماء الأحناف في العصر الحديث، وقد ولد في قرية الحاج حسن أفندي من أعمال دوزجة بشرقي القسطنطينية في يوم الثلاثاء 27 أو 28 من شوال 1296هـ الموافق لسنة 1878م. تلقى علوم العربية والشريعة في وطنه تركيا. فبعد التلمذ لوالده انتقل إلى «دورجه» متعلماً ثم الآستانة. كما استفاد من علماء زمانه في مختلف فنون المعرفة، وظل مواظباً على التحصيل رغم الرتب العلمية التي نالها: فأخذ كما هي عادة علماء عصره الإجازات عن كثير من أعلام زمانه. أخذ عنه كثير من فضلاء زمانه، من أمثال أحمد خيري (ت: 1967م) وحسام القدسي (ت: 1979م)، وعبد الفتاح أبو غدة العالم الزاهد (ت: 1999م). عاصر شيخ الإسلام التركي مصطفى صبري وكان وكيلاً للمشيخة الإسلامية، وكان رحمه الله غزير الإنتاج متنوع التخصصات، كتب في كل فن شرعي، وحمل لواء الأشعرية حتى يوم وفاته، من مؤلفاته: إحقاق الحق بإبطال الباطل في مغيث الخلق، إرغام المرید في شرح النظم العتيد لتوسل المرید، الاستبصار في التحدث عن الجبر والاختيار، تاريخ مذاهب الفقهاء وانتشارها، تحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز، محق النقول في مسألة التوسل من عبر التاريخ، حنين المتفجع وهو قصيدة كتبها بعد أسبوع من الهدنة التي أنهت الحرب العالمية الأولى، قوامها خمس وخمسون (55) بيتاً يقول فيها:

أرض مقدسة عنا قد انتزعت      آياتها انتبذت فالعيش مملول  
أعلامها انتكست صلبانها ارتفعت      تتلى بها اليوم توراة وإنجيل

توفي رحمه الله تعالى بتاريخ 19 من ذي القعدة 1371هـ الموافق 15 أغسطس 1952 عن خمس وسبعين سنة، وأمّ صلاة الجنازة الشيخ عبد الجليل عيسى شيخ اللغة العربية، ودفن قرب قبر أبي العباس الطوسي في قرافة الشافعي.

1. شيخ الإسلام وآخر شيوخ الإسلام\_ العالم العلامة مصطفى صبري: ولد شيخ الإسلام مصطفى صبري في عام 1869 في توقاد في الأناضول، وإليها ينسب، وتعلم في قيصرية على الشيخ خوجة أمين أفندي، ثم انتقل إلى استانبول لاستكمال تحصيله العلمي. وفي استانبول شدّ الشيخ مصطفى صبري انتباه مشايخه بحدة ذكائه، وقوة حافظته، وعمق تحصيله، وعين مدرساً في جامع السلطان محمد الفاتح- أكبر جامعة إسلامية في استانبول آنذاك- وهو في الثانية والعشرين من عمره، وهو منصب مرموق يحتاج إلى جد واجتهاد وتحصيل، ثم أصبح أميناً لمكتبة السلطان عبد الحميد الثاني، وقد لفت انتباه السلطان عبد الحميد إليه بسعة اطلاعه وبتميزه وهو في سن الشباب بين رجال العلم الدينيين في

استانبول عاصمة الخلافة ورحل الى مصر بعد انتهاء الخلافة العثمانية وفي مصر عاش مُنافحاً عن الإسلام لا يخاف في الله لومة لائم، على الرغم من كبر سنه وفقره المدفَع، مع التجلد في الظاهر والتجلد للشدائد. وقد توفي الشيخ رحمه الله بمصر سنة 1954-1373م، ودفن فيها.<sup>(1)</sup>

2. ومن العلماء المتأخرين وله بَرَاةٌ بأدبه ولغته بالعربية وغيرها أيضا الملا سعيد النورسي ولد في عام (1294هـ - 1877م) ، في قرية «نورس» الواقعة في جنوب شرقي تركيا ومنها أخذ لقبه، ومن حروف اسمها «نور» أخذت دعوته وكتابات اسمها: دعوة النور ورسائل النور، وقد ولد في أسرة دينية لأبوين اشتُهرَا في القرية بورعهما، وكُتِبَ له أن يكون أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في العصر الراهن له مؤلفات عديدة بالعربية منها/ إشارات الإعجاز في مظانّ المجاز/ وهو كتاب عظيم في اللغة والادب والتفسير.<sup>(2)</sup>

لا يمكن ان أمرّ على ذكر النورسي بدون ان نذكر خطبته المشهورة في بلاد الشام، التي عرفت فيما بعد بالخطبة الشاميّة. والتي قال فيها: أيها العرب إنكم قلب المسلمين أيها الاتراك إنكم عقل المسلمين أيها الاكراد إنكم أيدي وأرجل المسلمين وإن اتحدتم فستعيشون في هذه البلاد آمنين....

خطابٌ بعث به الحسين بن علي حيدر إلى السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني: في العاشر من جمادى الآخرة عام 1259 هـ. ونصه:

نور الله شُمس الإسلام وأطلعها، وفَجَّرَ عين مَعِينِ الشريعة النبوية وأنبعها، وفَتَحَ كَمَايِمِ السعادة الأبدية وأينعها، ولألاً كواكب الدين الحنيفي وأسطعها، وأعلى منارات الملة البيضَاء ورفعها، وزلزل جموع الشرك والطغيان وزعزعها، وألف بين قلوب المسلمين وجمعها، بدوام مولانا السلطان العظيم، ذي الملك الباهر العقيم، القاطع بسيوف عزمه عُنُق كل جبار أثيم، السالك في أوامره ونواهيه الصراط المستقيم، شمس الخلافة وقمرها المضيء في الليل البهيم، المتصف بحماية ابناء فاطمة البتول، سلالة النبي الكريم، عليه أفضل صلاة وتسليم، الباسط عليهم ظل عدله على التعميم، شامي الفَخَار، زاكي الأصل والثَّمار، الذي لا تكاد تحصى صفاته بتعداد، ولو كان الشجر أقلاماً والبحر مداداً مَعَدِنَ العدل والفضل واليُمْن والأمان، المشتمل عليه قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، حامي ثغور الموحدين، إمام الغزاة والمجاهدين، العالم بالجهاد وفرضه، الصادق عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم، «السلطان ظل الله في أرضه»، وارث الخلافة والملك، سلطان العرب والعجم والترک، الخنكار الكبير، والخابقان الشهير، السلطان ابن السلطان ابن السلطان، خلد الله ملكه وأدام عليه سعادة أيامه، ورفع مجده وأنفذ أحكامه، ولا زال الوجود ببقاء سعادة سيادته

عامراً، والإيمان في أيام سلطنته قوياً ظاهراً، آمين اللهم آمين. وأهدي على مقامه الشريف نجائب ركائب التحية والتسليم، ورحمة الله وبركاته الطيبة الصيّبة الموصولة بنعيم دار النعيم. وبعد: فإنه ورد من تلقائكم أطل الله بقاءكم الفرمان العالي، الذي ابتهجت بوروده الأيام، وأضاءت به الليالي، فسطعت وتعالّت أنواره، وطلعت بالمسرات شُموسه وأقماره، وزخرقت بما تقر به العيون بحارُه، وتحاسد على شرفه ليل الزمان ونهاره، فوجدناه أشفا [أشفى] من الترياق، وألذ من تلاقي الأحبة بعد الفراق، يفوق اللؤلؤ الثمين منثوراً، ويفضّح شقائق النعمان زهوراً، فتعطرت الأنديّة بنشره، وأعلنت الألسُن في الآفاق بذكره

حبذا مدرجاً كريماً جليلاً      زانه منشىء كريم جليل  
لفظه الدر في السموط نضيد      وبمعناه سلسل سلسبيل

ولقد تضمن من الفصاحة والبلاغة ما يعجز عنه قدامة وابن المراعة، فلو رآه الملك الظليل لطأطأ رأسه خاضعاً، أو لبيداً [لبيد] البليغ لخر ساجداً راکعاً، وعرفنا ما ذكره سلطان الأمم، مالك رقاب العرب والعجم، وامتثلنا لأمرمك الكريم، وقابلناه بالإجلال والتعظيم ونحمد الله سبحانه، الذي وفقنا لطاعتكم، وزادنا عن السلوك في مسالك مخالفتكم، ولنا في ذلك الحظ الأسنى، والنصيب الأوفر الأهنأ، ونرجو من الله تعالى ثم من سعادتكم نيل الشرف والمُنَى والمطالب، وكمال العز ببلوغ نهاية الأمانى والمأرب، وقد تفضلتم وتطولتم على مملوك إحسانكم بإحالة منصب اليمن إليه، أعلى الله شأنكم، وكثّر خيركم، وضاعف أجركم، وأعز سلطانكم، ولا نقدر على مكافأتكم إلا بالشكر والثناء والدعاء كما هو من مملوك الإحسان عادة، خلد الله ملككم، وجازاكم بالحسنى وزيادة. والمرفوع إلى المسامع الشريفة، والعتبات العالية المنيفة، أن ما أحلتموه ووجهتموه إلينا من تهامة اليمن وجبالها، لم يكن في يدنا منه إلا شيء جزئي من تهامة، فالجبال جميعها بيد حاكم صنعا، وهي غير مضبوطة، ولا أمنة سُبُلها، ولم يحسن في تدبير ضبطها صنعا، وعدن وبرورة هو من البنادر المضافات إلى المخا، وصار بيد الإفرنج. هذا ما ننهيهِ إلى المسامع الشريفة، وفي الجميع تدبيركم ونظركم الثاقب، وما رأيتموه صواباً فلا شك ولا ريب أنه صائب، ومملوك الإحسان أسير الامتنان، يترجى وصول فرمان، مصحوباً بما يتشرف به ويظهر به ناموسه على القاصي والدان، أدام الله دولتكم، وأبد سيادتكم، ولا برحتم في حفظ الله الكريم، وعليكم أذكى التحية وأشرف التسليم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.. العاشر [من] جمادى الآخرة 1259 هـ الحسين بن علي بن حيدر (3).

### ثالثاً - تعليم اللغة العربية في تركيا قديماً وحديثاً:

من الجدير بالذكر أن تعليم اللغة العربية في تركيا له تاريخ طويل قديم مُوغل في

القديم. وقد يَمُّ الأتراك وجهتهم صَوَّب اللغة العربية، واهتموا بتعلمها، بعد أن اعتنقوا الدين الإسلامي، وقد زاد هذا الاهتمام في عهد كل من السلاجقة والعثمانيين. ونشأ وظهر عدد من العلماء الأتراك كتبوا وألفوا عددا كبيرا من المؤلفات المكتوبة باللغة العربية، نتيجة الاهتمام بتعليم العربية بشكل كبير، وبعد تأسيس الجمهورية التركية في العام 1923، انحصر تعليم اللغة العربية على الكليات والمدارس الدينية مثل كليات الإلهيات، والمدارس التقليدية التي كانت موجودة في العصر العثماني وتدرِّس القرآن والعلوم الإسلامية والعربية، وبعد ذلك بدأ تدريس اللغة العربية وآدابها في مؤسسات التعليم العالي غير الدينية ككليات الآداب وغيرها، ولا زالت موجودة حتى الآن فيها.

أما العهد العثماني فمن الممكن دراسته من ناحية تعليم اللغة العربية في مرحلتين، الأولى «مرحلة المدارس التقليدية» (1299م - 1773م)، والثانية «مرحلة المدارس الرسمية» (1773م - 1923م).

#### مرحلة المدارس التقليدية (1299م - 1773م)

كانت لغة التعليم خلال هذه المرحلة هي اللغة العربية، إلا أن الهدف من تعليم اللغة العربية ليس لإفهم الكتب المدرسية السارية في ذلك الوقت، واستيعاب المصادر الإسلامية الرئيسية من تفسير وحديث وفقه إسلامي. وكان تعليم اللغة العربية يعتمد على تعليم القواعد النحوية والصرفية عن طريق حفظ كتب الصرف وهي «أمثلة»، «بناء»، «مقصود»، «عزّي»، «الشافية»، وكتب النحو وهي «العوامل»، «إظهار»، «الكافية»، «ملاّ جامع»... إلخ.

وكانت طريقة التعليم هي تدريس الكتب المذكورة ثم قراءتها عن ظهر قلب. وهي طريقة تقوم على الاستدلال، حيث تعطى القواعد أولاً وتليها بعض الأمثلة العشوائية وبمعزل عن السياق اللغوي غالباً.

ولم تكن لهذه المدارس مناهج دراسية معتمدة من قبل إحدى الجهات الرسمية في ذلك الوقت. فكانت معلومات طلابها مقتصرة على فحوى هذه الكتب من قواعد وعلل مُعظمها غير عملية. وبذلك كانوا يتعلمون معلومات عن اللغة العربية وليست اللغة العربية نفسها. وتعليم اللغة العربية في تلك المرحلة أشبه بتعليم اللاتينية والإغريقية لدى الغرب في العصور القديمة

#### مرحلة المدارس الرسمية (1773م - 1923م)

في هذه المرحلة تم ولأول مرة تأسيس مدارس رسمية على المستوى المتوسط تابعة لـ«نظارة المعارف» (وزارة التربية) في الوقت الذي واصلت فيه المدارس التقليدية التي تُموّلها الأوقافُ دراستها على المنهج القديم الأنف الذكر. وكانت دراسة اللغة العربية

في هذه المدارس «الجديدة» تجرى كمادة مساندة لتعليم التركية العثمانية بجانب اللغة الفارسية.

وقد جرى تعليم اللغة العربية في هذه المدارس «الجديدة» في إطار تعليم قواعد الصرف والنحو العربيين التي من شأنها تسهيل دراسة التركية العثمانية التي أصبحت لغة «مختلطة» من التركية والعربية والفارسية من ناحية ثروة الكلمات والتراكيب اللغوية والبناء.

ومن السهل تقويم أسباب فشل تعليم اللغة العربية في هذه المدارس إذا أخذنا بعين الاعتبار عدم تمكن معلمي تلك المدارس من إجراء أسهل حوار ثنائي مع أبناء العرب في عهدهم. لذلك لم تكن حالة تعليم اللغة العربية في هذه المدارس «الجديدة» مختلفة عن التعليم الجاري في المدارس التقليدية.

### تعليم اللغة العربية من تأسيس الجمهورية التركية إلى يومنا:

تركزت الجهود في عهد مصطفى كمال أتاتورك على تطوير التعليم على المستوى الابتدائي، الأمر الذي أدى إلى تكثيف الجهود على تعليم اللغة التركية التي أصبحت عنصراً أساسياً من عناصر القومية التركية. وقد صدر في العام 1924م ضمن هذه الجهود قانون «توحيد التعليم» الذي تم بموجبه توحيد جميع المؤسسات التعليمية والتربوية تحت رعاية «وزارة التربية الوطنية» والقاضي بإلغاء المدارس التقليدية التي سبق ذكرها. وكانت الفترة ما بين 1930 و 1950 بمنزلة فترة «ركود» بالنسبة لتعليم اللغة العربية في جمهورية تركيا. إلا أنه في أعقاب الخمسينيات حيث انتشرت مدارس الأئمة والخطباء في أنحاء البلاد، أصبحت اللغة العربية تُدرّس في هذه المدارس كمادة دراسية مساندة لمواد أخرى من تفسير وحديث وفقه وغيرها من المواد المهنيّة، وكذلك في كليات الإلهيات وأقسام اللغة العربية وأدائها التابعة لمختلف الجامعات.

ويمكننا أن نعرض فيما يأتي أهم مؤسسات التعليم العالي التي تدرّس فيها اللغة العربية:

أ. الكليات التي تدرس العلوم الإسلامية: وتسمى هذه الكليات بكليات الإلهيات أو كليات العلوم الإسلامية في الجامعات التركية، وهي تضم عدداً من الأقسام تحت مسميات مختلفة مثل قسم الإلهيات، وقسم الأديان المنتشرة وتعاليمها، وقسم الأديان في العالم، وقسم إعداد مدرسي الثقافة الدينية والمعلومات الأخلاقية. وتقوم تلك الكليات بتدريس العلوم الإسلامية في أربع سنوات، وذلك بعد سنة تمهيدية تبلغ عدد الساعات فيها 25

ساعة دراسية. وقد بلغ عددها 44 كلية في عام 2012، بينما كان عددها 25 فقط في العام 2009. الطلاب المسجلون في الفرقة الأولى من تلك الكليات 12796 طالباً في العام 2012، في حين كان ذلك العدد 6730 طالباً في العام 2009 وفضلاً عن تلك الكليات توجد معاهد قبل الليسانس مدتها عامان تدرس فيها العلوم الإسلامية والعربية في كليات التعليم المفتوح في جامعتي «الأناضول» بولاية «أسكي شهر» وسط تركيا، وجامعة «أتاتورك» بولاية «أرضروم» شرقي تركيا. ويسجل في تلك المعاهد خريجو مدارس الأئمة والخطباء بدون أي شروط، ومن ثم يدرس آلاف من الطلاب في تلك المعاهد التي تتسع لـ 15000 طالب. وبعد تخرج الطلاب من تلك المعاهد، يدخلون امتحاناً، وبناءً على نتائجه يلتحقون بالصف الثالث من كليات الإلهيات مباشرة إن اجتازوه. وكان عدد الطلاب الذين التحقوا من تلك المعاهد بالفرقة الثالثة من كليات الإلهيات المختلفة 144 طالباً فقط في العام 2009، لكن في العام 2012 وصل ذلك العدد إلى 4462 طالباً. وأصبح عدد الطلاب في كليات الإلهيات التركية 50000 ألف تقريباً.

ب. هناك 5 جامعات تركية حكومية تتضمن أقساماً خاصة بتعليم اللغة العربية وآدابها. وهي: جامعات نشيطة حالياً

الرقم	اسم الجامعة	المدينة	تاريخ تأسيس قسم اللغة العربية	مدة الدراسة	التخصص
1	جامعة أنقرة	أنقرة	1935	4 سنوات	لغة وآداب
2	جامعة اسطنبول	اسطنبول	1938	4 سنوات (+سنة تمهيدية)	لغة وآداب
3	جامعة أتاتورك	أرضروم	1968	4 سنوات	لغة وآداب
4	جامعة الغازي	أنقرة	1984	4 سنوات (+سنة تمهيدية)	تربية، لغة وآداب
5	جامعة سلجوق	قونية	1986	4 سنوات	لغة وآداب
6	جامعة دجلة	ديار بكر		4 سنوات	لغة وآداب
7	جامعة أوكان	اسطنبول	2009	4 سنوات (+سنة تمهيدية)	ترجمة تحريرية وشفوية

كما تجري في كل من جامعة أنقرة وجامعة اسطنبول وجامعة أتاتورك وجامعة الغازي دراسة اللغة العربية وآدابها على مستويي الماجستير والدكتوراه. والسواد الأعظم من تلك الأطروحات تتناول موضوعات عن قواعد اللغة العربية وبلاغتها، فضلاً عن القيام بدراسات أدبية على بؤاكير أعمال الأدب العربي، من حيث الآراء والجوانب الفنية المختلفة التي اشتملت عليها تلك الآثار، هذا بالإضافة إلى تحقيق عدة مخطوطات متعلقة باللغة العربية وآدابها.

## رابعاً - المجلات والدوريات والإعلام:

تنشر المقالات الخاصة باللغة العربية وآدابها في مجلات المعاهد والكليات التي توجد بها أقسام اللغة العربية بصفة عامة، لكن مع هذا هناك ثلاث مجلات مُحَكَّمة تقوم بنشر المقالات العلمية الخاصة باللغات الشرقية وآدابها، وعلى رأسها مقالات عن اللغة العربية وآدابها. وهذه المجلات الثلاثة: شقيقات، ونسخة، والشرق

Istanbul Journal Of Oriental Studies مجلة «شقيقات مجموعاسي

هي مجلة دولية محكمة يصدرها مركز الدراسات الشرقية بكلية الآداب / جامعة اسطنبول منذ عام 1956، تصدر مرتين في العام، وتنشر فيها الأبحاث والدراسات المتعلقة بالعلوم الشرقية وتأتي في مقدمتها اللغات والآداب العربية والفارسية والأردية والصينية. وثلت العدد تنشر فيه مقالات باللغة العربية والإنجليزية والفارسية والأوردية. وآخر عدد صدر من تلك المجلة التي يشرف عليها ويديرها الدكتور إبراهيم شعبان، . ويمكن الوصول إلى الأبحاث والدراسات المنشورة بتلك المجلة على شبكة المعلومات الدولية عن طريق الرابط الآتي:

[www.iudergi.com/tr/index.php/edebiyatsarkiyat](http://www.iudergi.com/tr/index.php/edebiyatsarkiyat)

A journal of Oriental Studies / مجلة «نسخة»: مجلة الدراسات الشرقية

مجلة محكمة بدأ إصدارها في العام 2002 بقرار من أساتذة كل من قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أنقرة، وقسم تدريس اللغة العربية بجامعة غازي. وهي تصدر مرتين في العام. وتنشر فيها الأبحاث والدراسات المتعلقة بالعلوم الشرقية وتأتي في مقدمتها اللغات والآداب العربية والفارسية والأردية والصينية. ويمكن الوصول إلى الأبحاث والدراسات المنشورة بتلك المجلة على شبكة المعلومات الدولية عن طريق الرابط التالي:

<http://www.doguedebiyati.com/nusha.htm>

A Journal of Oriental Studies / مجلة «الدراسات الشرقية»

مجلة دولية محكمة، بدأ إصدارها في العام 2008، تصدر مرتين في العام، ويصدرها البروفيسور دكتور/ علي غوزال يوز أحد أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة اسطنبول. وبدأت منذ تاريخ إصدارها بشكلها المطبوع والإلكتروني، وآخر عدد صدر منها، كان العدد العاشر الذي ظهر في العام 2012. ويمكن الوصول إلى الأبحاث والدراسات المنشورة بتلك المجلة على شبكة

المعلومات الدولية عن طريق الرابط الآتي:

[http:// www.doguedebiyati. com/ doguarastirmalari. htm](http://www.doguedebiyati.com/doguarastirmalari.htm)

القناة التلفزيونية التركية الناطقة بالعربية: وهي قناة تركية ناطقة باللغة العربية تعنى بالشان العربي والتركي عامة، إضافة إلى احتوائها على البرامج الثقافية الخاصة بالأدب والفن التركي والعربي وبخاصة منها بصمات اسلامية في الابتكارات العلمية. وهذا نص من إدارة القناة في أهدافها ورؤيتها:

**رؤية القناة:** تنطلق القناة بناء على إيمانها بأن الإعلام رسالة قوية في بناء الذات والتعبير عنها، وبذلك تكون تركيا بافتتاحها هذه القناة قد خَطَّتْ خطوة واثقة نحو التعبير عن ذاتها الثقافية والفنية والعلمية للشعوب العربية، بالإضافة إلى إتاحة المجال للمفكرين والمتقنين والسياسيين والإعلاميين العرب للتعبير عن رُؤَاهم والوقوف على وجهات نظرهم في المجالات المختلفة للتمهيد لافتتاح رؤية ثقافية تبادلية مشتركة بين تركيا والعالم العربي في مجالات اختصاص القناة وسياساتها الإعلامية الواضحة

**الأهداف الخاصة بالقناة:**

مد جسور التواصل مع العالم العربي. التعريف بتركيا للمشاهد العربي من حيث الطبيعة والمناخ والتراث والبيئة الاجتماعية والعلمية. فتح آفاق التعاون الإعلامي المشترك بين تركيا والعالم العربي. إفادة الجمهور العربي الموجود في الداخل التركي بمجموعة مميّزة من البرامج الهادفة والتي تُسهم في صياغة الهوية الثقافية للفرد والمجتمع. التواصل المعرفي مع الدول العربية من خلال الاستوديوهات المشتركة والتفاعل التبادلي بين الفنانين والمُطربين والنجوم. تعميق روابط الأخوة والوفاق بين تركيا والعالم العربي. التركيز على الحيادية والنزاهة والشفافية كقيم أساسية تسهم في نهضة القناة وارتقائها وترابط الجمهور العربي بها.

**سياسة القناة الخاصة:**

انطلقت القناة الفضائية التركية لتمثّل حالة من حالات الوحدة المعرفية بين تركيا والعالم العربي، ولتتمد جسور التواصل مع العالم بناء على الحقائق التاريخية والواقعية والقراءات المستقبلية التي تُوصّل للحياة الثقافية الواحدة، والفهم المشترك القائم والمتعاظم يومياً بين تركيا والعالم العربي.



ومن أجل ذلك، تتحدد سياسة القناة بناءً على المحددات والضوابط الآتية:

الحيادية والموضوعية في طرح الرأي والاستدلالات والتوجهات. إظهار التنوع المعرفي والثقافي والفكري الموجود في تركيا والعالم العربي. التركيز على عوامل البناء والنهضة في تركيا والعالم العربي. الابتعاد عن الخلافات والعقبات الفكرية التي من شأنها أن تُعكّر أجواء الود والأخوة بين الشعب التركي والشعوب العربية. تأصيل عوامل الفن الريادي والإبداعي، والتركيز على التطور المستمر على مستوى الكادر العامل والتقنيات الإعلامية على حد سواء. ضمان أعلى سقف ممكن من التواصل التبادلي بين تركيا والعالم العربي من خلال إشاعة البرامج الثقافية والمعرفية والارتقائية المشتركة. التنوع في مصادر المعلومات وستوديوهات البث، وبناء أفق إعلامي كبير من أجل التعاون الإعلامي المشترك بين تركيا والعالم العربي. التركيز على الكادر العامل، واستمرارية تأهيله وتطويره من خلال شتى الوسائل والإمكانات<sup>(4)</sup>.

#### الختام:

وفي ختام هذا العرض لأهمية الأدب وتعريفه وتقارب المصطلح بين اللغتين العربية والتركية، وبعد ذكر نموذج من العلماء الأتراك الذين برعوا باللغة العربية ومؤلّفاتِها وكان لهم أثر حتى في العالم العربي وفكره والاطلاع على نموذج من الرسائل المتداولة بين السلاطين العثمانيين والجاليات العربية في البلاد العربية التابعة للسلطنة، ومدى جزالة الخطابات وبلاغتها وثالثا اهتمام الأتراك باللغة العربية تعليماً وتعليماً على مدى العصور وبالوسائل الرسمية والخاصة والتعليمية والثقافية والإعلامية كافة، يتبين مدى التقارب والترابط الوثيق بين الشعبين العربي والتركي لغة وفكراً وأدباً ومنهجاً ، والجامع لذلك وحدة الدين والترابط التاريخي الذي لا يمكن الانفكاك عنه أو إنكاره ، سائلين الله بقاء هذه الروابط وتمتينها بين الشعب العربي والتركي لما فيه رُقِيّ وتقدم ومصالحة هذين الشعبين بل الأجدر قول الشعب الواحد منهجاً وفكراً وأدباً لما يجمعهما من وجهات للتقارب بينهما.

## الهوامش:

1. الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: طشكيري زاده.
2. مقدمة كتابه إشارات الإعجاز في مظان المجاز تحقيق إحسان قاسم الصالحي الناشر: شركة سوزلر للنشر - القاهرة.
3. نص الخطاب محفوظ في الأرشيف العثماني، تصنيف Irade- Mes. Muh. 2437.
4. موقع القناة على الانترنت [/http:// www. trtarabic. tv/ ar](http://www.trtarabic.tv/ar)



## كنيسة المهد والمعتقدات الشعبية والدينية المتعلقة بها

أ. د قسطندي شوملي  
جامعة بيت لحم / بيت لحم / فلسطين.



كانت ولادة يسوع المسيح في مدينة بيت لحم حدثاً مميّز تاريخ هذه المدينة عبر القرون، وجعل منها مكاناً تتجه إليه أنظار العالم أجمع. وتنمو صورة هذه المدينة وتزدهر وتزداد رسوخاً وأصالة، ولعل ذلك دليل على عمق المعنى الذي تحمله وشموليته<sup>(1)</sup>. وما زالت حتى اليوم تحتل مكانة مرموقة في قلوب المؤمنين وفي وجدان الشعراء والأدباء والكتاب، وكتب المؤلفين العرب والأجانب الذين

وضعوا المصنفات عنها. وقد أصبحت المدينة بعد بناء كنيسة المهد مركزاً من مراكز الحج، فوصل إليها العديد من الحجاج من جميع أنحاء العالم. وكانت في نهاية القرن الرابع مركزاً مهماً للحياة الرهبانية والروحية، بعد أن وصل إليها القديس جيروم من روما عام 384م، مع مجموعة من رجال الدين والحجاج المتنورين.

يقدم هذا البحث وصفاً تفصيلياً لكنيسة المهد ومغارة الميلاد والمباني المحيطة بهما، كما يسجل عدداً من الحكايات الشعبية التي تناقلها سكان المدينة خلال العقود الأخيرة حول كنيسة المهد. وتعدّ هذه الحكايات معلماً أساسياً من معالم كنيسة المهد، وتعكس مراحل حياة سكان المدينة ببساطة وسلاسة، وتحمل في مضامينها معاني وحكما عديدة. ومن هنا جاء الاهتمام بدراساتها وجمعها وحفظها. إن عراقة التراث المرتبط بكنيسة المهد وعمقه التاريخي منذ أيام الرومان وحتى يومنا هذا، يستحق من الباحثين والدارسين

العمل على جمعه ورعايته وحفظه، لكي يعكس حياة سكان المدينة، والعلاقة الوثيقة التي تربطه بالتراث الشعبي في فلسطين.

### كنيسة المهد:

كنيسة المهد من أقدم الكنائس المسيحية في العالم. بناها الإمبراطور قسطنطين في القرن الرابع الميلادي (326م)

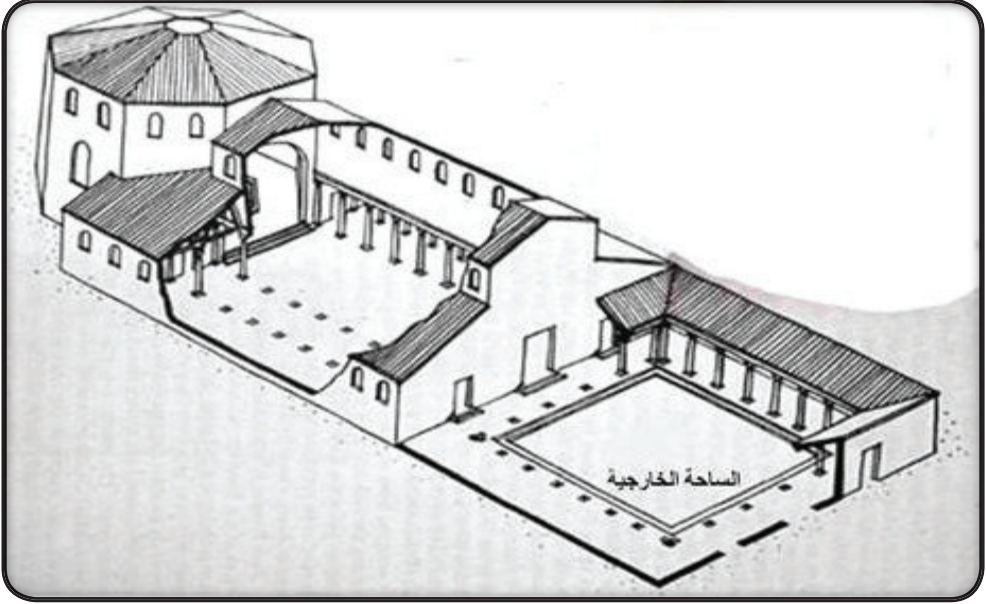
، ويظهر بناؤها الذي جرى ترميمه في فترات وعهود مختلفة تاريخها الحافل، إذ كانت خلال قرون عدة من أكثر المواقع التي ثار الخلاف حولها في الأراضي المقدسة. تعرضت للدمار خلال ثورة السامريين عام 529م، فقام الإمبراطور يوستنيانوس (527-565) ببناء كنيسة أخرى في الموقع نفسه، شملت



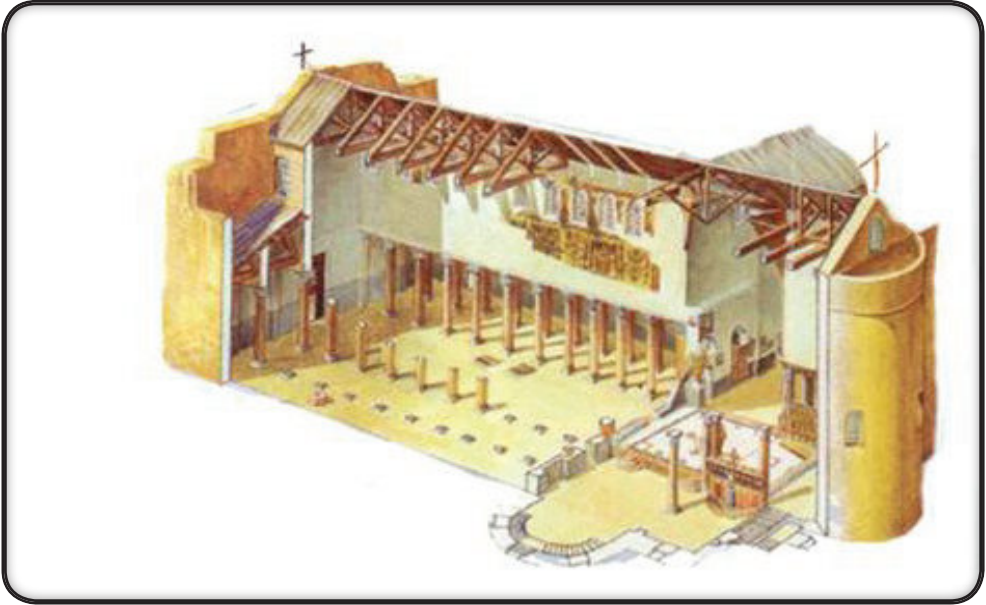
جزءاً من الكنيسة القديمة واختلفت عنها في هيكلها. فقد بنيت الكنيسة على شكل صليب مع قبو ثلاثي، كما أجريت تعديلات على مغارة المهد بإضافة مدخلين من الشمال والجنوب. وكانت كنيسة المهد هي الكنيسة الوحيدة التي نجت من الدمار عام 614م بسبب حادثة غريبة، فقد أصيب الفرس بالدهشة لدى مشاهدتهم لوحة من الموزايك الملون على الواجهة الأمامية للكنيسة، تمثل ملوك من الشرق، يحملون الهدايا النفيسة للطفل يسوع، فقرروا المحافظة عليها احتراماً لأجدادهم. وفي القرون التالية ومن أجل حماية الكنيسة

من الدمار، جرت إحاطتها بأبنية مختلفة، فأصبحت تظهر كأنها قلعة محصنة. ويميز هذا المظهر القسم الأكبر من الأبنية التي أقيمت في الأراضي المقدسة في تلك الفترة. وأقيمت خلال القرون التالية العديد من الكنائس والأديرة حول كنيسة المهد، حتى اتخذت شكلها الحالي.





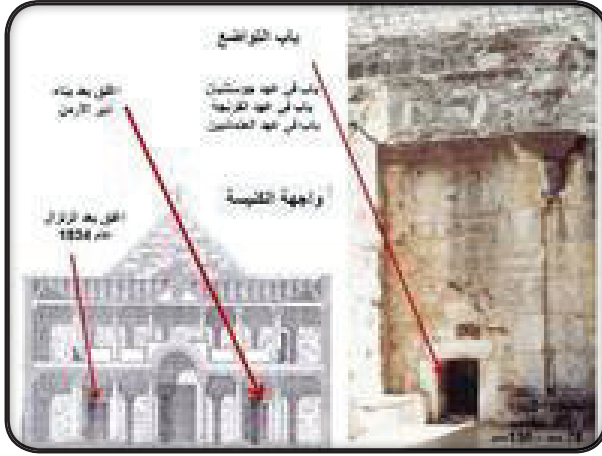
كنيسة المهد في القرن الرابع الميلادي (الامبراطور قسطنطين)



كنيسة المهد في القرن السادس الميلادي (الامبراطور يوستنيانوس)

## وصف الكنيسة:

تحتل الكنيسة والأبنية التي تحيط بها اليوم مساحة قدرها 12000م<sup>2</sup>، ويشمل ذلك: كنيسة المهد، ودير الفرنسيسكان في الجزء الشمالي، ودير الروم الأرثوذكس في الجزء الجنوبي الشرقي، ودير الأرمن في الجزء الجنوبي الغربي. ويعود مدخل الكنيسة الموجود في الجهة الغربية إلى القرن السادس الميلادي. وكانت توجد أمامه ساحة واسعة مربعة تحيط بها أعمدة، وكان يتوسطها عدد من الآبار التي كانت تستخدم في مراسيم العماد.



## المدخل:

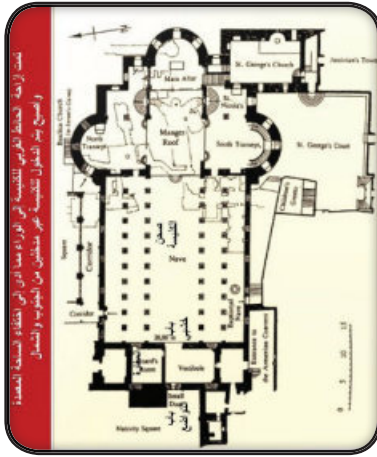
يسمى المدخل الرئيس للكنيسة «باب التواضع» (78سم - 130سم)، وهو باب صغير يجب الانحناء عند الدخول منه، كأنما تدخل إلى مغارة حقيقية. اغلق اثنان من الأبواب الثلاثة الأصلية التي كانت موجودة في الواجهة الأمامية، يقع الأول إلى اليسار وتم إغلاقه

في القرن السادس عشر بواسطة دعامة لحائط الكنيسة<sup>(2)</sup>، ويقع الثاني إلى اليمين أغلق بعد بناء دير الأرمن. أما الباب الأوسط الذي بني في عهد يوستنيانوس، وجرى تصغيره في عهد الصليبيين، ببناء قوس مدبب فما يزال ظاهراً حتى اليوم أسفل كورنيش الباب الذي بني في عهد يوستنيانوس. وبني الباب الصغير الحالي في العهد العثماني للحيلولة دون الدخول إلى الكنيسة على ظهر الحيوانات<sup>(3)</sup>. ويوجد ثلاثة مفاتيح لهذا الباب الصغير، واحد للكاثوليك والثاني للأرثوذكس والثالث للأرمن. وهناك باب صغير آخر في الحائط الشمالي للكنيسة، يؤدي إلى دير الفرنسيسكان وباب آخر في الحائط الجنوبي يؤدي إلى دير الروم الأرثوذكس.

## الدھليز:

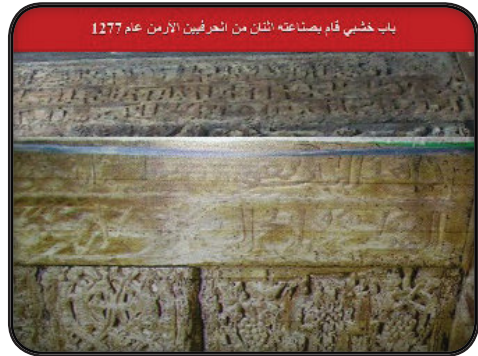
يقع الدھليز بعد الباب الصغير، وهو يمثل المدخل السابق لكنيسة قسطنطين الضخمة، ويقسم إلى ثلاث غرف. ويتم الدخول إلى كنيسة المهد من الغرفة الأولى عبر باب خشبي قام بصناعته اثنان من الحرفيين الأرمن عام 1277م، وذلك بأمر من الملك الأرمني حياتون بن قسطندي، وتشهد على ذلك النقوش الموجودة في الجزء العلوي من الباب باللغتين

العربية والأرمنية. وقد خضع الباب الخشبي، لعملية ترميم، ضمن المرحلة الأولى لترميم سقف الكنيسة ونوافذها والتي تجري حالياً، وقد ظهر بكامل أبهته، وزخارفه واللمسات الفنية، التي كانت قد اختفت إلى حد كبير بسبب عوامل الزمن. وأبرز ما يظهره الترميم الجديد، نقشان في غاية الأهمية، أعلى الباب، الأول كُتب باللغة الأرمنية والثاني باللغة العربية، ويمكن الآن رؤيتهما بشكل جيد. وقد تبرع بالباب، أرمنيان عام 1227م كما يظهر من النقش الأرمني: ”صنع باب كنيسة أم الإله المباركة عام 676 بأيدي إبراهيم والأب اراكل زمن هيتون بن قسطندي ملك



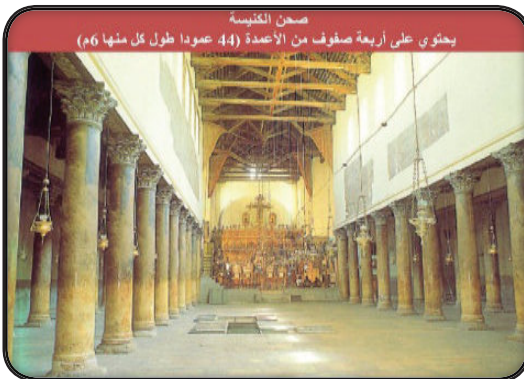
أرمينيا، ليرحم الرب أرواحهم“. والتاريخ الأرمني 676 يقابل 1227م. أمّا النقش باللغة

العربية، فيشير إلى أن إنجاز الباب تم في عهد الملك الكامل<sup>(4)</sup>، وهو: أبو المعالي ناصر الدين محمد الخامس. وهو خامس سلاطين الدولة الأيوبية، الذي جلس على العرش الأيوبي عام 1218م. ويؤدي الباب الموجود على الجانب الأيمن في هذه الغرفة إلى دير الأرمن. وتستعمل الغرفة الثانية الوسطى من الدهليز كمركز لحراسة الكنيسة، ويوجد في الغرفة الثالثة هيكل للقديسة هيلانة (والدة الإمبراطور قسطنطين) الذي بنى هذه الكنيسة.



### صحن الكنيسة:

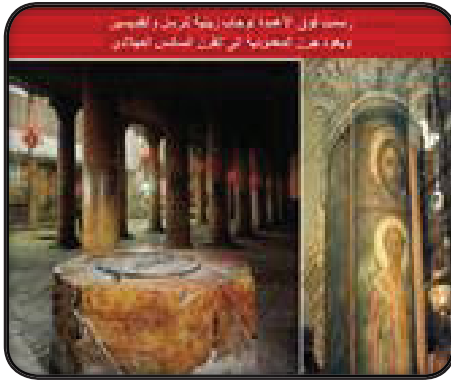
تتميز الساحة الداخلية في كنيسة المهد بالروعة والجمال والبساطة، وهي تحتوي على أربعة صفوف من الأعمدة الضخمة المتراسة والمصنوعة من الصخر المحلي الأحمر. وقد حافظ يوستنيانوس عند إعادة بناء الكنيسة على التقسيم القديم للممرات الخمسة، ولكن تمت إزالة الحائط الغربي للكنيسة





إلى الوراثة من أجل توسيعها، مما أدى إلى اختفاء الساحة المعقدة التي بناها قسطنطين، وإقامة ساحة أخرى مفتوحة. ولا تزال بقايا أعمدة هذه الساحة بالقرب من مدخل الكنيسة التي بناها يوستنيانوس.

والكنيسة لها شكل مستطيل، ويبلغ طولها 53م وعرضها 26م. ويصل امتداد جناح الكنيسة إلى 54م، وعرضه 36م. ويبلغ عدد الأعمدة الموجودة في صحن الكنيسة 44 عموداً، يبلغ طول كل منها 6م، وتعلوها تيجان كورنثية من الرخام الأبيض، تغطيها نقوش نباتية يتوسطها صليب يوناني. ورسمت فوق هذه الأعمدة لوحات زيتية، تمثل صوراً للرسول والقديسين، كما وجدت كتابات يونانية ولاتينية. واندثر القسم الأكبر من هذه الرسومات التي يصل عددها إلى أربعين، واختفت بمرور الزمن، ويوجد بينها صور للقديس جورج، والقديس كاتالدوس، وكانوت ملك هولندا، وأولاف ملك النرويج، وصور تمثل قديسين من الشرق. ومن الرسومات التي تثير الاهتمام دروع منقوشة منذ القرنين الرابع والخامس عشر في الجزء السفلي من هذه الأعمدة.



ويوجد في الجزء الجنوبي الغربي من صحن الكنيسة جرن العماد الذي يعود إلى القرن السادس، وهو قطعة ضخمة، ثمانية الشكل، مصنوعة من الرخام. ويشير موقع هذا الجرن إلى مراسم العماد التي كانت تجري عندما كان يصل الحجاج المسيحيون إلى الكنيسة. ويشاهد الزائر لكنيسة المهد خلف جرن العماد عن يمينه الباب الذي يدخل منه إلى دير الروم،

ويشاهد على اليسار المدخل الذي يؤدي إلى رواق القديس جيروم وكنيسة القديسة كاترينا. أما الحائط الذي أقامه الرهبان اليونان عام 1842 في نهاية صحن الكنيسة، فقد أزاله السير رونالد ستوز الحاكم البريطاني عام 1918، وأصبح المجال مفتوحاً لرؤية جميع أجزاء الكنيسة من جهة الهيكل.



## الجدران:

يوجد في القسم العلوي من صحن الكنيسة، فوق صفوف الأعمدة، حائطان يرتفع كل منهما 9 أمتار، وتوجد في كل حائط 11 نافذة ذات أقواس دائرية، وهي بعدد الأعمدة

الموجودة في كل صف، وتزود هذه النوافذ القريبة من السقف صحن الكنيسة بالضوء<sup>(5)</sup>، وتحيط بها بقايا رسومات الموزاييك المذهبة التي كانت تغطي جدران الكنيسة، وتعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وهي تشهد على العظمة التي تميزت بها كنيسة المهد في تلك الفترة. وما زالت الفسيفساء الموجودة في الجزء السفلي من الحائط الجنوبي واضحة، وهي تمثل سلسلة أجداد المسيح، وتعلوها رسومات لهياكل تحتوي على الأنجيل المقدسة أقامها الفنان افرام. وفي الجزء العلوي منها صليب وكتابات يونانية تمثل مقاطع من قرارات «مجمع القسطنطينية»، وهي تشهد على الوحدة التي كانت قائمة في العقيدة في العام 169م. وتشير إلى ذلك نقوش لاتينية ويونانية في خمسة اسطر في القبو الموجودة في وسط الكنيسة. ويوجد فوق العوارض التي تمتد فوق الأعمدة رسومات نباتية، ونصوص من قرارات المجمع التي عقدت في القسطنطينية عام 381م. وهناك رسومات أكثر وضوحا في الحائط الشمالي للكنيسة تمثل كنائس انطاكية وسرديكيا، وصردي، وهو الاسم القديم لصوفيا عاصمة بلغاريا، وتوجد في أسفل هذه الصور قرارات المجمع الذي عقد في المدينة عام 347م، وهي مكتوبة باليونانية. ونجد في الحنية الشمالية رسومات تمثل القديس توما وصعود السيد المسيح إلى السماء، ونجد في الحنية الجنوبية رسما يمثل دخول المسيح الاحتفالي إلى مدينة القدس. وكان الإمبراطور مانويل كامينينوس في القسطنطينية قد تبرع بهذه الرسومات في القرن الثاني عشر.

## السقف:

بعد إزالة سقف الكنيسة المزخرف الذي بناه يوستنيانوس في القرن السادس، اصبح السقف الهرمي وعوارضه الخشبية مكشوفاً، وفي عهد الفرنجة صنعت العوارض من خشب الأرز. ويعود السقف الحالي إلى القرن الرابع عشر، ورّم عام 1842م. وقد ورّم السقف الخارجي الذي كان مغطى برقائق من الرصاص، اثر إزالتها في القرن السابع عشر من قبل الأتراك لاستعمالها في صناعة الطلقات الرصاصية. كما جرى ترميم سقف الكنيسة في عام 2014م بمبادرة



من اليونسكو والسلطة الوطنية الفلسطينية.

## الأرضية:

غطيت أرض الكنيسة الحالية بقطع من الحجارة، أثناء فترة الترميم التي قام بها الروم الأرثوذكس عام 1842م عند إصلاح الضرر الذي نتج عن الزلزال الذي وقع عام 1834م. ويوجد البلاط على ارتفاع 60 سم من أرضية الكنيسة التي قام ببنائها الإمبراطور قسطنطين، والتي تغطيها رسومات متنوعة من الموزاييك تعود إلى القرن الرابع الميلادي، تم اكتشافها عام 1934م. ويمكن مشاهدة قطع من هذه الرسومات تحت القطع الخشبية الموجودة في وسط الكنيسة. وكان يغطي أرض الكنيسة في عهد الإفرنجية، قطع من الرخام المصقول الذي كان يعكس صور الأعمدة بتيجانها المذهبة ونقوش الفسيفساء البديعة التي كانت تغطي الجدران فوقها.

## جناحا الكنيسة:

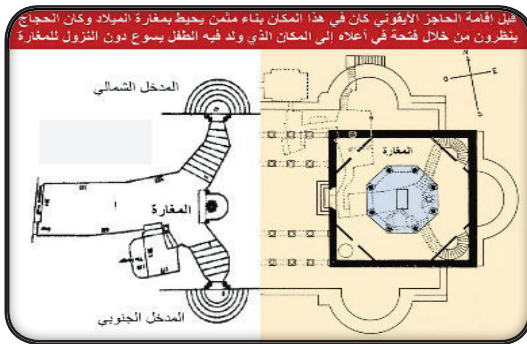
تنتهي صفوف الأعمدة عند جناحي الكنيسة بحنية نصف دائرية في الجنوب (6)



الفاصل الأيقوني: جدار مزخرف من الخشب يفصل بين الهيكل وصحن الكنيسة تغطيه صور دينية وحفرت عليه زخارف جميلة نقشت بأيدي صناع مهرة من أبناء بيت لحم.

وأخري في الشمال، وحنية نصف دائرية في الوسط من الجهة الشرقية. ويوجد أمام الجنية الوسطى فاصل أيقوني أقامه اليونان في القرن السابع عشر، وهو جدار مزخرف من الخشب يفصل بين المذبح وصحن الكنيسة، وله ثلاثة أبواب تؤدي إلى الهيكل، وتغطيه صور دينية مختلفة للمسيح والعذراء والرسل والقديسين وغيرهم. ويوجد في داخل الهيكل درج على اليمين يوصل

إلى كنيسة القديس جورج، كما يوصل من هذه الكنيسة إلى برج يوستنيانس (7). وأقيم الفاصل الأيقوني الحالي عام 1764م بدل الفاصل الذي أقامه بطريرك دوسيتيوس بعد أن دمره حريق وقع عام 1689م. والفاصل الحالي قطعة ضخمة من الخشب المزخرف بدقه وجمال، وحفرت عليه زخارف جميلة نقشت بأيدي صناع مهرة من أبناء بيت لحم، وينقسم إلى ثلاثة أجزاء يحتوي كل منها على مجموعة من الصور الدينية، أهمها 14 مشهدا من الإنجيل مرسومة بأسلوب بيزنطي على شكل قطع مستطيلة. ويقع على الجانب الأيمن من الحاجز الأيقوني مقعد منقوش بصورة فنية، يجلس عليه بطريرك الروم الأرثوذكس أو الشخصيات المرموقة التي تأتي لزيارة الكنيسة.



وقبل إقامة هذا الحاجز الأيقوني، وجد في هذا المكان بناء مئمن الشكل كان يحيط بمغارة الميلاد، كان الحجاج ينظرون من خلال فتحة في أعلاه إلى المكان الذي ولد فيه الطفل يسوع دون النزول إلى المغارة. واستبدل هذا البناء في عهد الإمبراطور يوستنيانوس بالبناء

الحالي، واستبدل المدخل الوحيد الذي كان يؤدي إلى المغارة من وسط الكنيسة، بمدخلين من الجناح الشمالي والجناح الجنوبي عبر سلمين من الأدراج تؤدي إلى أمام هيكل الميلاد.

واستطاع الأرمن الحصول على امتيازات في كنيسة المهد بين عامي (1810 - 1829م) ، وذلك بإقامة هيكلين في الجزء الشمالي من جناح الكنيسة، خصص الأول للعدراء مريم وخصص الثاني لحكماء الشرق أو المجوس، وهو يقع إلى جوار المدخل الشمالي لمغارة المهد، وذلك للاعتقاد بانهم قد حطوا الرحال في هذا المكان قبل الدخول إلى المغارة وتقديم الهدايا للطفل يسوع. ويوجد في الحنية الجنوبية هيكل القديس نقولا

لروم الأرثوذكس (8) ، وتحتوي على ثلاثة شبابيك مستطيلة، وسَّع الشباك الأوسط وأصبح باباً يُصعد إليه من كل جانب بدرج عند جدار الحنية، يؤدي إلى ساحة خارجية واسعة، تقع على اليسار منها كنيسة صغيرة من الحجر الأحمر للقديس جورج، والجزء السفلي



تلتهى صفوف الأعمدة عند جناحي الكنيسة بحنية نصف دائرية في الوسط. وهناك حنية في الشمال والآخرى في الجنوب. ويوجد أمام الحنية الوسطى فاصل أيقوني أقدم في القرن الـ 17

من البرج المعروف ببرج يوستنيانوس، الذي بناه الفرنجة في القرن الثاني عشر، وقد سقط الجزء العلوي منه في القرن السادس عشر بسبب الزلازل. ويقيم الانجليكان في هذه الساحة صلواتهم خلال فترة عيد الميلاد. ويتم الوصول إلى دير الروم الأرثوذكس عبر الباب الموجود في جنوب الساحة والمجاور «للجرسية». ويوجد على اليمين درج يؤدي إلى قبور الأطفال الأبرياء الذين قتلوا في عهد الملك هيرودس. وهي تقع تحت صحن الكنيسة وتحتوي على العديد من الجماجم والعظام. ويشرف دير الروم الأرثوذكس على القسم الأكبر من كنيسة المهد، في حين يتمتع الكاثوليك بحق إقامة الصلوات في مغارة المهد. أما الأرمن فيستعملون الحنية الشمالية من الكنيسة، ومن هذه الحنية يوجد باب يؤدي مباشرة إلى كنيسة القديسة كاترينا، ومغارة القديس جيروم، التي تقع مباشرة في أسفل هذه الحنية.

## مغارة المهد:

تعد مغارة المهد من أهم الأماكن وأقدسها في كنيسة المهد، وهي المكان الذي ولد فيه السيد المسيح عليه السلام. يتم الدخول إليها عبر مدخلين، مدخل من الجنوب ومدخل من الشمال، بنيا في عهد يوستنيانوس، ليسهل على الحجاج زيارة هذه المغارة.

وأصبح النزول إلى مغارة المهد من الباب الجنوبي والخروج من الباب الشمالي، في حين كان يتم الوصول إليها في القرن الرابع الميلادي من صحن الكنيسة، الباب الأصلي الذي يقع في صدر الكنيسة وفي أسفل الدرجات



مغارة المهد: من أهم الأماكن وأقدسها في كنيسة المهد التي ولد فيها ثلاثة هيكل: هيكل الميلاد ويقع فوق المكان الذي ولد فيه السيد المسيح وقد وضع نجم في قطعة من الرخام الأبيض تشير إلى هذا المكان.

الثلاث التي تؤدي إلى سقف مغارة المهد. وأحيط بكل باب واجهة من الرخام الأبيض المصقول، تتألف من أقواس متداخلة وأعمدة مزدوجة، أقيمت على زمن الفرنجة. ويتكون الدرج الذي يؤدي إلى المغارة من ست درجات من الحجر الوردي على شكل نصف دائرة، حتى الباب الحديدي، تليها درجات أخرى تصل إلى وسط المغارة. وأقيم داخل المغارة ثلاثة هيكل، يسمى الأول "هيكل الميلاد" ويقع فوق المكان الذي ولد فيه السيد المسيح عليه السلام، وقد وضع نجم في قطعة من الرخام الأبيض تشير إلى هذا المكان، كتب عليه باللاتينية عبارة تقول: "هنا ولد السيد المسيح من العذراء مريم". وضعا الرهبان الكاثوليك عام 1717م، وأزيلت من قبل الرهبان اليونان عام 1847م، مما أدى إلى قوع خلافات كبيرة بين الروم واللاتين، الأمر الذي دفع بالحكومة التركية إلى أعادتها عام 1853م. (9) وعندما جرى ترميم الموزاييك الموجود في قبة هذا الهيكل عام 1944م، اكتشفت ثلاث كلمات من النص اللاتيني تعني «المجد لله في الأعالي». ويعتقد أن النجم الذي ظهر للمجوس في الشرق عندما جاءوا إلى بيت لحم، قد وقف فوق هذا المكان.

ويوجد في الجزء المقابل لهيكل الميلاد ثلاث درجات تؤدي إلى هيكل آخر موجود في تجويف داخل الصخر، يسند سقفه عامود من الحجر الوردي يبلغ ارتفاعه مترين، ويدعمه من ناحية عامودان من الرخام الأبيض. ويمثل هذا الهيكل المكان الذي وضع فيه السيد المسيح بعد ولادته، ولذلك سمي بهيكل المهد: «وأضحته في مذود لأنه لم يكن لهما موضع في المنزل» (10). وتقول التقاليد إن القديسة هيلانه والدة الإمبراطور قسطنطين قد استبدلت المهد الأصلي المصنوع من الطين بمهد من الفضة، ويوجد المهد الفضي حاليا في كنيسة سانتا ماريا ماجوريه في روما. ونجد مكان المذود بلاط من الرخام الأبيض ويضاء

بعدد من القناديل. وتمثل اللوحة الموجودة في داخل المذود حضور المجوس إلى بيت لحم وسجودهم للطفل يسوع. وهي لوحة رسمها الفنان الإيطالي جون باجليولي Baglioli.

ويقابل هيكل المهد هيكل آخر مخصص لحكماء الشرق الذين جاءوا إلى بيت لحم، يقودهم نجم في السماء ”فاذا النجم الذي كانوا رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء



ووقف فوق الموضع الذي كان فيه الصبي. فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً. وأتوا إلى البيت فوجدوا الصبي مع مريم أمه. فخرّوا ساجدين له وفتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومر“ (11) ويقال: إن المجوس قد قدموا الهدايا وسجدوا للطفل في هذا المكان. ويقوم الكاثوليك بتقديم صلواتهم في مغارة المهد على

هذا الهيكل، في حين يصلي الروم الأرثوذكس والأرمن على هيكل الميلاد. وتوجد فوق الهيكل لوحة بديعة للفنان الإيطالي باجليولي من مدينة رافانا، رسمها في القدس عام 1850م، وهي تمثل ظهور الملائكة للرعاة. ويقال: إن رفات هؤلاء الملوك الثلاثة قد نقلت في عهد الفرنجة إلى إيطاليا، ثم إلى مدينة كولونيا في ألمانيا عام 1164م، التي أقامت علاقة توأمة مع مدينة بيت لحم عام 1996م.

ومغارة المهد مستطيلة الشكل يبلغ طولها 12م وعرضها 3 امتار، ويغطي جدرانها

قطع من الرخام الأبيض وستائر من مادة الإسبست المقوى، رسمت عليها مشاهد تمثل حياة المسيح، قام بتقديمها الرئيس الفرنسي ماكماهون بعد حريق نشب داخل المغارة عام 1873م. ويتخلل هذه الستائر ثقب لترابط من خلالها حبال القناديل من أجل رفعها وخفضها عند وضع الزيت فيها أو إشعالها. ويزين المغارة 53 قنديلاً، والعديد من الأيقونات.

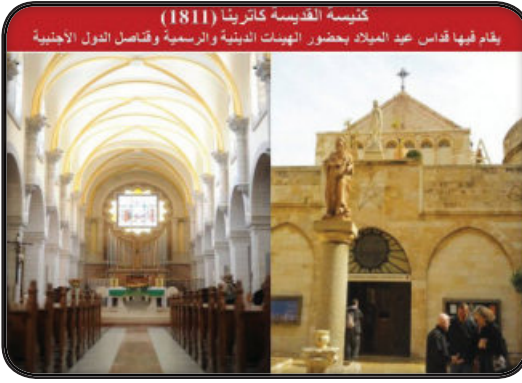


ويوجد في طرف المغارة الغربي، باب مغلق يؤدي إلى الكهوف المجاورة لمغارة

الميلاد، والتي عاش فيها عدد من آباء الكنيسة الأوائل كالقديس جيروم والقديسة بولا. ويوجد مفتاح الباب مع الفرنسيسكان. ويربط هذا الممر بين كنيسة القديسة كاترينا ومغارة المهدي، ليتمكن الرهبان الفرنسيسكان من القدوم للمغارة لتلاوة فروض صلواتهم. ويوجد بالقرب من الباب بئر تجمعت حوله العديد من القصص، وتم الخلط أحياناً بينها وبين بئر نجمة ملوك الشرق الذي يقع شمال شرقي مغارة الميلاد بالقرب من المدخل الشمالي للمغارة.

### كنيسة القديسة كاترينا:

كنيسة القديسة كاترينا الحالية



كنيسة حديثة، بنيت عام 1811م مكان الدير الذي أقام فيه رهبان القديس أوغسطين في الجزء الشمالي من كنيسة المهدي. ويمكن أن تكون هذه الكنيسة شبيهة بالكنيسة التي أقامتها القديسة بولا عند وصولها إلى بيت لحم، ولم تكن هناك إلا آثار قليلة لهذه الكنيسة بعد وصول الفرنجة عام

1099م، ولهذا قاموا ببناء دير لرهبان القديس أوغسطين الذين أشرفوا على كنيسة المهدي في ذلك الوقت.<sup>(12)</sup>

وأقام الرهبان الفرنسيسكان في هذا الدير عام 1347م عند وصولهم إلى بيت لحم. ولم تجر منذ ذلك الحين أية تعديلات على ذلك البناء الذي أقيم في القرن الثاني عشر إلا في أواخر القرن التاسع عشر، عندما شيدت كنيسة القديسة كاترينا الحالية، حيث جرى توسيع الكنيسة بإزاحة الهيكل إلى الورا وبناء هيكلين متصلين بالهيكل الرئيس، وأضيفت غرفة لملابس الكهنة في عام 1846م. وجرى في عام 1888م إزالة الحائط الشمالي والواجهة الأمامية للكنيسة لكي يزداد طولها وعرضها، وأقتطع نتيجة لذلك الجزء الشرقي من رواق القديس جيروم. وفي عام 1949م قُصّر الرواق مرة أخرى من أجل توسيع الكنيسة. وما زالت آثار أعمدة الرواق الشرقي ظاهرة في داخل الكنيسة.

والكنيسة الحالية بسيطة الشكل وتنقسم من الداخل إلى ثلاثة ممرات بواسطة أعمدة مربعة مصنوعة من الحجر، ويعلو الممر الأوسط سقف مقنطر له دعائم. وعند الدخول إلى الكنيسة من كنيسة المهدي أو من الرواق تجد نفسك أمام الأعمدة الأربعة التي اقتطعت

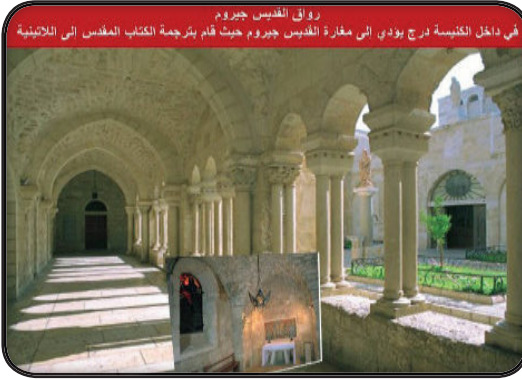
من رواق القديس جيروم، وتشاهد على اليمين باباً كبيراً مصنوعاً من الحديد يفصل بين كنيسة المهد وكنيسة القديسة كاترينا، صنعه الأب سلفيريو من كورنثينا في عام 1700م. ويوجد بعد الباب بعدة امتار درج يؤدي إلى مغارة القديس جيروم. ويوجد على الجانب الأيمن للكنيسة هيكل مكرس للقديس فرنسيس، وعلى الجانب الأيسر هيكل مكرس للقديس أنطون، ويوجد على الجدار خلف الهيكل لوحة فنية للقديس يوسف مع الطفل يسوع تحيط به الملائكة والقديس يوسف يركع إكراماً للمولود الجديد. ولقد أزيل الهيكلان عند القيام بتوسيع الكنيسة من الجهة الشرقية، واستبدلت صورة العذراء مع الطفل يسوع بلوحة من الزجاج الملون تظهر القديس فرنسيس في مشهد للميلاد. ولقد زينت النوافذ الموجودة في الجدار العلوي للكنيسة بأشكال هندسية، أما النوافذ الموجودة على الممرات وفوق باب المدخل فهي مصنوعة من الزجاج الملون. ويوجد هيكل مخصص للعذراء ”الحبل بلا دنس“ على الجانب الأيمن من الكنيسة، يحتوي على تمثال للطفل يسوع في أسفله، ويقوم البطريرك بعد انتهاء قداس منتصف الليل بحمل هذا الطفل بموكب مهيب إلى المغارة حيث يتم وضعه فوق النجمة في هيكل المهد.

ومن القطع الفنية الجميلة في هذه الكنيسة جرن العماد، المصنوع من الرخام في عام 1734م، وباب خشبي مزخرف يؤدي إلى الدير في الجهة الشمالية. أما المدخل الرئيس للكنيسة فقد زين بأربع لوحات من البرونز للقديس جيروم وإيزيبوس والقديسة بولا وابنتها إيستوكيم، وهذه اللوحات هي من صنع الفنان موراتين. ويوجد فوق مدخل الكنيسة تمثال للعذراء يشرف على الساحة الموجودة في وسط رواق القديس جيروم، أما برج الأجراس فانه لا يمثل طرازاً معيناً، أما الأجراس فقد سكبت في باسانو في إيطاليا عام 1882م و 1887م. وقد صمم الكنيسة المهندس كويموت، إلا أن شهرة هذه الكنيسة تعود إلى القديس الاحتفالي الذي يقام فيها ليلة عيد الميلاد في منتصف الليل، وبحضور الهيئات الدينية والرسمية وقناصل الدول الأجنبية، ويُنقل عبر محطات الإذاعة والتلفزيون إلى جميع أنحاء العالم. وقد تم إعادة توسيع الكنيسة من جديد بإزاحة الهيكل الرئيس والهيكلين الجانبيين إلى الوراء بمسافة 15 متراً، وجرت هذه التوسيعات استعداداً للاحتفال بالذكرى الألفية الثانية لميلاد السيد المسيح في بيت لحم. كما جرى إعادة ترميم كنيسة صليبية قديمة تعود إلى القرن الثاني عشر وتوجد في أسفل الكنيسة الحالية.

### رواق القديس جيروم:

أكتشف هذا الرواق عن طريق الصدفة بعد أن دمر حريق جدران هذا المكان، فكشف عن أقواس الرواق التي تعود إلى القرن الثاني عشر. فقام المهندس برلوتسي بترميمه عام





رواق القديس جيروم  
في داخل الكنيسة درج بودي إلى مغارة القديس جيروم حيث قام بترجمة الكتاب المقدس إلى اللاتينية

1947م، وهو يمثل الآن نموذجاً رائعاً من نماذج فن العمارة القديمة. ويحتوي الرواق على مدخل من كل جانب تعلوه أقواس ثلاثة ويحد كل باب أربعة أقواس أخرى. وتمكن المشرفون على عملية الترميم عام 1947م من إدخال جزء من هذا الرواق داخل الكنيسة، ويكون الرواق بذلك قد تعرض للتشوية مرة ثانية منذ عام 1880م. وحافظ

المهندس برلوتسي على شكل الرواق القديم، فقد علت الأعمدة فيه تيجان زينتها زهرة الاقنثا وزخارف نباتية، وهذا ما كان يميز فن العمارة الأوروبية في القرن الثاني عشر. وكان الرواق القديم يضم 64 تاجاً من الحجر الناري لم يبق منها إلا عشرين، أما البقية فقد تعرضت للتلف والدمار وجرى استبدالها بتيجان جديدة دون نقوش. ورغم حالتها المزرية فإن التيجان الأصلية تمثل نموذجاً فنياً رائعاً لفن العمارة في تلك الفترة التاريخية. ويمكن اليوم مشاهدة هذا الرواق كما كان الحال عليه قديماً دون إدراك الترميمات التي جرت عليه. ويرتفع من وسط الرواق عمود من الحجر الأبيض يقف فوقه تمثال للقديس جيروم يعود إلى عام 1880م. وكان القديس جيروم قد جاء إلى مدينة بيت لحم عام 384م مع مجموعة من الحجاج وأقام فيها (13). وترمز الجمجمة الموجودة تحت قدميه إلى قسوة الحياة الرهبانية. بينما يرمز الكتاب بين يديه إلى العمل الكبير الذي قام به بوضع أول ترجمة لاتينية للكتاب المقدس خلال فترة إقامته في بيت لحم، وجاءت بعد عامين القديسة بولا وابنتها، وهي سيدة رومانية نبيلة أسست بعد وصولها أول رهبنة غربية استمرت منذ ذلك اليوم حتى الآن دون انقطاع. وأقامت بولا ديراً للقديس جيروم وأصدقائه، كما أقامت ديراً لها وللنسوة التقيّات اللواتي جنّ بصحبتها من روما، وقامت ببناء منزل للحجاج. وقضى القديس جيروم بقية أيام حياته في بيت لحم، وأنتج فيها أهم أعماله الأدبية، فقد كتب سيرة بعض القديسين، وبعض الكتب الدفاعية ضد من كان ينتقد الحياة النسكية، إضافة إلى 150 رسالة. ويكمن عمل جيروم الرئيس في إعادة ترجمة الكتاب المقدس إلى اللاتينية والمعروفة بـ«الفولجاتا» أو الترجمة الشعبية، والتي جعلت من جيروم شقيقاً للمترجمين في جميع أنحاء العالم. وتحتفل الفدرالية الدولية للمترجمين باليوم العالمي للترجمة في 30 أيلول من كل عام والذي يصادف ذكرى عيد القديس جيروم. وتوفي جيروم عام 420م في بيت لحم ودفن فيها، ثم نقل ثيودوسيوس الثاني رفاته إلى القسطنطينية، ثم

إلى كنيسة القديسة ماريما ماجوريه في روما. ويوجد في الممر الجنوبي للرواق، تحت غطاء حديدي، درج ضيق يؤدي إلى المغارة التي كان يعمل فيها جيروم، ويظهر أن هذا الدرج كان يمثل المدخل القديم للمغارة، وجرى تضييقه لأسباب أمنية. ويثبت وجود هذا المدخل، النظرية التي تقول أن هذه الكهوف كانت تمثل المدخل الأصلي لمغارة الميلاد، والجزء الخارجي للمغارة. ويوجد في الجزء الجنوبي من الرواق كنيسة صغيرة للقديسة هيلانة، كان الفرنجة قد أقاموا فوقها برجاً للأجراس.

### الكهوف المجاورة لمغارة الميلاد:

توجد بالقرب من مغارة الميلاد مجموعة من المغر التي يتقاسمها الأرثوذكس والكاثوليك، وهي توجد تحت الأرض محاذية لصحن الكنيسة وتحتوي على بقايا الأطفال



الشهداء الأبرار الذين قتلهم هيرودس ظناً منه أنه يقتل معهم طفل مغارة بيت لحم. وتشير الحفريات التي قام بها الأب باجاتي الفرنسيكاني إلى أن هذه الكهوف كانت مستخدمة منذ القرن السادس ق. م. وتحولت في القرن الأول إلى قبور للمسيحيين الذين كانوا يرغبون بأن تُدفن أجسادهم قرب

الأماكن المقدسة. ويمكن الوصول إلى الكهوف الخاصة بالكاثوليك من كنيسة القديسة كاترينا من خلال درج يوجد على الجانب الأيمن داخل الكنيسة، ويسير تحت الحنية الشمالية لكنيسة المهدي. ويمكن الوصول إلى الكهوف الخاصة بالأرثوذكس من الساحة التي يتم الوصول إليها عبر الباب الموجود في الحنية الجنوبية لكنيسة المهدي، حيث يوجد في الجانب الغربي من الساحة بناء يؤدي عبر درج إلى مجموعة من الكهوف التي تحتوي على قبور الأطفال الشهداء.

وقد جرى ترميم الكهوف الموجودة تحت الحنية الشمالية بشكلها الحالي عام 1962م، بعد أن كانت مهملة فترة طويلة من الزمن. وقد خصص الكهف الأول على اليسار للأطفال الشهداء الذين فقدوا حياتهم من أجل الطفل يسوع الذي أثار ولادته غضب هيرودس، فعمد إلى قتل الأطفال في منطقة بيت لحم. ويعتقد أن هذه الكهف كان الملجأ الذي لجأت إليه الأمهات خوفاً من بطش هيرودس، في حين يعتقد آخرون بأنه المكان الذي وضعت فيه جثث الأطفال الشهداء.

وخصص الهيكل الثاني الذي يقع في الجهة الجنوبية، للقديس يوسف في ذكرى الرؤيا التي شاهدها في الحلم، والتي جعلته يأخذ الطفل وأمه ويهرب إلى مصر من أجل حمايته من بطش هيروودس. ويوجد إلى جانب الهيكل ممر يؤدي إلى مغارة المهد، مغلق بباب خشبي يحتفظ الآباء الفرنسيين بمفتاحه. ويمكن إذا نظرت من خلال ثقب المفتاح مشاهدة هيكل الميلاد حيث ولد السيد المسيح. كما توجد في نهاية الممر على الجانب الأيمن معالم الباب الغربي الذي أغلق، والذي كان يؤدي إلى مغارة المهد من صحن الكنيسة. وعندما نقف في الجزء السفلي من مغارة القديس يوسف نجد بضعة قبور، هي قبور الأتقياء الذين رغبوا بأن تدفن أجسادهم في هذا المكان المقدس منذ القرون الأولى للمسيحية. إذا تابعنا السير إلى اليسار نجد بعد مغارة الأطفال هوة مغلقة بقضبان يبلغ عمقها خمسة أمتار وهي قبر الأطفال الأبرياء بحسب التقليد. وتحتفل الكنيسة الكاثوليكية في الثامن والعشرين من شهر كانون الأول من كل عام بعيد هؤلاء الأطفال الأبرياء القديسين.

وبالعودة إلى هيكل الأطفال الشهداء نجد ممرًا إلى اليسار يؤدي إلى قبر القديس جيروم. ويوجد على الجانب الأيمن من الممر هيكل مخصص للقديس ايزوبوس من كريمونا، أحد تلاميذ القديس جيروم وخليفته. وإلى جواره هيكل يحتوي على قبر القديسة بولا وابنتها وبئر ماء قديمة. كما يوجد ممر يوصل إلى قبر القديس جيروم، وباب يؤدي إلى غرفة صغيرة تمثل المكان الذي قام فيه جيروم بترجمة الكتاب المقدس والتعليق عليه. وهناك درج يدخل من خلاله النور إلى المغارة، ويؤدي إلى ساحة الرواق الموجود أمام كنيسة القديسة كاترينا.

### دير الأرمن:

يقع دير الأرمن في الجهة الجنوبية من ساحة المهد. وقد شيد هذا الدير في فترات مختلفة. ونجد في الطبقات السفلى من الدير آثار جدران وأعمدة تعود إلى العهد البيزنطي والكنيسة التي أقامها يوستنيانوس، وأخرى تعود إلى عهد الفرنجة. وتدل هذه الآثار على حجم كنيسة المهد في تلك الفترة. أما الدير بشكله الحالي فيعود إلى القرن السابع عشر. يتم الوصول إلى الدير بعد الدخول إلى كنيسة المهد من باب التواضع الصغير، والاتجاه نحو اليمين عبر باب آخر في



الدھليز. وتوجد في نهاية المر على اليمين غرفة صغيرة كانت تمثل زاوية الساحة الرئيسة التي بناها جوستينان أمام كنيسة المهد، كما يوجد باب آخر يؤدي إلى ساحة تحتوي على بئر يتميز مائه كما يقول الحجاج الذين زاروا هذا المكان، بقدرته على الشفاء. ويوجد على الجانب الأيمن من الساحة درج يؤدي إلى الجزء المسكون في الدير والذي يتواجد فيه عدد من الرهبان الأرمن.

وكان دير الأرمن في القرن السابع عشر أحد المراكز المهمة للرهبنة، وخاصة في عهد البطريرك قريقور بروندر المعروف بتقشفه. وقد امتلأ الدير في عهده بنسخ الكتاب المقدس. ويوجد في الدير حالياً (6) رهبان يقدمون الخدمة الرعوية للطائفة الأرمنية في المدينة والتي يبلغ عددها 600 نسمة تقريباً. ويحتوي الدير على كنيسة صغيرة لمار يعقوب، تزينها ثلاثة هياكل من الخشب المزخرف والموزاييك الأزرق، كما يوجد في الكنيسة لوحة زيتية قديمة تعود إلى القرن الثامن عشر وتمثل عماد المسيح، إضافة إلى جرن للعماد معروف بقدراته الشفاءية للأطفال. وقام البطريرك قريقور باروندر بتحويل الفناء الكبير الذي كان يستعمل خاناً في السابق إلى كنيسة باسم الثالوث الأقدس، وبنى هيكليين إلى اليمين واليسار مخصصين لأبناء زبدى، ولكن الكنيسة تحولت مرة أخرى إلى غرفة طعام. ويوجد فوق الدير برج حديث للأجراس بني عام 1935م، ويمكن من سطح الدير مشاهدة منظر جميل لمدينة بيت لحم والمناطق المحيطة بها.

ويوجد في الجزء السفلي من دير الأرمن قاعة كبرى مستطيلة الشكل، لها سقف مقنطر بصفين من الأقواس، تدعمها خمسة أعمدة توجد في وسط القاعة وتعلوها تيجان بيزنطية. ويعتقد أن القديس جيروم كان يعطي دروساً لاتباعه في هذا المكان. وتعرضت هذه القاعة لتعديلات كثيرة، فقد حُوّل الجزء العلوي منها إلى مسكن، وما زالت آثار تيجان الأعمدة التي كانت تحيط بالساحة التي بناها يوستنيانوس واضحة في هذا البناء، وقد أقام الفرنجة في القرن الثاني عشر بناءً آخر فوقه. وفي الطابق السفلي من الدير مكان واسع كان الحجاج يضعون فيه دوابهم عندما كانوا يقضون الليل في بيت لحم، كما توجد في إحدى الزوايا معصرة ذات رحي كبيرة للزيت، وأبار كبيرة للمياه. وقد أهل هذا المكان في الذكرى الألفية لميلاد السيد المسيح، وأصبح مركزاً رعوياً وثقافياً لأبناء الرعية الأرمنية وغيرهم من الطوائف الأخرى. ويعكس دير الأرمن بأبنيته القديمة والمتداخلة، نماذج متنوعة لفن البناء، فيمكن أن تشاهد حائطاً بيزنطياً إلى جانب أحد الأبنية التي أقامها يوستنيانوس، أو أحد الأبراج التي أقامها الفرنجة، تعلوه أبنية أخرى أقيمت في عهد العثمانيين.

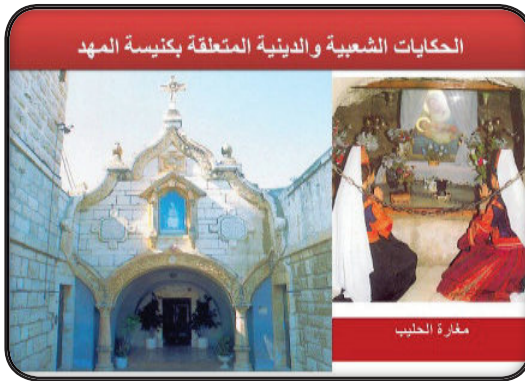
## دير الروم الأرثوذكس:

يقع دير الروم الأرثوذكس إلى الجنوب الشرقي من كنيسة المهدي، ويسكن فيه مطران ومجموعة من الرهبان اليونان الذي يشرفون على كنيسة المهدي. ويتكون الدير من مجموعة من الأبنية التي تعود إلى عهود مختلفة. ويتم الوصول إليه من شارع مغارة الحليب، أو من كنيسة المهدي عبر باب يوجد في وسط الحنية الجنوبية للكنيسة يؤدي إلى ساحة كبيرة يوجد على الجانب الشرقي منها بناء ضخم تقع خلفه غرفة ملابس الكهنة، وفي أسفله توجد كنيسة القديس جورج. ويمثل الجزء السفلي من هذا البناء بقايا برج يوستنيانوس الذي بني في هذا المكان من أجل حماية الكنيسة. وقد أقام الفرنجة في القرن الثاني عشر برجاً آخر بالقرب منه.

وفي الجانب الآخر من الساحة يوجد بناء يؤدي عبر درج طويل إلى مجموعة من الكهوف تقع أسفل صحن كنيسة المهدي وتحتوي على قبور للأطفال الشهداء، حيث يمكن للزائر أن يرى مجموعة كبيرة من جماجم الأطفال الذين قتلهم هيرودس في أماكن متعددة في هذا المكان. وفي الجزء الجنوبي من الساحة يوجد المدخل الرئيس الذي يؤدي إلى دير الروم الأرثوذكس ويرتفع إلى جانبه برج الأجراس الذي شيد عام 1948م. ويعود البناء الحالي إلى عهود مختلفة، ولكن الجزء الأكبر منه يعود إلى القرن التاسع عشر.

## مغارة الحليب:

تقع مغارة الحليب إلى الجنوب الشرقي من كنيسة المهدي، على بعد خطوات قليلة منها. ويمكن الوصول إليها من ساحة المهدي عبر شارع مغارة الحليب، أو من كنيسة المهدي مروراً بساحة دير الروم الأرثوذكس، عبر الباب الذي يؤدي إلى شارع مغارة الحليب. وتوجد المغارة تحت الأرض ويتم الوصول إليها عبر سلم يتكون من 20 درجة. وتحولت المغارة إلى كنيسة صغيرة تسمى كنيسة مغارة الحليب أو "كنيسة ستنا



مريم". وبنيت أول كنيسة فوق المغارة في عهد القديسة بولا. وزينت الكنيسة الحالية بمختلف التحف الدينية من المصنوعات الصدفية وخشب الزيتون. وتقول التقاليد إن السيدة العذراء قد مكثت فترة قصيرة من الزمن في هذه المغارة مع الطفل يسوع، وعندما

ظهر الملاك للقديس يوسف وأعلمه بالخطر الذي يحرق بالطفل يسوع، وضرورة الهرب به إلى مصر، قام بالاستعداد للسفر واستعجال مريم التي كانت ترضع الطفل، فسقطت قطرة من الحليب على أرض المغارة حولت لون الصخر فيها إلى الأبيض، ومن هنا جاءت تسميتها بمغارة الحليب.

ويحظى هذا المكان بالتكريم من كل الطوائف، وتعتقد النساء المسيحيات والمسلمات منذ قرون طويلة، أنه إذا نقص الحليب على النساء المرضعات، فإن صخر هذه المغارة قادر على الشفاء. وتقوم بعض النساء بشرب مسحوق من حجارة المغارة مع الماء من أجل زيادة الحليب لديهن. وكان الحجاج المسيحيون في القرن السابع عشر، يقطعون أجزاء صغيرة من صخر هذه المغارة، ويأخذونها معهم إلى كنائس بلادهم. وتعود الحجارة الموجودة في العديد من الكنائس في العالم تحت اسم "حليب العذراء" إلى هذه المغارة.

وأقام الفرنسيون الكنيسة الحالية فوق المغارة عام 1872م، وتعد واجهتها نموذجاً رائعاً لفن العمارة المحلية، إذ قام عدد من النحاتين من أهل مدينة بيت لحم عام 1935م بتصوير العائلة المقدسة والهروب إلى مصر على تيجان الأعمدة التي تزين المدخل، حيث تبدو وكأنها قطع من الصدف. كما عبّر الحرفيون المحليون عن تكريمهم لهذا المكان من خلال التحف الفنية الصدفية التي تزين الكنيسة وتغطي جدران المدخل. وتحولت الكنيسة إلى مكان هادئ للتأمل والصلاة، وتعلو جدرانها مجموعة من اللوحات المتنوعة التي تمثل العذراء وهي ترضع الطفل يسوع. ومن أجل الصعود فوق الكنيسة لمشاهدة قطع الموزايك التي تعود إلى الكنيسة الأولى، يجب طلب المساعدة من الراهب المسؤول الذي يملك مفتاح كنيسة القديس يوسف أيضاً والتي تقع بالقرب منها. وقد أقيم في هذا المكان في الذكرى الألفية لميلاد السيد المسيح كنيسة جديدة خصص الجزء السفلي منها لتكريم القربان المقدس والتأمل والصلاة.

### الحكايات الشعبية والدينية حول كنيسة المهد:

يسجل هذا البحث عدداً من الحكايات الشعبية التي تناقلها سكان المدينة خلال العقود الأخيرة حول كنيسة المهد، وهو لا يهدف إلى تقديم سجل كامل لها، وإنما يسعى إلى تحديد طبيعة المعتقدات الدينية المرتبطة بالكنيسة وعلاقتها بالسياق الاجتماعي والثقافي. ولا يمكن فهم هذه القصص بالطريقة نفسها التي تفهم بها القصص الشعبية الأخرى، نظراً لارتباطها بالعقائد الدينية لرواتها وما لها من أثر خاص وتفاعل بين القارئ والنص. وهي لا تعبر أيضاً عن وجدان فرد واحد، وإنما تعبر عن وجدان الجماعة، فهي بذلك ضميرها الحي المتحرك ووجدانها المعبر. ويهدف هذا البحث إلى فهم الرسالة

التي تمثلها هذه القصص وإبراز المكانة المهمة التي تمثلها كنيسة المهد لسكان مدينة بيت لحم. ودراسة هذه الحكايات الشعبية ليست مجرد بحث عن الأشياء القديمة، بل هي بحث عن المعرفة، إنها توسع مداركنا وتعرفنا بثقافتنا وتراثنا وتساعدنا في فهم أنفسنا.

### 1. الثقوب الخمسة على أحد الأعمدة:

توجد على أحد الأعمدة في كنيسة المهد ثقب خمس على شكل صليب، وعمق الواحد منها بوصة تقريبا، تشير إلى أصابع السيدة العذراء. ونشأت حول هذه الثقوب مجموعة من القصص الشعبية المتداولة منها:

♦ **حكاية الهجوم على الكنيسة:** حاولت إحدى القبائل المسلحة أن تفرض سلطتها على أهل المدينة، فالتجأ الناس إلى كنيسة المهد للحماية، وعندما رأى المغيرون مهاجمة الكنيسة والتعرض لمن احتفى بها من أهل البلدة، ظهرت العذراء مريم عليها السلام مسندة



أصابع يدها على أحد الأعمدة في صحن الكنيسة، فصدر حينئذ ضوء باهر بهر أبصار الجماعة التي اضطرب أمرها فولّت الأدبار.

♦ **حكاية الدبابير:** وبحسب رواية أخرى<sup>(14)</sup> انبعثت من هذه الثقوب مجموعات من الدبابير صدت المغيرين على أعقابهم. فعندما أمر السلطان

بيبرس جنوده أن يذهبوا إلى الكنيسة لسلب نفائسها ثم هدمها، وعندما دخل الجنود الكنيسة وحاولوا سلبها وهدمها، خرجت عليهم أعداد كبيرة من الدبابير كما يذكر ذلك الخلف عن السلف. وكان خروج هذه الدبابير من ثقوب في بعض أعمدة الكنيسة، فلحقت هذه الدبابير بالجنود وهاجمتهم بصورة شرسة وأمعنّت في لسعهم، الأمر الذي اضطّرهم إلى الهرب من وجهها، غير أن هذه الدبابير لاحقتهم حتى قوس الزرارة المعروف حتى يومنا هذا، إلى أن وصلوا محلة رأس افطيس المعروفة حتى يومنا هذا بالاسم ذاته. وهنا في هذا الموقع كما يذكر الخلف عن السلف فطس أي مات كثير من الجنود نتيجة لسع «كركفة» باللغة الآرامية معناها (مقبرة الجثث أو الجماجم). وعندما سمع السلطان بيبرس بما حدث لجنوده، أي بأعجوبة الدبابير، أصدر أمره إلى ولاته بالتوقف عن قتل المسيحيين واضطهادهم وعدم التعرض لكنائسهم، كما طلب إلى ولاته كذلك أن يسمحوا للمسيحيين الذين هربوا من البلاد بالعودة إلى بيت لحم، وإلى البلد الذي يرغبون في العودة إليه. وهكذا

عاد أجداد أهالي مدينة بيت لحم من الشوبك في وادي موسى ومن غيرها من نواح أخرى، واستقر بعضهم في بيت لحم، ذلك لان بيت لحم أصبحت في عام 1517م تنعم بالأمن والاستقرار بحماية قيصروسيا. وقد امتد حكم المماليك في هذه البلاد، حيث اتسع حكمهم حتى شمل مصر والشام وامتد نفوذهم في البلاد والأقاليم المجاورة في شبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى وبرقة والنوبة حتى عرفت دولتهم بلقب دول البرين والبحرين. وفي عهد الملك الحاكم بأمر الله الفاطمي، ولكون امه كانت مسيحية، فقد صان هذا الملك كنيسة المهدي وحافظ على أرواح سكانها ورجال الدين فيها، وفي عهده استوطن عدد كبير من المسيحيين في بيت لحم.

♦ **حكاية الزلزال:** وتمة حكاية أخرى تدور حول هذه الثقوب الخمسة. فقد حدث زلزال هائل بمقتضى إحدى الروايات وهز مدينة بيت لحم هزاً، وقد ابتهل الناس لله سبحانه وتعالى أن يجنبهم شره، وقد ظهرت العذراء مريم عليها السلام في كنيسة المهدي، ووضعت أصابعها على العمود، وسرعان ما هدأ الزلزال. ويقال: إن هذه الثقوب هي آثار علامات أصابع العذراء التي تركتها على العمود. ويعتبر سكان المدينة هذه الثقوب الخمسة مكاناً مقدساً، فعندما يدخل الشخص كنيسة المهدي يضع أصابعه الخمسة داخل الثقوب مؤمناً بأعجوبة خروج الدبابير لحماية الكنيسة.

## 2. محاولات هدم كنيسة المهدي:

تعرضت الكنائس في فلسطين إلى الهدم والدمار مرات عديدة. ولم ينج من ذلك سوى كنيسة المهدي، نظراً لما تمتعت به هذه الكنيسة من مكانة دينية مهمة لدى المسيحيين والمسلمين وغيرهم من المؤمنين. وتروي القصص التالية بعض المحاولات التي تمت من أجل هدم الكنيسة أو التعرض لها بالأذى:

♦ **حكاية صورة المجوس:** هناك حكاية معروفة عن سبب إنقاذ كنيسة المهدي من الدمار على يد الفرس الذين غزوا البلاد في أوائل القرن السابع الميلادي، وأدى غزوهم إلى خراب جميع الكنائس في فلسطين، ولم ينج من بيت لحم سوى كنيسة المهدي، إذ يقال: إن صورة مصنوعة من الفسيفساء التي تمثل سجود المجوس الثلاثة بملابسهم الفارسية أمام السيد المسيح عند ولادته في مغارة المهدي في بيت لحم، حاملين له الهدايا ذهباً ولباناً ومرأ، كانت مرسومة على واجهة الكنيسة الغربية فوق ما يسمى اليوم بالباب الصغير. ولدى رؤية الغزاة الفرس لصورة مواطنيهم المجوس بلباس بلادهم التقليدي، استنكفوا عن الهدم والتدمير احتراماً لمواطنيهم. والمجوس هم ملوك الفرس الذين سجدوا ليسوع الطفل بحسب الرواية الإنجيلية.





### ◆ حكاية الملك يستينانس

(الإمبراطور يوستينيانس) : وردت القصة التالية في معجم بلدانية فلسطين العربية لمرمجي الدومينيكاني وفيها يقول: «أمر الملك الرسول أن يهدم كنيسة بيت لحم - وكانت صغيرة- وأن يبنيها كنيسة عظيمة كبيرة حسنة، ولا يكون في بيت المقدس كنيسة أحسن منها. فلما وافى الرسول إلى بيت المقدس، بنى

بيمارستانا للغرباء. وتمم كنيسة ألينة، وبنى الكنائس التي أحرقتها السامرة، وبنى ديارات كثيرة، وهدم كنيسة بيت لحم، وبنائها على ما هي اليوم. فلما فرغ من جميع ذلك، رجع إلى الملك. فقال: صف لي كيف بنيت كنيسة بيت لحم. فلما وصفها لم يستحسن الملك صفته، ولا أعجبه ذلك، واشتد غضبه عليه، وقال له: أخذت الأموال، فاقترضتها لنفسك، وبنيت بنيانا شقفت فيه، وصيرت الكنيسة مظلمة، ولم تبنيها على ما اشتهيت، ولم تنصحنى. ثم أمر بضرب عنقه.»

◆ حكاية الحاكم بأمر الله: وقد سلمت الكنيسة أيضاً في عهد المماليك رغم بعض المحاولات لهدمها أو سرقتها، أما في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي في العام 1009م فقد قام بهدم معظم المزارات المسيحية المقدسة، ولكنه استثنى كنيسة المهد من الهدم، وذلك نظراً لما ورد عن زيارة وصلاة الخليفة عمر بن الخطاب في الكنيسة في الحنية الجنوبية، فكان نتيجة هذا الاحترام لسلفه بهذه الميزة الخاصة، أن أعرض عن هدمها وخاصة في اعتقاده الديني بمكانة سيده النبي عيسى وإجلاله لميلاده الكريم.

◆ حكاية بيبرس: وهناك حكاية أخرى تدور حول ذلك. فعندما أمر بيبرس بهدم أسوار بيت لحم وأبراجها، وإذ شاهد رخام الكنيسة أمر بنقلها إلى بلاده، ولكن أفعى ضخمة برزت من جدار ليس فيه أي ثقب يتسع لرأس إيره، وانقضت على الأعمدة تعضها وتهمشها، مما أدهش الجميع، وعندما ألغى السلطان أمره اختفت الأفعى. (15) وتذكر رواية أخرى أن أحد مماليك مصر أمر بتخريب كنيسة المهد ومذابحها وأيقوناتها ونهب المجوهرات الموجودة فيها. وعندما كان العمال يمعنون في التخريب والسلب ونزع البلاط، خرج عليهم أفعوان من الحائط له لسان من نار، وبعد أن حطم البلاط الذي انتزعه انحنى إلى المكان الذي يقال أن المجوس الثلاثة وقفوا فيه، واختفى بين البلاط، بعد أن أبقى فوق بلاط الكنيسة أثر قضبان من حديد أحميت ووضعت فوق البلاط. وتقول رواية أخرى أن بعض

القبائل في سنة 1085م حاولت تخريب وتدمير كنيسة المهد ونهب مجوهراتها، ونظرا لما كانت الكنيسة تتحلى به من ذهب وفضه وجواهر ثمينة، يذكر أنه في أثناء قيامهم بالتخريب والنهب خرج عليهم بغتة نور شديد اللامعان كالصاعقة وقتلهم، وهكذا سلمت الكنيسة من التخريب.

♦ **حكاية أحد المماليك:** وهناك رواية أخرى لهذه الحكاية تقول أنه عندما حاول أحد المماليك في مصر الاستيلاء على بعض أعمدة الكنيسة ونقلها إلى القاهرة ليزين بها قصره هناك، وفيما كان عماله يعملون على إزالة هذه الأعمدة، ظهرت أمامهم أفعى أدهشت العمال وأخافتهم فتوقفوا عن العمل ثم هربوا من المكان، ولما بلغ الأمر مسامع الملك حتى أعلن عدوله عن فكرته. ويذكر أناس آخرون الحادث بطريقة أخرى، حيث يذكرون انه فيما كان عمال الملك يقومون بخلع الأعمدة وبلاط الكنيسة، ظهر لهم أفعوان عظيم الجثة وامسك بفمه إحدى البلاطات فشققها كسرا، وجرى هذا التكسير على أربعين بلاطه ثم اختفى تاركا أثارا ظاهرة على البلاط. فلما سمع ملك مصر بما حدث عدل أيضا عن فكرته. (16)

### 3. قصص حول هروب العائلة المقدسة إلى مصر

بعد زيارة المجوس للطفل يسوع في المغارة ومغادرتهم البلاد دون إعلام الملك هيرودس بالمكان الذي ولد فيه الطفل خوفاً من أن يحاول قتله. هربت العائلة المقدسة من مغارة الميلاذ إلى مصر هرباً من هيرودس الذي راح يتعقبها ليقتل الطفل يسوع، بعد أن سخر به المجوس وسلخوا طريقاً أخرى إلى بلادهم كما أوحى اليهم ملاك في الحلم. وهناك العديد من القصص الشعبية التي تدور حول هروب العائلة المقدسة إلى مصر. وفيما يلي مجموعة من القصص التي تدور حول ذلك:

♦ **حكاية مغارة الحليب:** تقع مغارة الحليب على مسافة قصيرة من كنيسة المهد، وتشير الحكاية المتداولة عنها إلى أنه بينما كانت العائلة المقدسة في طريقها إلى مصر خوفاً من طغيان هيرودس، لجأت إلى هذا المكان طلباً للاختفاء من مطارديها، وأخذ القديس يوسف يعد العدة للسفر المفاجئ، بينما راحت العذراء ترضع طفلها مخافة أن يرتفع صوته بالبكاء إن جاع في الطريق، فيسترعي انتباه الناس ويفسد خطة الهرب. ولكن الطفل يسوع ما كان يهمله إلا أن يرضع حليبه هنيئاً مريئاً. فراح القديس يوسف يستعجل العذراء لئلا تفوت عليه فرصة الهرب. وارتعدت العذراء، فأجفل الطفل وأفلت ثدي أمه، فسقطت بعض قطرات من حليبها على وجهه وعلى الأرض، وكان لون صخر المغارة أحمر فاستحال إلى أبيض. وقد حدثت عدة عجائب بوساطة صخر هذه المغارة، إذ شاع الاعتقاد بين الناس بأنه اذا ذوب هذا الصخر في الماء وشربته امرأة حليبها شحيح، فإنه يصبح

غزيرا. وصار المسيحيون وغير المسيحيين يأخذون قطعاً من صخر المغارة ويتبركون بها كذخائر مقدسه، ويسمونها «حليب العذراء الكلية القداسة».



#### ◆ حكاية الرعاة: وتقول رواية

أخرى إن اثنين من الرعاة دخلا إلى المغارة ليخبرا العذراء بأن السلطة أوفدت رجالا يتحرون أخبار الطفل يسوع ليقتلوه، فاستولى عليها قلق شديد واضطربت، وإذا بالقدّيس يوسف يدخل مسرعاً ويأخذ الطفل من حضن أمه بعباءته ثم يتوارى عن الأنظار. وبقيت العذراء فريسه الهم والفرع قرابة

نصف يوم، ثم حان وقت رضاعة الطفل فقادوها إليه في مخبئه. وهناك في مغارة الحليب عملت العذراء ما اعتادت النساء عمله قبل الإرضاع عندما يعصف بقلبهن قلق شديد أو يستولي عليهن الرعب: أي أن العذراء قبل أن تبدأ إرضاع الطفل يسوع عصرت ثديها فوق نقرة في الصخر، ليخرج الحليب الذي أفسده فزعها وقلقها، فلا يتضرر الطفل يسوع. وبينما جلست العذراء مريم ترضع الطفل يسوع سقطت نقطة من حليبها على الصخر، وأنه سرعان ما اكتسب الصخر خصائص غريبة... ويعتقد بعضهم بأن هذا الصخر إذا ما غسل وشربت المرأة من هذا الماء فإنه يساعدها على در حليبها.

#### ◆ حكاية بئر السيدة العذراء: وفي طريق العائلة المقدسة إلى مصر اشتد العطش

بالعذراء مريم فطلبت من إحدى النساء في بيت ساحور في موقع بئر السيدة أن تعطيها شربة الماء، ولكن المرأة رفضت أن تجيب طلبها، بحجة أن ماء البئر شحيح، فركعت العذراء على ركبتها على غطاء البئر (الحمرة) ووضعت يديها على فوهة البئر، وقالت: «يا بير فور فور لأشرب منك وغور»، فارتفع الماء من تلقاء نفسه إلى أن بلغ القمة وشربت منه. وبعد شربها عادت المياه إلى القاع كما كانت، وما تزال على غطاء البئر الصخري آثار موضع ركبتي وأصابع العذراء. وبمقتضى الرواية الشعبية، فإن الذي حفر البئر هو يعقوب بن اسحق بن إبراهيم. وهذه البئر ماؤها صالح للشرب وينبع من داخله ويقال: إنه إذا احتاجت المرأة المسيحية أو المسلمة إلى نعمة من الله كالحمل أو شفاء مريض أو عودة مسافر أو رحلة موفقة، كانت قديماً تضيء سراج زيت في كوة في البئر، وتشتعل الشموع اليوم أمام هيكل السيدة العذراء في كنيسة بئر السيدة. ومن عادة سكان المدينة من المسلمين والمسيحيين قديماً وحديثاً إذا انقطع المطر في بعض أشهر الشتاء، أن يتجمعوا حول البئر

شبيهاً وشباباً، نساء وأطفالاً، ويصلون بإيمان وحرارة طالبين من السيدة العذراء أن تشفع لهم لينزل عليهم المطر الغزير. وما يكادون ينتهون من صلواتهم وادعيتهم الحارة حتى تهطل الأمطار الغزيرة، ويؤيد هذه الظاهرة معظم سكان المدينة.

♦ **حكاية شجرة الميلاد:** لقد تم تناقل رواية مفادها أن جنود هيرودوس كادوا يقبضون على العائلة المقدسة، غير أن إحدى شجرات الراعي مددت أغصانها وأخفت العائلة. فكافأها الرب بجعلها دائمة الخضرة، وبالتالي رمزاً للخلود. هذه الحكاية ليست حقيقية وإنما أتت كجزء من محاولات إضفاء الطابع المسيحي على عيد كان بالأساس وثنيًا. فقد كانت شجرة شراية الراعي جزءاً من زينة عيد ميلاد الشمس لدى الرومان لتصبح تقليداً مرتبطاً بميلاد السيد المسيح مع إعلان قسطنطين. واعتبرت أوراق شجرة شربة الراعي ذات الشوك رمزاً لإكليل المسيح، أما ثمارها ذات اللون الأحمر فهي إشارة إلى دمه المراق عند صلبه. ويروى أيضاً أنه بينما كانت العذراء مريم هاربة من الملك هيرودس وهي في طريقها إلى مصر مع السيد المسيح الذي كان طفلاً بعد، جلست تستظل وقد أرهقها التعب تحت ظل شجرة، ثم مدت يدها إلى نبتة قريبها، فجمعت بعض أوراقها ومسحت بها وجهها لتزيل العرق عنه، فشمت رائحتها الطيبة فباركتها إلى الأبد، ومنذ ذلك الوقت تدعى النبتة ”مريمية“ (17). إن حكاية شجرة الميلاد لا ترتبط بأي نص وارد في العهد الجديد من الإنجيل، بل بالأعياد الرومانية وتقاليدتها التي أعطتها المسيحية معاني جديدة. ويعود استخدام الشجرة حسب بعض المراجع لأنها تذكر بـ ”شجرة الحياة“ الوارد ذكرها في سفر التكوين ورمزاً للحياة والنور، ومن هنا عادة وضع الإنارة عليها. أما الألوان فإنها تحمل رموزاً روحية: الأخضر رمز الحياة الجديدة والرجاء والخصب والبركة، الذهبي رمز الملوكية والمجد والغنى، الأحمر رمز الشهادة والفداء، الأبيض رمز الطهارة والنقاء. وانتشر استخدام الشجرة بشكل كبير كجزء أساسي من زينة الميلاد حيث توضع قبل العيد بأيام عدة وتبقى حتى 6 كانون الثاني يوم الغطاس أو عيد الظهور. وللشجرة قيمة كبيرة في الكتاب المقدس فهي ”شجرة المعرفة“ في قصة الخلق والتي أصبحت شجرة الحياة بمولد يسوع المسيح الفادي. وقد نشأت العديد من القصص حول إنارة الشموع في عيد الميلاد. إذ يؤمن المسيحيون بأن المسيح هو نور العالم، ولهذا إضافة إلى إضاءة شجرة الميلاد، تضاء الشموع عندما يقترب عيد الميلاد، وخاصة في الأسابيع الأربعة الأخيرة قبل عيد الميلاد، وتضاء الشمعة الأولى في أحد المجيء الأول بشمعة الأمل وفي الأحد الثاني بشمعة السلام، وفي الأحد الثالث شمعة الحب، وفي الأحد الرابع الذي يولد فيه السيد المسيح تسمى شمعة الفرح.

♦ **حكاية جرون الحمص:** كانت مريم خلال هروبها إلى مصر تحت الخطى مسرعة، وقد وضعت الطفل يسوع تشده إلى صدرها، وانها في سيرها الحثيث إذا برجل يزرع حقله وكان أوان البذار، فطاب لها أن تحييه وتسأله من باب المجاملة عما يزرع، ولكن صاحبنا ما استساغ المجاملة، وربما عدها فضولاً وتدخلاً في أموره الخاصة فأجاب. ماذا أزرع؟ أزرع حصى. وأرادت السماء أن تعاقبه على فظاظته وكذبه، واذا بالقمح بين يديه يتحول إلى حصى، بل الحقل كله كسته طبقة من الحصى، توارى ترابه حتى ما بان له من أثر. وما زال حتى يومنا هذا يغطي الحصى هذا الحقل. ويوجد هذا الحقل بالقرب من مار الياس، وفي موقع يقابل الطنطور، وهو حقل واسع يغطيه عدد لا يحصى من الحصى بحجم حبة الحمص.

ولقد أثار هذا الحقل مخيلة السكان المحليين، وأدى إلى ولادة قصص أخلاقية. ولقد وردت الحكاية الآتية في العدد الخامس من مجلة السلام والخير التي تصدر عن مطبعة الفرنسيين في القدس: مرت العائلة المقدسة في أثناء هربها إلى مصر بفلاح آخر يزرع حقله، فحيته العذراء بدورها وسألته عما يزرع، فأجاب صادقاً غير كاذب: ازرع قمحاً. ثم دفعه الفضول إلى السؤال بدوره: «إلى أين في مثل هذه الساعة؟ وما بالكم هكذا مسرعين؟ ألا تترتاحون قليلاً؟ فأجابت العذراء: جنود الملك هيرودس يتعقبوننا، ليقتلوا طفلي هذا الذي تراه. فأنا هاربة به من وجههم. إذن أسرع في الذهاب. في أمان الله وأنا إذا مروا بي وسألوني عنكم، فسأقول لهم ما رأيتم لا سمعت. فقالت له العذراء: ولكنك بهذا لا تقول الحقيقة، والكذب لا يجوز إطلاقاً. أية حقيقة وأي كذب؟ أوتعتقدين أنني من البلاهة بحيث أسمح لهم أن يمسكوا هذا الطفل ويقتلوه؟ هذا ما لا يمكن أبداً. بل اسمع لي، تقول لهم فقط دون كذب: نعم رأيتم العائلة، ومرت بي عندما كنت ازرع حقلي هذا الذي ترون. وماذا تريدون بذلك؟ وماذا يهمهم من أمر الزرع؟ قل لهم أنت فقط هذا ولا تزد. وسوف ترى ما سيكون.

وما أن ابتعدت العائلة المقدسة قليلاً وتوارت عن الأنظار، حتى أخذ الزرع ينمو، ثم ها هو قد ابنى وطال حتى صار سنبلًا يتمايل مع النسيم. وأخذ الفلاح يفرك عينيه لا يكاد يصدق ما يرى. الحب الذي بذرته الآن منذ قليل أصبح سنبلًا. ولدهشته أخذت تراوده شتى الأفكار والانفعالات، وإذا على

#### رابعاً: حكايات حول مغارة المهد

- حكاية هدايا حكماء الشرق أو المجوس
- قصة ميلاد المسيح في مغارة أو في بيت «الراوية»
- حكاية زيارة الرعاة للمغارة
- قصة مغارة القديس فرنسيس الأسيزي



البعد غبار يتعالى فحرق وأرهف السمع. فطرق أذنيه وقع حوافز خيل تعدو، وفرسان كأنهم في حلبة سباق يتراكمون، ورماح طوال مشرعة في أيديهم. فما أن بلغوه حتى بادروا بالسؤال: هلا أخبرتنا عن عائلة قد تكون مرت بك على هذا الطريق، وطفل صغير معها؟ بل رأيتهم وتحدثت اليهم.

متى كان ذلك وفي أي جهة ساروا؟

ساروا قدماً في الوجهة التي تتبعون. أما متى مروا بي، فكان على ما اذكر وأنا ازرع حقلي هذا الذي ترون. ماذا؟ مرت بك وأنت تلقي بذارك، وها هو البذار قد نبت وأصبح سنبلًا. إذن مروا بك منذ خمسة أشهر أو يزيد على وجه التقريب. كل ما عرفه هو أنني كنت ازرع حقلي عندما مرت بي العائلة. إذا كان ما تقول صدقاً أيها الرجل، فالجماعة أفلتت من أيدينا. ومن العبث اللحاق بها. فقد أصبحت خارج البلاد. قالوا هذا ثم لواء أعنة خيولهم وعادوا من حيث أتوا. وهكذا نجت العذراء وطفلها من القتل.

وكان جنود الملك هيرودس خلال بحثهم عن الطفل يسوع في أنحاء بيت لحم والمناطق المحيطة بها قد قتلوا ما يقرب من 6000 طفل تحت سن عامين. وتوجد جماجم هؤلاء الأطفال في مغارة تحت كنيسة المهد. وتحتفل الكنيسة في كل عام بيوم واحد قبل ميلاد السيد المسيح بعيد هؤلاء الأطفال الأبرياء الذين قتلهم الملك هيرودس.

#### 4. قصص حول مغارة الميلاد:

♦ **هدايا حكماء الشرق:** يقال: إن المجوس الذين قدموا الهدايا سجدوا للطفل في المغارة وقد جاءوا إلى بيت لحم، يقودهم نجم في السماء «فاذا النجم الذي كانوا رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق الموضع الذي كان فيه الصبي. فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً. وأتوا إلى البيت فوجدوا الصبي مع مريم أمه. فخرّوا ساجدين له وفتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومر» (18). وقد أصبح وضع الهدايا للأطفال في عيد الميلاد أمام المغارة التي تقام في عيد الميلاد عادة دائمة، وهي ترمز في الأساس للهدايا التي قدّمها المجوس ليسوع.

♦ **قصة المغارة:** تحكي لنا المغارة قصة ميلاد السيد المسيح. فقد ذكر في إنجيل لوقا إن العذراء مريم ولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعتة في مذود، في مغارة حقيرة إذ لم يكن له موضع في المنزل، (19) واعتبر التقليد إحدى المغر التي كانت تستعمل كإسطبل حيوانات كمكان لولادة المسيح، وعلى أساسه شيدت كنيسة المهد في بيت لحم. وقد أشار يوستينوس الشهيد إلى أن ذلك المذود وجد في مغارة. وهناك بعض الآثار التي تعود إلى القرنين الثالث والرابع تظهر رسم لميلاد المسيح مع الرعاة والمجوس والرعيان. وهناك من يرى أن المسيح

لم يُولد في مغارة. فقد كان كل بيت في بيت لحم - بسبب انحدار الأرض - يحتوي على طابق أرضي يستعمل لإيواء الحيوانات، ويعلوه طابق آخر، وكان الطابق السفلي غالباً دون نوافذ في حين كانت الطوابق العليا تحتوي على شباك واحد أو أكثر. وخلال قرون طويلة عاش سكان بيت لحم في بيوت كان جزء منها مبنياً، في حين كان الجزء الآخر محفوراً في الصخر على شكل مغارة. وكانت الحيوانات تتقاسم هذا البيت مع أفراد العائلة مما يعطي دفناً لطيفاً في فصل الشتاء. ولهذا فإنه من الممكن أن يكون القديس يوسف قد سكن مع العذراء مريم في مثل هذا البيت عند قدومه إلى بيت لحم، فتكون بذلك العذراء قد وضعت طفلها في الطابق الأرضي<sup>(20)</sup>. وقام الاتحاد النسائي العربي في بيت لحم بشراء بيت مجاور لمتحف بيتنا التلحمي يمثل هذا النموذج من فن العمارة المحلية، وتم إحقاقه بالمتحف وهو يقع على بعد 50 متراً من ساحة المهدي.

♦ حكاية زيارة الرعاة: كما تشير حكاية الرعاة إلى أن المسيح قد ولد في مذود في مغارة، فيحكي أنه «كان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البادية يسهرون على أغنامهم في هجعات الليل، وإذا بملاك الرب قد وقف بهم ومجد الرب قد أشرق حولهم فخافوا خوفاً عظيماً. فقال لهم الملاك: لا تخافوا فهأنذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب انه قد ولد لكم اليوم المخلص وهو المسيح الرب في مدينة بيت لحم وهذه علامة لكم. إنكم تجدون طفلاً ملفوفاً مضجعاً في مذود. وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي يسبحون الله ويقولون: المجد لله في العلى على الأرض للناس الذين بهم المسرة».<sup>(21)</sup>

♦ مغارة القديس فرنسيس الأسيزي: أما المغارة كما نعرفها اليوم، فيعود شكلها إلى القديس فرنسيس الأسيزي الذي قام بتجسيد أول مغارة حيّة (أي فيها كائنات حيّة) في ميلاد سنة 1223م، وانتشرت بعدها بسرعة عادة تشييد مغارة الميلاد الرمزية في الكنائس وخارجها. لتصبح ومنذ ذلك الوقت تقليداً أساسياً في الميلاد حيث تصنع من ورق ملون بألوان صخرية، وتوضع بداخلها شخوص ترمز للسيدة العذراء والقديس يوسف والطفل يسوع المضجع في مذود، والرعاة الذين قدموا الخراف لتدفئ المولود والمجوس الذين قدموا الهدايا، موضحاً أن النجم الذي نشاهده بأعلى المغارة هو العلامة التي أعطاه الملائكة للمجوس ليعرفوا مكان السيد المسيح. وتستعيد الكنائس والأسر سنوياً وفي الخامس والعشرين من شهر كانون الأول ذكرى ميلاد السيد المسيح بمغارة بيت لحم. وتحتوي المغارة التقليدية على: يسوع المسيح طفلاً: وهو صاحب العيد. يوسف ومريم: رمزاً الإنسانيّة كلّها. الرعاة: ويمثلون فئة الفقراء والبسطاء كونهم أفقر طبقات الشعب في تلك الأيام. والمجوس يمثلون فئة المتعلمين والأغنياء الذين لا قيمة لما يملكونه أو يعلمونه إن لم يقدمهم إلى المسيح. كما أنهم يذكروننا أيضاً بالمسيح الذي هو ملك الملوك. النجمة: وهي

رمزٌ للنجمة التي هدت إلى المسيح ولنوره. البقرة: وهي رمزُ الغذاء الماديّ الذي لا بدّ منه للإنسان، لا ليعيش من أجله وإنما ليساعده ليعيش ويتمكن من خدمة الإله الحقيقي، وهذا رمزُ البقرة التي تقوم بتدفئة المسيح. الحمام: وسيلة النقل البري الأساسية لدى عمّة الناس وهو أيضاً رمز الصبر واحتمال المشقات في سبيل الإيمان وفي خدمة المخلص. والخراف وسيلة للغذاء والتدفئة وترمز بشكل خاص إلى الوحدة الضرورية في جماعة المؤمنين، التي تحافظ على دفء الإيمان في قلوبهم. الملائكة: يرمزون إلى حضور الله الفعال بين الناس. وهناك ألوان عدة من المآثورات القولية والأغاني التي ترتبط بمغارة الميلاد والتي لا يتسع المجال لذكرها هنا، منها:

يا ابني عزيزي ومن الله طلبته  
ابني حنون ومن ربي شحذته  
فلان وحيد الله يعمر بيته

يا حبل لولو في المهدي لظمته  
يا حبل لولو في المهدي لظمته  
يا حبل لولو في المهدي لظمته

## 5. قصص حول حكماء الشرق أو المجوس

خامساً: حكايات حول حكماء الشرق أو المجوس

- حكاية وصول المجوس من الشرق
- أسطورة نجم المجوس
- حكاية نجر النجم
- حكاية المجوس والملك هيرودس
- حكاية قتل الأطفال في منطقة بيت لحم



### ◆ حكاية حكماء الشرق:

يُخبرنا القديس متى الإنجيلي بأنّ مجوساً قد أتوا من المشرق إلى المغارة التي ولد فيها الطفل يسوع في بيت لحم بهداية نجم رأوه في السماء، وسجدوا ليسوع وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومرّ. وهناك تقليدان يتناولان البحث في أصل المجوس، الأول شرقيّ (سريانيّ) والثاني غربيّ. فالتقليد الشرقيّ يقول إنّ المجوس كانوا اثني

عشر عالماً من الأشراف تبعوا النجم الذي ظهر لهم حتى بلغوا مدينة الرّها الواقعة في بلاد ما بين النهرين العليا حيث بلغهم أنّ في "فلسطين" مجاعة، فقرّر رأيهم على إرسال ثلاثة منهم فقط، ليحملوا هداياهم إلى الطفل يسوع الملك، ورجع الباقون من حيث أتوا أسفين على عدم استطاعتهم رؤية المولود العجيب، أما التقليد الغربي فيقول: «إنّ المجوس ثلاثة أقبلوا على أغلب الاحتمال من المناطق المجاورة لمدينة "بابل"، وكانوا إمّا أمراء أو علماء أو كهنة يعبدون آلهة شرقية قديمة، نظراً إلى أنّ التقليدين، أي الشرقي والغربي، ينقلان لنا أسماءً آراميّة سريانيّة لهؤلاء المجوس.



◆ أسطورة نجم المجوس: وقد أحاطت بالمجوس هالة من الأساطير، اقدمها تتعلق بنجم المجوس الذي قادهم إلى حيث ولد السيد المسيح. لم يكن النجم الذي رآه المجوس نجماً عادياً وإنما قوّة سماوية (أو ملاكا) على الأرجح أظهرت نفسها على صورة نجم، وذلك استناداً إلى أن اتجاه مسار هذا النجم من الشرق إلى الغرب، بينما تسير جميع النجوم من الغرب إلى الشرق. وظهر النجم في رابعة النهار وليس في الليل، وكان أكثر تألقاً من الشمس، ولذلك أمكن رؤيته في النهار، واستمرّ النجم في الظهور والاختفاء بحسب حاجة المجوس إليه. وحين بلغ بيت المقدس اختفى، لأنّ المجوس توقّفوا عن السفر ليسألوا الملك "هيرودس" عن مكان يسوع. وعندما تابع المجوس رحلتهم إلى بيت لحم، ظهر لهم النجم مرّة أخرى ليرشدهم. وربما كان اختفاء النجم مُتعمّداً لإجبار المجوس على التوقف والاستعلام عن مكان يسوع من اليهود، لغرض الإعلان عن ميلاده. فالنجم والحالة هذه كان يعمل وفق خطة مرسومة.

#### ◆ حكاية بئر النجم: وقد

وردت الحكاية التالية حول هذا النجم على لسان القديس جرجوار في كتاب ماريّا تيريزا بتروزي عن مدينة بيت لحم، حيث قال: في بيت لحم بئر كبيرة، ويقال: إن مريم المجيدة استقت منها ماء وغالبا ما يشاهد الناظرون إليها أعجوبة مدهشة. فأصحاب القلوب النقية يرون فيها نجم المجوس، حيث يوضع شرف أو غطاء على رأس



المؤمنين الذين يأتون لزيارة البئر فيحنون فوق البئر، حينئذ يكون من استحق مشاهدة النجم قادراً على رؤيته في المياه يتنقل من جانب البئر إلى الجانب الآخر على شكل مرور النجوم في أفق السماء. وما أكثر الذين ينظرون ولا يرون النجم إلا من كان منهم طاهر النفس. ويؤكد بعض الرواة أنهم قد شاهدوا النجم (22). وقد انتشر خبر آخر في القرن الخامس عشر مفاده أن النجم الذي هدى المجوس قد سقط في هذه البئر وأن لا أحد سوى العذارى يستطيع مشاهدته. ويقال: إنه يوجد في زاوية شمال مدخل الكنيسة حيث اختفى النجم عن عيون المجوس عندما وجدوا الطفل يسوع، ثقب كبير في الصخر، وتخليدا لهذه الأسطورة بقي حتى الآن وتد موضوع في المكان.

## 6. قصص متنوعة:

♦ **حكاية جرن المعمودية:** وتوجد عند مدخل البهو الرئيس لكنيسة المهد المعمودية من الحجر الأحمر على الجهة الجنوبية مبنية من نوع الحجر نفسه الذي بنيت منه الأعمدة نفسها. وكانت هذه المعمودية يعمد فيها أبناء المدينة حتى القرن الخامس عشر، ومن الأخبار الشعبية المتعلقة بها أنها تتصل بالبئر الموجود في الزاوية الشمالية داخل مغارة المهد والذي يقال: إن الماء تدفق منه لدى ميلاد السيد المسيح. كما تتصل مع البئر الذي استقى منه رجال الملك داود الذين أرسلهم لطلب الماء عندما كان يحارب الفلسطينيين واشتد العطش بهم. ويقال: إن داود كان في مغارة عدلام فتأوه وقال من يسقيني ماء من بئر بيت لحم، فاخترق رجاله محلة الفلسطينيين واستقوا ماء من بئر بيت لحم التي عند مدخل المدينة، وحملوه إلى داود الذي لم يشأ أن يشرب منه بل أراقه قائلاً: حاش لي يا رب أن أفلع هذا. أشرب دم قوم خاطروا بأنفسهم ولم يرد أن يشرب.<sup>(23)</sup>

ولقد ورد ذكر الآبار بكثرة في القصص التي ترتبط لكنيسة المهد أو العذراء مريم مثل بئر السيدة وبئر عونه وبئر المجوس وغيرها. ولا غرابة في ذلك، لأن كل بيت له بئر تجمع فيها ما يتساقط من المطر لقلّة المياه وندرة الأمطار الغزيرة في بلادنا.

♦ **حكاية الأب حنا بنايوت:** ومن الحكايات الطريفة التي تسمع عن الكاهن حنا بنايوت من سكان بيت لحم المتوفي عام 1923م، بأنه كان يستيقظ سحراً لتلاوة بعض الصلوات حتى يفتح الباب بأعجوبة في وجهه فيدخل ويصلي صلواته بإيمان وتقوى ويخرج من الكنيسة بالطريقة نفسها التي دخل بها.

♦ **مار نقولا وعيد الميلاد:** توجد في مدينة بيت جالا كنيسة مار نقولا التي تقع في وسط المدينة وتشتهر ببرجها المربع وقبتها الفضية اللامعة، وقد أقيمت كنيسة مار نقولا الحالية فوق الكهف الذي سكن فيه القديس نقولا الذي جاء من ميرا في كبادوسيا في آسيا الصغرى. ويتم النزول إلى الكهف عبر درجات منحوتة في الصخر، وقد أقيم فيه هيكل صغير للقديس نقولا الذي عاش في القرن الرابع الميلادي عيشة النسك والجهاد والفضيلة حتى رسم قساً وهو في التاسعة عشرة من عمره. وأعطاه الله موهبة عمل الآيات وشفاء المرضى، والإحسان وتقديم الصدقات على المحتاجين خفية. كان رجلاً تقياً يحب الناس، فاهتم بشكل خاص بالأيتام الفقراء والأطفال كما اهتم بالأرامل ودافع عن المظلومين والسجناء وأعرب عن اهتمامه بتوزيع الهدايا عليهم. وكان يقوم ليلاً بتوزيع الهدايا والمؤن على الفقراء والعائلات المحتاجة بشكل سري ودون علمها. ويرتدي عادة ثياباً ذات لون أحمر مثل لون ثوب المطران. وهكذا جرت العادة في المسيحية أن يوزع

المؤمنون الهدايا على بعضهم بعضاً في عيد الميلاد اقتداءً بالقدیس نيقولاوس. الذي كرمته الكنيسة باعتباره شفيحاً للأطفال. وبقدم عيد الميلاد ورأس السنة الميلادية تظهر لنا اليوم شخصية رجل تميزت أفعاله بإدخال الفرحة إلى قلوب الأطفال وتعرف هذه الشخصية بسانتا كلوس Santa Claus وهي تحريف ل (سانت نيقولاوس) وتقليداً للمجوس الذين قدموا الهدايا للطفل يسوع.

♦ شفيح بيت جالا: وتدور حول القديس نقولا أو سانت نيقولاوس حكايات عديدة بعضها قديم وبعضها حديث جداً. ومن الحكايات التي روتها سلطانه عبد ربه والتي تنسبها إلى أيام جدودها أن جماعة من الغزاة بقيادة أبو غوش حاولت احتلال مدينة بيت جالا التي أقيم فيها مقام القديس نقولا، وما إن وصلت إلى مفترق طرق باب الزقاق شاهدها سكان المدينة، وطلب الرجال من النساء أن ينزلن إلى كنيسة مار نقولا ويطلبن من القديس الذي يدعونه حامي البلد أن يساعد في رد الجماعة الغازية، وبالفعل انطلقت النساء وتوجهن إلى الكنيسة وإلى صورة مار نقولا في داخلها وأخذن يرددن: يا مار نقولا اليوم يومك.. يا مار نقولا احمينا. وعندما بدأت الجماعة الغازية بالتقدم، وبصورة عجيبة أخذت الأشجار والجدران الإسنادية بإلقاء الحجارة على الغازين، ولكن القائد رفض تصديق ذلك وأخذ يحمس الجماعة الغازية على اقتحام المدينة، ولكن ظهر هناك فارس القى حجراً فأصاب رأس القائد، وعندها أيقن أنها مدينة لا يمكن دخولها، فانسحب هو ورجاله. ويؤمن السكان المحليون أن ذلك الفارس هو مار نقولا حامي البلد. ويؤمن السكان المحليون بشفاعة مار نقولا في كثير من الأشياء، وبخاصة أيام انحباس المطر فحين كانت الأمطار تتأخر أو تنحبس كانت العجايز والفتيات يتجهن إلى كنيسة مار نقولا وهن يرددن:

مار نقولا جينا ليك      سحب المطر داخل ليك  
ونحن اليوم عبيدك      مفتاح السماء في ايديك

هين بويا هين بو

حطوا الكوز في الجرة      واستنوا      رحمة الله

ولا تكاد العجايز تنتهي من ترديد هذه الكلمات حتى تأخذ السحب بالظهور في السماء وتنهمر الأمطار.

♦ أسطورة سانتا: وبدأت الحقيقة تختلط بالأسطورة (24). وظن البعض أن موطن سانتا هو السويد وذهب البعض الآخر أن موطنه فنلندا خاصة أن هناك قرية تدعى قرية Santa Claus. أما ما يتعلق ب «بابا نويل» فهي من الفرنسية وتعني «أب الميلاد»، حيث يتخيل الناس بابا نويل شيخاً حسناً ذو لحية بيضاء كالثلج ويرتدي ملابس حمراء اللون.

ومع تغير المكان تخلى (سانتا كلوز) عن حماره الذي كان يحمل عليه الهدايا والألعاب ليمتطي زحافة على الجليد يجرها ثمانية غزلان يطلق عليها حيوان الرنة ذو الشكل المميز. وتروي الحكايات أن (بابا نويل) يضع للأطفال الهدايا داخل جوارب صوفية يضعونها فوق المدفأة في منازلهم حيث كان يتسلل من خلال فتحة المدفأة حتى لا يراه الأطفال ليلاً ويفاجؤون بالهدايا في الصباح فيتملكهم السرور أكثر وأكثر. وهكذا ارتبطت شخصية بابا نويل بفكرة العطاء المجاني.

يذكر أن الكنيسة المسيحية اعترضت على استخدام شخصية «سانتا كلوز» بطريقة مكثفة في موسم الأعياد على حساب الشخصية الأساسية للعيد وهو السيد المسيح، كما أن بعض علماء النفس حذروا من فكرة إقناع الأطفال بكذبة كبيرة اسمها «سانتا كلوز»، وتلاعب الكبار بهم، ... فيجد الأطفال صعوبة في تقبل الحقيقة في ما بعد، وبخاصة أنه في بعض البلدان يترك الأطفال لـ «سانتا» كوب حليب وقطع بسكويت قرب المدفأة، ويتناول الأهل سراً جزءاً منها، فيستفيق الأولاد في الصباح ليكتشفوا أن «سانتا» مرّ من هنا فعلاً.

♦ **تمثال مار جريس أو الخضر في كنيسة المهد:** يقع في مدخل كنيسة القديسة كاترينا المحاذية لكنيسة المهد تمثال ضخم للخضر وهو يقتل التنين. وهناك ثروة لا تحصى من القصص المتعلقة بالخضر والعجائب العديدة التي قام بها في منطقة بيت لحم. ولهذا تم بناء دير القديس جورج (الخضر) في أطراف المدينة. وهو مكان يتردد عليه المصلون والحجاج بسبب قدرته على شفاء المرضى، والخضر هو احد القديسين الذين يقومون بشفاء المرضى عندما يتقدم ذويهم بطلب الشفاء لهم، وهو رمز للحماية، ولهذا يقوم العديد من أبناء المنطقة بوضع صورة الخضر وهو يقتل التنين في واجهات بيوتهم. وأقيمت كنيسة الخضر في هذا المكان عام 1600م، فوق المكان الذي عاش فيه القديس جورج قسماً من حياته، أما الكنيسة الحالية فهي تعود إلى عام 1912م. وكانت الغرف المجاورة للدير تستعمل في العهد العثماني لرعاية المختلين عقلياً اعتقاداً من أن الخضر سيقوم بشفائهم، ولم تعد هذه الغرف تستعمل اليوم، ولكن ما زال الدير إلى يومنا هذا منبعاً للعديد من التقاليد الدينية الشعبية التي ترتبط بشخصية الخضر. وفي اليوم الخامس من شهر أيار من كل عام الذي يصادف عيد القديس جورج يقوم العديد من أبناء المنطقة بزيارة الكنيسة وتقديم صلواتهم وعطاياهم مثل الشمع وزيت الزيتون والخبز.

♦ **حكاية بناء الدير:** ومن الحكايات المتعلقة بكيفية بناء الدير هذه الحكاية القليلة الانتشار: كانت طريق القوافل تمر من أطراف بيت لحم إلى عسقلان الميناء الواقع على البحر الأبيض المتوسط. وحدث ذات مرة أن جماعة صغيرة من التجار كانت في طريقها إلى عسقلان وقد حملت جمالها بالبضائع. وعندما أدركهم الليل اختاروا مكاناً يببتون فيه.

وقد تأمروا فيما بينهم على أحدهم، فقطعوا حبال جملة وهو نائم، وتركوه، لكي يستبقوه فيبيعوا بضائعهم قبله. وما إن ادرك التاجر حقيقة أمره في الصباح حتى استنجد بالخضر، ونذر أن يبني له ديراً في المكان نفسه الذي هو فيه، فساعدته الخضر بأن رسم له حدود الدير العتيدي، وقام التاجر ببنائه. ورحلت بعض العائلات من قرية الولجة وسكنت حول مقام الخضر حيث أصبحت قرية الخضر الحالية.

♦ **حكاية النذر:** ومن الحكايات التي ذكرت حول الخضر في هذه القرية، حكاية امرأة قد نذرت أن تضيء شمعة بطولها في المقام، وتأخرت بالوفاء بالنذر، فجاءها الخضر في المنام وحاول أخذ يدها، فما كان منها إلا أن وعدته بالوفاء بالنذر ليبعد عنها، ووفت بالنذر في اليوم التالي فلم يعد إليها الخضر مطلقاً. وتقول حكاية أخرى: إن امرأة سرقت زيتوناً من الخضر وعندما ذهبت إلى البيت لتكبسه وضعته في إناء، وبعد أسبوع عندما فتحت الإناء وجدت الزيتون قد تحول إلى ديدان فحملتها وعادت إلى قرية الخضر ورمت الديدان تحت شجرة الزيتون، فعادت الديدان زيتونا كما كان.

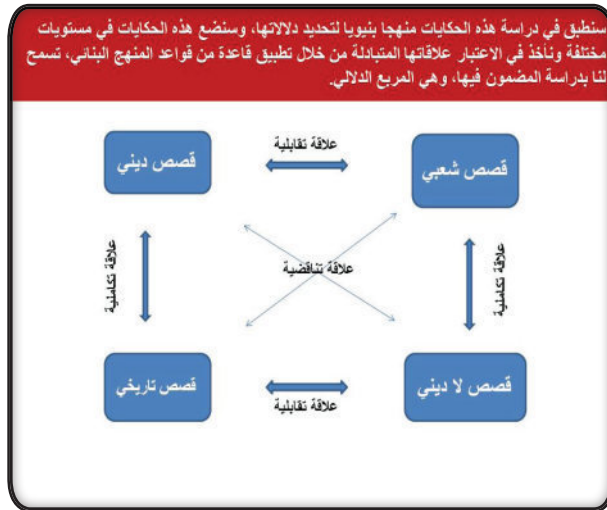
♦ **قصة العروس والعريس:** من العادات التي تجري في داخل كنيسة المهد عند الزواج عند تلاوة مراسيم الإكليل في الكنيسة، وضع قطعة من النقود الفضية في حذاء العروس طوال صلاة الإكليل، لكي تجلب الحظ الحسن لزوجها ولعائلتها. كما أنهم يضعون مقصاً صغيراً في حذاء العروس أو في طيات ملابسها الداخلية، مفترضين أن شأن المقص أن يقص أية أعمال سحرية قد يكون الحاسدون قد دبروها. وتحاول إحدى النساء القريبات في أثناء الصلاة باستمرار، وصل ثوب العروس ببدلة العريس بإبرة خيط، أو بخيط غير معقود لتجنب حقد الأعداء وشماتة الحاسدين، أو كما يقولون «لجعل مسلة العدوين ما تخطش». وقبل أن تدخل العروس بيتها الجديد، عليها أن تضع كفها على قطعة من العجين مزدانة ببعض أغصان الزيتون ومن ثم يضرب العريس كفها على مدخل البيت.

♦ **الطفل يتلکم في مهده:** يقال أنه عندما قربت أيام الولادة أن أخذت الهواجس تنتاب العذراء مريم وتحسب كل حساب لما يقوله الناس عنها. وكانت مشغولة البال تريد الجواب الذي تجيب به عذالها والمعيّرين لها من أهلها وعشيرتها. فلما أتت قومها وهي تحمل طفلها على يديها ارتاعوا لهذا الحدث النازل والخطب العظيم. وزاد في ارتياحهم ما كانوا يعرفونه عنها من طهارة المنبت وطيب البيئة ونشأة التقوى، فانهالوا عليها بالتوبيخ واللوم الشديدين وقالوا لها «يا أخت هارون ما كان أبوك امرئ سوء وما كانت أمك بغيا». فأجابت قومها «اني نذرت للرحمن صوما، فلن أكلم اليوم انسيا». وكان الصوم عن الكلام ضرباً من العبادة. وكان يمارسه الكثيرون من النساء والمتعبدين، فلا ينطق لسانهم بكلمة مع احد لعدة أيام فلما ازداد الأهل توبيخاً للعذراء مريم، أشارت إلى طفلها وهو في المهد

طالبة اليهم أن يوجهوا الكلام إليه. استغرب قوم مريم من هذا الجواب، فاعتبروه غريباً جداً، وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً، فلم يمهلمهم الطفل فأجابهم الجواب الشافي الدال على براءة أمه. وإن الله سبحانه سيجعله نبياً مباركاً. وأوصاه بالصلاة والزكاة والبر بوالدته. فلما سمعوا الطفل يتكلم استولى عليهم الخوف الشديد، وخجلوا من انفسهم بسوء ظنهم بمن عرفت منذ طفولتها بالتعبد والطهارة، وآمنوا أن هذا الطفل غير عادي ويفوق الجنس البشري. وإن أمه مؤيدة من لدن الرب.

## الختامة:

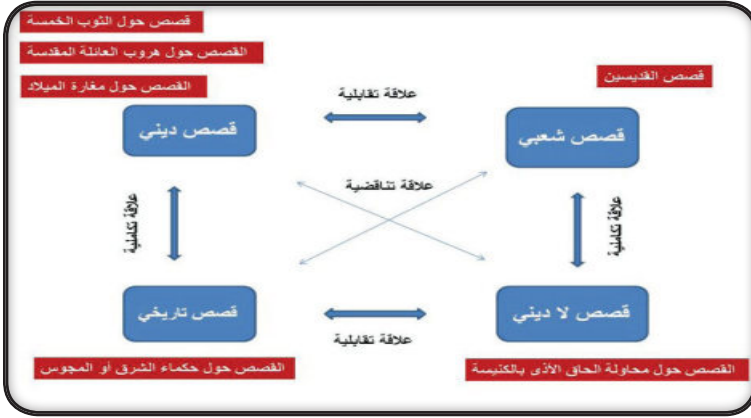
تقع كنيسة المهد في وسط المدينة بالقرب من ساحة السوق، وتحتل مكانة مركزية في حياة سكانها، حيث يجتمع الناس في هذا المكان لشراء حاجياتهم وتبادل الأخبار. وأصبحت كنيسة المهد المكان الذي يمثل نبض الحياة الروحية في المدينة، يعبر عن وجدان السكان ومشاعرهم ومخاوفهم. ويتواجد فيها أبناء الطوائف في أوقات الشدة،



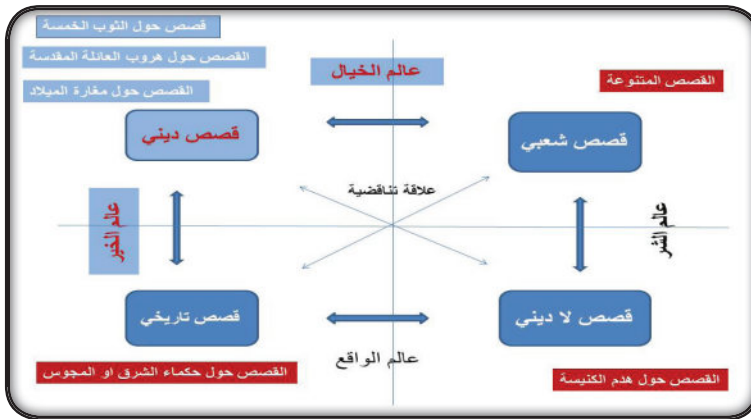
حيث يرون أنفسهم جميعاً في هذا المكان يواجهون مصيراً واحداً. فقد أصبحت هذه الكنيسة روح المدينة وقلبها النابض وضميرها الحي، ومكاناً يجمع أهلها في صلواتهم وفي أوقات الخطر. ولا عجب أن نرى كثيراً من المعجزات التي تظهر في هذا المكان لحمايته. ولا نهدف إلى تقديم سجل كامل لهذه الحكايات الشعبية، وإنما نسعى إلى

تحديد طبيعة المعتقدات الدينية وعلاقتها بالسياق الاجتماعي والثقافي والسياسي، إذ لا يمكن فهم هذه القصص بالطريقة نفسها التي تفهم بها القصص الشعبية الأخرى. فقد تمت هذه القصص وتناقلاها عدد كبير من الناس، من سكان المدينة وغيرهم، بهدف إبراز المكانة المهمة التي تمثلها لسكان المدينة. وسنطبق في دراستنا لهذه الحكايات منهاجاً بنويًا لتحديد دلالاتها، وسوف نضع هذه الحكايات في مستويات مختلفة ونأخذ في الاعتبار علاقاتها المتبادلة من خلال تطبيق قاعدة من قواعد المنهج البنائي، تسمح لنا بدراسة المضمون فيها، وهي المربع الدلالي الذي يشير إلى الشكل البنائي للمعنى في هذه الحكايات (25).

وتصبح مجموعة هذه الحكايات رحلة تجري بين أقطاب هذا المربع الدلالي؛ بين متناقضاته ومتقابلاته ومتكاملاته المختلفة، حيث تظهر لنا المعنى العام الغالب على هذه الحكايات على نحو محدد. ومن خلال توزيع هذه الحكايات على المربع الدلالي نرى أن الرسالة التي يوجهها الرواة لنا في هذه الحكايات هي الإيمان الديني بالخوارق في تحقيق الخير وحماية كنيسة المهد ورفض الشر والواقع الذي يفرض عليهم.



ومن خلال توزيع هذه الحكايات على المربع الدلالي نرى أن الرسالة في هذه الحكايات هي الإيمان بالأعمال الخارقة التي تقوم بها شخصيات دينية لتحقيق الحماية لكنيسة المهد ورفض الشر والواقع الذي يفرض عليها.



وتعكس هذه الحكايات خلفية اجتماعية ظاهره، فالمشاركون فيها هم من سكان المدينة، ومن أبناء الطبقات الشعبية الذين يسود لديهم إيمان قاطع بصحة هذه الحكايات وصدقها، فهم يتقبلونها كأمر مسلم بها وربما لا يسمحون لأنفسهم حتى التفكير فيها

بأسلوب عقلي، ينظرون إليها نظرة دينية ساذجة ويتقبلونها بنوع من الإعجاب. ولا شك في أن عهود الفقر والجهل التي سادت في العهد التركي كانت مجالاً خصباً لتلك الحكايات. وربما نستطيع القول إن الطبقات الاجتماعية التي سادت بينها هذه الحكايات، تميزت بسطحية فهمها للدين، ولهذا كانت مسرحاً تظهر فيه بصورة متزايدة مثل هذه الحكايات.

وتميزت هذه الحكايات ببساطتها وقصرها، لا نجد فيها خصائص الحكمة القصصية المعروفة لدينا اليوم. كانت تعرض الأحداث بأسلوب سردي بسيط تناقلته الأجيال، وأبطالها من نوعيات مختلفة من سائر الأجناس والطبقات، منها شخصيات دينية، وكانت هي المحور الأساسي في هذه الحكايات، مثل شخصية العذراء ومار يوسف ومار نقولا والخضر وشخصيات من أوساط الشعب مثل الرواة وغيرهم من أبناء الطبقات الشعبية التي تميزت بتصوراتها الساذجة للعقائد والمفاهيم المسيحية. وتعتبر هذه الحكايات من حيث المضمون عن جانب واحد معين وهو المعجزات والخوارق التي ترتفع عن مستوى البشر إلى المستوى الإلهي، وكان مثل هذه التدخل الإلهي واضحاً في وقائع حياة البشر على الأرض. وبهذا يبقى لهذه الحكايات سحرها الخلاب في نفوس الناس لكي تظل تحيط أبطال هذه الحكايات بهالات من التقديس والتبجيل.

إن قراءة سريعة لهذه الحكايات، وخاصة تلك القصص المرتبطة بكنيسة المهدي مباشرة، تظهر لنا مجموعة من الدلالات والأسباب التي أدت إلى ظهور مثل هذه القصص. فقد تمت وترعرعت في الفترة التي كانت فيها كنيسة المهدي معرضة للخطر. فالمعجزات والخوارق في هذه القصص كانت وسيلة للدفاع عن الكنيسة التي كانت تتعرض للهدم أو السرقة، وكان الناس فيها عاجزين عن الدفاع عنها. ولعل قسماً كبيراً من هذه القصص قد ظهر في العهد العثماني الذي استمر قرناً طويلاً في هذه المنطقة، وأمعن في الناس تجهيلاً واستبداداً وظلماً، وتوفر بذلك المجال لظهور هذه الحكايات، وما كان يتعرض له سكان المدينة وكنيسة المهدي من ظلم. ولما كانت هذه الحكايات تظهر الحرص الشديد على سلامة كنيسة المهدي، كان الناس على استعداد لتقبلها مهما كان بها من إيغال في الغيبيات، وإيمان بالخوارق ما دامت تحافظ على هذه الكنيسة. إن الحكايات الدينية تملأ الفراغ الوجداني في حياة الناس على مر السنين. وبالتالي ليس صخر المغارة ما يشفي من العقر أو يدر الحليب ولكنه الوهم الذي ربما يؤثر في نفسية الإنسان، فيحدث من الانفعال ما يحفز التغييرات في الجسم، إضافة إلى مفعول الصلاة الشفائي واقتران الرغبة الحارة بالإيمان والثقة.



## الهوامش:

1. ولقد ورد في كتاب الأنس الجليل لتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي في الحديث عن المعراج الشريف قول:

أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلي الله عليه وسلم حين أسرى به: انزل فصل. فنزل فصلي. قال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام. وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يبعث بزيت يسرج في بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام، وهذه القرية غالب سكانها في عصرنا نصارى وبها كنيسة محكمة البناء بها ثلاث محاريب مرتفعة احدها موجه إلى جهة القبلة الشريفة والثاني إلى جهة الشرق والثالث إلى جهة الصخرة الشريفة. وسقفها خشب مرتفع على خمسين عمودا من الصخر الأصفر الصلب غير السواري المبنية بالأحجار، وأرضها مفروشة بالرخام وعلى ظاهر سقفها رصاص في غاية الإحكام.

2. لقد جرى ترميم كنيسة المهد من قبل الآباء الفرنسيين في القرن الخامس عشر وقد قاموا ببناء العضادة الحجرية (الدعامة) التي تدعم واجهة الكنيسة.

3. ذهب الأستاذ محمد حسين هيكل لزيارة كنيسة المهد في بيت لحم بصحبة رئيس بلديتها عيسى البندك الذي كان مراسلا لجريدة السياسة الأسبوعية في مصر، فكتب هيكل مقالا في جريدة السياسة الأسبوعية في 3 حزيران 1937 بعنوان «في بيت لحم: كنيسة المهد ومغارة الحليب» يقول عن هذا: «ويهبط الإنسان من السيارة ويتخطى هذه الساحة المبلطة بالحجر وهو جد واثق من أنه لا بد سينحرف إلى يساره حتى يجد باب الكنيسة؛ فالجدار القائم أمامه ليس فيه باب ضخم ممّا ألف الإنسان أن يرى في كنائس القدس وفي كنائس العالم كله. فإذا اقترب الإنسان من الجدار رأى فيه فجوة صغيرة لا يمكن في المألوف أن تكون بابا لمعبد من المعابد؛ فهي لا تتسع لرجلين يمران منها، ولا ترتفع إلى قامة الإنسان، فإذا لم تكن هذه الفجوة بعض ما امتد به عبث الزمن إلى البناء فلعلها باب لصومعة راهب من الرهبان قد نذر الرواقية والتقشف، وما عسى يجدي أن أسأل عن هذا الراهب من هو، والرواقيون والمتقشفة من الغلاة في الأديان كثيرون. وعجبت حين اقتربنا من هذه الفجوة ولم يتأخر الأستاذ عيسى ليريني الباب الذي ندخل منه، ودفعني عجبني فسألت الأستاذ عيسى عن الباب أين هو، وكنت أشد عجباً حين أشار إلى الفجوة وقال: «هذا هو الباب»، ويخيل إليّ أنني ليست أول من أثار هذا الباب عجباً؛ فقد بدأ الأستاذ عيسى يشرح لي السبب في ضيقه وانخفاضه، ذلك أن للطوائف المسيحية من الروم واللاتين والسريان نظاماً تتقدم بعضها الأخرى

بمقتضاه في أعياد معينة من فصول السنة المختلفة، فإذا لم يكن الباب بهذا الضيق والانخفاض خيف اندفاع بعضها في غير النظام الموضوع لها اندفاعاً يقصد منه إلى كسب حق جديد، وكل سعي من جانب طائفة إلى مثل هذه الغاية كثيراً ما تنشأ عنه ملاحم دموية. أما وهم على ثقة بأن الباب لن يسمح بمثل هذا الاندفاع، وأن الحراس من جند الحكومة يستطيعون أن يحولوا دونه، ففي بناء الباب على هذه الصورة التي تثير العجب فائدة للأمن وللطوائف المختلفة وحقوقها الدينية».

4. وهذا السلطان هو الذي حاوره القديس فرنسيس الأسيزي، في عاصمته القاهرة، في ظرف صعب بين العرب والصليبيين، عندما قطع المسافة بين معسكر جيش الفرنجة في دمياط إلى معسكر الملك الكامل، الذي منحه فرماناً يخوله ورفاقه الرهبان، التجول في فلسطين وزيارة الأماكن المقدسة بحرية، ومنذ ذلك الوقت، استمر وجود الرهبانية الفرنسيسكانية (حراسة الأراضي المقدسة) في هذه البلاد. وقد اعتبر القديس فرنسيس رائداً في الحوار المسيحي - الإسلامي، وأضفيت عناصر أسطورية على اللقاء الذي تم في عام 1219، وحُبرت صفحات لا تعد عنه وعن طرفيه الراهب المسيحي، والسلطان المسلم، اللذين جمعت بينهما كيمياء خاصة، وأعطيا مثلاً على الحوار والاتفاق، وسط صليل السيوف، ودعوات الكراهية والحرب. ويفخر الرهبان الفرنسيسكان في ديرهم المحاذي لكنيسة المهد، بأنهم يعملون بتلك الروح الذي بثها فيهم فرنسيس الأسيزي، من خلال لقائه الملك الكامل، ونجاحه بالحوار، ودون أسلحة، بتحقيق مراده. خاض الكامل، عدة معارك، على مدى سنوات، مع الصليبيين، بعد رفض الطرف الآخر دعواته لعقد الصلح، ووقع في النهاية، مع الإمبراطور الألماني فردريك الثاني، اتفاقية، تنازل فيها عن أراض في فلسطين، منها القدس وبيت لحم والناصرية، وعرفت الاتفاقية بصلح يافا الذي وقع في 12 شباط 1229. وهو عبارة عن هدنة بين المسلمين والصليبيين لمدة عشرة أعوام وخمسة أشهر وأربعين يوماً. وأثارت الاتفاقية، غضباً شعبياً عارماً على الكامل، الذي دافع عنها. وعلى الطرف المقابل، وُصف فردريك الثاني، الذي كان يجيد العربية، بأنه صديق للمسلمين، وشغوف بالحضارة الإسلامية. وفي تشرين الثاني 2011م، أعلنت مصادر من دائرة الآثار الإسرائيلية، العثور على نقش صليبي بالعربية، في مبنى في تل أبيب، يحمل اسم فردريك الثاني باعتباره ملك القدس، ويعد النقش، الذي عُد نادراً، أسماء المناطق التي خضعت لسيطرته عام 1229م، أي بعد صلح يافا، التي حصنها. والنقش بالأساس كان موجوداً في ميناء يافا القديم.

5. كانت عدة شبابيك مفتوحة في جداري الكنيسة الشمالي والجنوبي، وقد بقيت حتى عهد الصليبيين، ثم سدت بالحجارة لدعم جدران الكنيسة التي تأثرت بفعل الزلزال وعوامل الزمن. ولا تزال أماكن هذه الشبابيك ظاهرة للعيان في جدران الكنيسة من الخارج.
6. عندما دخل عمر بن الخطاب القدس، توجه إلى بيت لحم، وفيها أعطى سكانها أماناً خطياً على أرواحهم وأولادهم وممتلكاتهم وكنائسهم. ولما حان وقت الصلاة، صلى بإشارة من راهب، أمام الحنية الجنوبية للكنيسة، التي أخذ المسلمون يقيمون فيها صلواتهم، فرادى، وجعل الخليفة على النصرى إسراجها وتنظيفها. وهكذا صار المسلمون والمسيحيون يقيمون صلواتهم جنباً إلى جنب. وتقول رواية أخرى في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي: «ولما ورد عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس أتاه راهب من بيت لحم، فقال له: معي منك أمان على بيت لحم. فقال له عمر: ما أعلم ذلك. فأظهره وعرفه عمر. فقال له: الأمان صحيح. ولكن لا بد في كل موضع للنصرى أن نجعل فيه مسجداً. فقال الراهب. إن في بيت لحم حنية مبنية على قبلكم، فاجعلها مسجداً للمسلمين، ولا تهدم الكنيسة. فعفا عن الكنيسة. وصلى إلى تلك الحنية، واتخذها مسجداً. وجعل على النصرى إسراجها وعمارتها وتنظيفها. ولم يزل المسلمون يزورون بيت لحم، ويقصدون إلى تلك الحنية وصلون فيها، وينقل خلفهم عن سلفهم أنها حنية عمر بن الخطاب، وهي معروفة إلى الآن لم يغيرها الفرنج لما ملكوا البلاد. ويقال أن فيها قبر داود وسليمان عليهما السلام».
7. يقع برج يوستنيانس في الجهة الجنوبية من الكنيسة وقد ظهر بصورة واضحة في خارطة مادبا الفسيفسائية التي وضعت في القرن السادس الميلادي وظهرت فيها كنيسة المهد بأبراجها.
8. كان القديس نيقولا أو نيقولاوس اسقفاً في مدينة ميرا في آسيا الصغرى، عاش في القرن الرابع الميلادي عيشة النسك والجهاد والفضيلة في مدينة بيت جالا، وأعطاه الله موهبة عمل الآيات وشفاء المرضى، والإحسان وتقديم الصدقات على المحتاجين خفية. وشخصية سانتا كلوز هي تحريف لاسم القديس نيقولاوس.
9. كان اختفاء النجمة الفضية عاملاً هاماً في الأزمة الدولية التي أدت إلى حرب القرم.
10. إنجيل لوقا، الإصحاح السابع، الآية رقم 2.
11. إنجيل متى 1: 9-11.

12. دخل الفرنجة مدينة بيت لحم بقيادة تنكريد في عام 1099، وفي السنة التالية توج بلدوين الأول فيها ملكا على القدس. وأصبحت بيت لحم أبرشية سنة 1110م. وأعاد الفرنجة تعمير المدينة، وأضافوا حصنا فيها، وأقاموا عمائر مختلفة حول الكنيسة منها رواق القديس جيروم الحالي.

13. ولد القديس جيروم (ايرونيموس) في دلماطيه (جمهورية كرواتيا) نحو عام 347م، ودرس الآداب في روما، لما بلغ الخامسة والعشرين من عمره، قرر أن يحج إلى الأماكن المقدسة، غير أن مرضا خطيرا ألم به أثناء السفر، فأرغمه على الإقامة الطويلة في أنطاكية من أعمال سوريا. وفي عام 381 نجده في القسطنطينية وبعدها في روما حيث جعله البابا داماسيوس الأول سكرتيره الخاص. وفي سنة 386 استجاب لرغبته بالسفر إلى فلسطين. وهنا بقي حت آخر أيام حياته، فصار من حقه أن يقول: بيت لحم وطني المحبوب. وظلت بيت لحم أعز عليه من مسقط رأسه. وظلت أعز عليه من روما، حيث أقام سنين عديدة، كطالب سعيد وحيوي في أيام شبابه، ثم كراهب وكاهن في سنوات بلوغه. وفي روما كان يكتب ويعظ عن الحياة التقشفية والنسكية ويدعو إلى حياة مسيحية أكثر صدقا وأصالة مما كان يثير حفيظة الكثيرين في صفوف الإكليروس والشعب، لا بل في صفوف الرهبان أنفسهم. ويفضل عذاته عن جمال الحياة النسكية، وتفسيره العميق للكتاب المقدس، جذب إليه مجموعة من النسوة التقيّات يتبعنه في طريقة حياته وعدد كبير من الشبان الذين اعتنقوا الحياة المكرسة. وفي بيت لحم انصرف إلى دراسات الكتاب المقدس، من إعادة النظر في ترجمات الكتاب المقدس بعهديه، فقام بالترجمة اللاتينية الشائعة «الفولجاتا» التي تبناها المجمع التريدينيني (1545-1563) فكان لها تأثير بعيد في الترجمات الغربية للكتاب المقدس. أنظر: بيير جورج جناتسا. القديس ايرونيموس مواطن بيت لحم. مجلة اللقاء العدد الثاني 1986-1987

14. ويروي هذه الحكاية السيد أيوب مسلم في كتاب شذرات من كتاب بيت لحم في بطون التاريخ وعلى السنة الرحالة والمؤرخين.

15. عيسى المصو. «كنيسة المهد في بيت لحم»، مجلة جامعة بيت لحم، العدد 1983

16. أيوب مسلم.

17. شجيرة ساقها كثيرة التفرع، تنمو الأجزاء غير المتخشبة شتاءً، وتُعتبر بريّة محمية. وهي نادرة في شمال الضفة الغربية ومنتشرة في جبال الجنوب في فلسطين. لها رائحة عطرية. تحب الحرارة المعتدلة والرطوبة الجوية. تُستخدم كمشروب تُضاف للشاي عادة. لها العديد من الاستعمالات الطبية.

18. إنجيل متى 1: 9-11.
19. إنجيل لوقا 7: 2.
20. جوليا دبدوب، البيوت في مدينة بيت لحم، نشرة صادرة عن متحف بيتنا التلحمي، 1999.
21. إنجيل لوقا.
22. ماريا تريزا بتروزي. بيت لحم. ص 35.
23. سفر الملوك الثاني 23 / 15-17
24. لقد ولدت الصورة الحديثة لسانتا كلوز على يد الشاعر الأمريكي كلارك موريس الذي كتب سنة 1823 قصيدة بعنوان «الليلة التي قبل عيد الميلاد» يصف فيها هذا الزائر المحبب ليلة عيد الميلاد، وفي عام 1860، قام الرسام الأمريكي بإنتاج أول رسم لبابا نويل، كما نعرفه اليوم، بالاستناد إلى القصص الأوروبية حوله. واشتهرت، على أثر ذلك هذه الشخصية في أميركا وبعدها في أوروبا، ثم في سائر أقطار العالم. وفي عام 1881، قام الرسام الأمريكي توماس نيست بإنتاج أول رسم لبابا نويل في إحدى الصحف كما نعرفه اليوم، ببدلته الحمراء الجميلة وذقنه البيضاء الطويلة وحذائه الأسود اللامع، بالاستناد إلى القصص الأوروبية حوله، واشتهرت على أثر ذلك هذه الشخصية في أميركا وبعدها في أوروبا، ثم في سائر أقطار العالم. فهو شيخ محبب ذو لحية بيضاء كالثلج يرتدي ملابس حمراء اللون وصاحب جسم قوي شديد، يركب عربة سحرية تجرها غزلان ومن خلفها الهدايا يوزعها على الأولاد عبر هبوطه من المداخل أو دخوله من النوافذ و شقوق الأبواب، مشيرا إلى دور الأهل في شرح معاني عيد الميلاد الروحية لأولادهم، والتركيز عليها قبل الاهتمام بالهدايا والزينة وسائر الأمور الشكلية كي لا يصبح العيد لبابا نويل وهداياها.
25. خصص غريماس المربع السيميائي، لتجسيد المعنى الذي ينبني على ثلاثة علاقات منطقية: التضاد بين [الشعبي والديني] و بين [التاريخي واللاديني] و التناقض بين [الشعبي والتاريخ] و[الديني واللاديني] والتضمن بين [الديني والتاريخي والشعبي واللاديني]

## المصادر والمراجع العربية:

1. بنورة، توما. تاريخ بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور. القدس: مطبعة المعارف 1982.
2. بندك، عبدالله حنا. ثورة على الظلم أو حكم الخمسة في بيت لحم. د. ت.
3. جقمان، حنا عبدالله. جولة في تاريخ بيت لحم من أقدم الأزمنة حتى اليوم. القدس: مطبعة بطريكية الروم الأرثوذكس، 1984.
4. حموي، ياقوت. معجم البلدان. بيروت، دار صادر، 1957.
5. دليل الحفاظ على المركز التاريخي لمدينة بيت لحم. مركز حفظ التراث الثقافي، بيت لحم، 2014.
6. دومينيكاني، مرمجي ومحمد شراب. معجم بلدانية فلسطين العربية. بيروت، 1948. دمشق، دار المأمون للتراث، 1987.
7. سمور، جورج. بيت لحم عبر التاريخ. بيت لحم، مركز وئام الفلسطيني لحل النزاعات، 2007.
8. شوكة، خليل. تاريخ بيت لحم في العهد العثماني 1517-1917. بيت لحم، 2000، ص 327.
9. شوملي، قسطندي. بيت ساحور: حقل الرعاة وحقل راعوت وبئر السيدة العذراء. بيت ساحور: لجنة بئر السيدة العذراء، مطبعة الأندلس، 2001.
10. التراث الشعبي الفلسطيني: دراسة تاريخية وبيولوجرافية. بيت لحم، منشورات مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 2013.
11. المصو، عيسى. الأدب الشعبي الديني في قضاء بيت لحم. (رسالة دكتوراه). لندن، جامعة لندن 1963.

## المصادر والمراجع باللغات الأجنبية:

1. *Anatreh Quarter: Un Urban and Architectural Study of Bethlehem Quarter. Center for Cultural Heritage Preservation, Bethlehem, 2012.*
2. *Crowfoot, Grace & Baldensperger, Louise. From Cedar to Hyssop. London, Sheldon Press, 1932.*

3. Dalman, Gustaf. *Sacred Sites and Ways*. London, Society for Promoting Christian Knowledge, 1935.
4. Dory, Vincent. *Bethleem*. Imprimerie Edouard Dory. Bruxelles, 1901.
5. El- Ali, Geris. *Bethlehem the Immortal Town*. Jerusalem, 1991.
6. Faber, Fredrick. *Bethlehem*. The Peter Reilly Co. Philadelphia, 1955.
7. *Franciscan in Bethlehem, 1347- 1947*. Franciscan Printing Press, Jerusalem, 1947.
8. Hamilton, R. W. *The Church of the Nativity, Bethlehem, Jerusalem, 1947*
9. *A Guide to Bethlehem, Jerusalem, Azriel Press, 1939*.
10. Harvey, William. *Structural Survey of the Church of the Nativity, Bethlehem*. Oxford University Press, London 1935.
11. Harvey, W. & Others. *The Church of Nativity at Bethlehem*. London, 1910.
12. Hanauer, J. E. *Folklore of the Holy Land*. London, Duckworth, 1907.
13. Hintlian, George, Bargil Pixner. A. Van der Heyden. *The Glory of Bethlehem*. Jerusalem, Jerusalem Publishing House, 1981.
14. Hoade, Eugene. O. F. M. *Guide to the Holy Land*. Jerusalem, Franciscan Printing Press, 1996.
15. Meyonhas, Joseph. *Bible Tales in Arab Folklore*. London, Knopf, 1928.
16. Perowne, Stewart. *The Pilgrim's Companion in Jerusalem and Bethlehem*. Hodder and Staughton.
17. Petrozzi, Maria Teresa. *Bethlehem*. Translated by Godfrey Kloetzly O. F. M. Franciscan Printing Press, Jerusalem.
18. Porter, J. L. *Jerusalem, Bethany and Bethlehem*. Ariel Publishing Co. Jerusalem, 1886.
19. Rene Burri. *In Search of the Holy Land*. Eyre Methuen, London 1979
20. Shomali, Qustandi & Sawsan. *A Guide to Bethlehem & the Holy Land*. Beit- Jala, RAI, 2014
21. Vionnet, M. *Les Eglises de la Nativite a Bethleem*. Byzantion, Tom XIII, 1938.

# حارات بيت لحم القديمة

د. إبراهيم أبو رميس  
فرع بيت لحم / جامعة القدس المفتوحة / فلسطين.

## مقدمة

بيت لحم مدينة قديمة موهلة في التاريخ، حيث تعود أهميتها إلى مولد السيد المسيح فيها ووجود مغارة المهد.

في هذه الدراسة، تناولت أصل التسمية، والموقع الفلكي والجغرافي، ثم نبذة تاريخية حول المدينة، وأهم الأحداث والشخص الذين عاشوا فيها، أو مروا منها.

كما تناولت المدينة في أقوال الرحالة الذين زاروها، ووصفوها في العصور المختلفة، وصولاً إلى القرن الثامن عشر، وحال المدينة وحدودها.

كذلك تناولت البناء في المدينة حتى منتصف القرن الثامن عشر، ونشوء الحارات في شكلها التقليدي، ثم الحارات نفسها وتطورها، ونموها، وعائلات التي ظهرت مع نهاية القرن المذكور.

هذا وقد فصلت لحارات المدينة القديمة قبل التطور العمراني، وذلك بتحديد مواقعها واسمائها التي بلغت تسع حارات، حيث تمثلت الصعوبة في الفصل الكامل بين حدود هذه الحارات المتداخلة في بنائها، إذ إن معظمها قد ارتبط بلورياً - وفي فترة وجيزة - ببعضها بعضاً نتيجة التطور العمراني السريع مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وكذلك تناولت شوارع وطرق المدينة في العصر العثماني، ثم ساحاتها، ومفترقاتها، دون التطرق إلى المستجدات العمرانية الهائلة التي طرأت على المدينة في القرن العشرين وبعده.

## أصل التسمية:

بيت لحم: اسم مركب من مقطعين (بيت) (لحم)، ومعناها بيت الخبز، فالبيت يدل على



الاسم ولحم تدل على الخبز، كما وردت في اللغات السامية كالآرامية والعبرية وعلى مادة اللحم في العربية<sup>(1)</sup>

ذكرت في الواح تل العمارنة<sup>(2)</sup> التي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد بأنها قرية تقع جنوب القدس وتسمى (بيت ايلولاها)، حيث يؤكد مقطعها الثاني للدلالة على الخصب والوفرة كما سميت ب (افراتا) وهي كلمة كلدانية معناها الخصبة<sup>(3)</sup>.

### الموقع الفلكي والجغرافي:

تقع بيت لحم على درجة عرض 31:42 شرق خط غرنتش على هضبة مستوية يتراوح ارتفاعها بين 650 - 780 م فوق سطح البحر<sup>(4)</sup>، ويبعد حوالي 59 كم عن شاطئ البحر المتوسط غرباً و 40 كم شرقاً، وعلى بعد 10 كم الى الجنوب من القدس، وتحيط بها قرية وأراضي صورياهر شمالاً، وقرية أرتاس والخضر من الجنوب و الجنوب الغربي، وبيت ساحور شرقاً، وبيت جالا غرباً<sup>(5)</sup>، حيث توسطت الطرق التجارية والعسكرية بين ساحل البحر المتوسط وغور الأردن لوقوعها على امتداد الطريق التجاري القديم الذي يمتد من بئر السبع الى الخليل ثم القدس، وهي المدينة الاولى على الطريق الفرعي المار إلى قلعة هيروردم وعين جدي ومسعدة زمن الرومان<sup>(6)</sup>.

### نبذة تاريخية:

في الألف الثالث قبل الميلاد دخلت قبائل سامية قادمة من الجزيرة العربية أرض فلسطين، و كانت أهمها القبائل الكنعانية حيث امتزجت بالسكان المحليين، ثم استقرت، واقامت هياكلها الدينية في مختلف أنحاء البلاد، ومن جملتها اقامت هيكل عبادة على راس التلة في المكان الذي تقع عليه مغارة الميلاد حالياً. حيث أقيمت الطقوس الدينية والاحتفالات وقد أطلقوا على معبدهم اسم (بيت لحاما) أي بيت الإله لحاما، وذلك بسبب خصوبة ووفرة المنتجات الزراعية والفاكهة فيها<sup>(7)</sup>.

في المشهد التاريخي عند استعراض تاريخ المدينة، وعند الحديث عن أسماء برزت في فلسطين بما فيها كبار عقائدي اليهوديه لا نتعامل معها كجزء من تاريخ الصهيونية، ولا الديانة اليهودية في الوقت الحاضر بل نتناولها كجزء من تراث الشعب الفلسطيني وتاريخه الذي يشمل الديانة اليهودية قبل قدوم المستوطنين الأوروبيين من ألمانيا وفرنسا وروسيا وغيرها إلى فلسطين في القرن العشرين، الذين لا علاقه لهم بهذا التاريخ او التراث على الرغم من كونهم يهودا فالألماني اليهودي جذوره المانية وليست فلسطينية، واسماء كالنبي داود، او ابراهيم هي اسماء فلسطينيه لا علاقه لها بالتاريخ الروسي اوالفرنسي وعليه فقد سكنت بيت لحم قبل 2500 ق م. وذكر اسمها حين جاءها النبي يعقوب في القرن 12 ق.م بعد خروجه من ببتين الى الخليل، حيث توفيت زوجته راحيل بعد ولادة بنيامين الابن

الاصغر ليعقوب، فقام بدفنها على مشارف بيت لحم ونصب عموداً على قبرها<sup>(8)</sup>. وواصل سيره إلى الخليل حيث شيد القبر لاحقاً على شكل مبنى ثم أقيم عليه مسجد للمسلمين.<sup>(9)</sup>

في نهاية القرن 11 ق م نشبت الحرب بين سكان القرية والملك شاول، الذي قتل فيها، كما كانت بيت لحم مسرحاً لقصة (راغوث) حيث أحببت أحد أقاربها وتزوجت جد النبي داوود وتتحدث الأسطورة أن راغوث رأت جبال مؤاب من بيت لحم تذكرت موطنها وبكت<sup>(10)</sup>.

وفي بيت لحم ولد داود، حيث يسمى أحد آبار المدينة القديمة باسمه شكل 1، حيث عسكر داود بالقرب من بيت لحم قبل احتلالها، وأرسل ثلاثة من جنوده كي يحضروا له ماء من البئر<sup>(11)</sup> كما استلم سليمان الحكم من أبيه (922-961 ق م) الذي قام بتهدئة الشعب وكسب وده حيث ساد السلام، كما لجأ إليها من بعده ابنه ريجبام الذي حوصر فيها عام 937 ق م بعد أن قام بتحسينها، فاستولى عليها شيشاك ملك مصر، حيث أخذت مكانة المدينة بالتراجع<sup>(12)</sup>، ثم برزت بيت لحم للعيان عندما بنى هيرودوس حاكم القدس الروماني 37 ق م قلعة هيرودم المشهورة شرقي المدينة<sup>(13)</sup>.



الشكل (1)

آبار داود.

أما الحدث الرئيس في تلك الحقبة فهو مولد المسيح عليه السلام الذي لجأت به مريم العذراء إلى مغارة المهد، وبعد ذلك وفي عام 103 م أمر الامبراطور هادريان ببناء معبد للاله اودينس فوق كهف المسيح، وفي عام 314 م أمر الامبراطور قسطنطين بحرية العبادة، ثم امر عام 325 م ببناء كنيسة المهد مكان هيكل اودنيس<sup>(14)</sup>.

بني الامبراطور جوستينيان سوراً حول المدينة عام 531، ثم غزا الفرس المدينة ولم يهدموا كنيسة المهد وفي عام 648م دخلت فلسطين في حوزة الدولة الاسلامية، وكتب ميثاق (العهد العمرية) مع بطريرك القدس. ثم احتلها الصليبيون عام 1100 م، وخرجوا الصليبيون منها عام 1187م بعد معركه حطين، وفي عام م 1253 خضعت لحكم المماليك وفي عام 1263م دمر السلطان بيرس سور بيت لحم وأبراجها، وفي عام 1517م خضعت فلسطين لحكم العثمانيين بعد موقعه الريدانية قرب القاهرة<sup>(15)</sup>.

### المدينة في أقوال الرحالة:

زار بيت لحم عبر التاريخ عدد كبير من الرحالة وكتبوا عن بيت لحم ووصفوا الحياة فيها، ففي أواسط القرن السابع الميلادي زارها الرحالة اركولوف، وقال إنها تقع على ربوة ضيقه من الجبال تحيط بها الأودية العميقة من جهاتها الثلاث. حيث يبلغ طول الربوة من الشرق إلى الغرب حوالي جبل واحد، وعرضها من الشمال إلى الجنوب نصف ميل تقريبا وهناك سور منخفض يدون ابراج يحيط بالتلة ويطل على الوادي، وبيوت السكن منتشرة وموزعة هنا وهناك داخل السور<sup>(16)</sup>. وقد زارها ياقوت الحموي عام 1231م وقال « بليد قرب بيت المقدس عامر حافل، فيه سوق وبازارات، ومكان مهد عيسى بن مريم<sup>(17)</sup>، وفي عام 1612م زارها هذري كاستيلا، وقال إنها قرية فقيره وهي شبه خربه، وعند مقارنة أبنيتها القديمة بالمجددة نلاحظ أنها كانت اكبر من وصفها الآن، حيث لم يبق من الأبنية القديمة الا بعض البيوتات الصغيرة التي يسكنها المسلمون و المسيحيون، ويعملون في صناعة الصلبان الخشبية من خشب أشجار الزيتون<sup>(18)</sup>، وقال عنها الرحاله ليونارد باربزين 1621م إنها تقع على تلة ولا يوجد فيها كثير من البيوت إلا أن فيها بعض الأسقف التي يأوي إليها الفقراء من المسيحيين والمسلمين، وان القرية تفتقر الى العظمة السابقة<sup>(19)</sup>، وفي العام 1630م قال عنها الرحالة دي بريفي إنها تقع على تلال طويله وشبه عريضة، ومنطقتها قوية وصلبة وأراضيها خصبة. ووصفها مُحزن حيث يسكنها البؤساء من المسلمين والمسيحيين<sup>(20)</sup> وفي العام 1661م زارها دوفيدان Dovedan وقال: إن لها مدخل وهو باب شرقي مبني من الحجارة المدقوقه الضخمة، وهي حالياً خراب ويؤدي الباب إلى ساحة كبيرة فيها فتحتين لآبار المياه<sup>(21)</sup>، ووصفتها الرحالة ساندي 1673م قائلة إنها تقع على قمة حافة جبل ممتد من الشرق إلى الغرب، وتربتها جيدة، ثم تصف ما شاهده في الكنيسة والأديرة التابعة للروم والأرمن بالإضافة الى الفرنسيسكان، وقالت: إن القرية عبارة عن عدد قليل من الأكواخ الفقيرة، ومعظم السكان من اليونان

والأرمن<sup>(22)</sup>، وقال عنها الرحالة مصطفى البكري الصديقي إن نصف سكان القرية من المسلمين، ونصفهم من النصارى، وهم يصنعون المسابح والصلبان ويبيعونها للزوار<sup>(23)</sup>.

في عام (1703-1704م) زارها الراهب Fugeni، وتحدث عن آبار داود وأن لها ثلاث فوهات، وكذلك مغارة الحليب، وأن لبيت لحم سوراً، وهناك باب للدخول<sup>(24)</sup>، وقال الرحالة اموريسون Morison أن السكان رغم اختلاف دينهم كانوا يعيشون حياة سعيدة مع بعضهم بعضاً، وإن بيوت بيت لحم منخفضه ومبنية بشكل بدائي وسيء، وأنه عليك التوجه الى جهة اليمين الشرقي للقرية حيث الباب الرئيس للدير إذا ما اردت الدخول اليه، كما يتحدث عن الطريق الضيقة، وعن حادث اصطدام حصان بطفل صغير في احدى الطرق الضيقة مما أدى لوفاته<sup>(25)</sup>، وقال عنها الرحالة الفرنسي دي بينوس عام 1725م إن بيت لحم كانت اصغر مدن يهوذا، ولم تتسع مثل بقية المدن على مر العصور، كما تحدث عن الحقول المزروعة حول المدينة<sup>(26)</sup> وزارها الرحالة نو Nau وقال: إنها تستحق المشاهدة والزيارة، وهي حالياً قرية كبيرة، ومسكونة جيداً وإن امتدادها من الغرب الى الشرق على سطح جبل أقل انخفاضاً من جبل القدس<sup>(27)</sup>.

مما تقدم من خلال أقوال الرحالة فإن المدينة في القرن السادس عشر والسابع عشر، كانت صغيرة لا يزيد امتدادها عن نصف ميل. وتمتد من الشرق الى الغرب على هضبة مرتفعة، وإن بيوتها بسيطة وخربة وقليلة، وإن عدد سكانها لا يتجاوز بضع مئات، وهم فقراء يشتغلون في الزراعة البسيطة والأعمال الحرفية القائمة على خشب الزيتون، وهي اثنية المذهب من مسلمين ومسيحيين، يتعايشون سوياً، كما نلاحظ أن المدينة بقيت على حالها، ولم تتطور كما أشار أحد الرحالة اسوة بغيرها من مدن المنطقة او العالم، وربما عاد ذلك إلى ظروف سياسية او عسكرية سادت المنطقة في تلك الحقبة التاريخية.

### المدينة حتى القرن الثامن عشر:

بناء على السرد التاريخي، فقد كانت بيت لحم تجمعاً بدائياً قطن سكانه المغاور والكهوف ثم البيوت البسيطة المحصنة في المرتفعات العالية طلباً للحماية، ثم نزلوا السهول القريبة لرعاية مواشيهم والاستفادة من المزروعات البسيطة<sup>(28)</sup> في الأماكن الصالحة لذلك، ومع تطور المنطقة حفر الناس الآبار بهدف جمع الماء والاستقرار كما أشارت قصة داود عندما طلب شرب الماء من المنطقة المرتفعة، وعلى الأغلب فإن المنطقة حُصنت بطريقة او باخري، سواء في ارتفاعها، او بجدرانها حول تجمعات سكنية بسيطة، حيث كان لبناء المعبد الكنعاني اثره في ذلك، ثم تطورت المنطقة في العهد الروماني وخاصة زمن هيرودس عندما قام ببناء الأبنية العظيمة مثل قلعة هيرودوم كما سبق.

في عام 440م وصف السائح اونجيرييو بيت لحم بأنها تقع جنوب القدس وعلى بعد ستة اميال يحيطها سور في مكان ضيق جدا ومنخفض ودون أبراج، ونستنتج من ذلك ان المدينة سورت في تلك الحقبة وأخذت شكل المدن المحصنة<sup>(29)</sup>، وبما أن السور منخفض ودون أبراج فإن المقصود الحماية من غارات قطاع الطرق، وحفظ المواشي والأمن العائلي من الحيوانات وغيرها، وقال دير هيرونميوس الذي جاء بعد اولجيرو إن السور محروس ببرج<sup>(30)</sup>، مما يدل على إضافة هذا البرج فيما بعد نتيجة تطور المدينة وصراعاتها في الحقبة القبلية، ويذكر ان الظاهر بيبرس دمر سور بيت لحم عام 1263 م<sup>(31)</sup>، وذلك اثناء تصفيته للوجود الفرنجي في المنطقة، حيث يظهر النص أن بيت لحم كان لها اكثر من برج مما يدل على أن الفرنج قد أضافوا أبنية للمدينة بما فيها أبراج المراقبة والحماية، وأن المدينة غدت أكثر تحصنا. وقد رمم السور مجددا ثم هدم ايام الأشرف قايتباي 1489م على يد نائب القدس خضر العفيفي<sup>(32)</sup>، أما عن موقع المدينة في تلك الفترة فقد كان على المرتفع المحصور بين درجات السوق اليوم، صعوداً حتى ساحة المدبسة باتجاه الغرب حيث تشمل الدائرة شارع الفواغرة جنوبا وسوق المدينة الحالي والمنحدر الشمالي الى شارع راس فطيس. مع سور منخفض وأربعة أبواب الأول في الشمال الغربي حيث دير راهبات الوردية اليوم في الثلث الاول من سار راس فطيس، والثاني غربا الى الشرق من الكنيسة الانجيلية، والثالث من الشرق حيث درجات المنحدر باتجاه كنيسة الميلا<sup>(33)</sup>.

وقد تطورت المدينة لاحقا، ولكن ضمن الدائرة الأولى وهذا ما يؤكد أسقف غاليا آر كولوف الذي قال إن البلدة مبنية على حافة تلة تمتد حوالي الف خطوة من الغرب الى الشرق ويحيط بها سور منخفض دون ابراج، وان التلة ضيقه الظهر، مما أجبر الأهالي على بناء بيوتهم في صفوف طويلة من الغرب إلى الشرق حيث يخترق البلدة شارع واحد، وفي نهايته الشرقية توجد المغارة المقدسة بشكل نصف مغاره مسنودة من الداخل بأعمدة، ومسقوفة بالحجارة لتتحمل ثقل الكنيسة الكبيرة فوقها<sup>(34)</sup>، وقال الرحال جريفين افاجارت Affagart عام 1533م إن القرية فقيرة وغير منظمة ولا يحيط بها اسوار، وفيها من 50 الى 60 بيتا مبنية من الحجر والتراب ونصف القرية عبارة عن خراب<sup>(35)</sup>.

حتى نهاية القرن السابع عشر قدّم الرحالة، وصفا متشائما للمدينة، حيث بدت كقرية فقيرة شبه خربه، وبيوتها قليلة، وفيها بعض المسقفات التي يأوي اليها الفقراء (ملاجئ) كما قال عنها بازين 1621م، ثم هي عبارة عن عدد قليل من الأكواخ الفقيرة والمبعثرة كما قال ساندي 1673م، واشترك الجميع في أن سكانها فقراء من المسلمين والمسيحيين، يعملون في بيع التذكارات الصدفية والخشبية.

في القرن الثامن عشر لم يتغير المشهد كثيرا إلا ان الراهب Eugenio تحدث عن سور يحيط بها وعن باب للدخول، في إشارة إلى أن بيت لحم قد أعيد تسويرها في تلك الفترة، كما أشار أ. موريسون إلى بيوت القرية ووصف بناءها بأنه سيء وأن بيوتها منخفضة وبدائية، كما أشار إلى الطرق الضيقة الترابية التي ركض فيها حصان واصطدم بصبي.

في منتصف القرن تحسنت الصورة قليلا ففي عام 1731م قال الرحاله (Nau) إن البلدة تستحق المشاهدة والزيارة، وإنها قرية كبيرة ومسكونة، وقال الرحاله البكري الذي نزل بيت ضيافة بانه تناول الفاكهة والطعام، في إشارة إلى التحسن الذي طرأ على المدينة وسكانها، اما من ناحية حجم المدينة فقد احتفظت بحجمها القديم في تلك المرحلة، والذي لم يتجاوز الهضبة المرتفعة والبيوتات الممتدة أمام كنيسة المهد.

### المدينة في الثامن عشر الى منتصف التاسع عشر (نشوء الحارات):

نتيجة للتحويلات السياسية والاقتصادية في تلك الفترة فقد بدأت المدينة بالتحول والتطور حيث ازداد عدد سكانها، واتجه العمران فيها نحو الحواف الخارجية للهضبة، وتميز بناؤها بالمتانه، وأخذ شكل الكتل العمرانية الكبيرة (الحارات)، حيث اتصلت جدران المساكن ببعضها بعضا، وذلك حول كنيسة المهد في محورين اثنين:

الأول من الجنوب خلف الكنيسة، حيث تكونت حارة العناترة، والثاني في الغرب والذي تمثل بحارة النجاعة، ثم الشمال الغربي والمتمثل بحارة التراجمة<sup>(36)</sup>، وبين المحورين تركت فراغات ومساحات فيما يسمى بالمدينة الفضفاضة.

لقد تم البناء في تلك الفترة على أساس عائلي طائفي، إذ كان من الضروري ان يتجمع ابناء العائلة الممتدة الذين ينتمون إلى طائفه معينه وعلى الأغلب فان بناء الحارات تم بشكل عشوائي، حيث بدأت نواة الحارة ببيت السيد او الشيخ او ثري العائلة (الحمولة)، وقد تكون من طابق واحد أو طابقين، وحجارة كبيرة ومتينه، وجاء شقيقه او ابن عمه او قريبه، وقام باستثمار أحد واجهات المنزل غير النافذة والصق به غرفة او اثنتين، ثم ابن الطائفة الأقرب حيث ألصق واجهة مبنى جديد بالبناء الثاني او الثالث، وهكذا دواليك، حتى تشكلت كتل بنائية كبيرة ذات غرف متعددة، وبطوابق مرتفعة. اتصلت بأدراج شبه عمودية شديدة الانحدار، وبممرات ضيقه (زوايب) توصل إلى البيوت والغرف، وقد تم الأمر باتفاق مكتوب او شفوي.

إن بيوت الحارات متقابلة، وهي متشابهة في النمط وطريقة البناء، ولكل منها مدخل مستقل يؤدي إلى شرفة او مصطبة تطل على الأودية في بيت لحم، حيث خضع البناء لمعايير

اجتماعية، منها أن لا يطل فناء البيت على فناء الجار، وان لا تزرع الأشجار في فناء البيت إذا أدى تسلقها إلى رؤية الآخر، وكذلك يمنع حبس ماء المطر عن الأسطح من الوصول إلى الابار التي حفرت في الحارات، بالإضافة إلى حظر وقوف الجار على سطح بيته الذي يمكنه رؤية جاره، هذا وقد استخدمت تسويات واحواش الحارات المنخفضة في مبيت الماشية ليلاً والتي منعت منتصف القرن الماضي، ومع بدايات القرن التاسع عشر زاد البناء فيها باتجاه الحواف الخارجية للمدينة، وتميزت بيوتها باتصال الجدران، كما بني سور منخفض حول المدينة ثم بنيت خلف السور بيوت الحقول، وهي أبنية تتألف من غرفة أو اثنتين مربعتين يساكنها مزارعو المدينة في اوقات الصيف، وقد تركزت معظم المباني على حواف المدينة أو بعيداً عن مركزها بالقرب من الكنائس والأديرة التي قامت على الأطراف، وكذلك بين الحارات القديمة بإضافات جديدة مما زادها تعقيداً.

### حارات بيت لحم في القرن 18:

تركزت حارات بيت لحم حول كنيسة الميلاذ من جهاتها الاربع، والمقصود بالحارات كتل العمران القديمة والمتداخلة ذات الطابع الجبلي، وليست المنازل المنفردة، او العمارات التي أضيفت فيما بعد بين الحارات، وشكلت نسيج بيت لحم الحالي ويمثل هذه الحارات: الشكلان 1، 2.



الشكل (1)

المدينة القديمة من القرن التاسع عشر



الشكل (2)

مخطط عام للحارات القديمة

### حارة الدير:

وتقع على قمة الهضبة وفيها كنيسة المهد او كتلة الأديرة المتصلة بها، وهي دير الروم ودير الأرض ودير اللاتين والمباني التابعة لها شرقاً حتى المشارف المطلة على بيت ساحور، ثم مجموعة الأبنية التي هدمت عام 1966، والتي كانت تتوسط ساحة باب الدير الحالية، وعلى أطرافها، والتي تعدُّ جزءاً مهماً من تاريخ المدينة وتطورها<sup>(37)</sup> الشكل 3.



الشكل (3)

حارة الدير وساحة المهد القرن التاسع عشر



وقد أقيم على طرف الساحة الجنوبي بناية ضخمة مكان عدد من البيوت والأبنية مثل المبنى العقاري العربي الذي اقيم في الأربعينيات من القرن الماضي على الزاوية الشرقية، حيث اخفت اجزاء من حارة النجاعة، وقد استخدم المبنى مقراً للبلدية في اوائل السبعينيات إلى حين اكتمال المبنى لجديد، وهي الآن مكاتب ومحلات للسنتواري. ثم ازيلت مقبرة (الروم واللاتين) المحاذية للكنيسة من الجهة الشمالية الغربية، وشيد مكانها مسكن للحجاج عام 1904م ثم أزيل وأقيم مكانه فندق (الكازنوبا) في أواخر التسعينيات (38)، كما أقام الروم العرب على طرفها الشمالي فندقاً (بالاس) ومركزاً للجمعية و مخازن تجارية على راس المنحدر المؤدي الى بيت ساحور عام 1933م (39)، ثم (القشله) التركية الى الشمال الغربي من الساحة والتي شيدت في العهد العثماني عام 1873م (40)، ثم ازيلت زمن الانتداب البريطاني بعد احتلالها من قبل ثوار فلسطين 1937-1938م. واقيم بدلا منها عمارة (تجارت) للبوليس البريطاني، والتي استخدمها الاحتلال الاسرائيلي كمركز شرطة حتى خروجه عام 1994م، حيث أزيل وبني مكانه مركز السلام وكذلك مبنى البلدية القديمة الذي أقيم عام 1887م، حيث هدم في اوئل السبعينيات من القرن الماضي، وأقيم مكانه مبنى البلدية الجديد، ثم الجامع العمري القديم الذي شيد عام 1861م ليهدم ويوسع عام 1956، ويقوم في طبقتة الأرضية عدد من الحوانيت (41) الشكل 4.



الشكل (4)

ساحة المهدي

### حارة العناترة:

هي الكتل البنائية القديمة التي تقع جنوب كنيسة المهدي على السطح العلوي المنحدر المؤدي الى الخليفات، والتي تبدأ على بُعد 100 متر من شارع مغارة الطيب الملاصقة للكنيسة من الجهة الجنوبية الشكل 5، حيث يتفرع الشارع نزولاً بممر ضيق باتجاه المنحدر جنوباً، ويلتقي بالشارع المؤدي الى رأس العين أو المسلخ، ثم يتحول الشارع المتفرع الى

درج حجري يستمر نزولاً نحو الوادي مسافة 100 م ثم يتجه شرقاً في حدود 50 م حيث نهاية الحارة القديمة جنوباً، ويستمر شارع مغارة الحليب شرقاً حتى نهاية الدير، من الجهة الجنوبية حيث يتفرع أيضاً باتجاه الجنوب، وهو تفرع يقود إلى الحارة، ويعدُّ حدها الشمالي.



الشكل (5)

شارع مغارة الحليب

وهو مربع سكني متراكب ومكتظ البنيان. فيه الأقواس والأحواش والعلالي والأزقة (الزواريب) والأدراج، مساحته لا تزيد عن 1500 متر مربع. وقد حولت بعض الأبنية القديمة والواسعة إلى مدارس حكومية (كمدرسة العودة) في أيامنا هذه، واستخدمت أيضاً كمركز للشرطة (بيت أمر) الشكل 6.



الشكل (6)

جزء من حارة العناترة

في فترات لاحقة الحقت بمساكن الحارة القديمة بعض الاضافات (كالعلالي) والغرف العلوية، وبعض المساكن والأبنية الحديثة على طول الشارع الشمالي خلف الدير، والتي أخفت الحارة عن المشاهدة المباشرة، ثم عدد كبير من البيوت الحديثة باتجاه الوادي جنوبا وشرقا، والتي تطل على مدينة بيت ساحور. ويطلق اليوم لفظ (العناترة) على المساحات الممتدة خلف كنيسة المهدي، والتي تشرف على بيت ساحور والأراضي الجنوبية نزولاً إلى الخليفات.

عام 1905م نقلت إلى جهة الحارة الشرقية مقبرة الروم واللاتين التي كانت تحاذي كنيسة الميلاد، وكرست غرب مغارة الحليب<sup>(42)</sup>، وأحيطت بأسوار عالية، ثم خضعت الحارة لمشروع إعمار عام 2000، حيث بلطت شوارعها المترية، ورممت أدرجها ومساكنها وأقواسها.

يعود أصل سكان الحارة قديماً إلى القرن السابع عشر الميلادي، حيث قطنتها ثلاث عائلات من منطقته (تل عنتر) إلى الجنوب من جبل الفرديس، وقد اطلق آنذاك عليها حارة (النتش) من كثرة وجود النتش فيها، وهي نبتة برية تستعمل لاشتعال نار الخبز، ومن عائلات القديمة فريخ وقنواطي والبندك<sup>(43)</sup>

وقد تركها سكانها الأصليون بالهجرة، أو التحول إلى مناطق أخرى في بيوت حديثه، ويقطنها اليوم مزيج من السكان الوافدين.

### حارة النجاعة والقواوسة:

وهما حارتان متداخلتان وذات امتداد واحد يصعب فصلهما، حيث تقعان غرب ساحة المهدي، ويعدُّ تفرع الشارع (نزولا)، والذي يقود إلى منطقة (المسلخ) او وادي معالي هو الحد الشرقي للحارات، ويمكن القول إن الحارات تقع على طرف المنحدر العلوي المحصور بين شارع السوق الجنوبي، وشارع وادي معالي باتجاه الغرب، حيث تكدست أبنية الحارات بمحاذاة شارع السوق وعلى المنحدر (شكل 7) وتعدُّ الأبنية القريبة من الساحة هي الاقدم نظراً لطراز البناء المتراكب والمتداخل، وكلما اتجهنا غرباً بعيداً عن الساحة، تظهر الحدائث النسبية لها.



الشكل (7)

شارع النجاعة صعوداً باتجاه السوق يفصل الفرحة عن النجاعة

هذا وتنتهي الحارات القديمة بمحاذاة حارة الفواغرة حيث السوق الحديث، كما يفصل الحارات وامتدادها الحديث نسبياً حتى المدبسة ثمانية أدراج صعوداً ونزولاً، وتقود إلى السوق والمنطقة العلوية، وذلك على الامتداد الذي يتراوح طوله 1 كم تقريباً. وقد اطلق على المنطقة الجنوبية جميعها (وادي معالي) وعلى المنطقة الشرقية أسفل العناترة اسم النجاعة والقواوسه في الخرائط الهيكلية، ومع الزمن حدث تطور هائل على البناء في تلك المنطقة، حيث أقيمت الأبنية الحديثة على طول شارع وادي معالي جنوباً، ثم المنطقة حتى دير الكرمل غرباً الذي أنشئ عام 1876 حيث أخفت الأبنية الحارات القديمة خلفها كما ان البناء الحديث المضاف الى الحارات نفسها، وفي المساحات الفارغة، غيب النمط القديم حيث لم يعد المر في الشارع يميز الحارات القديمة من غيرها. الشكل 8، والشكل 9.



الشكل (9) حارة القواوسة



الشكل (8) شارع النجاعة

مرت بمحاذاة الحارات القديمة، وعلى اطرافها الجنوبية قناه السبيل الحجرية، ثم استبدلت بأنايب الحديد عام 1901م في عهد السلطان عبد الحميد<sup>(44)</sup>، حيث ما زال (المبنى) مصب الماء الرئيس (راس العين) قائماً على زاوية الشارع المنحدر جنوباً بين حارة العناترة والنجاعة، ولكنه غير مستخدم، ومنه كان يرتوي سكان بيت لحم بالمياه قبل الشبكة الحديثة. الشكل 10



الشكل (10)

راس العين

يعود أصل سكان الحارات إلى (الغساسنة) الذين قدموا من شمال اليمن من منطقة نجران، ولهذا سميت (بالنجاعة) نسبة الى مكان الهجرة الأصلي، ثم انضمت اليهم عائلات عدة تسمى (بالغثابرة) الذين جاءوا في الزمن الصيلبي، ومن عائلاتهم، العلي، بعبيش، مرقص، انسطاس،<sup>(45)</sup>، ومن عائلات القواوسة، قواس، ثلجية، ابو عليص، اللوصي<sup>(46)</sup>

### حارة الفواغره:

تمثل رأس الهضبة، حيث تداخلت جدران بيوتها، مع جدران حارة الفرحية خلف السوق مباشره، وتمتد بيوتها نحو الغرب خلف الكنيسة اللوثرية (الالمان) التي بنيت عام 1893م<sup>(47)</sup>، ويفصلها عن حارة الفرحية شمالا الشارع المؤدي الى المدبسة الشكل 11، وعن حارة العناترة والقواوسه شارع الفواغره (السوق)، وهناك بعض بيوت الفواغره القديمة تداخلت باتجاه حارة العناترة قبل شق الشارع (شارع الفواغره) على صورته الحالية، وهي حارات على نفس نمط بناء اواخر الفترة العثمانية، حيث تتكدس الكتل

البنائية والأحواش والازقة، ويعود اصل سكانها الى قرية (فاغور) المهجرة، والتي تقع خلف برك سليمان وقد هدمت بيوت الحارة على يد ابراهيم باشا نتيجة مقاومتهم الشديدة لجيشه عام 1831م<sup>(48)</sup>، الا انهم عادوا بعد اندحار جنوده، ومن عائلاتهم، الهريمي وشوكة، وزيادة وكنعان<sup>(49)</sup> الشكل 12.



الشكل (11) الشارع الذي فصل بين حارة الفواغرة والفرحية

الشكل (12) داخل حارة الفواغرة

### حارة الفرحية:

وتقع شمال غرب ساحة المهدي، وتتكون من مجموعة الكتل، التي تقع خلف الجامع والتي يفصلها شارع المهدي في اتجاهين شرقي وجنوبي، وحتى سوق الخضار، وشارع الفواغرة الحالي ثم تدور المباني الى شارع راس فطيس (النجمة حالياً) او الشارع القديم حتى درج (السالزان) . حيث هدم عدد من البنايات خلف الجامع عام 1956 وأقيم بدلا منها عدد اخر جديد على طول الشارع من الجهة الجنوبية<sup>(50)</sup>. الشكل 13، 14



الشكل (13،14):

حارة الفرحية

وقد اقيم سوق المدينة مكان عدد من ابنية (الفرحيه) المهدمة في زلزال عام 1927م<sup>(51)</sup>، وعلى طرف الحارة الغربي شيد السالزيان عمارة ضخمة بالقرب من الدير في المدبسة، ووسعوا المدرسة الصناعية، والمخيز<sup>(52)</sup>، وقد هدمت البنايات القديمة المحاذية (لشارع المهد) الشارع الجديد غرب مدرسة ماريوسف صعودا الى كنيسة المهد، وعلى امتداد الشارع الذي يعطف شرقا (شارع القدس بيت لحم) وأقيمت مكانها أبنية حديثة، حيث اختفت خلفها الأبنية القديمة إلا أن الممرات والأدراج الصاعدة إلى قلب المدينة، وشارع (راس فطيس) ما زالت قائمة كدرج (حنانبا) - الشكل -14 شرق المدرسة المذكورة، والحارة مزيج معقد من الأبنية المتراكبة والأحواش ذات الشكل البلوري.



الشكل (14)

قوس درج حنانبا

في أوائل العشرينيات، اشترت طائفة السريان منطقة مردومة غرب ساحة النجمة، وأزلت القسم الشرقي من الخربة (في حارة الفرحية) وأقامت كنيسة العذراء السريان عام 1926م ثم توسعت الطائفة بشراء عدد من المنازل المهجوره في حارة القرقيه، والمجاورة للكنيسة حيث أزيل الردم، ورممت المنازل، ووسع الشارع الذي يتألف اليوم من درجات السوق والطوابق الذي يتوسطها صعوداً الى المدبسة، حيث كانت الطريق الأصلية ضيقة ولا تزيد عن ثلاثة امتار

تتداخل حارة الفرحيه مع حارة التراجمه والحريزات شمالا في منطقة رأس فطيس»  
قدم سكانها من وادي موس شرقي الأردن، ثم لان بهم آخرون، حيث تنتسب الحارة الى

أحد الوافدين (فرح)، ومن عائلاتها المعروفة، جاسر، مسلم، عتيق، الأعمى، ثم انضمت إليها عائلات أخرى كالجعار وقطان<sup>(53)</sup>.

### حارة التراجمه والحريزات:

وتقع شمال ساحة المهدي، غرب منطقة (قوس الزرارة) الشكل 15، ثم شمالا مجاورة لشارع المهدي، وتقرب من منطقة آبار النبي داوود، وتتداخل مع ابنيه حارة الفرقيه. ويعود اصل سكانها الى زمن الصليبيين الذين قدموا من ايطاليا، وفرنسا، وعملوا في الترجمه للسياح، والحجاج ثم تصاهروا مع سكان بيت لحم، واختلطوا بهم، ومن عائلاتهم بطارسة، وسوادي وسمعان وابو العراج، وفي نهاية تجمع الترجمه وبعيدا عنها شيدت بنايات العمل الكاثوليك حول ابار النبي داوود<sup>(54)</sup>، كما تأسست مدرسة راهبات الوردية عام 1879 غربي الحارة



الشكل (15)

### حارة التراجمة

اما الحريزات فهي حارة صغيرة تتصل مع التراجمة، وتتداخل مع الفرقيه<sup>(55)</sup>، وتقوم بناياتها شرق قوس الزراره واسفل شارع النجمه الحالي، وحتى شارع المهدي في بقعة محدودة، وعلى طرفها الشمالي، وفي أسفل المنحدر أقيمت مدرس راهبات ماريوسف عام 1842م<sup>(56)</sup>، ويعود أصل سكانها الى قرية (ام طوبا) جنوب شرق القدس وشمال جبل ابو غنيم، ومن عائلاتها الحزين، وابو حمامه وقسيس<sup>(57)</sup> الشكل 16.





الشكل (16)  
الحريزات

### الشوارع والطرق في بيت لحم القديمة (اواخر العصر العثماني):

يوجد في بيت لحم شارع رئيس واحد يقود الى كنيسة المهد، (شارع النجمة) اليوم، وهو يبدأ من ساحة المهد، ثم ينعطف نحو الشمال الى قوس الزرارة، وفيما بعد الى آبار النبي داود حيث المدخل الشمالي لبيت لحم، ومن ساحة النجمة أيضا بصعد الشارع نحو السوق (شارع بولس السادس)، ومن ثم الى ساحة المدبسة، وينتهي ما قبل تقاطع مبنى السالزيان الذي اقيم عام 1850م

الشارع الرئيس الثاني (النجاجرة) يبدأ من ساحة المهد صعوداً بجانب جامع عمر وينعطف إلى حارة النجاجرة والسوق، وقوس العبد ثم حارة الفرحية وينتهي بانتهاء حارة الفواغرة ثم فتح الشارع بعد التحديث من ساحة المدبسة، باتجاه الغرب نزولاً الى باب الزقاق.

الشارع الثالث يبدأ من ساحة المهد نزولاً باتجاه الجنوب، حيث عين الماء (قناة السبل) ويتفرع الى فرعين شرقي باتجاه حارة العناترة، وغربي باتجاه امتداد القناه جنوب حارة النجاجره ويسمى حالياً بشارع وادي معالي.

تتصل الشوارع بشوارع فرعية مثل شارع الفرحية الذي يوصل شارع بولس السادس مع شارع النجاجره، كما تتصل الحارات مع الشوارع الرئيسية او الفرعية بممرات فرعية، مثل شارع الفواغره الذي يصل بولس السادس مع النجاجره، ورسمها في الغالب على شكل حرف (T) او (+)، وهي تنتهي إلى أدراج تطل على الوديان حول المدينة

## الساحات والمفرقات:

توزعت الساحات باتجاه الغرب، حيث تبدأ من ساحة باب الدير نفسها- ثم ساحة النجمة صعوداً باتجاه الغرب أيضاً إلى ساحة الدبسة الذي أخذ شكل Y. وقد كانت الشوارع متربة على مر العصور، باستثناء ساحة المهد التي بلطت في عهد مختلفة إلى بدايات القرن العشرين.

## الخاتمة:

تعدُّ حارات بيت لحم طرازاً فريداً للبناء الجبلي، حيث الأصالة والتفرد، وهي تشكل نموذجاً جميلاً لأنماط حياة أو ثقافة مميزة. وقد أسهم التوسع العمودي، والإضافات التقليدية - حتى منتصف القرن العشرين - على بيوت الحارات القديمة نمطاً عمرانياً مهنياً، حيث أخذت المدينة القديمة شكلها البلوري، فظهرت الحارات كقلاع متداخله حصينة يصعب اقتحامها. ومما زاد في ذلك وجودها على قمة الهضبة.

إن التوسع الحديث للعمارة وعمليات الهدم العشوائي على الابنية القديمة في جزء من الحارات، وكذلك إخفاء الواجهات القديمة بمبانٍ عالية حديثة قد شوه صورة المدينة التقليدية.

هذا وما نشاهده حديثاً في شارع المهد المؤدي إلى الكنيسة، حيث أخفى بيوت حارة الفرحية، وكذلك العشوائية في أبنية المنحدر المؤدي إلى المسلخ، وشارع مغارة الحليب الذي أدى إلى إخفاء حارة العناترة، ثم الشارع الحديث على طول شارع وادي معالي الذي أخفى حارة العناترة والقواوسة. وكذلك حركة التجارة الكثيفة في شارع الفواغرة، حيث تحولت البيوت القديمة إلى متاجر حديثة.

ثم الأبنية في شارع المدبسة الذي أخفى أنماط البناء التقليدية لحارة الفرحية من تلك الجهة.

من الجيد أن تقوم بعض المؤسسات بإعمار أجزاء من الحارات القديمة، كما حدث في مباني الفرحية الواقعة خلف حارة السريان، وشارع رأس فطيس (المهد حالياً) وذلك عبر ترميمها وحفظها، وبالذات مشروع بيت لحم 2000، رغم اغفاله العديد من الأماكن في المدينة من الإعمار.

إن بيت لحم وحاراتها منطقة جديرة بأن تعدُّ تراثاً عالمياً تشرف عليه (اليونسكو) وتحافظ عليه.

## الهوامش:

1. مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطينية ج 1 ، 1988 دار الطبيعة ، بيروت، ص 402.
2. تل العمارنة مدينة قديمة في مصر بناها أخناتون حوالي 1375 ق. م، اكتشفت فيها رسائل العمارنة، وهي مجموعة رسائل دبلوماسيه تبادلها بعض ملوك اسيا مع امنحوتب الثالث واخناتون باللغة الأكادية، وبالخط المسماري على الواح طينية، البعلبكي موسوعة الموارد العربية، ط1، ج2، بيروت 1990، ص332.
3. توما بنوره، تاريخ بيت لحم، بيت جالا، بيت ساحور “أفراتا” القدس 1982، ص11.
4. وليد مصطفى، بيت لحم قصة مدينة، سلسلة المدن الفلسطينية (9) تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، بدون تاريخ، ص 7.
5. شرين عليان، نماذج من البيوت التقليدية في مدينة بيت لحم خلال الفترة العثمانية ” دراسة تاريخية معمارية أثرية“ رسالة ماجستير جامعة القدس 2007، ص7.
6. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص9.
7. حنا جقمان، جولة في تاريخ الأراضي المقدسة، بيت لحم، مطبعة بيت لحم 1994، ص 34.
8. وليد مصطفى، بيت لحم قصة مدينة، ص 12.
9. شرين عليان، نماذج من البيوت التقليدية، ص 11.
10. حنا جقمان، جولة في تاريخ الأراضي المقدسة، بيت لحم، ص 50-52.
11. جورج سمور: يت لحم عبر التاريخ، بيت لحم 2007، ص 14.
12. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص15.
13. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص20.
14. خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني 1517-1917، بيت لحم، 2000م، ص15.
15. خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني، ص15-18.
16. Arculf Early Travels in Palestine, 700 A. D, p. 6.
17. ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، ج1، ص521.

- Henry Castela, LeSaint Voyage De Hierusalem et Mont Sinay .18  
1600,Paris,pp389- 430
- Bernard parisien Le voyage de hierusalem et Autres Lieux De la Ter- .19  
ra Saint Paris 1621 pp119- 129
- De Breves, Relations Des Voyages Faits en Hierusalem, Terra .20  
Sainte,Paris,1630, pp. 170- 193
- R. A. S Macalister, A Tumult in Jerusalem in 1652. PEF,1923,pp. 185- .21  
195
- Sandys Travels Containing an History of the Holy Land London .22  
1673, p192- 196
- مصطفى البكري الصديقي، الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية الموسوعة الفلسطينية .23  
القسم الثاني ص 762.
- خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني، ص 109. .24
- خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني، ص 109. .25
- خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني، ص 110. .26
- خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني، ص 111. .27
- شرين عليان، نماذج من البيوت التقليدية، ص 33. .28
- بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 34. .29
- بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 34. .30
- خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني، ص 15-18. .31
- بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 34. .32
- بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 53. .33
- بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 38. .34
- Affagart, G. Relation De Terre Sainte, Paris 1902. p129- 131 .35

- Revault,F, Santelli, S, Maison de Bethleem, Maisonneuveand Larose1997 pp16- 25 .36
37. حنا عبدالله جقمان، جولة في تاريخ الارض المقدسة من اقدم العصور حتى اليوم القسم الأول- الجزء الاول، بيت لحم 1994، ص 97.
38. حنا عبدالله جقمان، جولة في تاريخ الارض القسم الأول- الجزء الاول، ص 97.
39. جورج سمور، بيت لحم عبر التاريخ ص 35.
40. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 96.
41. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 77-88 .
42. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 80.
43. جورج سمور، بيت لحم عبر التاريخ ص 49.
44. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 79.
45. جورج سمور، بيت لحم عبر التاريخ، ص 46.
46. جورج سمور، بيت لحم عبر التاريخ، ص 50.
47. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 137.
48. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 67، خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني، ص 15-18.
49. جورج سمور، بيت لحم عبر التاريخ ص 52.
50. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 77-78.
51. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 77.
52. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 78.
53. جورج سمور، بيت لحم عبر التاريخ ص 47-48.
54. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 77-79.
55. جورج سمور، بيت لحم عبر التاريخ ص 50.
56. بنوره، تاريخ بيت لحم، ص 77-78.
57. جورج سمور، بيت لحم عبر التاريخ ص 51.

## المصادر والمراجع:

1. البعلبكي موسوعة الموارد العربية، ط1، ج2، بيروت 1990.
2. توما بنوره، تاريخ بيت لحم، بيت جالا، بيت ساحور "أفراتا" القدس 1982.
3. جورج سمور: بيت لحم عبر التاريخ، بيت لحم 2007.
4. حنا جقمان، جولة في تاريخ الأراضي المقدسة، بيت لحم، مطبعة بيت لحم 1994.
5. خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني 1517-1917، بيت لحم، 2000م.
6. شرين عليان، نماذج من البيوت التقليدية في مدينة بيت لحم خلال الفترة العثمانية "
7. راسة تاريخية معمارية أثرية" رسالة ماجستير جامعة القدس 2007.
8. مصطفى البكري الصديقي، الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني
9. مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطينية ج 1 ، 1988 دار الطبيعة ، بيروت.
10. وليد مصطفى، بيت لحم قصة مدينة، سلسلة المدن الفلسطينية (9) تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، بدون تاريخ.
11. ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت 626هـ - 1228 م) معجم البلدان " 5 أجزاء، دار صادر من بيروت (بدون تاريخ) .

1. Arculf Early Travels in Palestine, 700 A. D.
2. Affagart, G. Relation De Terre Sainte, Paris 1902
3. Bernard parisien Le voyage de hierusalem et Autres Lieux De la Terra Sainct Paris 1621
4. De Breves, Relations Des Voyages Faits en Hierusalem, Terra Saincte, Paris, 1630.
5. Henry Castela, Le Sainct Voyage De Hierusalem et Mont Sinay 1600, Paris
6. R. A. S Macalister, A Tumult in Jerusalem in 1652. PEF, 1923.
7. Sandys Travels Containing an History of the Holy Land London 1673.
8. Revault, F, Santelli, S, Maison de Bethleem, Maisonneuve and Larose 1997



# خصائص المساكن القديمة في مدينة بيت لحم

د. محمد الخطيب

أستاذ مساعد/ دائرة الجغرافيا ودراسات المدن/ جامعة القدس/ فلسطين.

## ملخص:

تشكل المدن القديمة في فلسطين جزءاً مهماً من التراث الفلسطيني المادي الذي يعود لآلاف السنين، وهو شاهد على أصالة الشعب الفلسطيني وعمق تراثه، فالمدن ليست بالظاهرة الحديثة في فلسطين بل هي ظاهرة لها جذورها العميقة، حيث شكلت بيئة اجتماعية، وثقافية، واقتصادية لسكانها توافرت فيها جميع عناصر الاستقرار وعلى رأسها السكن الذي يعدّ من الأمور الأساسية التي توفرها المدن، وقد جاءت هذه الدراسة للتعرف إلى خصائص المساكن القديمة في مدينة بيت لحم باعتبارها الجزء الأهم من التراث المادي، وسيتم التعرف إلى خصائص المسكن من حيث الملكية وعدد الطوابق ومادة البناء والخدمات المتوافرة في المسكن بهدف إجراء عملية تقويم لهذه المساكن، كما يسعى البحث إلى التعرف إلى أهم المشكلات التي تواجه السكان المقيمين في المساكن القديمة من أجل تقديم الدعم لرمودهم وبقائهم في هذه البيئة الحضارية التي تشكل معلماً من معالم التراث المادي الفلسطيني، حيث هناك توجه عالمي نحو الحفاظ على المباني التاريخية والاهتمام بها، ولا يخفى على أحد بأن التراث الحضاري الفلسطيني بجوانبه كافة يتعرض إلى هجمة بربرية تهدف إلى طمس ملامحه، وستعتمد الدراسة على المنهج التاريخي والوصفي، بالإضافة إلى استخدام استبانة وفق عينة يتم اختيارها لتمثل مجتمع الدراسة المتمثل بالمساكن القديمة في مدينة بيت لحم، كما سيتم استخدام بعض الصور الفوتوغرافية التي توثق خصائص المساكن القديمة، وإجراء بعض المقابلات مع المسؤولين حول الموضوع إن لزم الأمر.

الكلمات المفتاحية: التراث المادي، المساكن القديمة، المدن القديمة.



## مقدمة:

تتميز التجمعات الحضرية (المدن) في فلسطين بقدمها، وهذا يعطيها أهمية حضارية كونها أصبحت وعاءً حضارياً ضمّ في ثناياه العديد من الحضارات ومنجزاتها المادية والثقافية، الأمر الذي يدفع باتجاه ضرورة الاهتمام بهذه المدن التي أصبحت تشكل جزءاً من التاريخ الحضاري الإنساني في فلسطين، كما أن للوضع السياسي المتمثل بوجود الاحتلال الإسرائيلي الذي يعمل ليل نهار على طمس معالم التراث الحضاري الفلسطيني بجزئياته كلها، ولا يستثنى شيئاً من هذه المحاولة سواء أكان بطريقة مباشرة أم غير مباشرة.

وقد ركزت الدراسة على مفهوم المناطق القديمة في المدن وما تحتويه من عناصر بشرية تتمثل في السكان، وعناصر مادية تتمثل في المساكن القديمة التي يتواجدون فيها بالإضافة إلى البيئة الحضرية وما تحتويه من عناصر أساسية تدعم صمود وبقاء السكان فيها كالخدمات والمرافق والمشكلات المكانية التي تعاني منها الأحياء القديمة في مدننا، بهدف التعرف إلى نقاط القوة والضعف ووضع الخطط التنموية التي تضمن توفير احتياجات السكان وحل مشكلاتهم وعدم الاكتفاء بالحديث عن هذه المناطق من أجل السرد والأرقام الإحصائية، بل من أجل صياغة توجه عام واعتماده، لدى الجهات المعنية بكيفية التعامل مع هذه المناطق القديمة وتفعيلها لتكون جزءاً له دوره وأهميته في المدن، لا أن يعامل كجزء منفصل مع ضرورة إعطائه صفة الخصوصية نظراً لبعده الحضاري، فلا يخفى على أحد أن المباني القديمة تعاني من مشكلات كضيق المكان وسوء التهوية، وانقطاع بعض الخدمات الأساسية، وبمعنى آخر نحن بحاجة إلى إجراءات عملية شاملة تأخذ هذه المناطق ضمن سياسة وطنية عامة، تستند على دراسات تفصيلية عن واقع هذه المناطق التي تعتبر في معظمها مناطق سكنية مأهولة.

إنّ هذا التوجه المتمثل بالاهتمام بالمناطق القديمة ليس بالحديث، ولا بالتوجه المحلي الذي يخص المدن القديمة في فلسطين، وإنما هو توجه عالمي وهناك عدد كبير من الدول قد قطعت أشواطاً طويلة في هذا المجال من خلال إقامة مراكز بحثية ودراسات، وتجنيد الأموال داخلياً وخارجياً للحفاظ على المناطق القديمة كونها تشكل إرث حضاري ثمين، وفي النهاية إن أي إنجاز وطني سيتحقق في الحفاظ على الأبنية التاريخية القديمة في فلسطين سيكون من خلال وضع الخطط التي لا يمكن نجاحها بمعزل عن اتخاذ قرار سياسي وطني يكون بمثابة إطار ينجح هذه العملية.

## مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في أمور عدة من أهمها: أعداد المساكن القديمة حيث تشير الدراسات إلى أن عدد المساكن القديمة بلغ 690 مسكناً حسب ما نشره مركز رواق حول مسح المباني التاريخية (www.riwaqregister.org). أي بنسبة 14% من مجموع المساكن في مدينة بيت لحم، والبالغ 5002 مسكن (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2009، ص 48). إذا ما علمنا أن نسبة الاستخدام السكني في المدن العربية يتراوح بين 40-50 %، وهذا يتطلب إعطاءها نصيباً أكبر من الدراسات، وبيان خصائصها والمشكلات التي تواجهها، كما أن هذه المساكن تعاني كثيراً من التجاوزات المتمثلة في هدمها وإحلال مبانٍ جديدة مكانها، بناءً على معايير يضعها بعض السكان المستثمرين، فبعض السكان يرون أنها تفتقر إلى مقومات المسكن الملائم نتيجة الإهمال المقصود وغير المقصود، أما المستثمرون، فيدعون بأن هذا النمط من المساكن لا يتماشى مع النمط الحديث للمساكن، فيشرعون في إزالتها لتحقيق مكاسب مالية صرفة، وهناك أمر آخر في غاية الأهمية ويتمثل في حالة الضبابية التي تسود عند المسؤولين في كيفية التعامل والتعاطي مع هذا الموروث الحضاري، فتارةً يمنعون المساس بها بحجة مكانتها وأهميتها وهذا يبرر في كثير من الأحيان عدم صيانتها وتطويرها، وتارةً يعملون على الموافقة على إزالتها حيث أصبحت تعاني من حالة مدّ وجزر بين الحداثة والتقليد.

## منطقة الدراسة:

يمكن تحديد منطقة الدراسة في المساكن القديمة الموجودة داخل النواة العمرانية القديمة لمدينة بيت لحم، والتي تضم معظم المساكن القديمة، إضافة إلى المساكن القديمة المنتشرة في أرجاء المدينة.

## أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

1. التعرف إلى خصائص المساكن القديمة في مدينة بيت لحم باعتبارها جزءاً من التراث المادي في فلسطين.
2. تسليط الضوء على الممارسات والتحديات التي تتعرض لها المساكن القديمة، كما تهدف للتعرف على أهم المشكلات من وجهة نظر السكان التي تهدد بقاءهم وتهدد الوجود المادي لهذه المساكن.

3. تقويم الوضع الحالي للمساكن القديمة بناء على دراسة خصائصها وإطلاع المسؤولين وأصحاب القرار على واقعها من أجل وضع السياسات الي من شأنها الحفاظ على هذا الموروث الحضاري.

### منهجية الدراسة:

لجأت الدراسة إلى استخدام المنهج التاريخي والوصفي، بالإضافة لاستخدام أداة الاستبانة لجمع المعلومات والبيانات عن خصائص المسكن القديم في المدينة، حيث تم اللجوء إلى عينة عشوائية ميسرة بلغ حجمها 100 استبانة، ورُعت خلال الفترة (23-19 أيار 2014)، كما أستخدمت بعض الصور الفوتوغرافية لتوثيق خصائص المساكن القديمة.

### الدراسات السابقة:

تزخر المكتبة بالعديد من الدراسات التي تتحدث عن المباني القديمة في فلسطين ومن هذه الدراسات:

دراسة (عتمة، 2007). بعنوان: «إعادة تأهيل المباني التاريخية في فلسطين - حالة دراسية: تجربة مدينة نابلس منذ عام 1994». هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على إعادة تأهيل المباني القديمة كأحد الأساليب الأكثر شيوعاً، وعلى أهم الجهات المحلية العاملة في هذا المجال خلال الفترة 1994-2007، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات منها: عدم وجود مشاريع متكاملة لتأهيل المباني القديمة في مدينة نابلس وإنما هي عملية اصلاح فقط، بالإضافة إلى أن عملية الترميم كانت بشكل عشوائي في المساكن والمحال التجارية اقتصرت على امكانيات أصحابها المادية، وقد أوصت الدراسة لضرورة تحسين عملية الترميم وإعادة التأهيل في المدن الفلسطينية كماً ونوعاً، وإلى أهمية اشراك القطاعات غير الرسمية في عملية إعادة التأهيل للمباني القديمة.

دراسة (الحنبلي، 2005). بعنوان: «التخطيط واستراتيجيات إعادة إعمار وتطوير الوسط التاريخي لمدينة نابلس». تناولت الدراسة التراث الثقافي الفلسطيني المتمثل في الوسط التاريخي لمدينة نابلس، والتي تشمل أسس الحفاظ والتطوير من الناحية النظرية والتحليلية لواقع الوسط التاريخي للمدينة، ومن ثم تقويمه والخروج باستراتيجيات واضحة لعملية الإعمار و التطوير، وعمل مخطط حضري شامل للمدينة.

دراسة (الجنابي، 1982). بعنوان: «التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة - دراسة في جغرافية المدن». ركزت الدراسة على التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة لمعرفة

تأثيرها على المدينة بشكل عام، كما هدفت على وضع الحلول والمقترحات لأهم المشكلات الموجودة في التركيب الداخلي للمدينة القديمة، وقد توصلت الدراسة إلى استنتاجات عدة مفادها أن المنطقة القديمة تضم 50% من المحال التجارية والخدمية، وأن سكان المدينة القديمة يشكلون 26% من المجموع الكلي لعدد سكان مدينة الموصل.

دراسة (الفران، 2004). بعنوان: «الخصائص والعناصر البصرية والجمالية في المدينة- دراسة تحليلية لوسط مدينة نابلس». هدفت الدراسة إلى تحليل الخصائص البصرية والجمالية لوسط مدينة نابلس، ومن ثم وضع الحلول والمقترحات التي تهدف لتطوير المدينة وفق أسس ومعايير علمية، تتضمن جميع المؤثرات البصرية والجمالية في وسط المدينة، والتي تشمل الفراغات الحضرية، والطراز المعماري، وقد توصلت الدراسة الى ضرورة إزالة المناطق العشوائية المسببة للتشويه البصري، وضرورة سنّ قوانين و تشريعات لحماية المناطق التاريخية والأثرية في المدينة، كما أكدت الدراسة على ضرورة ترميم وصيانة المباني الحضارية والثقافية.

دراسة (أبو دقة، 2010). بعنوان: «المدن التاريخية المأهولة في العالم العربي - حالة دراسية مدينة صيدا». تناولت الدراسة تشكيل البنية الداخلية لمدينة صيدا القديمة، وأعمال الصيانة والمحافظة على تراث ومعالم المدينة القديمة، وأهمية الاستثمار السياحي داخل المدينة القديمة في إطار خطة شاملة لتنمية المدينة، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها: أن النمو والامتداد العمراني المتسارع في المدن العربية أدى إلى إهمال مكانة التراث العمراني القديم وأهميته، وأصبح من غير الممكن الحفاظ على التراث العمراني القديم إلا من خلال اقامة مشاريع الحفاظ على التراث في سياق التنمية العمرانية المستدامة، ومحاربة الفقر من خلال تنشيط التنمية المحلية.

دراسة (صبري، 2012). بعنوان: «تخطيط وعمارة المدينة الإسلامية مدينة دمشق القديمة - نموذج حضري لقمة التعايش والتعامل في المنظور الإسلامي». هدفت الدراسة إلى التعريف بمجالات الابداع والتميز التخطيطي للعمارة الإسلامية والأسس التخطيطية للمدينة العربية، وقد خلصت الدراسة بأن للعقيدة الإسلامية دوراً أساسياً ينعكس على النسيج الحضري، وأن قوام المدينة قد بني على أساس العلاقة القائمة بين سكانها وعلى أساس التعايش والتعامل الحضاري، كما أكدت على ضرورة الحفاظ على الشكل المعماري للمدينة القديمة وتطويره من خلال توفير الخدمات اللازمة، وانه لا بد من التعامل مع المدينة القديمة من ناحية تخطيطية تحمل أبعاد حضارية.

دراسة (العساسفه وآخرون، 2007). بعنوان: «التجديد الحضري كأسلوب لمعالجة مشاكل مراكز المدن - حالة دراسية مدينة الكرك القديمة في الأردن». هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على المشكلات التخطيطية التي تعاني منها مدينة الكرك القديمة ومعالجتها من فرضية مبدأ التجديد الحضري الذي يقوم على التأثير المتبادل بين اجزاء المدينة والعلاقة التكاملية بينها، ومن أهم نتائج الدراسة أنّ عشوائية الاستخدامات وتداخلها دفع الجهات التخطيطية إلى اعتماد صفة الاستخدام التجاري للمدينة القديمة، الأمر الذي يسهم في تفتيت الملكية وارتفاع أسعار الأراضي، وأن العامل الثقافي المتمثل في قلة الوعي أدى إلى احلال مباني حديثة مكان الأبنية التراثية، ومن أهم التوصيات: ضرورة إجراء مسح ميداني شامل لحالة المباني السكنية والتجارية، وتوفير مصادر لتمويل تنفيذ مشاريع التجديد الحضري.

دراسة (أبو هنتش، 2007). بعنوان: «نحو سياسة إعادة تأهيل المباني السكنية في مراكز المدن الفلسطينية - حالة دراسية نابلس». ركزت الدراسة على إشكالية المباني السكنية التقليدية في تلبية احتياجات السكان دون المساس بقيمتها التراثية والحضارية، معتمدة على التعرف على آراء السكان والمشكلات التي يعانون منها، من خلال توزيع استبانة وتوصلت الدراسة إلى أنّ المساكن القديمة تمتاز بمرونة تمكنها من تلبية الاحتياجات الجديدة للسكان دون التسبب بتغيير قيمتها التراثية والحضارية، كما قدمت الدراسة سياسة عامة لتأهيل المباني السكنية القديمة بحيث يمكن تعميمها على جميع المناطق القديمة في المدن الفلسطينية.

دراسة (Dimttrokali,2010). بعنوان: «الحفاظ الحضري المستدام في مواجهة التطورات في المدن التاريخية». تناولت الدراسة موضوع الحفاظ الحضري المستدام للمباني القديمة في المدن من خلال إعداد معايير تحفظ الاستدامة للمباني القديمة، وقد توصلت الدراسة لنتائج منها: أنّ العديد من المباني القديمة لا ينطبق عليها معايير الحفاظ المستدام، ولذلك فإنها تواجه مشكلة تتعلق بالملكية الشخصية التي تسعى لزيادة الفائدة الاقتصادية والمادية لهذه المباني، وتؤكد الدراسة على بان الحفاظ على هذه الأبنية التي لا تنطبق عليها المعايير يتم من خلال الحفاظ على الهيكل المعماري القديم، أو من خلال الابقاء على بعض الواجهات القديمة، ومن ثم إجراء التعديلات والتغييرات المطلوبة والتي تتماشى مع الاستخدام الجديد للمبنى.

دراسة (NiYin,1992). بعنوان: «التغيير في المباني القديمة». تناولت الدراسة موضوع التغيير في المباني القديمة والتي تؤثر على مظهرها، وعلى عملية ادارة عملية التغيير بشكل جيد، كما بينت أنّ المدينة الجيدة تجمع بين النمو الحديث والحفاظ على المباني القديمة،

والأصل أن يكون هناك ادارة للتغيير يتم من خلالها تحديد المباني التي يجب أن تزال والتي يجب الحفاظ عليها، ومن نتائج الدراسة تشجيع عملية التغيير في المباني القديمة من خلال ارتباطها بطريقة منهجية تُصنّف خلالها المباني إلى مجموعات ومن ثم تبدأ عملية التغيير. ما يميّز الدراسة عن الدراسات السابقة أنّ معظم السابقة تناولت المباني القديمة من ناحية عمرانية صرفة كونها طرازاً معمارياً مميزاً، كما ركزت على عملية التجديد والحفاظ والترميم، أي أنها ركزت على الجانب المادي فقط، وتعاملت معها من منطلق معماري دون النظر إليها كبيئة تشمل عناصر مادية متمثلة في العمران الذي يمثل الجانب المادي والسكان الذين يمثلون الجانب البشري الذي يندرج في اطاره جانب ثقافي واجتماعي واقتصادي، وهذا ما سعت الدراسة الحالية إلى تبيانها والتركيز عليه، ومن جهة أخرى لا بد من التركيز على طبيعة الاستخدام داخل المباني القديمة ونمطه، فهي بالأصل قامت كمتطلب أساسي للسكان ألا وهو المسكن (الاستخدام السكني) وهذا ما سبق توضيحه في مشكلة الدراسة فمدينة بيت لحم تضم 837 مبنى قديماً منها 690 مبنى يستخدم كمسكن بما نسبته 82.4%، بالإضافة إلى أن معظم الدراسات لم تهتم بخصائص هذه المباني ومدى توافر الخدمات فيها، وإنما دعت إلى ضرورة توفير الخدمات وحل المشكلات من أجل ابقاء السكان فيها والحفاظ على هويتها التراثية والحضارية.

## الإطار النظري للدراسة:

◆ مفهوم المساكن القديمة: في حقيقة الأمر لا يوجد تعريف محدد وواضح لمفهوم المساكن القديمة، فمعظم الدراسات والكتابات تناولت المساكن القديمة كجزء من التراث المعماري أو كعنصر من عناصر العمارة في المدن، حيث سيتم ذكر تعريفات عدة تشمل في ثناياها تعريف المساكن القديمة:

◆ التراث المعماري: هو عبارة عن مجموعة من الأبنية والمواقع لها قيمة تراثية، وتتميز بتاريخ إنشائها وأنماط بنائها واستخداماتها وترتبط بشخصيات عامة أو أحداث وطنية و دينية أو قومية مهمة، أما فيلدن، فيعرفها بأنها المباني والمليكيات العامة وشبه العامة التي تعكس أهمية تاريخية تحمل رسالة ذات طابع إنساني جمالي منذ انشائها حتى يومنا الحاضر، وفي تعريف آخر لوزارة الشؤون البلدية والقروية الأردنية جاء فيه أنّها عبارة عن مجموعة من المباني المتصلة والمنفصلة أو عبارة عن أبنية عمرانية تضم الشوارع والأزقة والتجمعات السكانية غير المشمولة بقانون الآثار، والتي لها أهمية تاريخية أو دينية أو اجتماعية أو جمالية، تم تحديد فترة بنائها والتي تمتد من عام 1700-1950م (أحمد، 2008، ص 27).

## أهمية تأهيل المباني السكنية في مراكز المدن القديمة:

اختلفت الآراء حول الأسباب والدوافع التي تدفع بأهمية تأهيل المباني السكنية في المدن القديمة، مما دفع بعض الباحثين إلى القول بأن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية وتأثيرها على الوضع العمراني للمدن هي أحد الأسباب وراء تدهور المدن القديمة، وذهب بعضهم الآخر إلى القول إن هجرة السكان من الأحياء القديمة أدت إلى إهمالها وعدم العناية بها الأمر الذي ساهم في تدهورها واستقطاب سكان جدد لا ينتمون لها، وأن هذه الأحياء أصبحت لا تفي بمتطلبات السكان بل أن البعض اعتبرها غير لائقة للسكن نظراً لصعوبة صيانتها وترميمها، مما حولها إلى مناطق بالية بعد أن كانت مركز المدينة وعنوان حضارتها ورقيةا، بالإضافة إلى تدني مستوى الخدمات والمرافق، ويرى بعضهم أن الوعي الحضاري والانجذاب العاطفي انعدم عند معظم السكان تجاه مدنهم القديمة، وقد أصبحت هذه الأحياء مجرد آثار غير مؤهلة لمتطلبات الحياة المعاصرة (السواط، www.ksu.edu) . وهذه العوامل والأسباب تتناسب مع الواقع الموجود في مدينة بيت لحم.

## العوامل التي أدت إلى تدهور مراكز المدن القديمة:

إنّ التغيير الحاصل في المدن القديمة هو عبارة عن عملية عبث في التراث الحضاري، وله سلبيات انعكست على المناطق القديمة بما فيها المباني بشكل عام والمساكن بشكل خاص أفقدها قيمتها ومكانتها، ويمكن إجمال العوامل التي تقف وراء تدهور المساكن القديمة في المدن على النحو الآتي:

أ. العوامل البشرية: وتتمثل في عدم صيانتها، والانجرار وراء الأمور المادية التي تعمل على تغيير الاستخدام السكني إلى استخدام تجاري، بالإضافة إلى هجرة السكان الأصليين، ومحدودية المعلومات عن أهميتها وقيمتها كجزء من التراث المادي في المدن.

ب. عوامل إدارية تتعلق بالأجهزة الحكومية المسؤولة عن إدارة المناطق القديمة داخل المدن.

ت. عوامل الحداثة: وتتمثل في استخدام التقنيات الحديثة كأسلاك الكهرباء والهاتف وغيرها، مما يعمل على إحداث تلوث بصري للمساكن القديمة.

ث. عوامل زمانية: تتجلى في قدم المساكن وتدهور الخدمات، وتسرب الرطوبة إلى داخلها، وحدث تغيير في كفاءة المساكن القديمة (أبو هنطش، 2007، ص 28-29).



الصورة (2) هجرة المباني وإهمالها



الصورة (1) التشويه البصري والجمالي

## الخصائص التاريخية والجغرافية لمدينة بيت لحم:

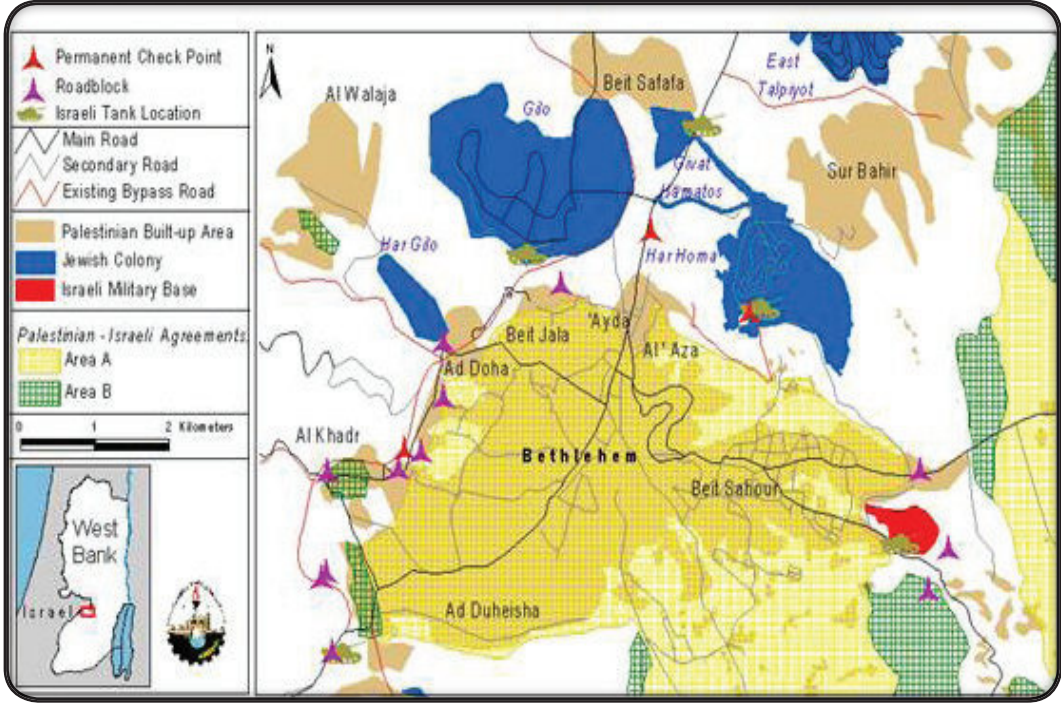
◆ نبذة تاريخية: يعود تاريخ مدينة بيت لحم إلى 2000 عام قبل الميلاد، وهي جذورها ونشأتها كنعانية، وقد اكتسبت شهرتها نتيجة احتضانها مولد سيدنا عيسى عليه السلام، حيث أصبحت تعدّ من أقدس المدن العالمية لدى الطوائف المسيحية مما جعلها محط أنظار كثير من الملوك والحضارات في العالم، الأمر الذي دفع الملكة هيلانة بتشيد كنيسة المهد عام 326 م، وتحولت بعدها إلى قبلة الحجاج المسيحيين، وقد توالت فترات الحكم على المدينة منها الفترة الإسلامية زمن عمر بن الخطاب والاحتلال الصليبي، وفي عام 1517 خضعت للحكم العثماني ثم الاحتلال البريطاني والإسرائيلي. واستعاد الفلسطينيون السيطرة عليها وفق اتفاقية أوسلو عام 1993 (وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، [www.wafainfo.ps](http://www.wafainfo.ps)). وللمدينة أسماء عدة منها: أفراتا وبيت الخبز وبيت لحم، وقد اكتسبت اسمها الحالي من الفعل السامي الواحد (لاحم) اشتق منه اسمان مختلفان، وهناك من يعتقد أنّ الاسم الحالي مأخوذ من (لحمو) إله الخصب عند الكنعانيين (وزارة الإعلام الفلسطيني، [www.minfo.ps](http://www.minfo.ps)).

◆ الموقع والحدود والمساحة: تعدّ المدينة مركز محافظة بيت لحم وهي إحدى مدن الضفة الغربية، ويحدّها من الشمال مدينة القدس، ومن الجنوب قريتا هندازة وإرطاس، ومن الغرب مدينة بيت جالا، أمّا من الجهة الشرقية، فتحدها مدينة بيت ساحور، وهي بذلك ترتفع حوالي 772 متراً فوق سطح البحر (معهد أريج، 2010، ص4). وتبلغ مساحة المدينة داخل حدودها التنظيمية 14405 دونما (عودة، 2011، ص6). والخريطة (1) توضح منطقة الدراسة.



### الخريطة (1)

#### الموقع الجغرافي لمدينة بيت لحم



المصدر: معهد الأبحاث التطبيقية - القدس (أريج) .

♦ السكان في مدينة بيت لحم: تفاوتت أعداد السكان في المدينة تبعاً للظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها معظم المدن الفلسطينية، وكان لهذه الظروف تأثير أكبر في بعض المدن منها مدينة بيت لحم، والجدول التالي يوضح تطور أعداد السكان.

#### الجدول (1)

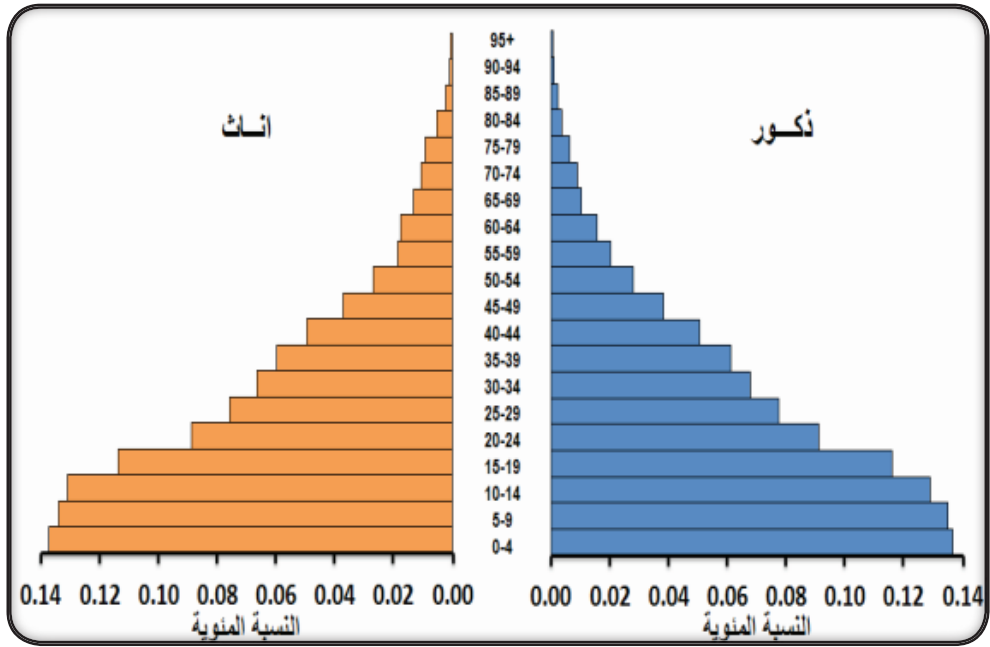
تطور أعداد السكان في مدينة بيت لحم لسنوات مختارة.

أعداد السكان	السنة
6658	1922
7320	1931
8820	1945
9780	1948

السنة	أعداد السكان
1949	14860
1967	16300
1982	29254
1997	21947
2007	24367

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب محافظة بيت لحم الإحصائي السنوي (2) 2010، ص48.

♦ التركيب النوعي والعمرى للسكان في محافظة بيت لحم: يتضح أنّ المجتمع المقيم في محافظة بيت لحم مجتمع فتي حيث بلغ عدد السكان في الفئة العمرية (0-14) عام 40.1%، وهذا ما يوضحه الهرم السكاني (جاسر، 2011، ص 38).



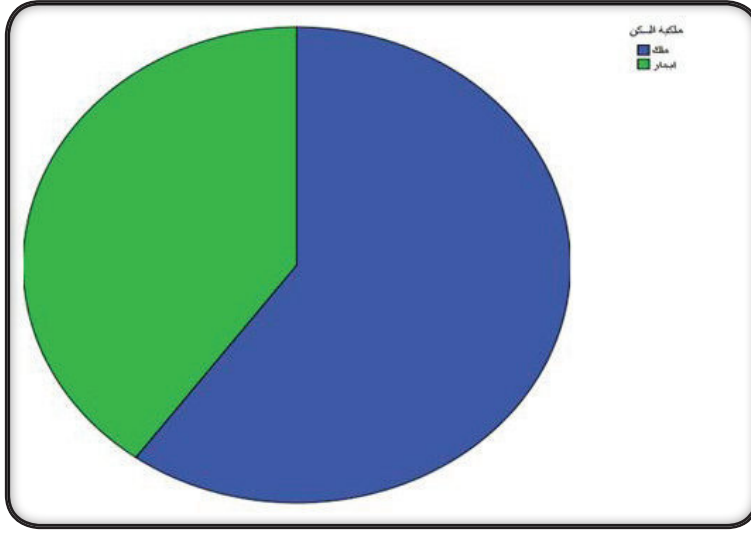
الشكل (1)

الهرم السكاني لمحافظة بيت لحم (التركيب النوعي والعمرى) .

المصدر: جاسر، مرجع سابق، ص38.

## تحليل خصائص المساكن القديمة في مدينة بيت لحم:

1. ملكية المسكن: يتضح أنّ 60% من المساكن القديمة التي شملتها عينة الدراسة تعود إلى ملكية خاصة، بينما بلغت نسبة المساكن القديمة المؤجرة 40%، وهذا مؤشر على أنّ نسبة كبيرة من السكان الأصليين قد هاجروا منها وقاموا بتأجيرها وربما يعود السبب إلى عدم رضاهم عن المساكن القديمة التي كانوا يقيمون فيها لوجود مشاكل تتعلق بترازها القديم والضجيج والإقامة في مساكن جديدة شيدت، وغيرها من الأسباب، والشكل (2) يوضح ذلك.



الشكل (2)

ملكية المساكن القديمة في مدينة بيت لحم.

2. مساحة المساكن القديمة: تفاوتت مساحة المساكن في مدينة بيت لحم علماً بأنّ 70% من المساكن تراوحت مساحتها الكلية بين 60-120 م<sup>2</sup> والجدول (1) يبين ذلك.

الجدول (2)

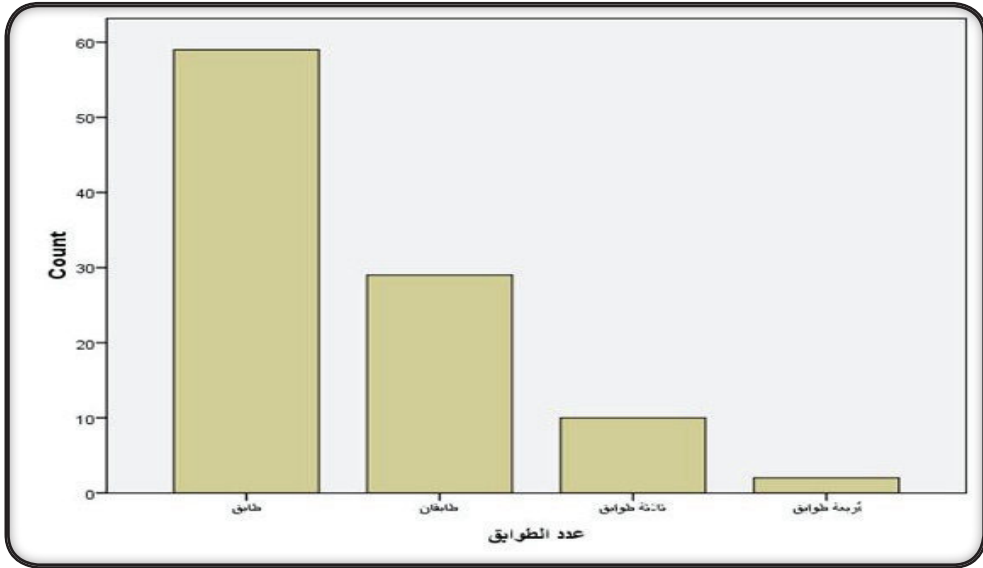
مساحة المساكن القديمة التي شملتها العينة.

النسبة المئوية	التكرارات	مساحة المسكن
14%	14	أقل من 60 م <sup>2</sup>
22%	22	من 60-80 م <sup>2</sup>
22%	26	من 80-100 م <sup>2</sup>

النسبة المئوية	التكرارات	مساحة المسكن
22%	22	من 100-120 م <sup>2</sup>
4%	4	من 120-140 م <sup>2</sup>
12%	12	أكثر من 140 م <sup>2</sup>
100%	100	المجموع

3. عدد غرف النوم في المسكن: بلغت نسبة المساكن التي تحتوي على غرفة نوم واحدة 19% من العدد الكلي للمساكن، في حين أن 43% من المساكن تحتوي على غرفتان، و 27% من المساكن يوجد فيها 3 غرف، وجاءت المساكن التي تضم 4 غرف نوم في المرتبة الرابعة بنسبة 11% من مجموع المساكن.

4. عدد الطوابق في المساكن القديمة: يلاحظ ارتفاع نسبة المساكن التي تتكون من طابق واحد وتقل النسبة كلما زاد عدد الطوابق، وهذا الأمر مرده إلى نمط الامتداد العمراني في مدينة بيت لحم القديمة كما هو الحال في معظم المدن العربية القديمة التي نمت بنمط أفقي نظراً لقلّة عدد السكان في بداية نشأتها، وإلى ضعف الإمكانيات المادية للسكان، إضافة إلى عدم تطور المواد والوسائل في عملية البناء والشكل (3) يوضح ذلك.

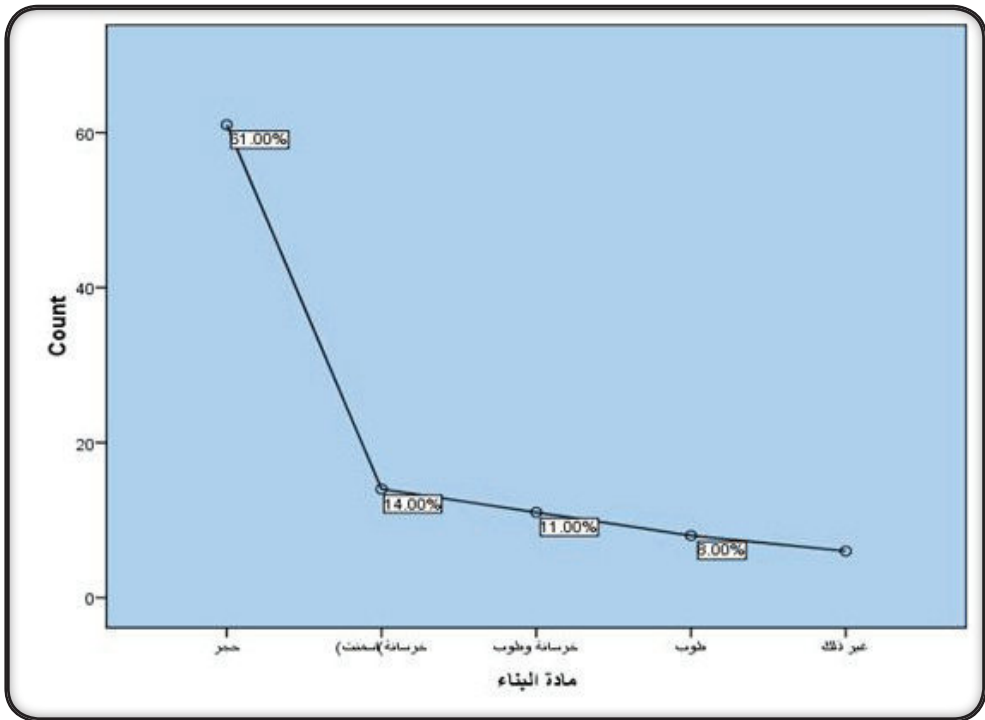


الشكل (3)

عدد الطوابق في المساكن القديمة.

5. مادة البناء: تشتهر فلسطين بخامة الحجر مما انعكس على نوعية مادة البناء في المدن القديمة في فلسطين، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ مادة البناء المتمثلة بالحجر تطورت وأصبحت تختلف في خصائصها وألوانها وشكلها، فالحجر القديم امتاز بأحجام كبيرة وغير منتظمة أمّا اليوم فالحجارة المستخدمة للبناء تختلف عن ما كان في السابق، ومن الملاحظ أنّ المساكن القديمة تتعرض للتشويه من حيث مادة البناء فأصبح هناك مواد أخرى تستخدم في بناء المساكن القديمة (عملية الإضافة والتجديد للمساكن القديمة) مثل الاسمنت، والطوب، كما أنّ عمليات الهدم وإحلال المباني الجديدة في المدن القديمة لا تتماشى ولا تنسجم مع المباني القديمة من حيث مادة البناء، الأمر الذي يهدد فقدان المدينة القديمة لملامحها في المستقبل القرب، وهذا يتطلب وجود سياسات عمرانية خاصة بالمناطق القديمة تحافظ على الملامح العامة للمدينة.

والشكل الآتي يوضح مادة البناء المستخدمة في مدينة بيت لحم.



الشكل (4)

مادة البناء المستخدمة في المساكن



#### الصورتان (4+3)

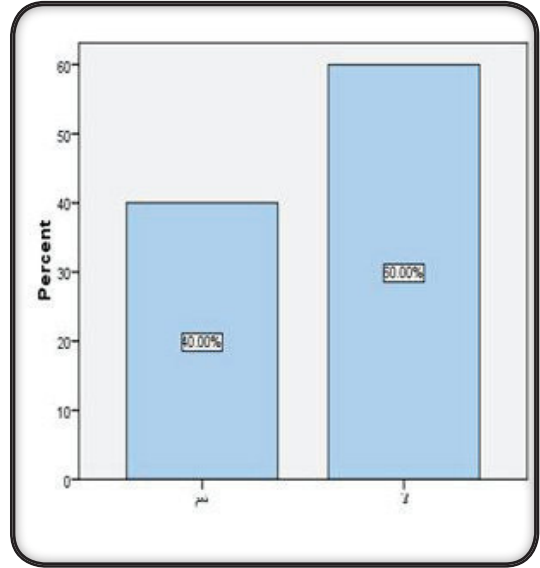
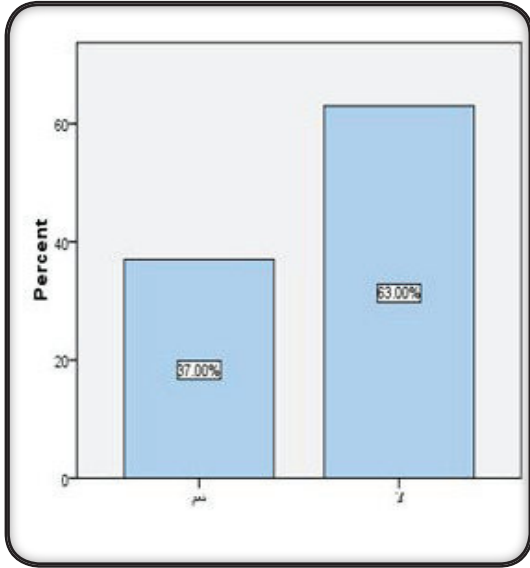
مادة البناء في المساكن القديمة (الحجر القديم)

6. تصنيف حالة المسكن من وجهة نظر ساكنيه: من حيث حالة المبنى فإن 15% من سكان المباني القديمة يصنفون مساكنهم بالرديء، و 47% منهم يصنفونه بالجيد، بينما 27% من السكان يرون بأن المسكن جيد جداً، و 11% يرونه في حالة متوسطة، ويعود هذا التباين في التصنيف من وجهة نظرهم إلى أمور عدة منها: ملكية المسكن، فمعظم المساكن القديمة المملوكة ملكية خاصة يقومون بإجراء عملية الصيانة والترميم في حين أن السكان المقيمين في مساكن قديمة بالإيجار أفادوا بأن مالكي المسكن لا يقومون بعمليات الصيانة والترميم، بالإضافة إلى عدم قدرة بعض السكان بإجراء عمليات الصيانة والترميم نظراً لظروفهم الاقتصادية.

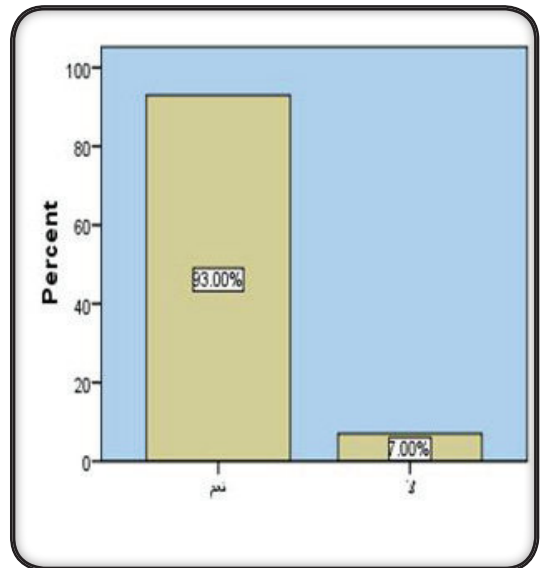
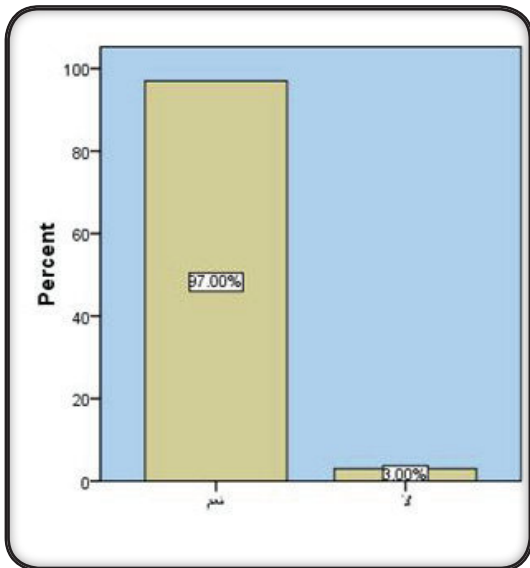
#### 7. الخدمات والمرافق الموجودة في المسكن:

يلاحظ من الأشكال السابقة الخاصة بالمرافق والخدمات (شبكتي المياه والكهرباء) ارتفاع نسبة المساكن المرتبطة بهما وهذا الأمر في غاية الأهمية كونهما من الأمور الأساسية في خدمة السكان وتحفزهم على البقاء في المساكن القديمة، أما بخصوص وجود موقف خاص بالمسكن، فقد بلغت نسبة المساكن التي يوجد لها موقف سيارة خاص 60% وهذا من الأمور المألوفة في المدن القديمة كونها أقيمت في وقت لم تكن وسائل النقل موجودة ومنتشرة كما هو اليوم، بالإضافة إلا أن نمو الطرق كان بطريقة عضوية لم تأخذ

بعين الاعتبار التطور الذي سيحدث على وسائل النقل، إلا أن هذا الأمر سيعمل على إيجاد مشاكل الازدحام المروري نتيجة إيقاف السيارات بجانب المساكن، وقد اتضح ذلك عندما تم سؤال السكان عن المشكلات التي يواجهونها حيث أفاد عدد من السكان ونسبتهم 22% بوجود مشكلة الضوضاء والضجيج من السيارات الموجودة في المدينة القديمة وأحيائها.



الشكل (5) وجود موقف خاص بالمسكن (كراج) الشكل (6) وجود حديقة في المسكن

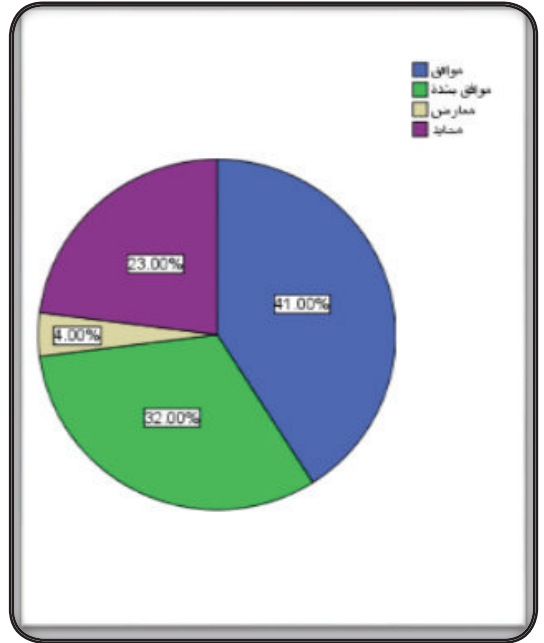
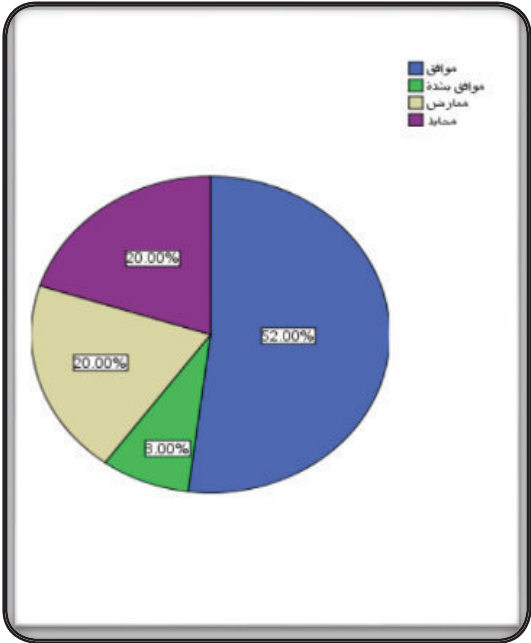


الشكل (7) اتصال المسكن بشبكة كهرباء الشكل (8) اتصال المسكن بشبكة مياه

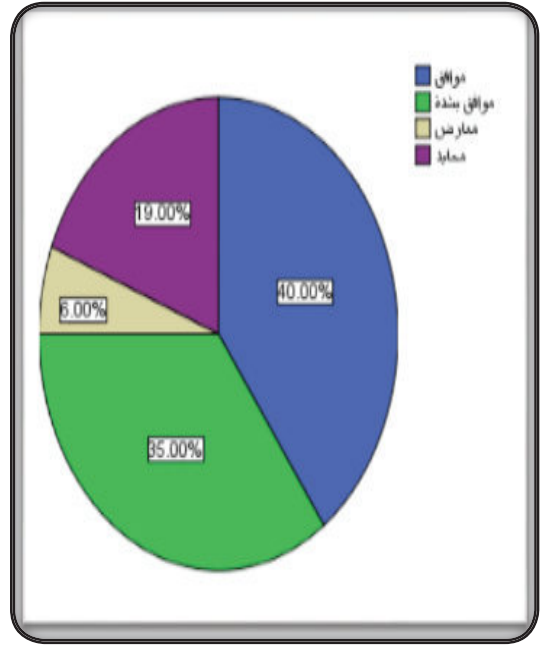
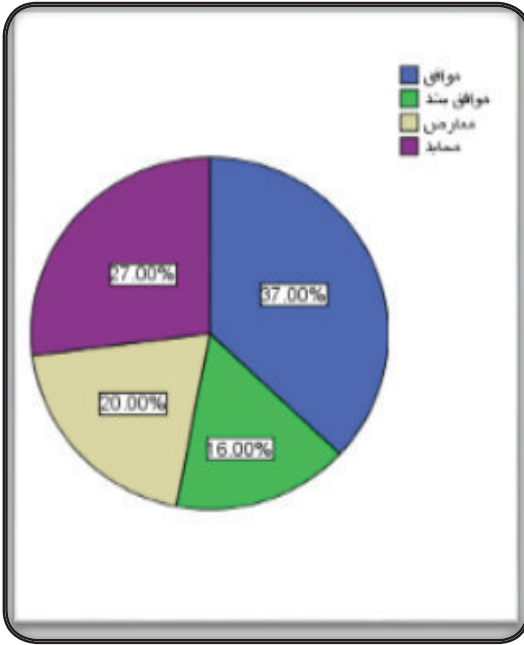
8. بيئة المسكن القديم وتضم (ارتفاع تكاليف الصيانة، صعوبة الحصول على الخدمات، ارتفاع الكثافة السكانية، وجود استخدامات أرض لا تتماشى مع طبيعة المساكن ووظيفتها السكنية) :

يتضح أنّ ما نسبته 41% من السكان موافقون على السؤال الخاص بارتفاع تكاليف الصيانة، في الوقت الذي أفاد 42% من سكان المساكن القديمة بأنهم موافقون وبشدة على ارتفاع التكاليف، وهذا يعني وجود تحدٍ ماليّ أمام السكان يمنعهم أو يقف في وجه عملية الصيانة، وهذا الأمر له بعدان الأول يتمثل في هجرة هؤلاء السكان من هذه المساكن، والأمر الآخر القيام ببيع أو هدم هذه المساكن وفي هذه الحالة ستعرض المساكن القديمة للتغيير من خلال إهمالها وتحولها إلى مساكن غير صالحة للسكن أو لإزالتها أو بيعها مما سيؤدي إلى إقامة مساكن جديدة تحل مكانها مما يعني فقدان جزء ليس بالقليل من التراث المادي للمدينة، والإشكال التالية توضح رأس سكان المساكن القديمة بموضوع تكاليف الصيانة.

الأشكال (9-10-11-12) توضح تكاليف الصيانة، صعوبة الحصول على الخدمات، ارتفاع الكثافة السكانية، وجود استخدامات تتعارض مع طبيعة المسكن.







ويتضح أنّ نسبة السكان الذين يرون وجود كثافة سكانية (موافق وموافق بشدة) قد بلغت 75% وهو من الأمور الطبيعية في المدن القديمة، ويمكن التخلص منه أو الحد من هذه المشكلة من خلال تبني سياسة محلية في مدينة بيت لحم تقوم على إجراء دراسة تفصيلية للمساكن تضع تصنيف دقيق لحالة المباني وتحديد المباني التي تدهورت حالتها العمرانية إلى درجة لا يمكن صيانتها أو ترميمها وتقوم بموجبها بإصدار قانون استملاك لها وهدمها بعد تعويض أصحابها وعمل خطة تنموية خاصة بالجزء القديم من المدينة يكون هدفها حل المشكلات التي تعاني منها المساكن القديمة من خلال إحلال خدمات للسكان كالحدائق على مستوى الأحياء والمواقف العامة مدفوعة الأجر وتحسين مستوى التهوية في المدينة، وخدمات أخرى يحتاجها السكان المقيمين في تلك المساكن، فعدد الذين لا يملكون حديقة في الأحياء القديمة بلغ 63% من المساكن، بالإضافة إلى ما ذكر حول عدم امتلاك موقف خاص بالسيارة لأصحاب المساكن، والتي بلغت نسبتهم 60%، وهذه الخطة يمكن اعتبارها خطة تنموية محلية مستدامة كونها ستعمل على الحفاظ على التراث الحضاري المادي من جهة وستدعم بقاء السكان في تلك المساكن من جهة أخرى، بالإضافة إلى تقديم حلول للمشكلات الموجودة، فهذه المشكلات تحتاج إلى حلول سريعة، فكلما طال الوقت تعاظمت هذه المشكلات وزادت صعوبة حلها، بل ستتسبب في ظهور

مشكلات أخرى وارتفاع تكاليف حلها، وبالتالي ستزيد من المخاطر التي تتهدد التراث الحضاري المادي في مدينة بيت لحم، وسائر المدن الفلسطينية، فلا تكاد بلدة أو مدينة فلسطينية لا يوجد فيها نواة عمرانية قديمة تقف شاهداً على التراث الحضاري المادي في فلسطين.

9. مشكلات أخرى يعاني منها سكان المساكن القديمة: تبين أن 14% من السكان تحدثوا عن ضعف الخدمات التي تقدمها البلدية في بعض الأحياء التي تضم مساكن قديمة، ومن هذه المشكلات عدم وجود إنارة في الشوارع، انقطاع المياه بشكل مستمر، عدم وجود خدمات صحية قريبة من المساكن، وسوء صرف مياه الأمطار في فصل الشتاء، مما يتسبب في ارتفاع نسبة الرطوبة داخل المساكن، وعدم وجود رقابة من قبل البلدية، وبخصوص هذه المشكلة تشير الإحصاءات بأن 53% من سكان المساكن القديمة متفقون على وجود استخدامات لا تتناسب مع المسكن ولا الاستخدام السكني الخاص بالمناطق القديمة.

## النتائج:

1. 70% من المساكن القديمة تتراوح مساحتها بين 60-120 م<sup>2</sup>.
2. بلغت نسبة المساكن التي تحتوي على غرفة نوم واحدة 19%، في حين أن 43% من المساكن تحتوي على غرفتان، و 27% تحتوي على ثلاثة غرف.
3. 61% من المساكن القديمة مبنية من مادة الحجر.
4. 60% من المساكن القديمة تتكون من طابق واحد.
5. 47% من السكان المقيمين في المساكن القديمة يصنفون مساكنهم بالجيدة، في حين أن 15% يصنفونها بالردئية.
6. ترتفع نسبة المساكن التي ترتبط بشبكتي الماء والكهرباء إلى أكثر من 90%، في الوقت الذي بلغت فيه نسبة المساكن التي لا يوجد فيها موقف خاص وحديقة 60% و 63% على التوالي.
7. 41% من السكان يتفقون على ارتفاع تكاليف الصيانة للمساكن القديمة.
8. 53% من السكان أبدوا تأييدهم لوجود استخدامات لا تتماشى مع الاستخدام السكني.

## التوصيات:

1. ضرورة تفعيل جهاز الرقابة من قبل البلدية لمنع التجاوزات في عملية إحلال مبانٍ جديدة وإضافة أجزاء جديدة من أجل الحفاظ على المظهر العام للمباني القديمة.
2. إجراء عملية مسح شاملة للمباني القديمة وعمل تصنيف لها بشكل دوري، وإزالة المباني التي تصنّف بالرديئة أو غير الصالحة للاستخدام واستغلال المساحات الفارغة مكانها في تقديم خدمات على رأسها الخدمات المتعلقة بمواقف السيارات والحدايق على مستوى الأحياء.
3. عمل مخطط تنموي يهدف إلى تفعيل الأجزاء القديمة من المدينة، وإعادة تأهيلها من أجل تحفيز السكان على البقاء فيها.
4. ضرورة الاعتماد على مناهج جديدة في عملية الصيانة والمتمثل بالمشاركة الشعبية من قبل السكان، مما يقلل من التكاليف، ويزيد من عملية الصيانة للمباني القديمة.
5. العمل على تشكيل هيئات ومؤسسات وجمعيات متعددة الأطراف تضم جهات رسمية وشعبية وخاصة، تهدف ابتكار طرق جديدة في التعامل مع المباني القديمة.
6. تجنيد الأموال من جهات دولية من خلال المنح ومشاريع التوأمة، وخاصة من الدول التي لها تجارب ناجحة في عملية الحفاظ على المباني القديمة.

## المصادر والمراجع:

### أولاً - المراجع العربية:

1. أبو هنطش، نهى. (2007)، نحو سياسة إعادة تأهيل المباني السكنية في مراكز المدن الفلسطينية - حالة دراسية نابلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
2. أحمد، طارق. (2008)، تحليل الطرز المعمارية للمباني السكنية في فلسطين في الفترة العثمانية - حالة دراسية مدينة نابلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
3. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (2009)، التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت - 2007 النتائج النهائية تقرير المساكن - محافظة بيت لحم، فلسطين.
4. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (2010)، كتاب محافظة بيت لحم الإحصائي السنوي (2)، فلسطين.
5. الجنابي، هاشم. (1982)، التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة - دراسة في جغرافية المدن، جامعة الموصل، العراق.
6. الحنبلي، مسرة. (2005)، التخطيط واستراتيجيات إعادة اعمار وتطوير الوسط التاريخي لمدينة نابلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
7. الفران، هاني. (2004)، الخصائص والعناصر البصرية والجمالية في المدينة - دراسة تحليلية لوسط مدينة نابلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
8. العساف، سلامة، وآخرون. (2007)، التجديد الحضري كأسلوب لمعالجة مشاكل مراكز المدن - حالة مدينة الكرك القديمة في الأردن، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد 23، العدد 2، دمشق.
9. جاسر، معين. (2011)، محافظة بيت لحم دراسة في التركيب السكاني وخصائص المسكن، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية في غزة، فلسطين.
10. معهد الابحاث التطبيقية - القدس (أريج). (2010)، دليل بيت لحم، فلسطين.

11. عودة، أيمن. (2011) ، المقومات السياحية في مدينة بيت لحم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
12. عتمة، محمد. (1994)، اعادة تأهيل المباني التاريخية في فلسطين - حالة دراسية: تجربة مدينة نابلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
13. صبري، ميادة. (2012) ، تخطيط وعمارة المدينة الاسلامية مدينة دمشق القديمة- نموذج حضري لقمة التعايش والتعامل من المنظور الاسلامي، مجلة كلية واسط، العدد 11.

### ثانياً - المراجع الانجليزية:

1. Dimttrokali, Elisavet ,&others. (2010) , Sustainable Conservation and Retention Developments In Historic Cities, The 16th Annual International Sustainable development Research Conrerence, Hong Kong,Papre 109.
2. Ni Yin, Chien. (1992) , Change In Historic Building, Master Dissertation, Massachusetts Institute Of Technology.

### ثالثاً - مراجع الانترنت:

1. أبو دقة، فوزية. (2010) ، المدن التاريخية المأهولة في العالم العربي - حالة مدينة صيدا القديمة، شبكة التخطيط العمراني، [www.araburban.net](http://www.araburban.net).
2. السواط، علي. التغيير في التركيبة السكانية لمراكز المدن التقليدية - أسبابه وانعكاساته على قيمتها التاريخية والتراثية، أمانة مدينة الدمام، المملكة العربية السعودية، [www.faculty.ksu.edu.sa](http://www.faculty.ksu.edu.sa).
3. وزارة الاعلام الفلسطينية. (2010) ، نبذة تاريخية عن مدينة بيت لحم، [www.minfo.ps](http://www.minfo.ps).
4. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، أبرز المعالم السياحية والتاريخية في محافظة بيت لحم، [www.wafainfo.ps](http://www.wafainfo.ps).
5. مركز رواق مركز المعمار الشعبي، [www.riwaqregister.org](http://www.riwaqregister.org).

# الأزياء الشعبية النسائية في محافظة بيت لحم بين الطمس والإحياء

د. عطا أبو جيبين  
فلسطين.

بالتعاون مع  
د. إدريس محمد صقر جرادات

## المخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن بعض الأزياء الشعبية التراثية في محافظة بيت لحم، وتحديدًا ثوب الملكة التلحمي المشهور، وثوب الشلثة التعمري، حيث يعدان من أشهر الأزياء التراثية العريقة في فلسطين على مر العصور وقد جرى كثير من التطوير على هذا الثوب عبر العصور حتى أصبح تحفة فنية تُحاكى وتُقلد وتُزور من خلال الأعداء حيث يعد الأصل القديم العريق؛ تتزيا به ملكات فلسطين وتفاخر به ملكات العالم القديم آنذاك. وسنستعرض في هذه الدراسة مميزات هذا الثوب وأهميته وميزاته ومدى جماليات هذه الأزياء لارتباط ثوب الملكة خاصة بزي الملكات الكنعانيات، وقد نال شهرة واسعة وتعرض للسرقة والتزوير والتزييف من قبل جهات كثيرة وبخاصة اليهود المحتلين، ولما كان هذا الثوب على هذه الأهمية خصصنا هذا البحث لتسليط الأضواء عليه مستعرضين في ثنايا البحث نبذة قصيرة عن التراث الشعبي الفلسطيني، وتاريخه، وفن التطريز، وما وصل إليه من دقة ومهارة وإتقان.

كما سنتعرض في جزء من هذا البحث للحديث عن مراكز التراث الفلسطيني في مدينته بيت لحم ودورها المتميز في المحافظة على التراث الفلسطيني عامة والأزياء الفلسطينية خاصة، والدور التاريخي لهذه المدينة العريقة. كما سنتعرض بإيجاز لما يتعرض له التراث الفلسطيني من سرقة وتزوير وطمس وتحوير، وسنختم هذا البحث بتوصيات ومقترحات لعلها تسهم في المحافظة على تراثنا العريق وتعيد إليه الحياة وتفتح بابا للباحثين لدراسات معمقة لكل ما يتعلق بتراثنا الفلسطيني وما يتميز به من إبداع.

ملحوظة: تتم الدراسة بالتعاون مع د. إدريس جرادات ومركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي

## الفصل الأول - مقدمة عامة:

### نبذة تاريخية:

ظهرت الأزياء التراثية الشعبية الفلسطينية التي تبرز فيها خاصية التطريز المزخرف بالإبرة والخيوط المختلفة الألوان منذ آلاف السنين، فيما تؤكد الكتب التاريخية أن الأزياء الشعبية الفلسطينية القديمة ظهرت قبل نحو 28 ألف عام قبل الميلاد مشيرة الى وجود آثار لذلك في العديد من المناطق التراثية مثل: «مغارة الزطية الواقعة في المنطقة الشمالية الغربية لبحيرة طبريا شمال فلسطين المحتلة عام 1948، مغارات الطابون والسخول والوادي والوعد وكباران في منطقة الكرمل، كهف داخل جبل القفرة جنوب مدينة الناصرة، كهف بئر السبع... وغيرها الكثير».

ولكن يقال إن أقدم الزخارف والنقوش التي تشير إلى وجود الملابس الجلدية هي التي تم العثور عليها في مغارة تسمى «أم قطفة» إضافة إلى كهوف منطقة بئر السبع الواقعة في النقب وهي المنطقة الجنوبية من فلسطين عام 1948.

ففي كتاب «فلسطين ألوان وخطوط» قال الكاتبان علي حسين خلف وتوفيق عبد العال: «إن فن التطريز الفلسطيني الحديث هو نتيج واستمرار لخبرة ثلاثة آلاف سنة أو يزيد إذ كان الكنعانيون يلبسون الملابس المطرزة للجنسين ولمختلف الأعمار واشتقوا الزخرف من الطبيعة. هذا ما أظهرته النقوش على اللوحات العاجية في «مجدو» وجران «طيبة» و«فسيفساء» حمورابي

وقد ترجم الإنسان الفلسطيني مشاعره عبر رسومات وجدت آثارها على ألواح حجرية، ثم نقلت تلك الرسومات إلى الملابس الجلدية القديمة، ومنها إلى النسيج بما يعرف بفن التطريز

وقد استخدم النسيج في بدايته من صوف الغنم، عندما نجح الإنسان الفلسطيني في استئناس الحيوانات في فترات العصر الحجري الوسيط حوالي 12000 ق. م فأصبح لكل قرية من القرى المنتشرة في فلسطين رسوماتها الخاصة التي عبّرت بالضرورة عن فكرها وطقوسها وحياتها الاجتماعية وتطورات واقعتها على الأرض، حيث عُثر على العديد من الآثار التي تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد لمجموعة من الأنوال والإبر والدبابيس المصنوعة من الحجر والطين والتي استخدمت في عملية التطريز كما عُثر على نقوش تعود إلى 1700 ق. م تصور مجموعة من الكنعانيين يرتدون ثياباً مطرزة برسومات جميلة، وقد تطور هذا الفن المتميز عند الإنسان الفلسطيني تبعاً لتطور آلات استخدامه خاصة بعد ظهور

الإبر النحاسية والحديدية، فارتدى الرجال والنساء على حد سواء الأزياء المطرزة بمختلف الرسومات تبعا للقرى والمناطق التي عاشوا فيها إلى أن جاء العصر الإسلامي حين حرم الإسلام على الرجال التشبه بالنساء، فأخذت ملابس الرجال منحىً اختلف عن ملابس النساء.

ويعد الزي الشعبي الفلسطيني جزءاً من الزي الشعبي لمنطقة بلاد الشام، فالزي هنا مشابه لبقية المناطق الشامية مع اختلافات في طريقة التطريز، أو الألوان، أما بالنسبة للزي النسائي فيشكل التراث الفلسطيني نتاجاً حضارياً عبر آلاف السنين، وهو تراكمات السنين منذ أيام الكنعانيين. وخلال السنوات الماضية، أدخلت تعديلات كثيرة على فن التطريز الفلسطيني، وصُنعت عشرات القطع الحديثة المطرزة لتناسب مختلف الأذواق، ولم يعد الأمر يقتصر على الأثواب فقط.

وتحظى الأثواب الفلسطينية، باهتمام عالمي متزايد، وتنشط مؤسسات فلسطينية، ونساء فلسطينيات، وأجنبيات، وحتى تجار إسرائيليين، في ترويج الأثواب الفلسطينية، على مستوى عالمي، حيث يزداد الطلب على المطرزات التي تعود إلى زمن الكنعانيين. وقد كتب كثير من المسافرين والرحالة إلى فلسطين خلال القرن التاسع عشر والعشرين عن الأزياء التقليدية الفلسطينية وخاصة الثوب الفلاحي النسائي في الريف الفلسطيني. وتكاد تمتاز كل مدينة بل كل قرية فلسطينية عن الأخرى بنوع التطريز مثل: الخليل وبيت لحم والقدس ويافا وغزة. وحتى الأربعينيات من القرن الفائت، كان زي المرأة يعكس الوضع الاقتصادي، وما إذا كانت المرأة متزوجة أو عزباء. كما كانت كل مدينة أو منطقة تمتاز بالتطريز ونوع القماش والألوان والقطع التي تستخدم في الثوب. ورغم هذه الاختلافات المحلية والإقليمية التي اختفت إلى حد كبير بعد عام 1948 ونزوح الفلسطينيين، فما زال التطريز والملابس الفلسطينية تنتج في أشكال وتصاميم جديدة

## أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

1. التعريف بالأزياء الفلسطينية التراثية في محافظة بيت لحم.
2. الكشف عن جمالية الأزياء الفلسطينية التراثية وبخاصة ثوب الملكة التلحمي.
3. بيان الممارسات الصهيونية في تزوير وانتحال الزي الفلسطيني.
4. دور مراكز التراث في المحافظة على الزي الفلسطيني التراثي.
5. سبل المحافظة على الزي الفلسطيني ودور ذلك في إبراز الهوية الفلسطينية.



## مشكلة الدراسة:

تمثلت مشكلة الدراسة الأساسية فيما يعانيه الزي الفلسطيني من طمس وتزوير وانتحال من قبل الأعداء المحتلين من جهة، ومن تهميش هذا الزي من قبل أهل الأرض من جهة أخرى، ولما كان الزي الفلسطيني يشكل علامة بارزة على هوية أهل فلسطين وانتمائهم وارتباطهم بهذه الأرض على مدى التاريخ، كان لابد من طرح هذه المشكلة قيد البحث والدرس وتسليط الأضواء على واقع هذا الزي ودوره الأساسي في تثبيت الحق الفلسطيني، وقد انبثقت من هذه المشكلة الأسئلة الآتية:

## أسئلة البحث:

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما الخصائص المميزة للزي الفلسطيني التراثي؟
2. ما مميزات وجماليات الثوب التلحمي ثوب الملكة؟
3. كيف نحافظ على الزي الفلسطيني التراثي؟
4. ما الممارسات الصهيونية تجاه الزي الفلسطيني؟
5. ماهي معوقات انتشار الزي الفلسطيني؟
6. ما الدور الذي تقوم به مراكز التراث الفلسطينية في المحافظة على هذا الزي؟
7. ما الدور الذي تقوم به السلطة الفلسطينية في المحافظة على التراث؟

## أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث فيما يأتي:

1. أهمية تاريخية: تكمن في استعراض تطور الزي الفلسطيني عبر التاريخ وعراقته وارتباطه بالحضارة الفلسطينية.
2. أهمية قومية: بيان الدور الذي تؤديه الأزياء الفلسطينية في إبراز الهوية الفلسطينية الأصيلة، للشعب الفلسطيني.
3. أهمية جمالية: تكمن في بيان جمالية ثوب الملكة التلحمي وخصائصه وتميزه عن بقية الأزياء الفلسطينية.
4. أهمية نضالية: تكمن كشف الممارسات الصهيونية في طمس هذا الزي وانتحاله وتزويره، وادعائهم الزائف في اتخاذهم زياً لهم.

5. أهمية نفسية: حيث يشعر المواطن الفلسطيني بالفخر والاعتزاز بانتمائه إلى شعب عريق أصيل، وما تمثله هذه الأزياء من عراقة وأصالة.

6. أهمية تطويرية: تكمن في دعم المراكز التراثية للأزياء وتشجيعها وتقديم العون والمساعدة لها لتصميم أزياء مستوحاة من الزي الفلسطيني التاريخي وحمايته من الاندثار والإهمال.

7. أهمية إعلامية: تكمن في تسخير كل الوسائل الإعلامية المتاحة لنشر هذا الزي عن طريق الترويج له وارتدائه في المحافل الرسمية والعالمية والحفلات، وتعريف ودور الأزياء العالمية بجماليات هذا الزي.

8. أهمية ثقافية: تتمثل في التعريف بالأزياء التراثية الفلسطينية.

9. أهمية حضارية: تتمثل فيما وصل إليه سكان هذه البلاد من ازدهار وورقي حضاري متمثلاً في أزيائهم الجميلة وذوقهم الرفيع

### منهج الدراسة:

المنهج الوصفي التاريخي.

### مصطلحات البحث:

◀ ثوب الملكة التلحمي: ثوب تراثي كانت ترتديه ملكات فلسطين الكنعانيات، واطلق عليه هذا الاسم لأنه كان قاصراً على استخدام الملكات الكنعانيات في فلسطين، والذي يتميز بطراز خاص من الفن والزركشة المنتشرة في كل جزء منه بألوان وخيوط حريرية منها الأزرق الجنزاري والأحمر الغامق والأحمر الناري.

◀ ثوب الشلثة: ثوب تراثي كان منتشرًا عند عرب التعمارة في منطقة بيت لحم يمتاز ثوب الشلثة التعمري بتطريز عرق الملاوي جدلة حبة فوق حبة.

## الفصل الثاني - الإطار النظري والدراسات السابقة:

### الإطار النظري:

سنعرض في هذا الفصل إلى الحديث عن ثوب الملكة التلحمي و ثوب الشلثة التعمري وهما ثوبان تلحميان مشهوران تميزت بهما منطقة بيت لحم، كما سنعرض إلى الحديث بشكل عام وموجز عن أنواع الثوب الفلسطيني، وفن التطريز، وما يتعرض له هذا التراث

من قرصنة وطمس وانتحال، مستعرضين الدور الذي تقوم به مراكز التراث الفلسطيني والهيئات الرسمية والشعبية في حماية التراث الفلسطيني ونشره.

### فن التطريز الفلسطيني:



لا نستطيع أن نتحدث عن الزي التراثي الفلسطيني دون الحديث عن فن التطريز الذي يعد العماد الرئيس والمميز لهذا الزي الذي يعكس حضارات متعاقبة مرت على بلادنا عبر العصور المختلفة، فقد تطور هذا الفن منذ القدم إلى أن وصل إلى ذروته في الأناقة والشكل والألوان والتصاميم المختلفة، فتراه قد تشكل بصورة هندسية دقيقة لا تعكس الذوق فقط بل المهارة الهندسية والرياضية التي امتازت بها المرأة الفلسطينية، وهذا يعكس إلى حد ما مدى ما تمتعت به من جانب ثقافي وعلمي حتى وصلت إلى تلك الذروة من الإبداع، والدقة، والتميز، فوصل إلينا فناً مكتملاً دقيقاً، وبقيت الأجيال تتناقله جيلاً بعد جيل حتى الآن، ولم يقتصر هذا الفن على الأزياء فقط، وإن كانت الأزياء أهم تجلياته؛ بل تجده قد انعكس على كل مناحي الحياة في البيت الفلسطيني فزينت البيوت بالرسوم والصور المعبرة، وكذلك أماكن الضيافة، ومرافق الحياة المختلفة وقد انعكس جانب منه في منسوجاتهم الصوفية وفرشهم وبسطهم، ومخداتهم وشراشفهم وبراويزهم وأوعيتهم.

وتتميز فلسطين بخريطة تطريز دقيقة، فجميع القرى تشترك في تطريز بعض القطب، وتختلف في وضعها على الثوب. وفي بعض القرى يُكثرون استعمال قطب بعينها فتتخذ كثرتها دليلاً على انتساب الثوب إلى المنطقة. فالقطبتان الشائعتان في قضاء غزة هما

القلادة والسروة. وفي رام الله يفضلون قطبة النخلة واللونين الأحمر والأسود. والتطريز متقارب في بيت دجن، ويظهر فيه تتابع الغرز التقليدي. وتمتاز الخليل بقطبة السبعات المتتالية وتكثر فيها قطبة الشيخ. ويطرزون الثوب من خلفه، على شريحة عريضة في أسفله، . وثمة غرزة منتشرة بين الجبل والساحل تُسمى الميزان. وغرزة الصليب هي الأكثر شيوعاً في التطريز.

وأكثر الحيوانات ظهوراً في التطريز الحصان ومن الطيور الحمامة.

اما عن أنواع وأشكال وألوان التطريز فعدة ذات مسميات تحتاج لقائمة طويلة نحاول هنا إيضاحها بقدر الإمكان، ويخضع التطريز عامة باعتباره عملية هندسة كاملة إلى اعتبارات المكان والزمان فمن أهم الوحدات الهندسية التي تستخدم في الزركشة هي: المثلث، النجمة الثمانية، الدائرة، المربع، المعين، الخطوط الزخرفية وهي المستقيمة- المتقاطعة المتعرجة بصورة حادة او العكس- المسننة. أما بالنسبة لأنواع الأثواب فأشهرها:

♦ **الثوب المرقوم:** وهو خاص بالنساء المتزوجات وينتشر في النقب وخاصة بئر السبع ومن مميزاته المواصفات الكثيرة المعقدة في التطريز التي تغطي القبة الأمامية، والصدر والجوانب والذيل والاكمام والتي غالباً ما تكون مطرزة بأشكال أشجار السرو والنجمة الثمانية وسعف النخيل.

♦ **الثوب التلحمي:** المسمى بثوب الملكة، وأطلق عليه هذا الاسم؛ لأنه كان قاصراً على استخدام الملكات الكنعانيات في فلسطين، والذي يتميز بطراز خاص من الفن والزركشة المنتشرة في كل جزء منه بألوان وخيوط حريرية منها الأزرق الجنزاري والأحمر الغامق والأحمر الناري.

♦ **الثوب الدجاني:** ويقول عبد الرحمن المزين في كتابه: إن اسم الثوب مرتبط بمعبود كنعاني عبده الفلسطينيون في مناطق الساحل في غزة، عسقلان، أسدود، وبيت دجن وكان يرسم على شكل خرافي نصفه العلوي انسان والسفلي جسم سمكة ويمسك بكل يد سمكة. وما زال هذه الإله يطلق على الأفراد والعائلات والقرى الفلسطينية، وهذا دليل اننا ما زلنا نحفظ هذه الأسماء الكنعانية حتى الآن، دون الشعوب الأخرى.

ويرى أن هذا الثوب كان مقتصرًا على كهنة اله داجون، ثم على أهل بلدة بين دجن ثم عُمم في منطقة الرملة ورام الله. والثوب الدجاني نوعان: ذو الأكمام الواسعة (الردان) والثاني ذو الأكمام الضيقة.

♦ **ثوب الزم او العروق:** ويستخدم فيه العديد من الألوان، ويوصف بأنه مثل قطعة الأرض المليئة بالأزهار، وهذا دليل على تضمينه الألوان الكثيرة، وهو غالباً ما يصنع من الأقمشة السوداء وينتشر في بعض قرى الرملة «بئر سالم، صرفند الخراب، تل الترمس، وادي حنين والظاهرية» وله مواطفات خاصة في فن التطريز حيث يبدو في كل جزء من الثوب نقوش وعلامات وخيوط مختلفة عن المنطقة الأخرى من الثوب، وقد ورد ذكره في كثير من الأغاني والأهازيج الشعبية.

♦ **الثوب المقدسي:** «الملس» ويرتديه في غالب الأمر سكان مدينة القدس وضواحيها من القرى، والذي يتميز بلونه الأحمر الناري وأحياناً يصنع من اللون الأصفر المائل إلى لون الكمون ويسمى الأصفر الكموني في علم فن التطريز الشعبي الفلسطيني، ويحمل الثوب مطرزات وزخارف على شكل الزهور مختلفة الألوان، كما أن له مواصفات خاصة لكل قطعة منه وكذلك اللون والنقشة الصحيحة.

♦ **ثوب الجلاية:** يعد هذا النوع الأكثر شيوعاً وانتشاراً في المناطق الفلسطينية كافة، ولكن لم يعرف حتى الان سبب هذا الانتشار الواسع، وللثوب انماط تتبع كل منطقة فمثلاً هناك ثوب جلاية الخليل الذي يتميز بقماشه ذي السماكة الكبيرة واللون الأزرق الذي يميل الى الباذنجاني او الكحلي، اما شكله فله تصميم خاص يطول شرحه من حيث الألوان والنقشات في كل مكان منه.

وهناك أيضاً ثوب جلاية غزة: وأيضا يغلب عليه القماش السميك لسهولة التطريز باستخدام الخيوط الحريرية ومن اهم مناطق انتشاره: عراق السودان، بيت دارس، وبيت جبرين (موقع الكاتبة والشاعرة ريماء حاج يحيى).

وأهم الزخارف الشعبية أو العروق التي تستخدم في التطريز ما يأتي:

♦ **العروق الهندسية:** أهمها المثلث، ثم النجمة الثمانية والدائرة والمربع والمعين. ومن الخطوط المستقيم والمتعرج والمتقاطع والمسنن وما إليها.

♦ **عروق النبات والثمر:** النخل والسعف أو الجريد، . ويطرزون أيضاً كوز الذرة والسرور والعب والزيتون والبرتقال وسنابل القمح.

♦ **عروق الأزهار:** عرق الحنون، وعين البقرة، وقاع فنجان القهوة، والزهرة المربعة الريشة، وخيمة الباشا، والزنبقة، وعرق التوت، وعرق الورد، وعرق الدوالي.

♦ **الطيور:** الحمامة هي الشكل الغالب، ثم الديك والعصافير وديك الحبش، ورجل الجاجة، وقلما يصادف من الحيوان غير السبع والحصان، وكذا عين الجمل وخفه ورأس الحصان والحلزون. (المركز الفلسطيني للإعلام)

وأما الرسوم التفصيلية فتكاد لا تُحصى، ومنها: قمر بيت لحم والأمشاط، وسكة الحديد، والدرج، والسلم، وفلقات الصابون، والنخل العالي، وعناقيد العنب، والتفاح، والسنابل، وقواوير الورد، وقدور الفاكهة، والبندورة، والخبيزة، والزهور، والورد، وسنان الشاي، ومخدة العزابي، وشيخ مشقلب، وشبابيك عكا، وعلب الكبريت، والمكحلة، والحية، والعريبيد، والعلقة، وشجرة العمدان، والقمر المريش، والأقمار، والفنانير، والقلايد، والریش، والفاكهة، والقرنفل، والحلوى، ومفتاح الخليل، وطريق حيفا، وطريق التبان، وطريق النبي صالح، وطريق يافا، وطريق القدس. (المركز الفلسطيني للإعلام)

وأجود القماش للتطريز الكتان والقطن، لأن تربيعة نسجها واضح، وعد القطب سهل، ولذا تتسارى الوحدات الزخرفية وتستقيم وتتعامد بدقة. ومنهم من يستخدمون الصوف إذا كان خشناً. والخیوط المستخدمة في التطريز أربعة أصناف:

♦ الخيط الحريري: أعلى الخیوط وأثقلها. والثوب المطرّز بها يزن ثمانية كيلوغرامات، ولا يُلبس إلا في الاحتفالات.

♦ الخيط القطني: يطرّز به على كل أنواع الألبسة، وهو رخيص، ولكن بعض خيوط القطن تبهت وتحلّ ألوان بعضها على الألوان الأخرى.

♦ الخيط المقصب: في شمال فلسطين يطرّزون به السترة والتقصيرة، وفي الثوب الدجاني الأبيض يطرّز به أعلى الصدر والأكمام على قماش المخمل.

♦ خيط الماكينة: يُطرّز به على قماش الساتان فقط، بالآلة. ويستخدم هذا الخيط أيضاً في وصل أجزاء الثوب ببعضها ببعض، ويطرّزون فوق الوصلة بخيط حرير.

ولا تكتفي المرأة الفلسطينية بتطريز الأثواب. بل تزخرف بمهاراتها وذوقها المخدّات والطنافس والشراشف بخيطان الحرير أو الرِسم، بإبرة يدوية بعدما تنقل الرسم على القماش. ومما يطرّز به أيضاً المناديل. وربما أدرجت كل هذه في الجهاز الذي تبدأ الفتاة الفلسطينية صنعه قطعة قطعة في العاشرة من عمرها، فتضعه في صندوق مزخرف لا تمسه أو تُظهره إلا في الاحتفالات والمواسم. وقد درجت الفتاة الفلسطينية على رش جهازها بالخطور بين الفينة والفينة. (المركز الفلسطيني للإعلام).

إن المتحدث عن هذا الفن ليقف مشدوها أمام دقة هذا الفن، والمهارة التي صاغته، وأحكمته بدقة وإتقان، وقد برعت الفتاة الفلسطينية في هذا الشأن، وكانت هذه السمة عامة ومشاركة بين النساء فهن بحاجة إلى ثوب أنيق وجميل، فقامت بتزيين الأقمشة بذلك التطريز الرائع الذي يلفت الأنظار واضعة معياراً دقيقاً لكل الأعمار من الفتيات الصغيرات، ومن ثم المراهقات، والمتزوجات وكبيرات السن؛ فكل تطريز يلائم العمر من حيث الكثافة،

والألوان، والحجم، وكمية تناثره على الجوانب والصدر؛ فأصبحت تعرف كل أنثى بعمرها، وحالتها الاجتماعية، والاقتصادية، بل، مستواها الثقافي، من خلال التطريز على الثوب، وكأنه إشارات سيميائية متعارف عليها، فلا يضل الشاب الذي يريد خطبة فتاة، ولا تتزيا أنثى بغير ما صمم لها من خلال ذلك التطريز الرائع، . ففن التطريز لم يعد رسوماً مزركشة فقط؛ بل أصبحت له دلالات اجتماعية، ومكانية، وعمرية، واقتصادية، ونفسية، وحتى ثقافية.... فكل منطقة تعرف بزيها، وكل فتاة تعرف حالتها الاجتماعية من أول نظرة، ومستواها الاقتصادي... وهكذا أصبح ذلك الفن يعبر عن الحالات كلها حتى الفرح، والحزن، والغضب أو التوتر.. فإذا كان الثوب زاهي اللون في التطريز أو اللون دل على حالة الفرح والسرور، والرضا وترتيده المرأة في الأعراس والمناسبات السعيدة. وإذا كانت ألوانه غامقة زرقاء أو خضراء أو غير ذلك دل على حالة الحزن، أو الغضب أو عدم الرضا أو على وجود مشكلات عائلية.... فلا يمكن أن تلبس المرأة ثوباً زاهياً وتذهب إلى العزاء، أو العكس في الأفراح، وإلا يتم تفسير ذلك بتفسيرات شتى بحسب الموقف والعلاقة الشخصية. إن فن التطريز الفلسطيني لم يعد زركشة تتباهى بها المرأة، بل أصبح رمزاً تعبر من خلاله عن حالتها الاجتماعية والنفسية، ورسالة مدللة على عنوانها، ومنطقتها، وسكانها حتى لقد أصبحت ترمز به أخيراً بعد الاستعمار والاحتلال إلى النضال الفلسطيني من خلال رسومات معبرة ومدللة على ذلك، وهذا دليل أكيد على أنه أصبح فناً متأسلاً ومتطوراً له دلالات كثيرة، وغزيرة تعبر من خلاله المرأة عن كل حالاتها وأوضاعها... فالقماش مهما كان لونه يبقى كالورقة البيضاء تكتب عليها ما تشاء، فكتبت المرأة الفلسطينية تاريخها وكل ما يخصها ونقشته في لوحات فنية زاهية معبرة: مما عز نظيره في أزياء العالم كلها، فأصبح هذا الزي فناً يدرس، ويقلد، ويسرق بلا رادع لما له من خصائص ومميزات، تقرأ من خلاله أوضاع الشعب الفلسطيني، وتاريخه وثقافته، وآماله، وطموحاته من خلال فن تعبيري من أرقى ما توصل إليه العالم.

## الأزياء التراثية في محافظة بيت لحم:



تميز الثوب الخاص بالمرأة الفلسطينية باحتوائه على وحدات زخرفية متوارثة عن الكنعانيين تمثل كل وحدة زخرفية دلالة تاريخية لرمز كنعاني قديم سواء أكان من رموز الآلهة الكنعانية القديمة أو اللغة الكنعانية، أو بعض المعتقدات والموروثات التي ورثها أهل فلسطين

منذ أقدم العصور، وتتمثل هذه الوحدات الزخرفية بأشكال هندسية مثل النجمة الثمانية



التي تعود في تاريخها إلى الحضارة الغسولية 4500 ق. م، والمربع أو المعين، وقد ظهرت في عصر البرونز المبكر 3000 ق. م أو نباتية (شجرية زهرية ورود طيور) وتسمى (العروق)، وقد اهتم بها الكنعانيون القدماء عندما ربطوا بينها وبين المواسم الزراعية الخاصة بهم فقد بالغوا في استخدام (زهرة الحنون (شقائق النعمان) التي اعتبروها مثالا مهما لفترة الخصب والنماء في فصل الربيع، أما استخدام الطيور في فن التطريز فقد برع فيه الكنعانيون لما له دلالة على السلام

الذي كان رمز الحياة القروية لدى الإنسان الكنعاني القديم خاصة في منطقة بيسان، وهذا التواصل بين الإنسان الكنعاني القديم حتى يومنا هذا، يدل على الجذور الحضارية القديمة للإنسان الفلسطيني على أرض فلسطين واستمرارها دون انقطاع تأكيداً لعروبة فلسطين ونفياً قاطعاً لمحاولات الصهيونية تزوير حقائق الجذور للشعب الفلسطيني.

### ثوب الملكة التلحمي:





ثوب عريق قديم كان خاصا بملكات فلسطين الكنعانيات في القديم وتشتهر به منطقة بيت لحم. وهو أنواع منه: ثوب الفلاحة البسيطة الذي يتميز بقطبة على الصدر تسمى - التلحمية- أو القصب، وكذلك ثوب العروس، وقماشه من الحرير المخطط بألوان زاهية ويمتاز بكثافة التطريز على القبة، أما جوانبه فتسمى البنايق وهي على شكل مثلث ومزدان برسومات المشربية والساعة، والزخارف القديمة كزخرف «القمر او خيمة الباشا و زخرف زهرة البرتقال و شجرة الزيتون و رأس الحصان أما النجمه الكنعانية الثمانية فتعد قاسماً مشتركاً بين معظم الأثواب الفلسطينية ، والأكمام واسعة ومطرزة،

والتقصيرة (جاكيت قصير الأكمام) مصنوعة من قماش المخمل ومطرز بخيوط الحرير والقصب وهي ذات ظهر مغلق فيما يتم فتح الجزء من الأمام حتى منطقة وسط المرأة، وهذا الزي خاص بالنساء يتم ارتداؤه فوق الثوب كقطعة تجميلية لسكان بيت لحم والقدس والخليل، وغزة، وغالبا ما تكون مصنوعة من القماش الذي نسميه اليوم «مخمل او قطيفة» ذو اللون الأزرق أو الأحمر.

اما القفطان ويسمى شعبياً (السرطلية) فهو عبارة عن قطعة مطرزة من القماش تلبس فوق ثوب الملكة ومن القماش نفسه بل الوحدات نفسها التي استخدمت في التطريز، ولا يمكن حصر مواصفاتها لأنها تتكون من سبعة أنواع من السرطلية أي لكل منطقة نوع خاص بها، فمنها: السرطلية الملونة بالأزهار، السرطلية الملونة بالخطوط الخضراء والصفراء، السرطلية القطيفة، السرطلية الملونة بالخطوط البيضاء والصفراء، السرطلية البيضاء المطرزة، السرطلية المزركشة بالخطوط المقصبة وأخيرا السرطلية التلحمية. أما الصلطة، فتصنع من الأصواف ذات اللون الأزرق او الأسود وتحمل خيوط ملونة بل في أحيان كثيرة تحمل معظم ألوان الطيف، ويتمثل شكلها في جاكيت بأكمام واسعة فضفاضة ليست بطويلة بل يبلغ طولها إلى منطقة رسغ الذراع فقط.



إن المتأمل في زي ثوب الملكة يشعر بإحساس عميق بأن هذا الزي التراثي حقيق بالملكات الكنعانيات، وقد كن يباهين به ملكات العالم فلا زلنا نحس بروعته وجلاله وجماله الفتان الذي يسلب الألباب حتى الآن ولا نبالغ إذا قلنا بأنه قطعة فنية خالدة على مدى التاريخ فتصميم هذا الثوب الجميل وما يحتويه من ألوان زاهية وأناقاة لا مثيل لها يشعرونا بمدى الزهو الذي كانت تحس به الملكة الكنعانية وهي تزدان به بين قريناتها من ملكات العالم القديم وقد أضفى عليها رونقاً خاصاً ومميزاً وما زال حتى الآن يتمتع بشهرة واسعة بين الأزياء التراثية العالمية، ولذلك كان عرضة للتزوير والنهب والاختلاس ممن احتلوا هذه الأرض وسلبوها من أصحابها الحقيقيين وأدركوا أهمية سلب التراث، لأنه لا أرض بلا تراث وهذا التراث العريق لصيق بالشعب الفلسطيني ولا ينفصم عنه فكانت محاولة اجتثاثه وطمسه وتغييبه عن الواقع بكل السبل المتاحة لديهم، ولكن هيهات فالأرض تنطق بتاريخها وماضيها العريق مهما حاول المعتدون تزوير الحقائق وطمسها. فكل قطعة من مكونات هذا الثوب لوحة جمالية متكاملة مرسومة بدقة وعناية فائقة أبدعتها وصممتها المرأة الفلسطينية لتعبر بها عن جمال أرض فلسطين والموهبة التي تمتاز بها النساء الفلسطينيات قديماً وحديثاً.

### ثوب الشلثة التعمري:



### أجزاء ثوب الشلثة:

- يمتاز ثوب الشلثة التعمري بتطريز عرق الملاوي جدلة حبة فوق حبة وأجزاء الثوب على النحو الآتي:
- القبة: توضع على الصدر ولها فتحة على شكل رقم 7 أو حرف ٧ بالانجليزية وهي بطول ردة القب وتسمى ثنية القبة الى الخلف بطول 8سم وعرضها 30سم.



- العبّ: ويسميه بعضهم بالمكتومية: الجزء الداخلي من القبة له جيبان، ويستخدم كمحفظة لحمل الحاجات الخفيفة والعملة.
- الزيق: قطره 40سم وعرضه 3سم.



- البنايق أو الجوانب: مفردها بنية يأتي التطريز على شكل موارس ومفردها مارس يأتي التطريز على البنية فيما يتعلق بثوب الشلثة التعمري من النوع البسيط مقارنة بالتطريز على ثوب الخليل جنة ونار أو المجدلاوي او ثوب الملس المقدسي.

- العروق: يوجد على الجوانب مارسيين من طرف القبة الى الخصر بطول 73سم وعرض المارس 3سم للمارس الواحد- العرق- وتكون على مقدمة الثوب من الأمام.
- الكم وردفة الكم: فتحة الكم عند الرسغ بقطر 10سم وطول الساعد 22سم.
- الذيال: نهاية الثوب وعليه الحبكة والتطريز لكي لا ينسل القماش، لأنه يرتطم بالأرض أثناء السير.



- على الذيال ثلاثة عروق العرق الأول -أسفل الثوب، والعرقان الثاني والثالث على جانبي الثوب من الخلف.
- شكل العروق: من النوع الملاوي صورة العرق وهو جدلة حبة فوق حبة.



- البدن: ويكون بموارس (عروق) من الأمام وعددها ثلاثة موارس وهو أطول من ثوب منطقة الخليل والقدس، لأنه يُثنى على طبقتين أو ثلاث طبقات من عند الخصر ويكون طول المارس الى الذيال 127سم، ومن اسفل المارس الى الذيال 150سم بدون تطريز.
- نصف قطر الثوب عند الخصر 65 تقريبا وتأتي أسفل الشداد أو القشاط أو الحزام.

- الردان: طوله 70 سم لا يوجد عليه تطريز وطول الساعد فيه 40 سم وفتحته عريضة من الأمام حيث كانت الجدة التعمرية تربط طرفي الردان وتضعه خلف رأسها.
- النيشان: أعلى جزء من الثوب وهو قطعة قماش فوق الكتف مباشرة.
- النفنوف والسفيقة:

ألوان ثوب الشلثة يمتاز لون ثوب الشلثة التعمري للفتاة المقبلية على الزواج باللون الأحمر أما الأخضر والأزرق للمرأة المسنة الكبيرة أو المطلقة أو الأرملة.

- غطاء الرأس: قطعة قماش تغطي الرأس مطرز على أحد جوانبها بالخيوط الحريرية، ومدلى من الطرف شراشيب مفردها شرشوبة طويلة من الخيوط الصوفية ويوضع تحت الغطاء طوق من الخرز المرجاني الملون فوق الجبين. (مجلة السنايل العدد 11 شباط اذار نيسان 2000م صفحة 46).

### الوان التطريز:

1. ثوب السيدة الكبيرة من اللونين الأزرق والأخضر الغامق وقد يتخلله البني الغامق.



2. ثوب الأرملة خال من التطريز ما عدا القبة والذيال باللون الأزرق ويكون شكل التطريز مثلث.

3. ثوب الفتاة المقبلة على الزواج يخيّط بخيوط تميل الى اللون البني المحمر. أو أحمر ناري بغرزة الزكزاكو يشبهه في التطريز ثوب الملك المثبت بغرزة التحرير المنفذة بالحريير والوحدة الزخرفية هي الحية أو السنابل والنجمة الثمانية، وقد تؤدى بغرزة اللف المائلة بخيوط مقصبة وعرق قمر بيت لحم («عبد الرحمن المزين: موسوعة التراث الفلسطيني: الازياء الشعبية الفلسطينية، طبعة اولى منشورات مؤسسة صامد بيروت 1981م. صفحة 134-135»).

نوع القماش: يستخدم من نوع التوبيت الأسود والسميك بطول ثمانية أذرع.

أشكال التطريز: أخذ شكل التطريز الطاوس أو شجرة السرو أو الزهور الجميلة للفتاة والحجب للمسنة والكبيرة. (عبد العزيز ابو هديا: أزياءنا الشعبية هويتنا المطرزة، مجلة التراث والمجتمع، العدد 28 تموز 1996م صفحة 95).

### التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء:

قامت اسرائيل عام 1993 بتسجيل ثوب الملكة الفلسطيني على انه ثوب تاريخي في الموسوعة العالمية، لكن بعد أن فاز مركز التراث الفلسطيني بأجل لوحة تراثية لمنظمة السياحة العالمية عام 2007 أزيل اسم إسرائيل من الموسوعة العالمية و بقي مكانها فارغاً، وما زال العمل قائماً من الجهات المعنية لتسجيله باسم فلسطين، ومن الممارسات التي قام بها المحتل لطمس التراث الشعبي الفلسطيني وتشويهه وتزويره نرصد المحاولات الآتية:

1. تشويه الازياء الشعبية بادخال وحدات زخرفية غريبة عن الفن والتطريز الفلسطيني.



2. ادخال التطريز بالماكينه في المشاغل المدعومة من الحركة الصهيونية وتشغيل فتيات فلسطينيات فيها وإدخاله على الملابس الداخلية الستاتية. عبد الرحمن المزين: موسوعة التراث الفلسطيني: الازياء الشعبية الفلسطينية، طبعة اولى منشورات مؤسسة صامد بيروت 1981 ص: 81)

3. إقامة دور الأزياء في العواصم الأوروبية والأمريكية وعرض الزي الشعبي على انه إسرائيلي فقد ظهرت زوجة موشيه ديان الإسرائيلي في البيت الأبيض الأمريكي ترتدي ثوب عرب التعامرة، والمشاركة في المهرجان التاسع عشر في أمريكا بزى عرب التياها في النقب الفلسطيني وبزي عرب الصقر في بيسان.



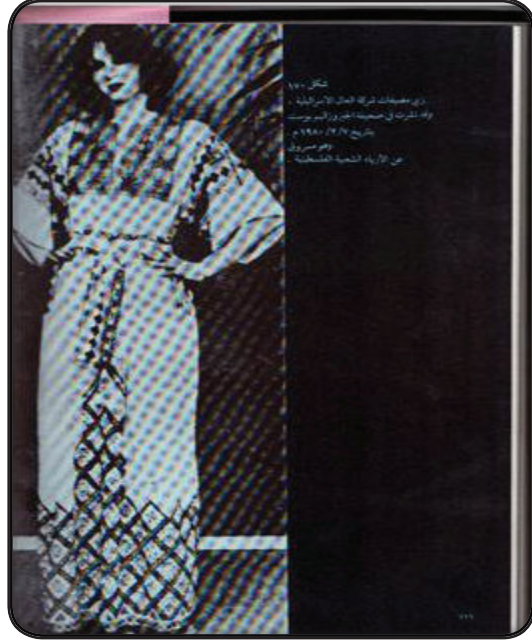
4. إصدار كتب ووثائق حول التراث الكنعاني ونشره على أنه تراث إسرائيلي وتوزيعه على المسافرين على طيران شركة العال الإسرائيلية.

5. دأب قادة الحركة الصهيونية على اصطحاب زوجاتهم بالزي الشعبي الفلسطيني.

6. نشط التجار اليهود في جمع المطرقات والآثار الفلسطينية عن طريق سماسرة الآثار والتجار المتجولين واقامة المتاحف في المستوطنات الاسرائيلية واقامة المعارض المتنقلة في العواصم العالمية.

7. اعتماد الزي الرسمي لمضيفات الطيران في شركة العال الإسرائيلية هو ثوب

المدرقة وثوب الردان الفلسطيني بهدف التشويه والتزييف وانتحال التراث الشعبي الفلسطيني. (وليد أحمد السيد: ص: 23)



8. عملت زوجة موشي ديان ومنذ بداية الاحتلال على جمع الأزياء الشعبية الفلسطينية بوسائل شتى من المدن والقرى الفلسطينية بهدف انتحال هذا الزي، ونسبته الى الجانب الاسرائيلي، كما يحاول الجانب الاسرائيلي في بعض المناسبات اظهار فتياتهم بلباس فلسطيني تقليدي، كما تم انتحال ثوب منطقة بيت لحم ونشره في الانسيكلوبيديا العالمية على أنه زي شعبي اسرائيلي وهذه محاولة ضمن خطة استراتيجية مبرمجة لتفريغ الشعب من محتواه الوطني واقتلعه من جذوره (مجلة السنابل العدد الأول)

9. أثر الاحتلال الإسرائيلي بطمس هذا النوع من الأزياء الشعبية وانتحاله حيث نشرت «سارة زوجة موشي ديان» رئيس الوزراء الإسرائيلي في عقد الستينيات صورة لها وهي ترتدي ثوب الشلثة في الانسيكلوبيديا الانجليزية.

[http:// palshabab. com/ ar/ news. php?maa=View&id=3060](http://palshabab.com/ar/news.php?maa=View&id=3060)

### مركز التراث الفلسطيني في مدينة بيت لحم:

لا بد لنا أن نتحدث بشيء من الإيجاز عن الدور الريادي لهذا المركز الذي أسهم بشكل فاعل في المحافظة على التراث الفلسطيني بشتى أشكاله ونشره وتعريف العالم به،



وبخاصة الأزياء الفلسطينية التراثية.



لقد تأسس مركز التراث الفلسطيني في بيت لحم في العام 1991، وكان الهدف الرئيس من وراء تأسيس مركز كهذا ينصب في الحفاظ على التراث الفلسطيني والترويج له، فعلى سبيل المثال لا الحصر يحتوي المركز على الألبسة التقليدية الفلسطينية، والمجوهرات، والأثاث، والقطع النادرة من الفنون والتطريز.

يتكون المركز أساساً من غرفة معيشة تقليدية وخيمة بدوية مؤنثة، ومكتبة وقاعة معارض تتسع لحوالي 150 شخصاً، وعلى مر السنين نظم المركز عشرات المعارض على المستويين المحلي والدولي، ونظم كذلك محاضرات وورشات عمل تتمحور حول التراث الفلسطيني والملبوسات الفلسطينية التقليدية، كما رعى المركز بعض عروض الأزياء التقليدية، وبالإضافة إلى ذلك فالمركز يسعى للحفاظ على التراث الفلسطيني وترويجه، فقد بدأ المركز بإنتاج قطع التطريز التقليدي كأداة للترويج لهذا الفن التقليدي على المستويين المحلي والدولي.

وقد اختارت وزارة الثقافة، بتاريخ 12 / 3 / 2013م الثلاثاء، مديرة مركز التراث الفلسطيني في بيت لحم مها السقا «الشخصية الثقافية الفلسطينية» جاء ذلك خلال مهرجان يوم الثقافة الوطني الفلسطيني الذي أقيم بالمركز الروسي للثقافة والعلوم في بيت لحم بحضور وزيرة الثقافة سهام البرغوثي. (وفا 12-3-2013 وفا)

وفي الذكرى الستين للنكبة أصدرت السقا خارطة أزياء فلسطين الشعبية ثبتت عليها الأزياء الشعبية لثلاثة عشر منطقة جغرافية لفلسطين الانتدابية (السيد: ص: 22) كما فازت بالمركز الأول في المسابقة الدولية لمنظمة السياحة العالمية حول أفضل صورة لعام 2007 عن لوحة الأزياء الفلسطينية.

وقد أبرزت السيدة مها السقا أهمية المحافظة على التراث الفلسطيني والجهود التي بذلتها في مقابلة منشورة قالت فيها (وفا 12-3-2013 وفا) : «يحاول الفلسطينيون التمسك بالثوب التقليدي المطرز الذي يتعرض لتحديات الصراع على الإرث التراثي بين الفلسطينيين والإسرائيليين، كما يحاولون في الوقت نفسه استبدال الثوب بالألبسة الحديثة». ونحن نريد أن نبرز ثوبنا الفلسطيني لأن الثوب الفلسطيني ليس للزينة، وإنما هو هوية للشعب الفلسطيني، ويمثل تراكماً تراثياً لحضارتنا». لقد حاربنا لإعادة الثوب إلى الهوية الفلسطينية، فحتى عام 1993 سجل كتاب الموسوعة العالمية للشعوب ثوب مدينة بيت لحم التقليدي، ثوب جدتي، على أنه ثوب اليهود الإسرائيليين التراثي».

فأرسلنا الرسائل للقائمين على الموسوعة، أفراداً وجمعيات. وأرسلنا لهم صورتي مع أُمي وجدتي بالثوب. فأزالوا في عام 2007 الثوب الفلسطيني من الموسوعة كمثل لإسرائيل، ولكنهم أيضاً لم يصنفوه كمثل لفلسطين». فكل شيء يتعرض للتهويد، وعلينا أن نحارب على أصغر الأشياء للتعبير عن أنفسنا.

إن الهوية الفلسطينية تعرضت للضياع، مع النكبة الفلسطينية». تضيف السقا أن «الثوب الفلسطيني يحكي حكاية كل منطقة وحالتها الاجتماعية. ففي بئر السبع مثلاً، ثوب العروس مطرز بالأحمر، وعندما تترمل يصبح أزرق، وإذا عادت وتزوجت يكون أحمر مع الأزرق». و ثوب العروس في بيت لحم «يتميز بأنه من قماش الحرير ومطرز بخيط القصب، على صدر الثوب خمس نجوم، وعرق التفاح، وعرق سبلات (سنابل) القمح على جوانب الثوب، كما يتميز ثوب بيت لحم بالأردان (الأكمام العريضة وعندما كانت المرأة تجلس مع مجموعة من النسوة من قرى عدة، كانت تعرف قربتها من ثوبها، فمثلاً ثوب مدينة يافا وقراها أبيض اللون، وعلى الصدر يطرز زهر البرتقال، أما على (ذيال) الثوب (الجوانب) فطرز أشجار السرو التي تحيط البيارة». أما ثوب غزة فيطرز على صدره أيضاً زهر البرتقال، وعلى الجوانب سعف النخيل، لأن منطقة غزة مشهورة بالنخيل والتمر.

ويحتوي المركز الذي تديره مها السقا على نحو 35 ثوباً فلسطينياً تراثياً أصلياً، بدءاً من جلالية عروس صفد (ثوب الجلوة) ، حتى ثوب عروس بئر السبع. وعمر هذه الأثواب من 80 إلى 120 سنة. كما أن هناك مئات الأثواب تتراوح أعمارها بين 30-50 سنة.

وقد بات ارتداء الثوب الفلسطيني مقتصراً على النساء المسنات في القرى والمخيمات الفلسطينية، وفي المناسبات الرسمية الوطنية أو الدبكات، أو معارض المطرقات الفلسطينية.

وبالإضافة إلى ذلك يحتوى المركز على كنوز ثمينة أثرية وقديمة جدا كالمجوهرات التقليدية والصناعات والنقوش وكثير من القطع الأثرية التي كانت تستخدم قديماً من تحف وأدوات وزخارف وملابس وأنية مختلفة لحفظ الطعام والماء والحبوب وأنية الطبخ والأكل... وكل ما يتعلق بالتراث الفلسطيني.

### نماذج وصور لبعض أنشطة المركز:



الرئيس بوتن في افتتاحه للمركز الروسي الثقافي في بيت لحم  
وعقيلة الرئيس البولندي في زيارة لمركز التراث

## الدراسات السابقة:

ستعرض لبعض الدراسات الحديثة عن الأزياء الفلسطينية التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بموضوع البحث ومن أهمها:

1. دراسة بعنوان دلالات الهوية والرمز في الفلوكلور الشعبي للدكتور وليد احمد السيد، (2013)

وقد هدفت الدراسة إلى البحث في دلالات الهوية والرمز في الفلوكلور والأزياء الشعبية الفلسطينية، كما تعرض إلى قرصنة الفلوكلور الشعبي وبخاصة الأزياء الفلسطينية، مستعرضاً سبل المحافظة على التراث وتطويره من قبل الجهات الحكومية والشعبية.

2. الأزياء الشعبية النسائية التراثية في جنوب محافظة الخليل للدكتور عطا أبو جبين (2012). وقد هدفت الدراسة إلى الكشف عن الأزياء الشعبية التراثية في جنوب محافظة الخليل، وبيان مميزاتها، وجماليات الثوب الفلسطيني وأجزاء الثوب الفلسطيني وما يرافقه من ملحقات مما تلبسه المرأة، وما تعرض منها للانقراض، مثل ثوب العروس، وما يرافقه من ملحقات كما تعرض إلى سبل تطويرها وتحديثها والمحافظة عليها، مختتماً ببعض التوصيات من أهمها أن الثوب الفلسطيني التراثي يتعرض للانقراض والطمس نتيجة الإضافات والتحريف والموضة الحديثة حيث بدأنا نطمس تراثنا بأيدينا.

3. دراسة بعنوان: ثوب الثلثة التعمري بين التهويد والانذار للدكتور إدريس جرادات (2012)، وقد تعرض في هذه الدراسة إلى واقع تزييف وتزوير وانتحال الأزياء الشعبية من قبل المحتل الصهيوني/ وكذلك تعرض إلى واقع وتأثير الأزياء في حياة الناس موصياً بضرورة تفعيل العلاقة بين المراكز البحثية والمراكز والجمعيات النسوية.

4. دراسة بعنوان فن التطريز الفلسطيني للباحثين نبيل عناني وسليمان منصور (2004) حيث تعرضت لفن التطريز الفلسطيني وعناصره ووحداته واللوانه، وقد أوصت الدراسة بإبراز البعدين التراثي والحضاري للأزياء الشعبية الفلسطينية.

5. دراسة بعنوان: الزي في جنوب محافظة الخليل (دورا) دليل على الهوية للباحث محمد زياب ابو صالح (2012)، حيث تعرض في بحثه إلى جذور الزي الفلسطيني وتأثيره بالموروث العربي والفكري الإسلامي، وأوصى الباحث بضرورة المحافظة على هذا النمط من الأزياء لما له من ارتباط بالهوية للمحافظة على وجودنا وقضيتنا.

6. دراسة بعنوان: الأزياء الفلسطينية في المأثور الشعبي القولي والفني للباحثين: عمر شكارنة وحسين درويش ومفيد عرقوب (2012) وقد كشفت الدراسة عن خصوبة

الأزياء الفلسطينية وإيحاءاتها في المأثور القولي والفني، كما عالج ظاهرة اختفاء كثير من الأسماء العربية والإسلامية.

7. دراسة بعنوان: نقوش الثوب الفلسطيني ونقوش قبة الصخرة جذور مشتركة لحضارة واحدة. للباحث مروان العلان، وقد أظهرت نتائج هذه الدراسة وجود علاقات ارتباطية بين فن التطريز الفلسطيني ونقوشه المختلفة وفن نقوش قبة الصخرة وزخرفتها الرائعة. والتشابه في الأشكال الهندسية والألوان، وقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: ان النقوش والزخارف التي تضعها الشعوب على جدران معابدها وشواهدا الحضارية وثياب بناتها هي مجموعة من الرموز التي تمثل جزءاً مهماً من هوية هذه الشعوب مما يعطي هذه الرموز صفة البقاء والاستمرار

8. دراسة بعنوان: الأبعاد الدينية والصحية والبيئية والاجتماعية والجمالية في الزي الشعبي الفلسطيني للباحث محمد اشنيور (2012)، حيث تعرض الباحث إلى دراسة علاقة هذه الأبعاد بالزي الفلسطيني من حيث الألوان، ومساحة الثوب والتطريز، والتشابه بينها وذلك في دراسة فريدة ومتميزه في موضوعها ومضمونها.

### الفصل الثالث - نتائج البحث والتوصيات والمقترحات :

للإجابة عن أسئلة الدراسة توصل الباحث إلى النتائج الآتية نجملها فيما يأتي:

1. تميز الثوب التلحمي ثوب الملكة بجماله وأناقته من حيث الألوان والرسومات والتطريز حيث تظهر فيه جماليات تدل على مدى ما وصلت إليه الحضارة في فلسطين من رقي وازدهار وإبداع، وهذا لا يأتي دفعة واحدة بل هو نتاج لسلسلة طويلة من الحضارات حتى وصل إلى ما وصل إليه من تميز وفن رفيع، حيث كانت الملكات الكنعانيات يتباهين بلبسه والظهور به في المحافل والحفلات والزيارات للدول الأخرى، وهذا يقودنا إلى الاستنتاج المنطقي بعراقة هذا الشعب وعطائه المتميز في جميع المجالات.

وقد استنتج الباحث من خلال هذه الدراسة أن هذا الثوب لم يكن شائعاً بين العامة ولم يسمح بارتدائه لغير الخاصة والطبقات العليا في المجتمع، فظهر ثوب الشلثة وهو يسير بموازاة ثوب الملكة وليس تقليداً له لاختلافه الجذري عن هذا الثوب في الشكل والتطريز والألوان والزركشة مع أن لكل زي مميزاته الخاصة حتى في المنطقة الواحدة، ومما يدل على ذلك أن الزي الواحد له مستويات عدة في التطريز والشكل بحسب المناسبة الذي يرتدى لأجلها، ومن ثم نجد اشكالا متعددة للزي الواحد: منها ما يلبس في المناسبات، والعمل، وثوب المرأة الكبيرة في السن والعزباء والمتزوجة وغير ذلك.

2. أما فيما يتعلق بالمحافظة على التراث الفلسطيني فما زال الأمر يسير على استحياء وببطء شديد سواء من قبل الهيئات الرسمية أو الشعبية، وعلى الرغم ممّا نشهده اليوم من انتشار مراكز التراث الشعبي فما زالت مهمتها الأولى التسويق والبيع بأثمان باهظة، مما أدى إلى مسaire الموضة المعاصرة واختفاء كثير من عناصر الثوب الأصيلة مما يشكل خطورة على التراث الحقيقي الأصيل. ولذا نرى أن ما تقوم به مراكز التراث الرسمية هو أكثر تمثيلاً للتراث الحقيقي وحفظه من الضياع وهذا يشكل خطورة على طمس تراثنا بأيدينا، ولذا يجب على الهيئات الرسمية أن تكون المعين والمصدر الرئيس للتراث بعناصره المختلفة، وبخاصة الأزياء لأنها أكثر عرضة للتطور تماشياً مع الموضات الحديثة.

ومن هنا تبرز ضرورة إجراء دراسات جادة لتطوير التراث تطورا اشتقاقيا لا انسلاخيا كي يتحول إلى رمز عالمي.

3. أما فيما يتعلق بالممارسات الصهيونية تجاه الزي الفلسطيني فنرى أن الزي التراثي ما زال مهددا فيما تبقى منه، وبخاصة مع تنامي ظاهرة قرصنة التراث، والتراث الفلسطيني بجميع أشكاله مهدد بالانقراض لارتباطه بالهوية الفلسطينية والصراع على هذه الأرض، لذا فنحن بحاجة إلى عمل مؤسساتي جماعي لمواجهة التهديدات حاضراً ومستقبلاً، وقد أوضحنا في ثنايا البحث بعض هذه التهديدات من خلال التزوير والطمس والقرصنة الواضحة المكشوفة، ولا بد من أن تولي هذه المؤسسات اهتمامها بهذه القضية المؤرقة، ويجب دعمها مادياً وثقافياً واجتماعياً برفدها بالمختصين والدراسات والأموال ونشر مراكز لهذا التراث والمشاركة العالمية في المؤتمرات والندوات والمعارض التراثية لبيان زيف الادعاءات الصهيونية، فبتعطّل البحث العلمي المؤسسي والفردى تسهل عملية القرصنة الثقافية للتراث والأزياء الفلسطينية، كما حدث في سرقة ثوب الملكة الذي سجلته إسرائيل باسمها في المجلد الرابع من الموسوعة العالمية.

4. أما فيما يتعلق بمعوقات انتشار الزي الفلسطيني، فقد توصل الباحث إلى أن ارتفاع كلفة الأثواب الفلسطينية المصممة على طريقة الثوب التراثي باهظة التكاليف ونظرة واحدة في محلات ومراكز بيع الزي الفلسطيني تؤكد ذلك. كما أن الأزياء الرخيصة والمقلدة والمطورة عن الموضة لا تناسب الفتيات اللواتي يردن ارتداء هذا الزي فيحجمن عن اقتنائه.

ومن المعوقات التي نرى بأنها ذات أهمية بالغة عدم التعريف بخصوصية الزي وجمالياته وما يرتبط به من إثبات للهوية الفلسطينية وليس للزينة أو الترف وهذا الأمر يجب أن يطرح على نطاق واسع في المناهج المدرسية ولكل المراحل.

وتعد بعض الفتيات القرويات اللواتي ما زالت أمهاتهن وجداتهن يرتدين الزي التراثي بأن هذا الزي قديم ويناسب كبار السن وليس لمثلهن ولأعمارهن لأنه مخالف للموضة ويدل على القدم ويرتبط به.

ارتباط الزي بالمناسبات والمهرجانات والحفلات والرقصات الشعبية فحسب، إذ سرعان ما تخلعه الفتاة قبل مغادرة المكان على الرغم من الإشادة به وبجماله، ولذلك يظل الزي مظهرياً وشكلياً فقط لهذه المناسبة أو تلك، ونادراً ما تجد فتاة جامعية ترتدي الزي التراثي كلباس طبيعي في حياتها، ومن جهة أخرى ارتباط الزي التراثي بالخياطة اليدوية والتطريز اليدوي حيث تبدو الأزياء المشغولة بالماكينات الحديثة أقل جودة وأناقة ودقة وسرعان ما تتبين الفرق من خلال نظرة واحدة. ويعود ذلك إلى التطور الاجتماعي وانشغال الأمهات بالوظائف والعمل مما أدى إلى ندرة الثوب التراثي وغلاء ثمنه.

### التوصيات والمقترحات:

1. إجراء دراسات وأبحاث على مختلف أنواع الأزياء التراثية الفلسطينية في جميع المناطق.
2. تولي هيئة عامة تشرف على هذا التراث وتحافظ عليه.
3. تطوير الألبسة الحديثة وتطعيمها بالتطريز التراثي الفلسطيني الاشتقاقي المعبر ونشره.
4. تسويق التراث النسائي الفلسطيني بشكل واسع عند العرب والغرب.
5. محاربة كل من يحاول تزوير هذا التراث أو طمسه أو انتحاله.
6. كشف ادعاءات الصهاينة في تزوير وانتحال الزي الفلسطيني التراثي.
7. أن تحمل الملابس التراثية او المطعممة بالتراث علامة تجارية خاصة بها خوفاً من التزوير كقطعة صغيرة من العلم الفلسطيني.
8. مراعاة أن التراث الفلسطيني يرتبط بالنضال الفلسطيني واستغلال الاعتداءات الصهيونية لنشر هذا التراث وقد تكون هذه الوسيلة من أنجع الوسائل للتعاطف وللتضامن مع الشعب الفلسطيني والتعريف بقضيته ولنا قدوة في انتشار الكوفية في جميع أنحاء العالم.

9. التركيز على استخدام هذا الزي في المحافل الرسمية على نطاق واسع.
10. المشاركة في المهرجانات العالمية للتراث، والرقصات الشعبية المعبرة فهي خير وسيلة للتعريف بفلسطين وتراثه.
11. تشجيع الفتيات على ارتداء هذا الزي الفلسطيني التراثي، ليس فقط في الحفلات والمناسبات بل بشكل عام وواسع.
12. تشجيع مراكز الخياطة والنسيج والحرف التراثية ودعم انتشارها، وجعلها مصدر دخل لبعض الأسر الفلسطينية وتسويق هذه المنتجات من قبل الهيئات المسؤولة بأسعار مناسبة.
13. إظهار جماليات التراث الفلسطيني من خلال دراسات فنية معمقة من قبل متخصصين في هذا المجال.
14. الاهتمام الزائد بالمؤتمرات التراثية ومتابعة نتائجها وتوصياتها والاهتمام بالمبدعين في هذا الجانب والاستعانة بهم في مجال تطوير التراث وتحسينه.
15. التركيز على إنتاج سلع تراثية ليست باهظة الثمن ومقبولة وجيدة، وذلك لأن أغلب الملابس التراثية غالية جدا ولا تستطيع الفتيات اقتناءها وكذلك محاولة الحد من هامش الربح الواسع الذي تستغله مراكز التراث ولنا أسوة في انتشار الكوفية ومناسبة ثمنها لجميع الشرائح.
16. إدخال الزي التراثي الفلسطيني في المناهج الفلسطينية



## المصادر والمراجع:

1. موسوعة الفولكلور الشعبي الفلسطيني، نمر سرحان (ط2) 1989.
2. د. محمد علي الفرا، تراث فلسطين، دار الكرمل، عمان 1989.
3. دلالات الهوية والرمز في الفولكلور الشعبي للدكتور وليد احمد السيد، مؤتمر الفن والتراث الفلسطيني الرابع (2012).
4. الأزياء الشعبية النسائية التراثية في جنوب محافظة الخليل لدكتور عطا أبو جبين. مؤتمر الفن والتراث الفلسطيني الرابع (2012).
5. الأزياء الفلسطينية في المأثور الشعبي القولي والفني للباحثين: عمر شكارنة وحسين درويش ومفيد عرقوب (2012).
6. عوض سعود عوض، تعبيرات الفولكلور الفلسطيني، كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق 1993.
7. الشلثة التعمري بين التهويد والانذار للدكتور إدريس جرادات مؤتمر الفن والتراث الفلسطيني الرابع (2012).
8. التطريز الفلسطيني للباحثين نبيل عناني وسليمان منصور (2004).
9. الزبي في جنوب محافظة الخليل (دورا) دليل على الهوية للباحث محمد زياب ابو صالح مؤتمر الفن والتراث الفلسطيني الرابع (2012).
10. دليل متحف التراث الشعبي الفلسطيني، ناجي عبد الجبار، عدلة غوشة، جمعية إنعاش الأسرة - البيرة.
11. د. منعم حداد، التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء، الطيبة 1986.
12. التراث الفلسطيني جذور وتحديات مجموعة باحثين (إعداد عبد العزيز أبو هذب)، مركز إحياء التراث العربي، الطيبة، 1991.
13. الثوب الفلسطيني التراثي نتاج حضاري عبر آلاف السنين وتعب الجدات والأمهات منذ الكنعانيين - خولة أسعد.
14. عبق التاريخ في... التراث الفلسطيني.
15. إسرائيل تسرق الكوفية.. رمز القضية الفلسطينية.

16. بعض النساء المعمارات وبخاصة الحاجة رفقة الحاج محمد منصور أبو جبين.
17. الموسوعة الفلسطينية، المجلدات من 1-4.
18. نبيل عناني، سليمان منصور: دليل فن التطريز الفلسطيني، جمعية إنعاش الأسرة- البيرة 2004م.
19. عبد الرحمن المزين: موسوعة التراث الفلسطيني: الأزياء الشعبية الفلسطينية، طبعة اولى منشورات مؤسسة صامد بيروت 1981م.
20. مجلة السنابل التراثية العدد الأول 1997م: زوجة موشي ديان جمعن نماذج من الزي الشعبي.
21. من الزي القومي: ثوب عرب التعامرة، مجلة السنابل العدد 11 شباط اذار نيسان 2000م.
22. عبد العزيز ابو هدبا: أزيائنا الشعبية هويتنا المطرزة، مجلة التراث والمجتمع، العدد 28 تموز 1996م.
23. عبد العزيز ابو هدبا: دور المرأة في حفظ التراث الثقافي، مجلة التراث والمجتمع، العدد 34 تشرين ثاني 1999م.
24. ، ثوب العيرة مسترد: اليهود سرقوا البلاد وتراث الأجداد وشردوا العباد: مجلة السنابل العدد 10 تشرين ثاني وكانون أول وثنائي 1999/2000م.
25. ماري مسلم قمصية: التطريز في التراث الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع العدد 24 تموز 1994م.
26. خلقي خنفر: الزي واحتفالات الزواج عند العرب المسلمين، مجلة التراث والمجتمع العدد 25 كانون الثاني 1995م.

### مواقع الكترونية من شبكة الانترنت:

1. <http://www.3nzh.com/vb/t62117.html>
2. [http://zmediat.com/magazine/index.php?option=com\\_content&view=article&id=226%3A2011-09-09-13-52-02&Itemid=36](http://zmediat.com/magazine/index.php?option=com_content&view=article&id=226%3A2011-09-09-13-52-02&Itemid=36)
3. <http://majdah.maktoob.com/vb/majdah166606/>
4. <http://boshra2009.3arabiyate.net/t942-topic>

5. <http://palshabab.com/ar/news.php?maa=View&id=3060>
6. <http://www.scribd.com/doc/12716554/elaph-Article-about-Palestinian-Trditional-Costumes-Map>
7. <http://fateh83.webgoo.us/t14-topic>
8. Khalil Nemary: *Art and Harmony in Palestinian Embroidery- jerusalem-Can* [www.palestinianheritagecenter.com](http://www.palestinianheritagecenter.com)
9. <http://ar.wikipedia.org/wiki>
10. [www.palestine-info.info](http://www.palestine-info.info)
11. *Woven Legacy, Woven Language* Jane Waldron Grutz (January- February 1991. Saudi Aramco World. Retrieved 2007- 06- 04

# زراعة أشجار الكرمة والصناعات القائمة عليها في بيت لحم في العصر الفرنجي 1099 - 1187م

د. سعيد عبد الله البيشاوي

أستاذ مشارك/ فرع رام الله والبيرة/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين.

## ملخص:

يتناول هذا البحث موضوع أشجار الكرمة والصناعات القائمة عليها في بيت لحم في العصر الفرنجي، وقد تحدثنا في البداية عن زراعة أشجار الكرمة قبيل قدوم الفرنجة وسيطرتهم على المنطقة، كما تطرقنا إلى إهتمام الفرنجة بهذه الزراعة لما تدره من أرباح على المشتغلين بها، وبيننا أنواع الضرائب التي فرضها الفرنجة على المزارعين، وأنهيينا هذه الدراسة بالحديث عن الصناعات التي تقوم على محصول العنب، مثل النبيذ المقدس، وتجفيف العنب (الزبيب) والملبن، والخل، وطبخ العنب (المربى) ، وتعرضنا في نهاية حديثنا عن التجارة الخارجية للصناعات القائمة على إنتاج الكرمة.

## Abstract:

*This research discusses the subject of the grape trees and the grapes-based industries in Bethlehem in the Frankish era.*

*At the beginning we have discussed the cultivation of the grapes trees, before the Frankish arrival and control on the region; also we showed the great attention of the Frankish to this cultivation, because of the profits generated from it to the owners and workers. We also highlighted the types of the taxes imposed on the framers by the franks.*

*We finished this research by talking about the industries based on the grapes crop, such as the sacred wine, and drying the grapes (Raisins) , Almalban, vinegar, cooked grapes (Jam) , another important thing is the foreign trade for these industries.*

## مقدمة:

يتناول موضوع البحث «أشجار الكرمة والصناعات القائمة عليها في العصر الفرنسي»، وقد قسمت البحث إلى خمسة أقسام، يتحدث الأول منها عن التربة والمناخ اللذين يصلحان لزراعة هذا النوع من الأشجار، ويتحدث العنصر الثاني عن اهتمام سكان فلسطين بزراعة هذا النوع من الأشجار، قبل قدوم الفرنجة للمنطقة، ويناقش العنصر الثالث سيطرة الصليبيين على بيت لحم واهتمامهم بزراعة أشجار الكرمة لما تدره هذه الزراعة على المشتغلين بها، أما العنصر الرابع فيعالج الضرائب التي كان يجبيها المشرفون على زراعة الكرمة سواء من النبلاء أم من رجال الدين اللاتين من الفلاحين، أما العنصر الخامس فيتطرق إلى الصناعات القائمة على زراعة أشجار الكرمة. وجعلت للبحث خاتمة ضمنيتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لهذا الموضوع وأرفقت بالبحث قائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

تزرع أشجار الكرمة في أنواع مختلفة من التربة، فالعنب الأبيض تناسبه التربة التي يضرب لونها إلى السواد والحمرة مع وجود رطوبة في التربة. والعنب الأحمر والأصفر ينبتان في التربة الخفيفة، والعنب الذي فيه شدة تناسبه التربة الرطبة. أما التربة التي تناسب زراعة أشجار الكرمة فهي أصناف عدة، فالعنب الأبيض توافقه التربة التي يضرب لونها إلى السواد والحمرة مع وجود رطوبة في التربة من ماء معين، والتربة البيضاء تناسب العنب الأبيض أيضاً والعنب الأحمر والأصفر يخصبان في الأرض الرقيقة والعنب الذي فيه شدة توافقه التربة الرطبة.

والعجيبُ في أمر ثمار العنب أن كل نوع منها يؤدي عصيره إلى لون أرضه لا على لونه<sup>(1)</sup> ويهتم الناس كثيراً بمحصول العنب لما في عصيره من ميزة<sup>(2)</sup>.

ورد ذكر زراعة أشجار الكرمة في أقوال الرحالة العرب والمسلمين قبل الحملة الفرنجية الأولى، وقد أشار الأخطري الذي توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري إلى شهرة المنطقة الجبلية بزراعة أشجار الكرمة بقوله: «وأشجار هذه الجبال وسائر جبال فلسطين وسهلها زيتون وتين وجميز وعنب وسائر الفواكه أقل من ذلك»<sup>(3)</sup> وهذه إشارة إلى شهرة الجبال والسهول على حد سواء بزراعة أشجار الكرمة. ويذكر المقدسي البشاري<sup>(4)</sup> أن منطقة الخليل والمناطق المحيطة إلى مسافة نحو نصف مرحلة تشتهر، بكروم وأعاب وتفاح»<sup>(5)</sup>. وفي مكان آخر يتحدث المقدسي عن شهرة فلسطين بالعنب الدوري والعينوني<sup>(6)</sup> نسبة إلى قريتي دورا× وبيت عينون×× في الخليل.

وتطرق الرحالة الفارسي ناصر خسرو في أثناء زيارته إلى فلسطين إلى شهرة فلسطين بزراعة أشجار الكرمة، إذ ذكر أن المناطق المحيطة ببيت المقدس والخليل تشتهر جميعها بزراعة أشجار الكرمة، بقوله: «وفيها شجر بري لا يحصى من عنب وتين وزيتون وسماق»، وفي مكان آخر أشار إلى موقع به «عين وحدائق وبساتين كثيرة» على بعد فرسخين من بيت المقدس. (7)

أفاض الرحالة والحجاج الأوروبيون - الذين زاروا فلسطين خلال فترة الحروب الصليبية - بذكر أشجار الكرمة، وأهم المناطق التي تشتهر بزراعتها والعناية بها، فقد أشار الراهب دانيال الروسي - الذي زار فلسطين في الفترة الواقعة بين سنتي 1106-1107 م، (8) إلى وفرة أشجار الكرمة المزروعة في المناطق المحيطة ببيت المقدس (9)، وذكر أن هذا النوع من الأشجار تكثر زراعته في المناطق القريبة من بيت لحم (10)، وتغطي أشجاره سفوح جبال الخليل (11)، وأشار أحد الرحالة الأجانب إلى أن أشجار الكرمة تنمو بكثرة في الأراضي المقدسة. (12)

وكانت الكنائس والأديرة قد حازت على أراض مليئة بأشجار الكرمة فمدينة بيت لحم - التي منحها الملك بلدوين الأول (13) إلى كنيسة المهد - كانت تشتهر بزراعة أشجار الكرمة هي والمناطق المحيطة بها (14)

فعلى سبيل المثال كانت قرية بيزك (15) - التي تبعد نحو ميل ونصف عن بيت لحم- تشتهر بزراعة أجود أنواع الكروم العنب، وكان جميع سكانها من المسيحيين الشرقيين الذين كانوا يصنعون النبيذ الممتاز من المحصول الذي تدره أشجار الكرمة المزروعة في أراضيهم، كما أنهم كانوا يتضمنون أشجار الكرمة المزروعة في القرى المجاورة لقريتهم (16)

وهناك إشارة أوردها المؤرخ الصليبي المعاصر وليم الصوري (17) William of Tyre مفادها أن خلافاً وقع بين رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة والملك بلدوين الأول حول كروم العنب الواقعة في ضواحي بيت المقدس، والتي كانت من أملاك بلدوين الأول، وكان رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قد اتهموه بالتصرف في كروم العنب ومنحها إلى كنيسة المهد في بيت لحم، على الرغم من أن كروم العنب كانت من أملاكه الخاصة. ويتضح من هذا التصرف مدى حرص المؤسسات الكنسية على حيازة الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة. (18)

وتجدر الإشارة إلى أن الصليبيين قاموا بتحويل حقول القمح إلى مزارع كرمة من أجل تأمين احتياجاتهم من كروم العنب والحصول على النبيذ المقدس، لأنه ليس هناك شك في أن كروم العنب كانت مربحة وتدر دخلاً أكثر من حقول القمح. (19) وبطبيعة الحال

اهتمت الكنائس والأديرة بزراعة أشجار الكرمة في الأراضي التي امتلكتها سواء عن طريق المنح أو التي قامت بشرائها، وكان رجال الدين اللاتين يقومون بشراء الأراضي المزروعة بكروم العنب من الأفراد والمؤسسات في مملكة بيت المقدس الصليبية. وعلاوة ذلك قدم كبار الأمراء وصغارهم، وأفراد الطبقة البرجوازية كثيراً من الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة إلى الكنائس والديرة المختلفة المنتشرة في حدود المملكة.<sup>(20)</sup>

وليس من شك في أن اهتمام رجال الدين اللاتين بزراعة أشجار الكرمة، يرجع إلى أن زراعتها والعناية بها، كانت تدرربها كبيراً على المشتغلين بها، فضلاً عن حاجة الصليبيين بصفة عامة، ورجال الدين اللاتين بصفة خاصة، إلى النبيذ الفلسطيني، الذي يمتاز بشهرته العظيمة منذ أقدم الأزمان، وكان المشرفون على مخازن التموين في الكنائس والأديرة، يدركون أهمية النبيذ الفلسطيني وجودته.<sup>(21)</sup> وقد أفاد رجال الدين من الضرائب المفروضة على أشجار الكرمة، إذ إنهم كانوا يحصلون على نصف أو خمس الإنتاج من محصول العنب.

### الصناعات القائمة على إنتاج الكرمة:

اشتهرت الأراضي المقدسة بصفة عامة وبيت لحم بصفة خاصة بصناعة النبيذ× زمن الحكم الصليبي على الرغم من أن صناعته كانت معروفة ومشهورة في هذه البلاد منذ عهود قديمة<sup>(22)</sup> هذا إلى جانب أن النبيذ الفلسطيني كان يتمتع بشهرة عالمية، ولذلك وجد إقبالاً من قبل أهل أوروبا وتجارها<sup>(23)</sup> وذكر أحد المؤرخين المعاصرين أن النبيذ الفلسطيني أنتج في الأراضي المقدسة في ظل الحكم الإسلامي، من أجل بعض التجمعات المسيحية التي كانت تقيم في هذه البلاد اثناء حكم المسلمين لها<sup>(24)</sup>. ومن المرجح ان المسيحيين الشرقيين - الذين كانوا يقيمون حول مدن بيت المقدس وبيت لحم والناصرية وفي جهات متفرقة من البلاد - هم الذين كانوا يقومون بصناعة النبيذ، لان المسلمين لا يشربونه ، وانما يتولون العناية بأشجار الكرمة، ويأكلون العنب والزبيب، وان كان بعض المسلمين يشربون النبيذ سرا. وكان المسلمون الذين يعيشون بالقرب من التجمعات المسيحية، يزرعون أشجار الكرمة ويتولون العناية بها، بقصد بيعه الى المسيحيين، وجنى أرباح طائلة من وراء ذلك<sup>(25)</sup>.

وبطبيعة الحال أدت سيطرة الصليبيين على الأراضي المقدسة الى زيادة معتبرة في صناعة النبيذ، اذ توسع الصليبيون في زراعة أشجار الكرمة، من أجل الإفادة من محصول العنب في تصنيع النبيذ.

وأشار الرحالة بورشارد من دير جبل صهيون إلى شهرة مناطق مختلفة في فلسطين بصناعة النبيذ الجيد، منها بيت لحم وضواحيها (26). وقد اهتم رجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة بصناعة النبيذ المقدس في اقطاعاتهم وأملاكهم، ومن أجل ذلك توسعوا في زراعة أشجار الكرمة في المستوطنات الكنسية التي أقاموها بالقرب من بيت المقدس.

ومهما يكن من أمر فقد اشتهرت الأراضي التي منحت للكنسية بصناعة النبيذ، بفضل تشجيع رجال الدين اللاتين واهتمامهم بهذا النوع من الصناعة. وكانت بيت لحم والقرى المحيطة بها تشتهر بصناعة النبيذ، وقد ذكر الرحالة الألماني بورشارد من دير جبل صهيون إلى أن قرية بيزك الواقعة على بعد نصف فرسخ (ميل ونصف) من بيت لحم، كانت تشتهر بصناعة النبيذ الممتاز الذي لا يوجد أجود منه في أي مكان من الأرض، وكان جميع سكان قرية بيزك من المسيحيين، الذين كانوا يتعهدون كروم العنب في قريتهم والقرى المجاورة (27) وهذا يعني أن جميع القرى الواقعة في منطقة بيت لحم، كانت تشتهر بصناعة النبيذ. ولعل شهرة هذه المناطق بصناعة النبيذ ستعود بالخير والمكاسب الكثيرة على رجال الدين اللاتين في كنيسة المهد؛ لأن بيت لحم والأراضي المحيطة بها كانت من أملاك كنيسة المهد.

وعلى العموم فقد ازداد الطلب على النبيذ من قبل رجال الدين اللاتين والاقطاعيين والمستوطنين، الأمر الذي دفع الصليبيين بصفة عامة ورجال الدين بصفة خاصة، إلى التوسع في زراعة أشجار الكرمة، من أجل زيادة الكميات المصنعة من النبيذ. وتجدر الإشارة إلى أن كميات من النبيذ كانت تمنح للكنائس والأديرة من قبل المستوطنين الأوروبيين، ففي يوم الخميس الموافق الثلاثين من أكتوبر سنة 1186م. قدم آدم الكبير الذي يملك قرية القديس جيل «سنجل» بموافقة زوجته وابنه بلدوين إلى هيئة القديس لعازر Saint Lazarus في القدس كمية كبيرة من النبيذ؛ بسبب استخدامه في الشعائر الدينية الخاصة بالكنائس والأديرة، ولجودته على سائر النبيذ المصنوع في فلسطين (28).

وكان رجال الدين اللاتين في الاسقفيات والكنائس والأديرة يقومون بفرض الضرائب على صناعة النبيذ، فقد أشارت إحدى الوثائق المؤرخة في سنة 1257م إلى أن أسقف عكا طالب فرسان التيوتون بدفع عشر انتاج النبيذ المصنوع في الأراضي الخاضعة لاشرفهم، مما يشير إلى أن صناعة النبيذ كانت خاضعة لدفع الضرائب التي قدرت بعشر محصول النبيذ (29). ولم تشر الوثائق إلى نسبة الضرائب التي كان يدفعها المستوطنون الأوروبيون - الذين استقروا في الاقطاعات الكنسية - على النبيذ المصنوع في المستوطنات الكنسية. ومن المرجح أن نسبة الضرائب كانت تحدد حسب جودة النبيذ، وحسب الكمية المنتجة منه.



وفي ختام حديثنا عن صناعة النبيذ في الأراضي المقدسة، نستطيع القول إن الطلب على النبيذ، ازداد ازدياداً ملحوظاً أثناء فترة الحكم الصليبي لهذه البلاد، ولعل ذلك يرجع إلى جودة النبيذ الفلسطيني، وحاجة الكنائس والأديرة للنبيذ من أجل الشعائر الدينية<sup>(30)</sup>. وهذا لا يعني أن صناعة النبيذ لم تكن قائمة في الأراضي المقدسة قبل الحكم الصليبي، فقد انتج في ظل الحكم الإسلامي من قبل بعض التجمعات المسيحية

ترتبط صناعة الدبس بزراعة أشجار الكرمة، وكانت هذه الصناعة تعتمد على ثمار العنب اعتماداً رئيساً<sup>(31)</sup>، وقد اشتهرت الخليل وجميع القرى والأراضي المحيطة بها بهذه الصناعة، وتكون معصرة الدبس معرضة للهواء، ويدرس أصحابها زبيب العنب الأحمر في مدرس، ثم يضعون ذلك الدبس بأوعية كبيرة من الفخار، مثقوبة من الأسفل، حيث يوجد على ذلك الثقب قطعة من الليف، وبعد ذلك يضعون الأوعية الفخارية على سقالة بارتفاع ذراع ونصف، مثقوبة عند أسفل الوعاء، ويضعون أوعية كبيرة تحت الأوعية الفخارية الأولى، ثم يسكبون الماء الصافي على الزبيب المدروس، ويمزجونه معه، وعندما يرشح السائل من الثقب الذي وضع عليه قطعة الليف، يقوم العمال بطبخه دبساً. وتجدر الإشارة إلى أن صناعته كانت تحقق دخلاً كبيراً للمشتغلين بها.<sup>(32)</sup> وقد شاهدنا كثيراً من معاصر العنب في أراضي الخليل، إذ كان يتم في هذه المعاصر عصر العنب، تمهيداً لطبخة وتحويله إلى دبس. ومن المرجح أن معظم المسلمين الذين كانوا يقيمون في القرى الواقعة جنوب بيت المقدس كانوا يصدرون الزبيب الدوري والعينوني إلى خارج البلاد.

صناعة الملبن: يصنع الملبن من العنب أو من دبس العنب ويصفي من خلال مادة الحور، ويتم غليه حتى يصل إلى درجة اللزوجة، وبعدها يصب على أكياس معدة لهذا الغرض. ويسمى من يقوم بهذه الصنعة بإسم ملبنجي أي صانع الملبن، وهو ما عمل من الدبس أو السكر بالنشا وصنعتة أن يربط جبل من الحائط إلى حائط ويربط في ذلك الحبل خيطان من القطن بطول ثلاثي ذراع، يلف به الجوز إذا كان بالدبس وفسق إذا كان بالسكر وبين كل قلب فسق أو جوز ثلاثة قراريط، وقد طبخ السكر أو الدبس مع النشا لدرجة قريبة من الجمود، ويؤخذ من ذلك المطبوخ بكبجاة (كيلة) ويصب من أعلى الخيطان حيث يكون تحتها طبق فيعلق بعضها على الخيطان وبعضها يسقط بالطبق فيعيد طبخ ما سقط بالطبق ويعيد صبه على الخيطان كل خيط بعوده وهلمجرا يستأنف الطبخ والصب على الخيطان حتى تتم هذه العملية فتترك معرضة للهواء والشمس حتى تجف وعند ذلك يطيب أكلها فيبيعه صاحبها لمن يرغب في شرائه خصوصاً على المتعيشة المار ذكرهم في حرفة المتعيش وهو يصفها في أطباق من خشب تعرف بالفرش ويدور بها في مجتمعات الناس فيبيعه لمن يرغبه. وبالجملة فهي حرفة يعيش منها والله المسبب ولا رب غيره.

## خل العنب:

يُصنع خل العنب عن طريق غلي العنب جيداً، وبعد ذلك يوضع في وعاء زجاجي مع العروش العناقيد، وبعد ذلك يغطى الوعاء بقطعة من القماش ويترك لمدة تتراوح بين شهر ونصف إلى شهرين في مكان متجدد الهواء، وأخيراً نقوم بتصفية الخل بوساطة قطعة من الشاش، ثم نحفظه في مكان بارد.

وتجدر الإشارة إلى أن تصدير المنتوجات القائمة على زراعة أشجار الكرمة، كانت تلقى رواجاً في البلاد المجاورة؛ مما دفع التجار الفلسطينيين إلى تصدير كميات كبيرة من منتوجاتهم إلى خارج حدود فلسطين<sup>(33)</sup>.

## الخاتمة:

اتضح من خلال دراستنا: «زراعة أشجار الكرمة والصناعات القائمة عليها في بيت لحم في العصر الفرنجي» أن هذه الزراعة كانت موجودة قبيل قدوم الفرنجة، وعندما سيطر الفرنجة على الأراضي المقدسة بما فيها بيت لحم توسعوا في زراعة أشجار الكرمة لأهميتها وقاموا بفرض الضرائب على الأشجار المزروعة قديماً، أما الأشجار المزروعة حديثاً فقد فرضوا عليها ضرائب أقل لأن الأراضي التي زرعت بأشجار الكرمة حديثاً كانت لا تزال قليلة الإنتاج، أما أشجار الكرمة المزروعة قديماً فكان المسؤولون الفرنجة يحصلون على نصف أو خمس الإنتاج من محصول العنب. وقد بينت هذه الدراسة أن الفرنجة اهتموا بصناعة النبيذ الفاخر التي تشتهر بصناعاته الأراضي المقدسة بما فيها مدينة بيت لحم وضواحيها، هذا إلى جانب الصناعات الأخرى التي تقوم على ثمار العنب مثل تجفيف العنب وصناعة الملبن وصناعة الدبس وطبخ العنب (المربي)، وقد بينت الدراسة أن الفلاحين اتجهوا لزراعة أشجار الكرمة بسبب الأرباح التي تعود عليهم من خلال زراعتها.



## الهوامش:

1. مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق محمد عيسى صالحية واحسان صدقي العمدة، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1984م، ص208
  2. المصدر نفسه، ص207
  3. الأصطخري: مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال الحسيني، القاهرة 1961م، ص44
  4. المقدسي البشاري: يعد من أعظم الجغرافيين المسلمين، ولد في القدس عام 336هـ/ 946-947م، وقد امتاز بأسلوبه الرصين، ودقته في الكتابة وكثرة ملاحظاته. انظر: الزركلي، الأعلام، ج3، القاهرة 1927-1928م، ص847، حسني أحمد حماد: الحضارة العربية القاهرة 1967م، ص71-72.
  5. المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، 1906م، ص172.
  6. المصدر نفسه، ص180-181.
- × العنب الدوري: نسبة إلى قرية دورا، وهي إحدى القرى المشهورة في منطقة الخليل، وهي واقعة في الجنوب الغربي من مدينة الخليل، ويحدها من الشمال الشرقي قرية تفوح، ومن الجنوب خربة دير رازح kh. Dere Razah، وهي تقع على بعد أحد عشر كيلو متراً عن الخليل، وترتفع عن سطح البحر 898متراً، وقد اشتهرت بكرومها وعنبها الذي عرف بالدوري. أوقفها المعظم عيسى الأيوبي عام 612هـ/ 1215م على الحرم الإبراهيمي. انظر: المقدسي البشاري، المصدر نفسه، ص181-182، مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج5، ق2، دار الهدى، كفرقرع 2006م، ص187.
- ×× العنب العينوني: نسبة إلى بيت عينون، وتعرف في الوقت الحاضر باسم خربة بيت عينون، وكانت من ضمن الإقطاعات التي منحها الرسول (ص)، إلى الصحابي الجليل تميم الداري، ويوجد في القرية آثار كنيسة فيها أعمدة وتيجان أعمدة، وبرج و خزان مياه تصل بقناة، إلى جانب صهاريج وأساسات، وأرض مرصوفة بالفسيفساء، والقرية تقع في الشمال الشرقي من الخليل، ويحدها من الشمال قرية سعير، ومن الشمال الغربي قرية بيت اولاء، ومن الجنوب الغربي مدينة الخليل. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج5، ق2، ص10، 51، 55، 171، 322-327
7. سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1993م، ص84

Willson, C. W. ,Introduction of Daniel,s pilgrimage of the Russian abbot .8  
Daniel, p.vii

Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p.26 .9

Ibid. p. 41 .10

Ibid. p. 45 .11

.Burchard of Mount Sion,p. 101 .12

13. الملك بلدوين الأول: هو أول ملك صليبي على مملكة بيت المقدس الصليبية، تولى حكم المملكة بين عامي 100-1118م، توجه البطريرك دايمبرت البيزي ملكاً على المملكة يوم عيد الميلاد في كنيسة العذراء في بيت لحم. أنظر: هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، ط1، دار العالم العربي، القاهرة 2008م، ص39-40.

Pilgrimage of the Russian abbot Daniel,p. 41 .14

15. قرية بيزك: أشار إليها الرحالة بورشارد من دير جبل صهيون بأنها: «تبعد عن بيت لحم بحوالي نصف فرسخ، وأن جميع سكانها من المسيحيين الذين يعتنون بأشجار الكرمة، ويصنعون النبيذ الممتاز». لكن بورشارد لم يحدد موقعها، وبالرجوع إلى كثير من المصادر الجغرافية والخرائط، فإننا لم نجد أية قرية في حدود بيت لحم تحمل اسم قرية بيزك، ومن المرجح أن تكون قرية بيت بزان الواقعة في الجنوب الشرقي من بيت لحم. Cf. Burchard of mount Sion,p. 89

Ibid. p. 89 .16

17. وليم الصوري: ولد وليم في بيت المقدس عام 1130م، وشاركت أسرته الفرنسية في الحملة الصليبية الأولى. عاش وليم فترة شبابه في الشرق وأتقن لغات عدة منها العربية، وتوجه في ريعان شبابه إلى أوروبا طلباً للعلم والمعرفة وتلقى علومه في بعض المدن الفرنسية، وبعد أن أمضى نحو عشرين سنة، عاد إلى الأراضي المقدسة عام 1165م. أنظر السيد الباز العريني: مؤرخو الحروب الصليبية، ص101-103، 110-113، 145-165. نظير حسان سداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، القاهرة 1962م، ص 41-42.

William of Tyre, A history of deeds done Beyond the sea,vol. 1,trans. .18  
by Babcock and Krey,New york1943,p. 483

19. Richrd,J. , Agricultural Coditions in the Crusader States,p. 260,Prawer,J. , the Latin kingdom of Jerusalem,362.

.Conder,C. , The Latin kingdom of Jerusalem,p. 196 .20

.Prawer. J. , Crusader Institutions,pp. 132- 133 .21

× صناعة النبيذ: تتم صناعة النبيذ بخطوات عدة أهمها: 1- تقطف عناقيد العنب بعد نضوجها، ويتم فرط العناقيد، وبعد ذلك تفرش حبات العنب على السطح، ويتم تعريضها لأشعة الشمس مدة من الزمن من أربعة أيام إلى عشرة أيام حسب شدة حرارته الشمس وتقلب الحبات من يوم لآخر بغية التخلص من الرطوبة ولتركيز نسبة السكر في الحبات وكذلك لتنشيط الخميرة حيث إن خميرة النبيذ متواجدة على حبات العنب وقرب أعناق الحبات يتم عصرها وهي ساخنة من خلال وجودها تحت أشعة الشمس حيث إن حرارة العصير تشجع وتزيد من نشاط الخميرة خلال العصرة الأولى، ويوضع العصير بما فيه من قشور في وعاء ذي فوهة ضيقة تغلق بإحكام بوساطة نايلون وتربط بإحكام مع ملاحظة أن يبقى ربع حجم الوعاء فارغاً بغية عدم فوران القشور والعصير إلى خارج وعاء التخمر. يتقب غطاء النايلون بوساطة قلم رصاص ويتم إدخال خرطوم بلاستيك بقطر قلم الرصاص لعمق 1-2سم. حيث يلاحظ بعد يوم او يومين خروج فقاعات غازية من خلال الماء الموجود في القنينة وهو غاز ناتج عن عملية التخمر اللاهوائي في عصير العنب. بمعنى يجب عدم السماح لدخول الهواء إلى داخل وعاء التخمر. يستمر التخمر لمدة 10-20يوم حتى يقف خروج الفقاعات وبالتالي تؤخذ نواتج التخمر (العصير والقشور) لتصفيتها وعصرها بشكل جيد للمرة الثانية حيث إن الطعم واللون والفيتامينات متواجدة في القشرة. يوضع العصير الخالي من القشور والبذور في وعاء أيضاً ذي فوهة ضيقة ويغلق بإحكام- وذلك لاستمرار التخمر البطيء والترقيد، ويترك لمدة 20-30 يوماً أخرى، عندئذ يمكن القول إن النبيذ اصبح جاهزاً للشرب يصب النبيذ ضمن قناني زجاجية معتمة اللون، وتغلق بواسطة الفلين وتشمع وتوضع في الأقبية بعيدة عن ضوء الشمس وأشعتها وفي أقبية حرارتها متقاربة صيفاً وشتاءً، ويفضل أن توضع القناني منبطحه كي يمتص الفلين الرطوبة [http://www.mshtawy.com/images/mshtawyat/wine4.jpg] bimg

.Ibid. p. 133 .22

23. تتضح أهمية النبيذ الفلسطيني والإقبال عليه بعد زوال الحكم الصليبي، إذ استمر تصدير النبيذ إلى الغرب الأوروبي، وتشير إحدى الدراسات الحديثة إلى أن إحدى

الشحنات المصدرة من طرابلس لبنان بلغت عشرة أطنان، مما يفيد أن النبيذ كان من السلع الرائجة في الغرب الأوروبي. Cf. Richard,J. , Agricultural Conditions, pp. 260- 261.

24. Praver,J. , The latin kingdom of Jerusalem,p. 362  
25. Burchred of mountSion,p. 101,cf. also; Richard,J. , Agricultural .Conditions,p. 260

26. Burchard of mount Sion,p,101

27. Strelke,Doc,No. 112,pp. 91- 94

× قرية سنجل: كانت في العصر الصليبي تقع ضمن حدود إقطاعية نابلس، وتبعد عن مدينة نابلس نحو عشرين كيلو متراً، وتبعد عن رام الله نحة 21 كيلومتراً كانت مركزاً لإقطاعية صغيرة ، يحكمها سيد اقطاعي من صغار الإقطاعيين، كانت تشتهر بزراعة أشجار الكرمة، وقد أسس الصليبيون فيها برجاً وكنيسة. Cf.Genevier,op,cit,Nos,159-160,Index Locorum,p.422,Deschamps, Paul, La Defence de Reyaume de Jerusalem,p22.Hamilton,B,op,cit,p.94  
بلادنا فلسطين، ج8، ص279، البيشاوي، سعيد: الممتلكات الكنسية، ص263: شراب، محمد محمد: معجم بلدان فلسطين، ص457.

28. de Marsy, A., "Fragement d'un Cartulaire de l'order de Saint-Lazare en Terre-Sainte, do. No. 31, p.141, Benvenisti, M., The crusaders in the ..holy land, Jerusalem, 1976, p.230

29. Praver,J. , Crusader Institutions,p. 128

30. جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس، ج2، بيروت1894-1901، 121.

31. القاسمي جمال الدين وآخرون: قاموس الصناعات الشامية، دار طلاس للنشر، دمشق1988م، ص457.

32. المرجع السابق، ص468.

33. Karmon,Y, Changes in the Urban Geography of Hebron During tge Ninteenth Century' in: studies on Palestine during the Ottman period ,ed. By Moshe Ma'oz,Jerusalem. 1975,pp. 71- 72

## المصادر والمراجع:

1. الأصبخري: مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال الحسيني، القاهرة 1961م
2. جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس، ج2، بيروت 1901-1894م.
3. حسني أحمد حماد: الحضارة العربية القاهرة 1967م
4. الزركلي، الأعلام، ج3، القاهرة - 1927 1928م.
5. السيد الباز العريني: مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة 1962.
6. مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج5، ق2، دار الهدى، كفرقرع 2006م،
7. القاسمي، محمد سعيد وآخرون: قاموس الصناعات الشامية، دار طلاس للنشر، دمشق 1988م.
8. المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن (مطبة بريل) 1906م.
9. مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق محمد عيسى صالحية واحسان صدقي العمدة، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1984م.
10. ناصر خسرو: سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1993م.
11. نظير حسان سعادوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، القاهرة 1962م.
12. هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، ط1، دار العالم العربي، القاهرة 2008م.

## المصادر والمراجع الأجنبية:

1. Benvenisti, M., *The crusaders in the holy land*, Jerusalem, 1976.
2. Burchard of Mount Sion; *A Description of the Holyland*, trans. By Aubrey Stewart, London 1896.
3. Coder, c. , *The Latin kingdom of Jerusalem, 1099- 1291*, London 1897.
4. de Marsy, A., "*Fragement d'un Cartulaire de l'order de Saint-Lazare en Terre-Sainte*."

5. *Pilgrimage of the Russian abbot Daniel in the Holy land*, trans. by C. W. Wilson, London 1888.
6. *Prawer. J. , Crusader Institutions*, Oxford 1980.
7. *Prawer, J. , The latin kingdom of Jerusalem*, Jerusalem 1972.
8. *Richrd, J. , Agricultural Coditions in the Crusader States*, in *Setton*, vol, 5 (pp. 251- 294.
9. *Strelke, E. , Tabulae Ordinis Theuonici*, Berlin 1869.
10. *William of Tyre, A history of deeds done Beyond the sea*, vol. 1, trans. by *Babcok and Krey*, New york 1943.





## سادن التراث في بيت لحم د. توفيق بشارة كنعان الخوري البيتجالي (1882 - 1964)

د. إدريس محمد صقر جرادات  
مدير مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي / فلسطين.



### ملخص:

سعت الدراسة إلى بيان المراحل العمرية لسادن الموروث الشعبي في منطقة بيت لحم وإظهار دوره الريادي التأسيسي لتوثيق التراث الشعبي الفلسطيني وحفظه وصيانتة، وجمع المواد العينية التراثية خاصة التي تتعلق بالطب الشعبي في فلسطين في زمن كان فيه المجتمع الفلسطيني مشاقي ومعاقي من الاحتلال، ودوره في نشر الثقافة وتعميمها وتبادل الخبرات وبناء جسور التواصل الاجتماعي والإثراء المعرفي بين الحضارات من خلال كتاباته بلغات عدة، وذلك للعمل على إحياء هذا الجانب المهم لمن كتب عن تراثنا الشعبي والعمل على تقليل حجم المعاناة التي يتعرض لها الباحث العربي في ممارساته اليومية وتقديم معلومات تخدم أصحاب القرار في اتخاذ خطوات إيجابية في رسم السياسة العامة وتنفيذ الخطط المستقبلية لتحقيق التكيف وتلبية احتياجاته ضمن الواقع الذي يعيش فيه.

## حاولت الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما المراحل العمرية للدكتور توفيق كنعان؟

2. ما الكتب والإصدارات والبحوث والدراسات التي طبعها ونشرها؟

اتبعت الدراسة المنهج المكتبي بالرجوع الى الكتب والمراجع وتوصلت الى مجموعة من النتائج أن توفيق كنعان هو الطبيب والأديب والباحث والمؤرخ والأنثروبولوجي الفلسطيني ومؤسس لدراسات الموروث الشعبي الفلسطيني بلغات أجنبية.

## مقدمة:

توفيق بشاره كنعان الخوري من سدة الموروث الشعبي الفلسطيني في حقبة زمنية تمتد من أواخر العهد التركي وفترة الانتداب البريطاني على فلسطين، وقد عايش أحداث النكبة، كما عايش حياة الناس بكل فئاتهم من خلال عمله طبيباً في المستشفيات والعيادات، وكانت فرصته قوية في جمع الطقوس والتقاليد والعادات والمعتقدات الشعبية، خاصة المتعلقة بالطب الشعبي وعلاجها والأمراض السارية والعين والحسد، ووثق الموروث الشعبي بلغات أجنبية ونشر معظم ما وصلت اليه يده في مجلات أجنبية، ولكنه لم يتعرض للموروث المقاوم للإنجليز من أغانٍ وقصص وحكايات وامثال وأهازيج شعبية.

## المولد والنشأة:

ولد توفيق بشاره كنعان الخوري في بيت جالا في 24 / 9 / 1882م، ودرس المرحلة الابتدائية في المدينة نفسها، ثم انتقل إلى دار الأيتام السورية في القدس - شنلر - حيث أنهى تحصيله الثانوي قضى بعدها ثلاث سنوات ونصف في دار المعلمين، ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت وتخرج طبيباً عام 1905م.

## اللغات التي أتقنها توفيق كنعان:

أتقن توفيق كنعان ستّ لغات (منها: الألمانية والإنجليزية والفرنسية والتركية بالإضافة إلى العربية) فأتاح له ذلك أن يوسّع معارفه النظرية، وأن يكتب مقالاته في صحف بريطانية وألمانية وفرنسية<sup>(1)</sup>.

عاد إلى فلسطين ليعمل مساعداً «للدكتور غروسندروف»<sup>(2)</sup> في مستشفى الدياكونية في القدس، وعمل بعد تخرجه من الجامعة في المستشفى الانجليزي في القدس ومستشفى الهوسبيس - النمساوي ومستشفى العيزرية ومستشفى بيت لحم والمستشفى الروسي والمستشفى الالمانى - «أوغستا فكتوريا» - في القدس وأسس خمس عيادات ثابتة في بيت

جالا والخليل والطيبة والعيزرية والقدس مع الاتحاد اللوثيري العالمي وتولى مسؤولية مستشفى شعاري تسيدق<sup>(3)</sup> لمدة ثمانية شهور كرئيس لدائرة الملاريا في مكتب الصحة العالمية.<sup>(4)</sup>

وهو أحد الأطباء الأربعة الذين استدعوا لعلاج الشريف حسين في عمان قبل عام 1931م.<sup>(5)</sup>

«والده بشارة خوري قسيس مؤسس الكنيسة اللوثرية في بيت جالا».



صورة حصل عليها الباحث «د. إدريس جرادات» من الكنيسة اللوثرية في بيت جالا 3 / 4 / 2012م يظهر فيها د. توفيق كنعان بجانب والده القس بشارة خوري في أثناء تدشين الكنيسة اللوثرية في بيت جالا سنة 1882م.

### دراسة الطب والتخصص:

- ◆ تخرج طبيبا من الجامعة الامريكية في بيروت سنة 190م.
- ◆ درس علم الجراثيم والأمراض الاستوائية مع الدكتور مولنز سنة 1912م.
- ◆ درس أمراض الدرن مع البروفيسور موخ سنة 1914م.

### العمل الرسمي:

- ◆ بعد تخرجه عمل مساعدا في المستشفى الألماني والمستشفى الانجليزي ومستشفة تشعار تسيدق في القدس.
- ◆ عمل طبيبا في الجيش التركي في الناصرة خلال الحرب العالمية الأولى من سنة 1914-1918م.

- ◆ أصبح رئيساً لدائرة الملاريا التابعة لمكتب الصحة العالمي.
- ◆ عمل رئيساً للمختبرات الطبية في بئر السبع جنوباً وانتهاءً بولاية حلب السورية شمالاً.
- ◆ بعد تقلص الحكم العثماني وامتداد النفوذ الفرنسي والبريطاني فتح عيادة خاصة به، بالإضافة إلى عمله في مستشفى البرص من سنة 1918-1947م.
- ◆ ترأس دائرة الطب الباطني في المستشفى الألماني بالقدس.
- ◆ بعد نكبة أيار 1948م انتدبته الجمعية الطبية العربية كبيراً للأطباء في المستشفيات العربية والمستشفى الروسي والهوسبيس النمساوي ومستشفى العيزرية ومستشفى بيت لحم.
- ◆ بعد نكبة 1948م بدأ عمله مع الاتحاد اللوثري العالمي، وأسس خمس عيادات تابعة للاتحاد اللوثري في كل من بيت جالا والخليل والطيبة والعيزرية والقدس.
- ◆ تسلم ادارة مستشفى الاوغستا فكتوريا في القدس وعين مساعداً طبياً له من سنة 1950- ربيع 1955م.<sup>(6)</sup>

### الشهرة:

اشتهر كاقدم طبيب عربي في مدينة القدس وكإخصائي في أمراض البلاد الحارة والقلب والصدر.

### المقالات الصحية:

نشر مقالات صحية عدة في مجلة كلية الطب في بيروت منها:

- ◆ الصحة اساس الحياة القومية.
- ◆ حبة حلب - Oreintal Boil -
- ◆ التهاب السحايا الدماغية الشوكية في القدس.
- ◆ عدوى الجذام.<sup>(7)</sup>

### الأعمال الاجتماعية والتطوعية:

1. انتخب ثلاث مرات رئيساً لجمعية الشبان المسيحية في القدس، وكان عضواً في مجلس إدارتها، وعضو شرف دائماً في مجلس إدارتها.

2. أسس الجمعية الطبية العربية في فلسطين وكان رئيسها وعمل محرراً لمجلتها الطبية باللغة الانجليزية. (8)
3. أنتخب أمين سر جمعية المستشرقين الفلسطينية.
4. أنتخب عضواً في مدرسة الأبحاث الشرقية بالقدس.

### الأعمال الإبداعية والكتابة والتأليف:

ألف د. توفيق كنعان العديد من الكتب باللغات الإنجليزية، والألمانية، والفرنسية في وقت كان فيه المجتمع الفلسطيني سالماً متكاملأ على أرضه ليشمل فلسطين كلها امتد فضاءها، وفي الوقت نفسه نشر ما يزيد على 130 مؤلفاً من كتاب ودراسة ومقالة ومراجعات للكتب باللغتين الإنجليزية والألمانية

وأورد موسى علوش (9) في كتابه أسماء بعض الكتب منها:

1. الموت أم الحياة: طبع عام 1908م بالإنجليزية والألمانية والفرنسية.
  2. الطب الشعبي في البلاد المقدسة: ألمانيا 1914م.
  3. الأولياء والمزارات الاسلامية في فلسطين: بالانجليزية عن دار لوزاك في لندن عام 1927م وأعيد نشره عن دار اريئيل سنة 1987م.
  4. قضية عرب فلسطين: وضعه بالإنجليزية ونقله الأستاذ موسى سلامه إلى العربية وطبع عام 1936م.
  5. الصراع في أرض السلام: وضعه بالانجليزية وطبع عام 1938م.
  6. وثيقتان تتعلقان بتسليم القدس وطرق القوافل البيزنطية ودراسات تتعلق بطبوغرافية البتراء وعرب الصقر- بيسان. (10)
  7. كما نشر دراسات ومقالات عن الموروث الشعبي الفلسطيني في مجلة جمعية الاستشراق الفلسطينية (11) Journal of Palestinian Oriental Society
- واهم الدراسات كما أوردها موسى علوش في كتابه من 1-10: (12)
1. الينابيع المسكونة بالجن في فلسطين في العدد الأول من مجلة المذكورة أعلاه.
  2. فولكلور الفصول في العدد الثاني.
  3. المزارات والأولياء الاسلامية في فلسطين في العدد الرابع والعدد السادس والعدد السابع.

4. الطفل في المعتقدات الشعبية الفلسطينية في العدد السابع.
  5. فولكلور النبات في العدد الثامن من.
  6. الماء وماء الحياة في العدد التاسع.
  7. العتمة والنور في الفلكلور الفلسطيني في العدد الحادي عشر.
  8. البيت العربي الفلسطيني العدد الثاني عشر والثالث عشر.
  9. المعتقدات والممارسات الدينية في العدد الرابع عشر.
  10. طاسة الرجفة في العدد السادس عشر.
  11. الشرائع غير المدونة عبر المرأة في فلسطين. (13)
  12. حل رموز الطلاسم العربية.
  13. عقيدة المعاصرين الفلسطينيين بالله وطريقة ممارستها.
- إبداعاته في المجال الطبي: كتب الطب الشعبي في ارض الكتاب المقدس وطبع سنة 1914م وكتب عن مرض الجذام والتهاب السحايا وحبّة حلب.
- كما عمل على جمع الأدوات التراثية المتعلقة بالطب الشعبي والمعتقدات الشعبية حيث عُرضت في مكتبة جامعة بيرزيت بتاريخ 30 / 10 / 1998 - شباط 1999م تحت اسم يا كافي يا شافي، وصدر دليل عن اللجنة التأسيسية للتطوير الثقافي والتراثي في جامعة بيرزيت، حيث أشارت الدراسات أنه جمع بين 1912-1947م ما يزيد عن 1400 قطعة تراثية معظمها من القدس والريف المقدسي كهدية أو شراء أو مقابل علاج ودواء. (14)

#### اهتمامه بالقضية الفلسطينية والتطورات السياسية:

- اهتم توفيق كنعان بالقضية الفلسطينية والتطورات السياسية ومشاكلها، وهو أول من نبه العرب الى أهمية النقب الفلسطيني وخطورة موقعه الاستراتيجي وقيمه الزراعية. (15)
- له مجموعة كتب في التاريخ والقضية الفلسطينية أهمها:
- ◆ قضية عرب فلسطين بالانجليزية وترجمه موسى سلامة الى العربية عام 1936م.
  - ◆ الصراع في أرض السلام باللغة الانجليزية عام 1938م.
  - ◆ الموت والحياة بالانجليزية وترجم الى العربية والفرنسية عام 1908م. (16)

كما كتب ونشر ما يزيد عن 35 مقالة منها: المشكلة الصهيونية وأزمة فلسطين، طرق القوافل البيزنطية، وثيقتان تتعلقان بتسليم القدس ن عرب الصقر في بيسان، البيت العربي الفلسطيني (بناؤه وتراثه الشعبي). (17)

### المقالات التراثية:

كتب ما يزيد عن 35 مقالة تراثية منها: النور والظلام في التراث الشعبي الفلسطيني، عقيدة الفلسطينيين وطريقة ممارستها، علم النبات في الخرافات الفلسطينية، الماء في الخرافات الفلسطينية، الطفل في الخرافات الفلسطينية، اللغة في التراث الشعبي الفلسطيني، حل رموز الطلاسم العربية وطاسة الرعبة الشعبية والينابيع المسكونة والشياطين المائية في التراث الشعبي. (18)

- ◆ عقيدة الفلسطينيين المعاصرين بالله وطريقة ممارستها.
- ◆ القتل في عادات وتقاليد عرب الأردن.
- ◆ الدم في العادات والاعتقادات الخرافية عند الفلسطينيين.
- ◆ ضحية الكفارة في المعتقدات العربية الفلسطينية.
- ◆ الحيوانات الخارقة للطبيعة في الاعتقاد الشعبي.
- ◆ العادات والتقاليد الفلسطينية بالموت.
- ◆ موسم النبي موسى عليه السلام.
- ◆ العذراء المرأة العربية في شرق الأردن.
- ◆ بدو العزامة.
- ◆ مهر العروس.
- ◆ الأرامل.
- ◆ الأواني السحرية.
- ◆ الشُّفعة.

### المقالات الزراعية والماء والطوبوغرافيا:

- ◆ علم النبات في الخرافات الفلسطينية.
- ◆ الماء وماء الحياة في الخرافات الفلسطينية.



- ◆ الينابيع المسكونة والشياطين المائية في فلسطين.
- ◆ دراسات في طوبوغرافيا البتراء.
- ◆ طرق القوافل البيزنطية. (19)
- ◆ الفلاحة في فلسطين،
- ◆ البذور الشتوية في فلسطين،

### المجلات العلمية التي نشر فيها أو عمل على تحريرها :

- ◆ عمل رئيساً لتحرير مجلة الجمعية الطبية العربية التي كانت تصدر في فلسطين باللغة الانجليزية لمدة سبع سنوات (Palestine Medical Journal).
- ◆ النشر في مجلة جمعية المستشرقين الفلسطينية بالانجليزية، وكانت مقالاته تدور حول الأمثال العربية التي تتناول الكلب.
- ◆ نشر بلغات عدة في الصحف الألمانية والانجليزية والفرنسية مقالات سياسية يظهر فيها النوايا السيئة التي يببئها الانتداب والصهيونية للبلاد المقدسة. (20)
- ◆ نشر في مجلة الكلية في الجامعة الأمريكية في بيروت مقالات عن أهمية النقب الاستراتيجية.

### الكتب التراثية:

- نشر كتباً تراثية عدة منها: الطب الشعبي في أرض الكتاب المقدس ألفه بالالمانية وطبع في هامبورغ سنة 1914م، والأولياء والمزارات الاسلامية في فلسطين بالانجليزية سنة 1927م. (21)

### السجن والاعتقال:

- بعد نشوب الحرب العالمية الثانية سجن مع قرينته وشقيقته في سجن عكا بتهمة الدعاية الألمانية الهتلرية، افرج عنهم بعد ثلاثة شهور. (22)

### أوسمة التقدير:

- نظرا للدور البارز لتوفيق كنعان في نشر وتعمي الموروث الشعبي ونشاطه البراع في فتح العيادات الصحية وادارة المستشفيات تم منحه وسام القدس للثقافة والفنون في كانون اول 1990م. (23)

## ترجمة أعماله إلى العربية:

1. نشرت عنه بالإنجليزية ابنته «يَسمى توفيق كنعان»، وتُرجم ما كتبتة الى العربية ونشر في مجلة التراث والمجتمع الصادرة عن جمعية إنعاش الأسرة في العدد السادس سنة 1976
2. ترجم الباحث الفلكلوري نمر سرحان رئيس المركز الفلسطيني للفنون الشعبية كتابين للدكتور توفيق كنعان هما: البيت الفلسطيني: بناؤه وفولكلوره، وفولكلور النبات والمعتقدات الشعبية.
3. ترجم جبر فضة موضوع الينابيع المسكونة بالجن والعفاريت، ونشره في مجلة التراث والمجتمع في العدد الثاني 1978م.
4. ترجم حمدان طه كتاب علم الجن الفلسطيني ولم ينشر.
5. ترجم موسى علوش كتاب الطب الشعبي والشعوذة عن الألمانية، كما ترجم جميع المقالات والدراسات المنشورة في مجلة جمعية الاستشراق Journal of Palestinian Oriental Society، ونشرها في كتاب يحمل اسم الكتابات الفلكلورية للدكتور توفيق كنعان Dr Tawfiq Qanaan Folkwritings.



صورة غلاف الكتاب:

النسخة المترجمة الى العربية

## منهجية الباحث توفيق كنعان في الكتابة والتأليف:

♦ اعتمد الباحث مؤلف الكتاب المنهج التحليلي الأنثروبولوجي تحت تأثير المنهج التوراتي في البحث الأثري والتاريخي - مناخ عقد الثلاثينيات - .

♦ اعتماد أسلوب التوثيق العلمي في الهوامش، في نهاية الفصل الأول 299 هامشاً والثاني 452 هامشاً، والثالث 306 هوامش، ولكن لم يورد قائمة بالمراجع والملاحق في نهاية الكتاب.

♦ الزيارات الميدانية: زار الباحث توفيق كنعان 235 موقعاً و 348 مزاراً

توفرت لديه مادة ومعلومات عنها من

2. مشاركة الباحث توفيق كنعان في الاحتفالات الإسلامية والأذكار والمولد

3. جمع الحكايات عن الأولياء والمقامات.

4. جمع الأشعار التي يغنيها الناس تكريماً للأولياء، كذلك المخزون الهائل من الأمثال والمصطلحات الفلسطينية في توضيح بعض العادات والممارسات المتصلة بالقدسين والمزارات.

5. معايشة الباحث واتصاله المباشر مع عامة الناس ومجارة الحياة اليومية والعادات لسكان فلسطين.

## وفاته:

في نكبة 1948م تعرض بيته في حي المصراة الى قصف عصابات الهاجاناه واشتيرن الصهيونية وهدم بيته بالكامل، وعاش بقية سني حياته في غرفة ملحقة بكنيسة القيامة في القدس الى أن وافاه الأجل سنة 1964م. (24)

## نتائج الدراسة:

وبعد هذا العرض السريع يمكن الإشارة إلى الملاحظات الآتية حول الكاتب:

1. مصدر معلوماته مستقاة من معاشته لواقع الناس مباشرة، خاصة الذين يتكلمون اللهجة الدارجة ويعبرون بعفوية عن ممارساتهم وسلوكياتهم.

2. حاول الربط بين جوانب العادات الحالية ومصادر العهد القديم - التوراة - ومصادر التاريخ الإسلامي والمسيحي مما يميز الرؤية القائمة على الفهم التراكمي للتاريخ الحضاري بعيداً عن الانتقائية التي ميزت فهم المحلل للتاريخ اليهودي.

3. الباحث والمربي المتقاعد د. توفيق بشارة كنعان أضاء قنديلاً وشق طريقاً في مجال الحديث عن الموروث الشعبي في فلسطين في وقت كان فيه المجتمع الفلسطيني سالماً متكاملاً على أرضه وفتح المجال للباحثين والدارسين والفولكلوريين والمهتمين وطلبة العلم والجامعات لإجراء دراسات متخصصة على الحرم والخليل من الجوانب كافة.

4. كان توفيق كنعان على اتصال مع القرويين في السنوات المبكرة في حياته؛ مما جعل اهتمامه بالخرافات والفلكلور يستيقظ مرة ثانية، فبذلك الوقت كان أطباء قليلون يعيشون الممارسة

5. لم يكن ليهتم بالفنون الشعبية المادية، مثل الزي والرسم والتطريز والحرف اليدوية إلا بمقدار صلة هذه الفنون اليدوية بالمعتقدات.

6. تناول الجوانب الصعبة في الفلكلور الفلسطيني: المعتقدات والخرافة والمزارات والطب الشعبي لم يتطرق أبداً إلى الفلكلور المقاوم للاحتلال البريطاني والهجمة الصهيونية على فلسطين العناصر المشتركة في فولكلور الفلسطينيين والمسيحيين.

### التوصيات:

أشارت الدراسة إلى مجموعة من المقترحات والتوصيات العامة والبحثية والأكاديمية لاستكمال إجراء دراسات علمية في هذا المجال من خلال تتبع الآراء والدراسات المنشورة بلغات أجنبية حول الموضوع، وتجميع كتب ودراسات د. توفيق كنعان المنشورة بلغات أجنبية والكتب المترجمة في مركز الترجمة في الجامعات الفلسطينية.

## الهوامش:

1. [http:// www. aljazeera. net/ news/ archive/ archive?ArchiveId=1090796](http://www.aljazeera.net/news/archive/archive?ArchiveId=1090796)
2. د. غروسندروف: مدير مستشفى الدياكونيا في القدس.
3. مستشفى شعاري تصديق» Shaare Zedek Medical Center, Jerusalem.
4. د. موسى علوش: الكتابات الفلكلورية للدكتور توفيق كنعان، الطبعة الاولى الجزء الأول شباط 1998م صفحة 5-7.
5. د. شريف كناعنه: توفيق كنعان أحد رواد التراث الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع الصادرة عن جمعية انعاش الاسرة في البيرة العدد 33 نيسان 1999م صفحة 84.
6. يعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، الطبعة الثالثة 1992م صفحة 548.
7. يعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين، الطبعة الثالثة 1992م صفحة 549.
8. عرفان أبو أحمد: أعلام من ارض السلام، 1998م، صفحة 116.
9. د. موسى علوش: الكتابات الفلكلورية للدكتور توفيق كنعان، الطبعة الاولى الجزء الأول- دار علوش للطباعة والنشر في بيرزيت شباط 1998م.
10. د. شريف كناعنه: توفيق كنعان أحد رواد التراث الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع الصادرة عن جمعية انعاش الاسرة في البيرة العدد 33 نيسان 1999م صفحة 84-85.
11. مجلة جمعية الاستشراق:
12. د.موسى علوش: الكتابات الفلكلورية للدكتور توفيق كنعان، الطبعة الاولى الجزء الأول- دار علوش للطباعة والنشر في بيرزيت شباط 1998م.
13. د.شريف كناعنه: توفيق كنعان أحد رواد التراث الشعبي الفلسطيني،مجلة التراث والمجتمع الصادرة عن جمعية انعاش الاسرة في البيرة العدد 33 نيسان 1999م صفحة 85.

14. د. شريف كنعان: توفيق كنعان أحد رواد التراث الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع الصادرة عن جمعية انعاش الاسرة في البيرة العدد 33 نيسان 1999م صفحة 91.
15. تيسير جبارة ، سعيد عبد الله البشاوي: أعلام من فلسطين: معجم المؤرخين الفلسطينيين في القرن العشرين، 2010م. صفحة 94
16. كمال قاسم فرهودي، د. محمود عباسي: موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، المجلد الأول ، طبعة الثالثة ، مكتبة كل شيء الناصرة ، ××× صفحة 292.
17. تيسير جبارة ، سعيد عبد الله البشاوي: أعلام من فلسطين: معجم المؤرخين الفلسطينيين في القرن العشرين، 2010م. صفحة 94
18. كمال قاسم فرهودي، د. محمود عباسي: موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، المجلد الأول ، طبعة الثالثة ، مكتبة كل شيء الناصرة ، ××× صفحة 293.
19. يعقوب العودات: من اعلام الفكر والأدب في فلسطين، الطبعة الثالثة 1992م صفحة 549 .
20. يعقوب العودات: من اعلام الفكر والأدب في فلسطين، الطبعة الثالثة 1992م صفحة 548 .
21. كمال قاسم فرهودي، د. محمود عباسي: موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، المجلد الأول ، طبعة الثالثة ، مكتبة كل شيء الناصرة ، ××× صفحة 293.
22. كمال قاسم فرهودي، د. محمود عباسي: موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، المجلد الأول ، طبعة الثالثة ، مكتبة كل شيء الناصرة ، ××× صفحة 292.
23. كمال قاسم فرهودي، د. محمود عباسي: موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، المجلد الأول ، طبعة الثالثة ، مكتبة كل شيء الناصرة ، ××× صفحة 292.
24. المعلومة من حفيده ابن بنته والذي يعيش في أمريكا الان أثناء لقائه في مؤتمر الهوية في كلية دار الكلمة سنة 1913م. ولديه 45 قصة شعبية فلسطينية مكتوبة باللغة الألمانية بخط يد توفيق كنعان حيث كانت والدته تحتفظ بها في صندوق الأمانات الخاص بها وبعد وفاتها تم فتح الصندوق ورؤية مجموعة القصص فيه.

## المصادر والمراجع:

### أولاً - الكتب والمراجع:

1. Dr. Tawfiq Canaan .  
Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestin,Jerusalem,1927.
2. كمال قاسم فرهودي، د. محمود عباسي: موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، المجلد الأول، طبعة الثالثة، مكتبة كل شيء الناصرة.
3. يعقوب العودات: من اعلام الفكر والأدب في فلسطين، الطبعة الثالثة 1992م.
4. تيسير جبارة، سعيد عبد الله البشاوي: أعلام من فلسطين: معجم المؤرخين الفلسطينيين في القرن العشرين، 2010م.
5. عرفان أبو أحمد: أعلام من ارض السلام، 1998م.
6. د. توفيق كنعان: الأولياء والمزارات في فلسطين - ترجمة نمر سرحان، تحرير د. حمدان طه، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية بالتعاون مع دار الناشر رام الله 1998م.
7. د. موسى علوش: الكتابات الفلكلورية للدكتور توفيق كنعان، الطبعة الاولى الجزء الأول - دار علوش للطباعة والنشر في بيرزيت شباط 1998م.

### ثانياً - الصحف:

1. جريدة القدس والحياة الجديدة: قراءة في كتاب: الأولياء والمزارات في فلسطين.

### ثالثاً - المجلات:

1. Journal of Palestinian Oriental Society
2. أعداد متفرقة من مجلة التراث والمجتمع من العدد الأول - العدد أربعين الصادرة عن لجنة الأبحاث الاجتماعية في جمعية إنعاش الأسرة في البيرة.
3. أعداد مجلة السنابل التراثية التي تصدر عن مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي في سعير من العدد الاول - الثالث عشر.
4. مجلة المأثورات الشعبية، العدد 26، 1992.
5. مجلة حنين الثقافية الشاملة التي تصدر الكترونياً في الجزائر.

## رابعاً - مراجع حيّة: لقاءات ومقابلات:

1. د. نمر سرحان - رام الله - مترجم الكتاب 20 / 2 / 2012 م.
2. د. حمدان طه - رام الله - محرر الكتاب 24 / 2 / 2012 م.
3. موسى علوش - بير زيت - مترجم دراسات توفيق كنعان في مجلة الاستشراق 15 / 2 / 2012 م.

## خامساً - مواقع من شبكة الانترنت:

1. وكالة رقيب نيوز الالكترونية.
  2. وكالة دنيا الرأي الالكترونية.
  3. شبكة ومنتديات سعير الالكترونية.
  4. مجلة السنايل التراثية الالكترونية.
- [http://ar.wikipedia.org/wiki/ %D8%AA%D8%B1 %D8%AC%D9%85 %D8%A9](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B1%D8%AC%D9%85%D8%A9)
- [http://www.aljazeera.net/news/archive/ archive?ArchiveId=1090796](http://www.aljazeera.net/news/archive/archive?ArchiveId=1090796)
5. "http://alqudslana.com/index.php?action=article&id=1239"
  6. "http:// www. falestiny. com/ writer\_cv/ 851"
  7. [http:// teknologymen. ibda3. org/ t409- topic](http://teknologymen.ibda3.org/t409-topic)
  8. [http:// www. drshbair. ps/ articles/ translation. htm](http://www.drshbair.ps/articles/translation.htm)
  9. [http:// www. imanway. com/ vb/ showthread. php?t=107](http://www. imanway. com/ vb/ showthread. php?t=107)
  10. [http:// www. youtube. com/ watch?v=IIRC7XTzZIs](http://www.youtube.com/watch?v=IIRC7XTzZIs)
  11. \*[http:// en. wikipedia. org/ wiki/ Tawfiq\\_Canaan](http://en.wikipedia.org/wiki/Tawfiq_Canaan)



## الملاحق:

والده بشارة خوري مؤسس الكنيسة اللوثرية في بيت جالا.

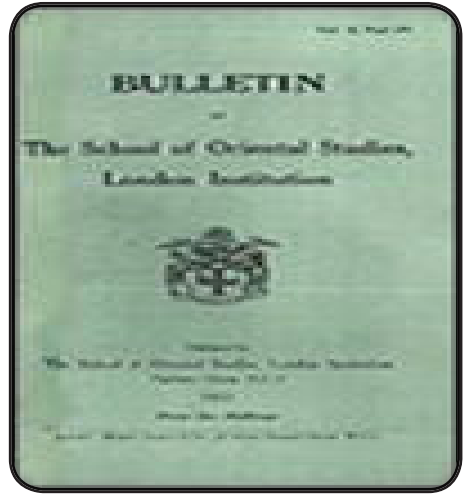
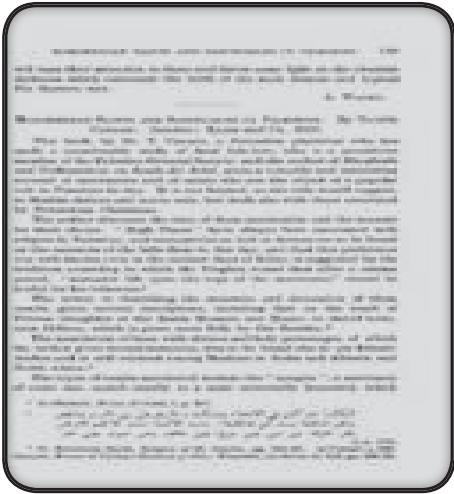
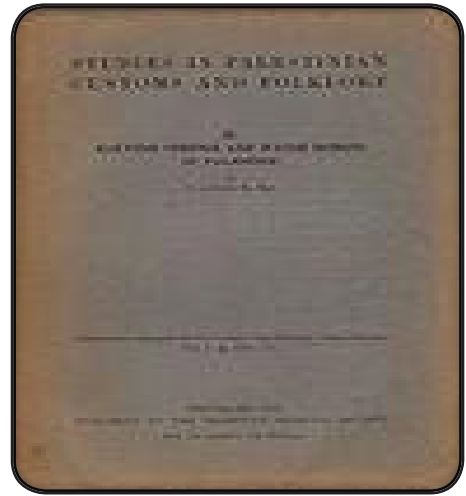
من آراء توفيق كنعان وأقواله المشهورة «نحن المسيحيين العرب الفلسطينيين الذين حصل معظمنا تعليمهم في مدارس بريطانيا، وصرنا أكثر الفلسطينيين تعلقاً بالشعب البريطاني والآداب والسياسة البريطانية، أصبحنا الآن أشدهم مقتاً وكرهاً لسياسة بريطانيا المنافية للروح المسيحية»

«إنّ فلسطين ليست بالأرض الخراب المهجورة، وأنّ الفلسطيني الواحد المتعدد موجود... بمزدوجات أو من دونها»

- مع أنك كنت دائماً على خطوات منه. شعار خاص به

- ملحق صور أغلفة وكتابات توفيق كنعان





حفيد توفيق كنعان في مؤتمر الهوية في كلية دار الكلمة ومجموعة ديار سنة 2013م





# الجلسة الثانية

## المحور الثاني: التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة بيت لحم (قيم وأصالة وانتماء)

◆ مداخلة | صلات الثقافة الفلسطينية بالثقافة التركية.

ضيف المؤتمر: أ. د سيف الله قورقماز- جامعة أرجياس / تركيا

◆ العادات والتقاليد في الأعياد المسيحية: مقارنة وتأسيس.

د. عمر عتيق

◆ ثوب الملك (ثوب عروس بيت لحم).

أ. مها السقا

◆ الحرف الشعبية في مدينة بيت لحم (صناعة الحفر على خشب الزيتون والصدف نموذجاً).

د. طالب الصوافي

◆ التشبيحات الشعبية الفلسطينية: ماهيتها، تصنيفاتها ودلالاتها (منطقة بيت لحم وعرب العامرة نموذجاً).

د. مفيد أبو عرقوب

◆ من التراث الشعبي الفلسطيني- تقاليد وأغاني الأعراس.

أ. جمال بنورة

◆ الدلالة التربوية للأمثال الشعبية.

د. زهير الحروب

◆ مظاهر الحياة الاجتماعية والدينية والتراث في مدينة بيت لحم في مطلع القرن العشرين.

أ. د قسطندي شوملي



صلات الثقافة الفلسطينية بالثقافة التركية

## *Türk Kültürü- Filistin Kültürü İlişkileri*

ضيف المؤتمر:

أ.د سيف الله قورقماز

*Doç. Dr. Seyfullah Korkmaz*

جامعة أرجيس / تركيا.

### **Özet:**

*Türk vatanı Anadolu ile Filistin denen coğrafi bölge, 1000 yıldan fazla bir süre, aynı vatan içerisinde yer almıştır. Birinci Dünya savaşında sonra, milli hudutlar dışında kalan Filistin, Türkiye'nin kültür birliği hudutları içerisinde yer almaktadır. Filistin, Türkiye'nin Türk ve Akraba Toplulukları olarak kabul ettiği devletler listesinde yer almaktadır.*

*Osmanlı Devleti yıllarında, başta Kudüs ve Beytullahim kentleri olmak üzere, tüm dinlere ait kültür varlıkları korunmuştur. Günümüzdeki İsrail ise, Filistin'deki İslam ve Hıristiyan kültür varlıklarını planlı bir şekilde yok etmektedir. Mamilla Kabristanının tahribi, Birüssebi kentindeki Camii Kebir, Kayseriyye kentindeki Merkez Camii ve Taberiya kentindeki mescitlerin kapatılıp yıkıma terk edilmesi insani kültürün yok edilmesi olarak anlaşılmalıdır.*

*Birinci dünya savaşı esnasında, Türkler ve Filistinliler ortak vatanın savunması uğrunda binlerce şehit vermişlerdir.*

*Filistin örf, adet ve gelenekleri ile Türk adet, örf ve gelenekleri tamamen birbirine benzemektedir.*

*Anahtar Kelimeler: Filistin- Türk Kültürü, Türkçe, Arapça, Müsterek Tarih.*

Erciyes Üniversitesi, Arts (Edebiyat Fakültesi) عضو هيئة التدريس

Öğretim Üyesi, e. Mail: skorkmaz@erciyes.edu.tr

## ملخص:

عاشت فلسطين و أناضول؛ أي تركيا في وطن واحد أكثر من 1000 سنة. صلة فلسطين بالأناضول و بالأترك صلة تاريخ ودين وثقافة، ولحكم العثمانيين في الأقطار العربية أثر في اللغة العربية، بحيث نجد في ثنايا بعض من الكتب الأدبية والتاريخية العربية، وعلى لسان الشعب العربي بعضاً من الكلمات التركية، بينما نلاحظ كثرة الكلمات العربية المستعملة في اللغة التركية، لذلك ينبغي لدارس الحضارة الإسلامية وتاريخها أن يلم باللغة التركية حتى يستطيع الاستفادة والإفادة في التاريخ الإسلامي والدراسات الشرقية الإسلامية المقارنة.

في الحرب العالمية الأولى، الفلسطينون و الأترك المسلمون دافعوا عن الوطن الاسلامي جنبا إلى جنب ضد الدول المستعمرة الظالمة.  
الثقافة الفلسطينية و الثقافة التركية تشبه بعضها بعضاً من النواحي كلها، الشعب الفلسطيني والشعب التركي يعد شعباً واحداً.

## مدخل:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.  
أما بعد،  
في البداية اتقدم لكم بجزيل الشكر والتقدير على حسن استقبالكم في بيت اللحم، في ديار كنعان، كما أشكر لكم حسن اهتمامكم بالتعاون بين تركيا ودولة فلسطين الشقيقة.  
أنتم تعرفون ان فلسطين ومنطقة أناضول قد عاشتا في وطن واحد أكثر من 1000 سنة. نحن شعب واحد.

النبي ابراهيم عليه السلام ولد في تركيا أي في الأناضول في مدينة رحا URFA، وهاجر الى أرض كنعان الأمويون، العباسيون، السلاجقة، الممالك، والعثمانيون.

كل واحدة من هذه الدول دولتنا

الدولة العلية اي دولة الخلافة كانت دولتنا

الدولة العلية لها لغات كثيرة و لها اديان كثيرة

ظلت فلسطين جزءا من الدولة العثمانية طيلة أربعة قرون، ولم تتغير الصورة الإدارية والعسكرية لفلسطين عما كانت عليه أيام الممالك و السلاجقة والعباسيين. «للوثائق

والسجلات العثمانية والتركية بعد وطني وقومي وديني وعائلي على غاية من الأهمية. الوثيقة العثمانية والتركية هي ذاكرة حية للوطن والشعب والتاريخ (1)».

## Türkçe- Arapça İlişkisi علاقات اللغة العربية واللغة التركية:

من المعلوم أن الأقوام التركية في بلاد تركستان في آسيا الوسطى بعد أن اعتنقت الإسلام أخذت تكتب بالحروف العربية وتعلمت اللغة العربية لغة الدين والثقافة، ومن هنا كانت صلة اللغات التركية في الجمهوريات الإسلامية، وكذلك صلة اللغة العثمانية في تركيا باللغة العربية صلة قوية؛ إذ استعارت آلافاً عدة من الكلمات العربية بفضل انتشار الإسلام، وكذلك جعلت قواعدها وعروضها طبقاً للقواعد العربية والعروض العربية مع تغيير فرعي بسيط. (2)

ألف محمود الكاشغرى موسوعته «ديوان لغات الترك» وأتمه في مدينة بغداد عام 1074م بعد دراسة وبحث لمدة 15 سنة كاملة في وديان الأتراك ومناطقهم. وهذا الكتاب أول قاموس عربي تركي، وفيه أمثال عربية وأمثال تركية. (3)

وليس من الغريب أن يسميه باسم عربي، وقد أطلق كاشغرى هذا الإسم. وذلك أن أمثاله من علماء الأتراك آنذاك كانوا يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية، والعربية لغة لها مكانتها في قلوب المسلمين قداسة لكون العربية لغة القرآن الكريم. (4)

Türkçeye birçok Arapça asıllı kelime girdiği gibi Arapçaya da pek Türkçe kelime girmiştir. Özellikle Filistin lehçesinde oldukça fazla Türkçe kelime vardır.

Filistin'de isim ya da lakap olarak kullanılan pek çok Türkçe kelime vardır:

Bunlardan bazıları: Şahin، شاهن Yağmur، يغمور، Şerihan، Şüldeste،

Pek çok isim vardır ki yarısı Türkçe yarısı Arapçadır.

وهناك أسماء كثيرة نصف الكلمة تركي و نصفها الآخر عربي مثل:

Aynur أي نور، Tacinur تاج نور، Aylin أي ليين، Nurhan نور خان vb.

الباحث الفاضل د. إدريس جرادات قام بالبحث العلمي حول الكلمات التي دخلت الى اللهجة الفلسطينية، عنوان بحثه:

”المفردات الوافدة- غير العربية الدخيلة - الدارجة في اللهجة المحكية في القرية الفلسطينية من وسائل التواصل بين الحضارات- بلدة سعير كنموذج-“ وهنا نأخذ قطعة من هذا البحث القيم:



## أثر اللغة التركية في اللهجات:

♦ إضافة مقطع جي للتعريف بالمهن مثل: مكوجي ، قهوجي kahveci ، عرباجي arabaci، pastaci بسطجي ، سوركجي.

♦ إضافة تاء للاسم مثل: بهجت ، ثروت ، صفوت ، رفعت ، نشأت، الفت، صفوت.

♦ إضافة مقطع باش للدلالة على المراكز: باش مهندس Baş mühendis ، باش كاتب Baş katip. باش وكيل Baş vekil.

♦ سيادة بعض الكلمات في اللغتين العربية والتركية بنفس اللفظ خريطة، شاي çay، قلم kalem. كتاب kitap، فنجان fincan دوغري، برنجي، أوضة، قصدره، دوز düz، صوبه soba، بوري boru، اسكمله iskemle، ختيار، بشك، مجيدي، باروده، دغري doğru، طبنجه، طنجره tencere، يسدق: المخدة، آغا: رئيس القبيلة، الكنة: زوجة في جامعة 2011م.<sup>(5)</sup> Gezdır , can erik, sovan: soğan : gittü geldu: gitti geldi Dogrii: Doğru دوغري ، Canerik: Canerik جان أريك ، dondurma.

Yastık : Gezdır یاصطیق ، Terzi ترزي

كلمات فلسطينية أصلها تركية كثيرة مثلاً: كازما ، آلة مستخدمه في الزراعة، آلة الحفر، طوز معناها غبار، و بابوج، بابور، تنجرا، كانية، toz

في الأدب التركي النبي محمد صلى الله عليه و سلم و النبي عيسى عليه السلام و امنا مريم اسماء مهمة جدا، مثلاً:

## الشاعر يصف لقاء في المعراج:

في صحبة الفراق	Sonra "ayrılış" konuşmasında
سكت عيسى (النبي)	Sustu İsa
وسكت كل حوارى عند عيسى (النبي)	Sustu İsa'da her havari
سكت 120 الف صحابي	Sustu yüz yirmi bin sahabi
سكت الزمان	Sustu zaman <sup>(6)</sup>
أمنا مريم	Meryem Ana

أمنا مريم رمز مهم جدا في الثقافة الفلسطينية و الثقافة التركية

Hız. Meryem doğum yaptıktan sonra yanı başında beliren su arkından su içer ve doğum sırasında yeşeren hurmalardan yer. Eski Türk Edebiyatındaki nahl- i Meryem (7) نخل مريم (7) dirah- ı Meryem) kavramları bu olayı hatırlatır.

:Süleyman Çelebi, Türk kültüründe önemli bir yeri olan eserinde

“İndiler göklerden melekler saf saf,  
Kâbe gibi kılındı evim tavaf.  
Yarılıp çıktı duvardan nagehan,  
Geldi üç huri bana oldu ayan.  
Bu hususta derler o üç dilberin,  
Asiye’ydi biri o mehpeykerin.

hatun idi aşikâr, مريم Biri Meryem  
Birisi hem hurilerden bir nigâr.  
Çevre yanıma gelip oturdular,  
Mustafa’yı birbirine muştular.  
Dediler oğlun gibi hiçbir oğul,  
Yaratılalı cihan, gelmiş değil.  
Bu senin oğlun gibi kadri cemil,  
Bir anaya vermemiştir O Celil.

Âmine sen, آمنة Ulu devlet buldun, ey  
hulk- i hasen خُلُق حسن Doğacaktır senden O  
Bu gelen ilm- i ledün sultanıdır,  
Bu gelen tevhid- i irfan kânıdır <sup>(8)</sup>”.

### أفضل نساء أهل الجنة:

السيدة الفاضلة هي التي يرضى عنها ربها ويتقبلها بقبول حسن وأفضل النساء هن اللواتي يحزن جنات النعيم، ونساء أهل الجنة يتفاضلن،

### وسيدات أهل الجنة:

خديجة، وفاطمة ومريم وآسية، ففي مسند أحمد ومشكل الآثار للطحاوي ومستدرک الحاكم بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة أخطط ثم قال: (تدرون ما هذا؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون).

ومريم هي سيدة النساء الأولى وأفضل النساء على الإطلاق وكونها أفضل النساء على الإطلاق صرح به القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42]

لامنا مريم بيت في مدينة أفس قريبة من مدينة ازمير

امنا مريم ام النبي عيسى عليه السلام مزينة بالأدب هي سر السر

والمعروف أن الدولة العثمانية التركية والجمهورية التركية حافظت على ممتلكات الأديان كلها، وما زالت إلى يومنا هذا تحافظ عليها. فمثلاً، تحافظ تركيا على الأماكن اليهودية المقدسة في جميع أنحاء تركيا وخاصة في مدينة اسطنبول. و على هذا، يجب على الحكومة الإسرائيلية ووفقاً للقانون الدولي ضرورة المحافظة على الأماكن الدينية والتاريخية. وحماية التراث الحضاري والديني للشعوب والسماح لأصحابها بزيارتها والتعبد فيها. المسلمون يرغبون في افتتاح مسجد بئر السبع الكبير مجدداً للصلاة و هذا حق لهم

في ثقافتنا المشتركة لا يوجد انشاء الجدار العنصري، في ثقافتنا المشتركة يوجد إنشاء بركة سليمان و انشاء السبيل و انشاء طرق المياه و انشاء المدارس.. قضية فلسطين قضية عادلة و قضية فلسطين قضية إنسانية، ونحن شعب واحد في دولتين.

الملاحق:

بعض الصور من تاريخنا المشترك:





الشعب الفلسطيني والجنود الاتراك في غزة عام 1900

## المراجع والمصادر:

### أولاً- المراجع العربية:

1. جرادات، إدريس محمد صقر، «ترجمة الوثائق العثمانية و التركية الى اللغة العربية في فلسطين ضرورة وطنية وقومية»، بحث لم ينشر بعد.
2. جرادات، إدريس محمد صقر، ، «المفردات الوافدة- غير العربية الدخيلة - الدارجة في اللهجة المحكية في القرية الفلسطينية من وسائل التواصل بين الحضارات- بلدة سعيير كنموذج- «
3. محمود الكاشغري (محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري) ، كتاب ديون لغات الترك (تاريخ التأليف 466 هجرية) ، ط1، مطبعة عامرة، ، دار الخلافة العلية (اسطنبول) 1333.

### ثانياً - المراجع التركية:

1. Cemal el- Kaşgari, Abdurrahman الفيلسوف اللغوي الأوغري محمود الكاشغري صاحب ديوان اللغات الترك “ :”  
[http:// www. alturkmani. com/ makalaat/ 2010/ 01052010/ 4. htm](http://www.alturkmani.com/makalaat/2010/01052010/4.htm)
2. Karakoç, Sezai, Hızır İla Kırk Saat, İstanbul 2012.
3. Kiraz, Seydi, “Türk İslam Edebiyatında Bir Peygamber Portresi Hz. İsa”: [http:// www. ekevakademi. org/ Makaleler/ 1485069418\\_14%20 Seydi%20K%C4%B0RAZ. pdf](http://www.ekevakademi.org/Makaleler/1485069418_14%20Seydi%20K%C4%B0RAZ.pdf)
4. Lekeziz, Ömer, “Meryem’i Yazmak Şimşegi Tutmak Gibi- Sibel Eraslan’la .Röportaj”, Yeni Şafak, 09- 10- 2008
5. Süleyman Çelebi, Vesiletü’n Necât (Mevlid) , İstanbul 1303
6. Uyghur, Sultan, ”اهتمام الأتراك باللغة العربية وأثرها في اللغة التركية “ :”  
[http:// turkistan. ahlamontada. com/ t222- topic](http://turkistan.ahlamontada.com/t222-topic)



# العادات والتقاليد في الأعياد المسيحية مقاربة وتأسيس

د. عمر عتيق

فرع جنين/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين.

تقارب الدراسة بين العادات والتقاليد في الأعياد المسيحية وما يناظرها في الثقافات والحضارات الأخرى بهدف الكشف عن العلائق بين الثقافة الشعبية الفلسطينية في الأعياد المسيحية والثقافات الإنسانية. ومن أبرز محاور الدراسة الارتباط بين الدلالات الرمزية لشجرة عيد الميلاد من حيث دلالة الشجرة وما يُعلق عليها ومعتقدات الفراعنة والبابليين الذين كانوا يحتفلون بشجرة الميلاد . والتقاليد المتبعة في تلوين البيض وزخرفته في عيد الفصح المسيحي باعتباره رمزا لأصل الحياة، وعلاقة هذا الطقس بما كان بمعتقدات المصريين القدماء. وتقارب الدراسة بين احتفالات عيد الميلاد عند المسيحيين والأعياد المناظرة في الثقافات الإنسانية. وترصد طقوس حمل سعف النخيل وأغصان الزيتون في عيد الشعانين. والطقوس المتبعة في عيد الغطاس، وعيد خميس العهد.

## عيد الميلاد في الحضارات القديمة:

ترتبط فكرة عيد الميلاد بميلاد الفرعون الإلهي الذي كان الفرعون يعتبر فيه ابنا للإله رع منذ منتصف الدولة القديمة وكان قبل ذلك ملكا و سيدا لقومه. (1) ويرى بعض المؤرخين أن الاحتفال بعيد الميلاد مرتبط في نشأته بعبادة (مثرا) الإله الشاب ذو الوجه الوسيم- الذي تعلق وجهه هالة من نور ترمز إلى الوحدة القديمة بينه وبين الشمس- في جميع أنحاء الدولة الرومانية. (2)

وكان الرومان يحتفلون في كل عام في مهرجان يُسمى عيد الإله ساتورن. وهو إله قديم في الأساطير الرومانية، ويزعم قدماء الرومان أنه إله الخصوبة والزراعة، وتُحكى عنه بعض الأساطير. وكان اسمه أتروسكان أصلاً، وكانت له شخصيته المستقلة في أول الأمر، إلا أن الرومان نسبوه إلى إله الإغريق كرونوس فيما بعد، وكانت زوجته أوبس إلهة الخصوبة والحصاد.



وكانت الاحتفالات تبدأ في يوم 17 ديسمبر وتستمر لمدة أسبوع. وتُغلق المدارس أثناء تلك الفترة، ويتوقف العمل فيها، ولا يعاقب المجرمون، وتوقف القوات الرومانية شن الحروب، ويتساوى العبيد مع الأحرار، وتتغطل القوانين التي تنظم السلوك العام، ويشترك كل المواطنين في احتفالات تتميز بالعنف والعريضة. ويعتقد بعض العلماء أن العادات المتبعة الآن في أعياد الميلاد جاءت من الاحتفالات بعيد الإله ساتورن، مثل إقامة الولائم ومنح الهدايا.<sup>(3)</sup>

وفي القرن التاسع عشر الميلادي، أصبحت هناك عادتان من عادات عيد الميلاد أكثر انتشاراً، وهما: تزيين أشجار عيد الميلاد وإرسال بطاقات عيد الميلاد إلى الأقارب والأصدقاء، كما حل بابا نويل أو (سانتا كلوز) محل القديس نيكولاس رمزاً لتقديم الهدايا.<sup>(4)</sup>

وتقترب طقوس عيد الميلاد بطقوس عيد النيروز عند الفرس، وهو يوم عطلة رئيسية في إيران، وهو عيد رأس السنة الإيرانية. يبدأ عيد النيروز في اليوم الأول من الربيع، وقبل أن تبدأ السنة الجديدة بخمسة عشر يوماً، تزرع معظم العائلات القمح وبذور العدس في سلطانية قليلة العمق. ترمز البراعم الخضراء التي تظهر إلى قدوم الربيع. في ليلة رأس السنة، تجتمع العائلات حول موائد أعدت بعناية. ويقضي الناس الأيام القليلة الأولى لعطلة عيد النيروز في زيارة أصدقائهم وأقاربهم المجاورين. في اليوم الثالث عشر من السنة الجديدة، وهو آخر يوم للاحتفال بعيد النيروز، يقوم كل الإيرانيين تقريباً بنزهات في الهواء الطلق.<sup>(5)</sup>

ومن المرجح أن تكون عادة تقديم الهدايا للأقارب والأصدقاء قد بدأت في روما القديمة وأوروبا الشمالية، حيث اعتاد الناس تبادل الهدايا الصغيرة بوصفها جزءاً من احتفال منتصف الشتاء. وبحلول القرن الثاني عشر الميلادي، أصبح القديس نقولا رمزاً لإعطاء الهدايا في العديد من البلدان الأوروبية. وبعد حركة الإصلاح الديني اللوثيري، حلت في بلدان معينة شخصيات غير دينية محل القديس نقولا، وأصبح يوم 25 ديسمبر يوم تقديم الهدايا.<sup>(6)</sup>

### عيد الميلاد و «بابا نويل» (سانتا كلوز/ Santa Claus):

زعموا أن سانتا كلوز رجل متين البنية، مرح، ذو لحية بيضاء، ويرتدي بذلة حمراء ذات أطراف من الفرو الأبيض. وسانتا كلوز أو الأب كريسماس، شخصية خرافية كبيرة السن، ويعتقد المسيحيون أنها تحضر لأطفالهم الهدايا في عيد ميلاد المسيح عليه السلام يسميه البعض بابا نويل. وقد صوره أحد الرسامين الكاريكاتوريين رجلاً كبيراً، متين

البنية، كث اللحية، يلبس ملابس حمراء، وبدلة مطرزة الأطراف بالفرو. ويظهر سانتا كلوز كل سنة، وهو يملأ جوارب الأطفال بالهدايا في عيد الميلاد، فيفرح بذلك الأطفال.

وظهر الاعتقاد بشخصية سانتا كلوز قبل المسيح؛ إذ كان بعض الأوروبيين يعتقدون أن هناك من يحضر للأطفال هدايا في أحد أيام الشتاء القارسة. لكن هذه الخرافة تعمقت في عادات المجتمعات النصرانية وأصبحت جزءاً من العادات الثابتة في عيد الميلاد. واليوم أصبح كثير من دول العالم النصراني تعرف هذه العادة، وأخذ كثير من الناس في اتباعها في مختلف أقطار العالم المسيحي.<sup>(7)</sup>

### بطاقات عيد الميلاد:

أول من قام بعمل بطاقات عيد الميلاد هو الرسام الإنجليزي جون كالكوت هورسلي، وذلك في عام 1843م، وبحلول عام 1860م، انتشرت عادة تبادل بطاقات عيد الميلاد في بريطانيا، ثم انتقلت بعد ذلك بقليل إلى البلدان الأخرى.<sup>(8)</sup>

### شجرة عيد الميلاد : موروث ثقافي أم أصل عقائدي؟:

### الجدور التاريخية لشجرة الميلاد في الحضارات الإنسانية:

آمن المصريون القدماء بأن أوزيريس» هو القوة التي تدمهم بالحياة وتعطيهم القوت في الدنيا، وأنه هو الأرض السوداء التي تخرج منها الحياة المخضرة، ورسما سنابل تنبت من جسده، ورمزوا للحياة المتجددة بشجرة خضراء. وكانوا يقيمون في كل عام حفلا كبيرا ينصبون فيه شجرة يزرعونها ويزينونها بالحلي، ويكسونها بالأوراق الخضراء كما يفعل الناس اليوم بشجرة عيد الميلاد.<sup>(9)</sup>

وقد سمي البابليون هذه الشجرة «شجرة الحياة»، وكانوا يعتقدون أنها تحمل أوراق العمر في رأس كل سنة، ومن اخضرت ورقته كتبت له الحياة طوال العام، ومن ذبلت ورقته وأذنت بالسقوط فهو ميت في يوم من أيامها. وقد سرت هذه العادة من الشرق الى الغرب فاخذوا يحتفلون بالشجرة في عيد الميلاد ويختارونها من الأشجار التي تحتفظ بخضرتها الدائمة كالسرو والصنوبر.<sup>(10)</sup>

وقدسية شجرة الميلاد وتزيينها تحيلنا إلى عبادة «شجرة نجران» التي عبدها العرب قبل الإسلام، وهي شجرة نخيل طويلة، وجعلوا لها عبدا، وكانوا يأتون إليها كل عام، ويعلقون عليها الثياب الجميلة والحلي.<sup>(11)</sup> وكان للعرب أشجار يقصدونها (نخلة نجران، ذات أنواط، سرورة بسط) وكانوا يعظمونها ويخصونها بجملة من الأعمال الطقوسية كتعليق الثياب والأسلحة والحلي عليها، والذبح عندها.<sup>(12)</sup> ومن الحقائق المسلم بها أن العرب

لم ينفردوا بمثل هذه المعتقدات الأسطورية حول الأشجار، فقد فسر بعض العلماء اسم « جلامش » بالسومرية بأنه الرجل الذي سينبت شجرة جديدة أي الذي سيولد أسرة. (13) في أساطير خلق الكون نجد الشجرة من أبرز العناصر، ولا غرابة أن توضع الشجرة في بداية الخليفة، فدلالتها الرمزية أكثر من أن تحصى؛ فمنها شجرة الحياة والكون والمعرفة، ولكن المعنى الجامع هو معنى الحياة والتجدد والخلود فضلاً على أنها رمز كوني. (14)

### تزيين شجرة الميلاد:

عادة تزيين الشجرة عيد الميلاد، عادة شائعة عند الكثيرين من الناس، حيث تنصب قبل العيد بعدة أيام وتبقى حتى عيد الغطاس، وعندما نعود إلى قصة ميلاد السيد المسيح في الإنجيل المقدس لا نجد أي رابط بين حدث الميلاد وشجرة الميلاد، وبالرجوع إلى إحدى الموسوعات العلمية، نلاحظ بأن الفكرة ربما قد بدأت في القرون الوسطى بألمانيا، الغنية بالغابات الصنوبرية الدائمة الخضرة، حيث كانت العادة لدى بعض القبائل الوثنية التي تعبد الإله (ثور) إله الغابات Oak of Thor والرعد أن تزين الأشجار ويقدم إلى إحداها ضحية بشرية. تقول إحدى الروايات أنه في عام 727 أو 722م أوفد إليهم القديس بونيفاسيوس لكي يبشرهم، وحصل أن شاهدتهم وهم يقيمون حفلهم تحت إحدى أشجار البلوط، وقد ربطوا طفلاً وهمواً بذبحه ضحية لإلههم (ثور) فهاجمهم وخلص الطفل من أيديهم ووقف فيهم خطيباً مبيناً لهم أن الإله الحي هو إله السلام والرفق والمحبة الذي جاء ليخلص لا ليهلك. وقام بقطع تلك الشجرة، وقد رأى نبتة شجرة التنوب fir تبع من الشجرة (شجرة الكريسماس الحالية)، فقال لهم أنها تمثل الطفل يسوع. (15)

### الدلالات الرمزية لمكونات شجرة الميلاد:

يرمز اللون الأخضر للشجرة مهما كان نوعها للحياة والتجدد. ولعل تعليق الأضواء الملونة على شجرة الميلاد يتصل بما يعتقد بعضهم بأن بداية الحياة على الأرض من جوهرة خضراء، وليس من باب الصدفة أن تعتقد شعوب كثيرة بأن اللون الطاغي في الفردوس هو الخضرة. (16) وترمز النجمة في أعلى شجرة الميلاد إلى النجمة التي ظهرت في سماء بيت لحم، وهدت الرجال الحكماء إلى الموضع الذي عثروا فيه على الطفل يسوع المسيح. (17) ويعد الجرس المستخدم في زينة شجرة الميلاد رمزاً للرعاة الذين بحثوا عن المسيح ووجوده في المزود. كذلك العكازة التي ترمز إلى عصا الراعي، فالجزء المعقوف أو ملتوي من العصا كان يستخدم لجلب الخروف الضال، وكلنا يعرف رمزية الراعي الصالح والخروف الضال في المسيحية. (18) أوراقها ذات الشوك رمزاً لإكليل المسيح، وثمرها الأحمر رمزاً لدم المسيح عليه السلام.

ولا يرتبط تقليد شجرة الميلاد بنص من العهد الجديد بل بالأعياد الرومانية وتقاليدھا التي قامت المسيحية بإعطائها معانٍ جديدة فقد استخدم الرومان شجرة شرابة الراعي كجزء من زينة عيد ميلاد الشمس التي لا تقهر، ومع تحديد عيد الميلاد يوم 25 كانون الأول أصبحت جزءاً من زينة . ويعتقد بعضهم أن جنود هيرودوس كادوا يقبضون على العائلة المقدسة التي هربت إلى مصر، غير أن إحدى شجرات الراعي مددت أغصانها وأخفت العائلة. فكافأها الربّ بجعلها دائمة الخضرة، وأضحت رمزاً للخلود.

في السابق، كانت الأشجار التي توضع في المنازل وتزين لمناسبة العيد أشجاراً طبيعية، غير أنه حالياً تنتشر الأشجار الصناعية مكانها بأطوال وأحجام وأنواع مختلفة، غير أن عدداً من المحققين لا يزال يستعمل الأشجار الطبيعية، وقد نشأت شركات تهتم بزراعة أشجار الصنوبر الإبرية الخاصة بالميلاد وتسويقها قبيل العيد. (19)

يرتبط نبات الدبق بكثير من التقاليد، وأعياد النصرى الدينية، وخاصة عيد الميلاد. ويذكر المؤرخون أن الدرويين، أو الكهنة السلّت القدامى كانوا يقطعون نباتات الدبق التي تنمو على شجرة السنديان المقدسة، ويعطونها للناس كتعويضات من السحر. ومما يُذكر في أساطير بلاد الشمال أن سهماً مصنوعاً من الدبق قتل بالدر ابن الإلهة فريج. وكانت الشعوب الأوروبية القديمة تستخدم الدبق في طقوسها الدينية. ومن المحتمل أن تكون عادة استعمال الدبق في عيد الميلاد انبثقت من تلك الممارسة. (20)

## عيد الفصح:

### التوافق الزمني بين عيد الفصح عند قدماء المصريين واليهود والمسيحيين:

يرتبط عيد الفصح المسيحي بعيد الخلق (شم النسيم) لدى المصريين القدماء، وعيد الفصح لدى اليهود؛ إذ إن عيد الخلق عند المصريين القدماء يسمى بالهيروغليفيه (شمو)، وبالقبطية (شوم). وهو أحد فصول السنة المصرية، ويشمل أربعة أشهر (من منتصف فبراير حتى منتصف يونيو)، وكان هذا العيد يوافق أول الربيع عند المصريين بالهيروغليفيه (شمو). ولما كان العرب يحترمون كل العادات الطيبة فقد قبلوا هذا العيد وحُرف الاسم على مر العصور إلى (شم) ولما كان العيد هو يوم استقبال الربيع بالنزهة والمرح في الهواء الطلق فقد اُضافوا كلمة (النسيم) حتى تصبح علماً عليه.

وحيثما خرج بنو إسرائيل من مصر في عهد موسى عليه السلام وافق ذلك اليوم موعد احتفال المصريين ببدء الخلق، وأول الربيع، واعتبروه رأساً لسنتهم الدينية، وأطلقوا على يوم خروجهم (الفصح) - وهي كلمة عبرية من فصح أو فسح بمعنى اجتاز أو عبر واشتقت

منها كلمة (بسخة) التي يستعملها المسيحيون في الكنائس إشارة الى نجاتهم وتحريرهم عندما ذبحوا خروف الفصح ورشوا دمه على بيوتهم. ولما انتشرت المسيحية في مصر أصبح عيدهم يلازم عيد المصريين القدماء ويقع دائماً يوم الاثنين وهو اليوم التالي لعيد القيامة. (21) وكان اليهود يحتفلون بنجاتهم السعيدة من مصر في عيد فصح قريب قريباً يراه المسيحيون غير لائق من يوم الجمعة الذي يحزنون فيه لموت المسيح (22).

### عيد الفصح المسيحي في الشعر القديم:

تردد عيد الفصح في الشعر العربي الجاهلي، نحو قول الأعشى يمدح هوزة بن علي النصراني الذي كان أطلق أسرى بني تميم يوم عيد الفصح تقريباً لله:

ففكّ عن مئة منهم إسارهم      وأصبحوا كلهم من غلّه خلعاً  
بهم تقرب يوم الفصح ضاحيةً      يرجو الإله بما أسدى وما صنعا

وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل، قال أوس بن حجر يصف رمحه وقد شبه سنانه بمصباح يوقده رئيس النصارى يوم الفصح:

عليه كمصباح العزيز يشبهه      لفصح ويحشوه الذبال المغتلاً

والمراد السنان الشديد الائتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم الشأن من بطارقة الروم لاسيما إذا ألهبه في ليلة الفصح وإذا كان في مثل هذه الليلة كان أنور وأكثر ضوءاً. وقال عدي بن زيد يشير إلى تعميم قنديل الفصح:

بكروا عليّ بسحرة فصبحتهم      بإناء ذي كرم كقعب الحالب  
بزجاجة ملء اليديين كأنها      قنديل فصح في كنيسة راهب

وممن أشاروا إلى أفراح النصارى في عيد الفصح عبد الله بن زبير قال: يهجو حجار بن أبجر أمير بني عجل:

ككيف بعجل أن دنا الفصح واغتدت      عليك بنو عجل ومراجلكم يغلي  
وعندك قسيس النصارى وصلبها      وغانية صهباء مثل جنى النحل. (23)

### الدلالة الرمزية لتقاليد البيض المسلوق في عيد الفصح

من التقاليد الخاصة بالأكل في عيد الفصح أكل البيض المسلوق، والحرص على تلوين البيض وصبغه باللون الأحمر، إذ إن الفصح هو العيد الذي تبعث فيه الحياة؛ فالبيض يرمز لخصب الطيور وموعد ظهور جيل جديد منه.

والبيضة عند الفلاسفة أصل الخلق، وازدادت قداستها عند ظهور المسيحية؛ فجعلوها رمزا للحياة، وصبغوها باللون الأحمر رمزا لدم المسيح المسفوك على الصليب، وأصبحت البيضة رمزا للشيء الصغير الذي تخرج منه الحياة مجسمة في شكل مخلوق، وهكذا صارت البيضة تعبيراً عن البعث ورمزا له.

وفي الصيام الكبير يصوم المسيحيون عن أكل ما هو حيواني، وأكل البيض رمز للحياة، وفأل حسن في عيد الربيع. (24) لم يكن اختيار هذا الرمز عبثيا لما تحمله البيضة من رموز بعث الحياة والولادة. كما أن الفصح يأتي بعد الصيام الأكبر في المسيحية، وبما أن الدجاج يتابع وضع البيض أثناء الصيام، كان من الواجب أن يتم حفظ ذلك البيض لأطول مدة ممكنة، عن طريق سلقه ثم تلوينه وتبادلته وقت العيد. (25)

ويذكر التقليد الأرثوذكسي المسيحي أن القديسة مريم المجدلية ذهبت إلى قيصر في روما لرفع احتجاجها على صلب المسيح، وقامت بشرح قصة محاكمة المسيح وصلبه وقيامته، فقاطعها القيصر قائلا: لو أن البيض يصير بلون أحمر أصدق أن المسيح قام من الأموات؛ فأخذت المجدلية بيضة وقالت: (المسيح قام) فتحول لون البيض إلى أحمر، واتبعت الكنيسة هذا التقليد بصنع البيض على الفصح تأكيدا على قيامة المسيح. وكما أن فرخ الدجاج يشق البيضة ويخرج إلى الحياة هكذا المسيح شق القبر وقام من الأموات. (26)

وأكثر مظاهر هذه الاحتفالات شعبية، هو ما يطلق عليه اسم (خميس البيض)، في ثاني يوم خميس من شهر نيسان، حيث تعمد الفلسطينيات المسلمات والمسيحيات، الى صبغ بيض الدجاج، وبطرق بدائية، ومن مواد متوفرة في الطبيعية، مثل قشر البصل والأعشاب الخضراء، ويتم تبادل هذا البيض بين العائلات، والجيران.

والأكثر فرحا بهذا البيض الملون هم الأطفال، الذين ينتظرون خميس البيض بشوق، ليتبارزوا في عمليات كسر البيض، الذي يبدأ يتوفر بكميات أكثر من شهر الشتاء المنصرف، مع ازدياد خصوبة الدجاج في الربيع. (27)

### العلاقة بين البيض المسلوقة والأرنب في عيد الفصح:

يحكى أن رمز الأرنب ليس تقليدا حديثا، إنما يعود إلى زمن ما قبل المسيحية في أوروبا، حيث كانت شعوب الساكسون في أوروبا تحتفل بعيد الخصب في أول الربيع وترمز إلى إله الخصب بالأرنب، نظراً لخصوبته العالية ولتزامن عيد الفصح وارتباطه مع الانقلاب الربيعي ورث المسيحيون في القرون الوسطى هذا الرمز، ثم نقله الأوروبيون المهاجرون إلى القارة الأميركية. (28) وظل استعمال أرنب العيد محصورا في المجتمعات الألمانية حتى نهاية الحرب الأهلية الأميركية، فلنا من الأجداد أن الأرنب هو من يحضر البيض

الملون المصنوع من الشوكولاتة المرافق لأعياد الفصح، ويخبؤه في مكان ما لتتحول هذه الأسطورة لتقليد بوضع مجسم للأرنب في كل بيت مع سلة تحوي البيض الملون، وفي صباح العيد ينطلق الأطفال بحثاً عن مكان الأرنب الحامل للبيض والساكر مما جعل هذه الشخصية هي أشبه بشخصية سانتا كلاوس المرافقة لأعياد الميلاد. ويعد البيض، مثل الأرنب البرية، رمزاً للخصوبة في العصور القديمة، إذ إن الطيور تفقس من البيض في وقت الربيع، وتلد الأرنب في نفس الفصل فقد أصبحت رمزاً لخصوبة الأرض في موسم الاعتدال الربيعي.

وأرنب عيد الفصح شخصيات مصورة تقوم بتوزيع بيض عيد الفصح حيث يلبس زي الأرنب لتمثيل تلك الشخصيات بهذا العيد. في الأسطورة تحمل هذه المخلوقات السلال المليئة بالبيض الملون وبعض الطوى وأحياناً ألعاب لمنازل الأطفال. ويشبه هذا العيد نوعاً ما بسانتا كلوز (بابا نويل) في عيد الكريسمس بأن كلاهما يقومان بتوزيع الهدايا للأطفال في ليلة الاحتفال بتلك الأعياد. وقد ذكر أنفا في عهد جورج فرانك فون في عام 1682 مشيراً إلى ثقافة الأرنب بأن الأرنب البرية تقوم بتوزيع البيض في عيد الفصح. (29).

### ذبح الحمل (الخروف) في عيد الفصح المسيحي:

#### جذور تاريخية لذبح الحمل:

مارس اليهود طقوس ذبح الحمل أو الجدي في أول أيام عيد الفصح، وكانوا يأكلونه ويرشون دمه على الأبواب إشارة على أن هذا الدم هو نصيب الإله، ثم ربط الكهنة فيما بعد هذه العادة بعبادة قتل يهوه لأبناء المصريين البكر. وكان الحمل في أول طوطماً لإحدى القبائل الكنعانية. وكان عيد الفصح عند الكنعانيين عيد تقرب حمل لأحد الآلهة المحليين وأصبح هذا الطوطم فيما بعد حمل في الدين المسيحي، وقيل أنه هو نفسه تخليد ذكرى موت المسيح. (30)

وكان خروف الفصح يؤكل على فطير (سفر الخروج 12: 8) وكان لا بد من نزع كل خميرة في المحلة لمدة سبعة أيام. وهكذا قال الكتاب (العهد القديم) (سبعة أيام تأكل فطيراً، وفي اليوم السابع عيد للرب، فطير يؤكل السبعة أيام، ولا يرى عندك مختمر، ولا يرى عندك خميرة في جميع تخومك) (سفر الخروج 13: 6، 7). الخمير يرمز إلى الشر والخطيئة، وأن الفطير يرمز إلى البر والطهارة. إن سبعة أيام الفطير ترمز إلى العمر كله الذي ينبغي أن يكون طاهرًا. لأن السبعة عدد يرمز إلى الكمال. (31)

## اختلاف طقوس الاحتفال بعيد الفصح بين الطوائف المسيحية:

تختلف عادات الفصح في مختلف أنحاء العالم المسيحي، غير أن الهتاف بتحية عيد الفصح، وتزيين المنازل، وعادة البيض، ووضع قبر فارغ في الكنائس، وأرنب الفصح، هي من العادات الاجتماعية المرتبطة بالفصح.

وهناك عدة طرق للاحتفال بعيد القيامة (الفصح) عند المسيحيين الغربيين، من حيث الاحتفال الكنسي « الليتورجي » فالرومان الكاثوليك واللوثريين والانجليكان يحتفلون بقيامة المسيح في ليلة سبت النور. في أهم احتفالية كنسية من السنة كلها تبدأ في الظلام وحول لهب النار الفصحية المقدسة، حيث يتم اشعال شمعة كبيرة تدل على قيامة المسيح. وبعض الكنائس تحبذ الاحتفال بعيد القيامة في صباح الأحد وليس في ليلة السبت، وذلك في الكنائس البروتستانتية؛ لأن النساء زهبن إلى قبر المسيح في فجر الأحد، وكان المسيح قد قام، ويُقام هذا الاحتفال عادةً في ساحة الكنيسة.<sup>(32)</sup>

ويحتفل معظم النصارى في نصف الكرة الشمالي بعيد الفصح في أول يوم أحد بعد كمال الهلال من فصل الربيع. ومن ثم فإن العيد يقع في يوم أحد في الفترة ما بين 22 مارس و 25 أبريل. هذا بالنسبة للكنيسة الغربية، أما في الكنائس الأورثوذكسية الشرقية، فإن الاحتفال بعيد الفصح، قد يقع في وقت متأخر، لأن هناك عوامل أخرى تُراعى في حساب يوم الاحتفال.<sup>(33)</sup>

## عيد الشعانين:

يسمى الشعانين، وأحد الأغصان، وأحد السعف وعيد الزيتون، والسباسب. وتعني كلمة الشعانين، التسبيح، ويكون في يوم الأحد الأخير من الصوم الكبير واليوم الأول مما يسمى بأسبوع الآلام. وتتجلى طقوس عيد الشعانين بحمل سعف النخيل التي ترتبط تاريخياً بسف النخيل التي فرشها الناس على الأرض احتفاءً بقدم المسيح إلى القدس راكبا حماراً والناس بين يديه يسبحون، وهو يأمر بالمعروف، ويحث على عمل الخير، وينهى عن المنكر، ويباعد عنه.<sup>(34)</sup> والشعانين مشتقة من العبرانية (هوشعنا) التي كان يتهلل بها اليهود أمام المسيح.<sup>(35)</sup> أو من «هو شيعه نان» ومعناها يا رب خلص، ومنها الكلمة اليونانية «أوصنا» التي استخدمها البشيريون في الأناجيل وهي الكلمة التي كانت تصرخ بها الجموع في خروجهم لاستقبال موكب المسيح وهو في الطريق إلى أورشليم.

ومن طقوس هذا اليوم أن تقرأ فصول الأناجيل الأربعة في زوايا الكنيسة الأربعة وأرجائها بمصاحبة رائحة البخور باكراً وهي بهذا العمل تعلن انتشار الأناجيل في أرجاء



المسكونة، ومن طقس الصلاة في هذا العيد أن تسوده نغمة الفرحة فتتردد الألحان بطريقة الشعانيين المعروفة وهي التي تستخدم في هذا اليوم وعيد الصليب، وهي بذلك تبتهج بهذا العيد.

### عيد الشعانيين في الشعر العربي القديم:

ورد لفظ « السباسب » الذي يعني الأغصان في الشعر القديم، نحو قول النابغة يذكر عيد السعانيين بين بني غسان:

رقاقُ النعالِ طيبٌ حجاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب<sup>(36)</sup>

فالناس تخرج في هذا اليوم من دور عبادتهم وهم يحملون قضب الريحان، وأعوادا تعلق عليها أكسية الأضرحة، والأولاد يلبسون الثياب البيضاء ويحملون الشموع وأغصان الزيتون، وقضب الريحان وسعف النخيل، وتمسى هذه المسيرة « الزياح ».<sup>(37)</sup>

### عيد الغطاس:

#### أصل التسمية ودلالاتها:

يرجع مسمى هذا العيد إلى كلمة إغريقية تعني الظهور. وفي الاصطلاح الديني تدل الكلمة على ظهور كائن إلهي غير مرئي. فلقد ورد في التوراة على سبيل المثال، أن الله سبحانه، وتنزه عن كل شبيهه، قد تجلى لسيدنا موسى على هيئة أجمة محترقة، حسب معتقداتهم. وأغلب النصارى يحتفلون بهذه المناسبة في 19 يناير حيث تقرأ نصوص دينية في الكنيسة تصف عيسى المسيح عليه السلام. وأهم شيء يُؤدَّى في الكنائس الشرقية في هذه المناسبة هو التبرُّك بالماء المعمد.<sup>(38)</sup>

#### صفات شخصية المعمدان الأول (يوحنا المعمدان):

يروى يوسفوس قصة يوحنا بشيء من التفصيل فإذا قرأناها بدا لنا المعمدان شيخاً طاعناً في السن، أما الحقيقة فهي عكس هذا، فهو في الوقت الذي نتحدث عنه في سن عيسى أو قريب منه، ويصفه مرقس ومثى بأنه كان يرتدي ثوباً من الشعر؛ ويعيش على الجراد الجاف وعسل النحل، ويقف بجوار نهر الأردن؛ ويدعو الناس إلى التوبة. وكان يماثل الإسنيين في الزهد، ولكنه يخالفهم في اعتقاده أن التعميد يكفي أن يكون مرة واحدة؛ وقد يكون اسمه «المعمدان» مرادفاً للفظ اليوناني «إسين» أي الاستحمام.<sup>(39)</sup>

#### البعد الديني لعيد الغطاس:

يعتقد المسيحيون أن المعمودية سر مقدس به نولد ميلاداً ثانياً بتغطيسنا في الماء

ثلاث مرات على اسم الثالوث القدوس الأب والإبن والروح القدس. ورتبة المعمودية بين الأسرار هي الرتبة الأولى لأنه باب يدخل به المؤمن إلى الكنيسة وملكوت النعمة طبقاً لقول يسوع (إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله) . (يوحنا 3: 5) <sup>(40)</sup>

### الدلالات الدينية للماء في التعميد:

عُيِّن الماء للمعمودية لأننا مؤلفين من جسد وروح، لذلك عين الله تعالى أن تكون وسائط خلاصنا وأسرار النعمة التي يفيضها علينا الروح القدس، تحت علامات حسية وإشارات منظورة، وذلك للأسباب الآتية: 1- لأن الماء يغسل الاقذار، والمعمودية تنقى من جميع الخطايا. 2- الماء يجدد وينعش الجسم، والمعمودية تحيي خواص النفس. 3- لأن بالماء قوام الحياة، والمعمودية تمنح الخلاص 4- . لأن المعمودية مثال موت المسيح ودفنه ولا بد أن نمائله في الدفن. فأين الدفن؟ أفى الهواء ونحن محاطون به من كل جهة؟ أم فى النار وهى محرقة لا تصلح لذلك؟ أم فى التراب، والدفن فيه يقتضى الموت حقيقة لا مجازاً؟

وقد رمز الى المعمودية فى العهد القديم بأمر كثيرة، منها أن روح الله كان يرف على وجه المياه فى بدء الخليقة إشارة الى بث روح الحياة فى المادة، والطوفان، وعبور بنى اسرائيل فى البحر الأحمر وغرق فرعون مع مركبته، فان البحر كان رمزا الى ماء المعمودية. والسحابة إشارة الى الروح القدس، وفرعون كان رمزا الى الشيطان الذى ينسحق فى مياه المعمودية. ولم يعط الرب الكهنوت لهارون الا بعد أن غسل جسده أولاً بالماء، وذبيحة ايليا لم تنزل عليها النار من السماء إلا بعد أن أهرق عليها الماء ثلاثاً. <sup>(41)</sup>

### النهر المقدس - نهر الأردن (المسيحية) ، ونهر الغانج (الهندوسية):

مازال ملايين الناس يستحمون فى نهر الكنج المقدس فى الهند كل صباح؛ سعيًا وراء الطهر والخلاص، إذ يرفعون أذرعهم نحو السماء المقدسة، ويصيحون فى نغمة الصابرين: «أوم، أوم، أوم» وأصبحت بنارس هي المدينة المقدسة للهند، إذ باتت كعبة لملايين الحجاج، يؤمها الشيوخ من الرجال والعجائز من النساء، جاءوا من كل أرجاء البلاد ليستحموا فى النهر. <sup>(42)</sup> وتحتفل معظم الكنائس النصرانية بعيد الغطاس فى اليوم السادس من يناير، أى بعد 12 يوماً من عيد الميلاد. وهذا الاحتفال يُجرى إحياءً لذكرى الزيارة التي قام بها الحكماء من الشرق للوليد عيسى. ويحتفل الهندوس - فى منتصف يناير تقريباً - بمهرجان ماكارا سانكرانتي، ويستحمون فى ذلك اليوم فى نهر الجانج أقدس أنهار الهند. <sup>(43)</sup>

## الماء المقدس في الإسلام والمسيحية:

إن قدسية زمزم والأخسف والماء عامة مستمدة من رمزية الماء باعتباره وسيلة تطهر ورمزا للطهارة. والماء رمز للبدايات ونهاية الكون، ورمز الطهارة، مقدس كالدم، وهو ماء الحياة في أصلاب الآباء والاجداد، ووسيلة التجدد والخلود تبذل من أجله الحياة قربانا، ويكون الرحيل في طلبه كما في أسطورة قصة الخضر ويحثه عن عين الخلد.<sup>(44)</sup>

### التشابه بين دلالة الختان عند اليهود ودلالة التعميد عند المسيحيين:

من المعلوم أن الختان كان عند اليهود هو العلامة التي بها يدخلون في عهد الله، لا فرق بين الاطفال والكبار. ولذلك تعين أن يختن الطفل في اليوم الثامن. ومن المعلوم أن الختان كان رمزا إلى المعمودية. والى ذلك أشار بولس الرسول. فاذا كان الله نفسه منح الاطفال نعمة الدخول في عهده القديم، أفليق بنا نحن أن نخرجهم من العهد الجديد، عهد النعمة، ونحرمهم هذا الاحسان؟ واذا اعترض المعترض بأن الاطفال لا يدركون ولا يعرفون ما هو الايمان أو ماهي المعمودية؟ فجاوبنا على ذلك أن عدم ادراكهم لا ينفي عمادهم، أو يوجب تأخيرهم. والدليل على هذا ماورد في الكتاب من المشابهة لذلك فقد قيل عن ابراهيم (فأمن ابراهيم بالله فحسب له برا... واخذ علامة الختان ختما لبر الايمان) (رو4: 3 و11) وذلك في الوقت الذي فيه وضع ابراهيم على ابنه اسحق هذه العلامة نفسها، وهو طفل ابن ثمانية أيام، لا يدرك ولا يفهم ولا يعرف ما هو الايمان ولا ما هو الختان. فكما ختم ابراهيم واسحق بختم البر، هكذا لا يجب منع هذا الختم عن الاطفال المسيحيين.<sup>(45)</sup>

### طقوس التعميد:

#### سر الميرون أو المسحة المقدسة:

كان من عادة المسيحيين الأولين أن يضيفوا إلى التعميد «وضع الأيدي» على من يعمدون، وبذلك يدخل الرسول أو القسيس الروح القدس في المؤمنين. ثم انفصل هذا العمل عن التعميد على توالي الأيام وأصبح هو تثبيت العماد.<sup>(46)</sup>

والميرون كلمة يونانية معناها (طيب) وتطلق في الاصطلاح الكنسي على المزيج السائل المركب من نحو 30 صنفا من أصناف الطيوب والعطور كالمر والعود والسليخة وقصب الذريره وعود اللبان. وقد روى آباء الكنيسة أن الرسل الأطهار أخذوا الحنوط التي كانت على جسد الرب يسوع، مع الحنوط والأطياب التي ابتاعها النسوة، وأضافوا إليها من زيت الزيتون وغيره وقدسوها بكلمة الله والصلاة وجعلوها ميرونا لسر المسحة ووزعوه على الكنائس وكانوا يمسحون به المعتمدين. وأمروا أن يكون مادة محسوسة وعلامة

ظاهرة فى سر التثبيت. وما زال الرسل وخلفاؤهم من بعدهم يستعملونه. وقد جاء فى أوامر الرسل (ك 7 ف 32) ما يدل على ذلك (أيها الأسقف أو القس يجب ان تمسح بزيت ثم تعمد بماء وأخيراً تختم بالميرون). (47)

يرتبط هذا السر بسر المعمودية وهو سر مقدس به ننال ختم موهبة الروح القدس. وبالنظر الى طبيعة السر ومفاعليه دُعي ( وضع الأيادي ) ؛ لأن الرسل كانوا يتممونه فى العصر الأول بوضع الأيادي على المعتمدين، وسمى غالباً مسحة، ومسحة سرية، وسر المسحة، ومسحة الميرون، ومسحة الخلاص، وذلك لأنه يتمم بمسح المعتمد بالميرون الذى هو طيب خاص. وأما بالنسبة لمفاعليه الداخلية الروحية فقد سمي موهبة الروح القدس، وسر الروح، وعلامة الروح، وسر التثبيت، وختم الروح، وختم الحياة الابدية. (48)

أما الذي حدا بالرسل الى استعمال الميرون على هذا النحو فهو:

♦ أولاً: لأن لكل سر علامة ظاهرة ومادة منظورة، فالمسح اشارة الى المسحة الروحية، كما أن المعمودية لها علامة ظاهرة وهى الماء مشابهة لفعالها فى الجسد تمام المشابهة لفعالها فى النفس، وهكذا المسحة علامة منظورة مشابهة لفظاً ومعنى للمسحة الداخلية التى من القدوس.

♦ ثانياً: ان اسم المسيح مشتق من كلمة مسح حيث كان رؤساء الكهنة والملوك يمسحون بالزيت قبل نوالهم رتبهم الكهنوتية أو الملوكية. (49)

### خلاف بين الطوائف المسيحية في طقوس التعميد:

قبل أن يحل القرن التاسع كانت طريقة التعميد المسيحية الأولى - طريقة غمر الطفل كله - قد استبدلت بها تدريجاً طريقة الرش لأنها أقل خطراً على الصحة من الطريقة الأولى فى الأجواء الباردة الشمالية. وكان فى وسع أي قسيس - أو أي مسيحي عند الضرورة - أن يقوم بعملية التعميد، وكانت الطريقة القديمة، طريقة تأجيل التعميد حتى يكبر الطفل، قد استبدلت بها طريقة التعميد فى سن الرضاعة، وقد أنشأت بعض الجماعات وبخاصة فى إيطاليا كنائس صغرى خاصة لأداء هذه الشعيرة. (50) وترفض الكنيسة الأرثوذكسية الاكتفاء برش الماء فى التعميد، وتقدم دليلاً على وجوب غطس جسم المعمد كله؛ لأن أحواض المعمودية لا تزال موجودة فى أقدم كنائس روما دليلاً على صحة تعليمها قديماً، ولا حق لها فى تحويل معموديتها الى معمودية رش، ولا صحة للدعاء بأن الكنيسة القديمة لم تسمح بذلك إلا فى بعض ظروف استثنائية لا مناص منها، وعلى الخصوص للمرضى والمقعدين الذين لا يمكن عمادهم بالتغطيس. ومع ذلك فقد حدثت مشاجرات عنيفة بين مسيحي ذلك العصر. ولذلك فان الكنيسة الارثوذكسية لا تعيد معمودية من

اقتضى عمادهم بالرش لداعي المرض، ولكنها لا تسمح بإتمام السر اعتيادياً إلا كما أمر به المسيح وكما سلمنا الرسل.<sup>(51)</sup>

ويهدف التعميد إلى محو الخطيئة الأولى، بحيث يولد الشخص مولداً جديداً يستقبل على أثره في حظيرة الدين المسيحي. وكان المفروض أن يطلق الأبوان على طفلهما في هذا الحفل اسم أحد القديسين، ليكون هذا القديس المستقبل شفيع الطفل، وأنموذجه، وحاميه، وهذا هو «اسمه المسيحي» أو الخاص.

وكانت مراسم تثبيت العماد والقربان المقدس تقام عند أتباع الكنيسة الشرقية بعد التعميد مباشرة. أما عند أتباع الكنيسة الغربية فقد أجلت سن تثبيت العماد شيئاً فشيئاً إلى السنة السابعة من حياة الطفل حتى يستطيع أن يتعلم المبادئ الأساسية للدين المسيحي. ولم يكن يقوم بهذه العملية إلا أحد الأساقفة، ويصحبها دعاء إلى الروح القدس أن يدخل في جسم التعميد، ومسح جبهته بالزيت المقدس ولطمه لطمة خفيفة على خده، وبهذه الطريقة الشبيهة بما كان متبعاً في مراسم الفروسية يثبت المسيحي الصغير في دينه، ويكون له تبعاً لذلك كل ما للمسيحي من حقوق وعليه كل ما على المسيحي من واجبات.<sup>(52)</sup>

### الاحتفال بعيد الغطاس في الكنائس اليونانية الإغريقية:

ليلة عيد الغطاس عطلة يحتفل بها النصارى بعد 12 يوماً من عيد الميلاد وذلك في 6 يناير. وبها ينتهي موسم عيد الميلاد. ووسط الكنائس الشرقية يتم إحياء ليلة عيد الغطاس ذكرى لتعميد المسيح عليه السلام. وما زال الأطفال في إيطاليا وأسبانيا إلى اليوم يتلقون الهدايا إحياءً لذكرى الهدايا التي أحضرها الحكماء إلى المسيح. وفي الكنيسة اليونانية الإغريقية يتم طقس التبرك بالماء يوم 6 يناير، ويقوم الغواصون باسترداد صليب يلقيه الكاهن في موضع مملوء بالماء. وكان الاحتفال بليلة عيد الغطاس يتم في العصور الوسطى بنهاية الاثني عشر يوماً لاحتفالات أعياد الميلاد. ولعل مسرحية شكسبير الكوميديّة عيد الغطاس أو الليلة الثانية عشرة قد جرى عرضها يوم 6 يناير لأول مرة.<sup>(53)</sup> وتحتفل به الكنائس الرومانية الكاثوليكية والكنائس البروتستانتية، إحياءً لذكرى تقديس الرضيع المسيح عيسى عليه السلام على يد الرجال الثلاثة الحكماء الذين قدموا من الشرق. وكذلك تحتفل الكنائس الشرقية بتعميد المسيح عيسى عليه السلام.<sup>(54)</sup>

### دلالة عدم تكرار التعميد:

لا تجيز الكنيسة (الأرثوذكسية) إعادة التعميد لسببين:

♦ أولاً: لأن المعمودية ولادة روحية، فكما أن الانسان لا يولد جسدياً الا مرة

واحدة، هكذا يجب أن تكون ولادته الروحية مرة واحدة، وكما أن الانسان بميلاده الجسدي يأخذ صورة وهيئة خاصة يبقى عليها مدى حياته، هكذا في ميلاده الروحي يأخذ رسماً وختماً لا يمحي.

♦ ثانياً: لأن المعمودية هي مثال موت المسيح ودفنه وقيامته. فكما ان المسيح مات مرة واحدة مقدماً ذاته كقارة أبدية وكما أنه وضع للناس أن يموتوا مرة واحدة هكذا لا يجوز أن تعاد المعمودية مرة ثانية (55).

### عيد خميس العهد:

يعرف أيضاً بالخميس المقدس، أو خميس الأسرار وهو يوم مقدس يسبق عيد الفصح بثلاثة أيام؛ وهو ذكرى العشاء الأخير ليسوع المسيح مع تلاميذه (وفقاً للإنجيل الكنسي). وهو اليوم الذي غسل فيه يسوع أرجل تلاميذه كما ورد في إنجيل يوحنا (ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِطْهَرَةٍ وَأَخَذَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمَسِّحُهَا بِالْمَنْدِيلِ الَّذِي كَانَ مُؤْتَزراً بِهِ) (يوحنا 6) ويقوم الكاهن في كثير من الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية بغسل أرجل المصلين ورشهم بالزيت في هذا اليوم. (56)

يحتفل به قبل الفصح بثلاثة أيام، وتبدأ طقوس هذا العيد حينما يملؤون إناء ماء، ويغمزون عليه، ثم يغسلون أرجل الحضور بهذا الماء أسوة بما فعله المسيح عليه السلام حينما غسل أرجل تلاميذه ليعلمهم التواضع. (57)

### الدلالات الرمزية للعشاء الأخير (الخبز والخمر):

يعتقد المسيحيون أن من أكل الخبز وشرب الخمر في يوم عيد الفصح استحال فيه جسد المسيح وأصبح كأنه أدخل في جوفه لحم المسيح ودمه، وأنه بذلك امتزج بتعاليم المسيح. وكان (منح البركة) للخبز والخمر أحد الأسرار السبعة المسيحية المقدسة وهي الطقوس التي يعتقد الناس أنهم ينالون بها البركة الإلهية. (58)

الخبز/ الخمر: سر الشكر أو الأفخارستيا، هو أحد الأسرار الكنسية السبعة وهو سر مقدس به يأكل المؤمن جسد الرب المقدس ودمه الذكي تحت أعراض الخبز والخمر. ولهذا السر المقام الأسمى للأسباب الآتية

♦ أولاً: لغزارة نعمه وسموه عن الإدراك، لأن النعمة بواسطة باقي الأسرار تفعل بحالة غير منظورة تحت مادة منظورة، وتلبث تلك المادة غير متغيرة ولا مستحيلة. أما في السر الاقدس فيستحيل جوهر المادة، لأن الخبز والخمر مع حفظهما شكلهما وإعراضهما يستحيلان بوجه سرى عجيب الى جسد المسيح ودمه.

♦ ثانيا: لفرط محبة يسوع المسيح التي أظهرها في هذا السر، وسمو المواهب التي يهبها لنا بتناوله، فإن المخلص له المجد يمنح المؤمنين بواسطة باقي الأسرار بعضا من مواهبه الخلاصية بحيب طبيعة كل سر منها، ولكنه في سر الشكر يقدم لنا ذاته غذاء مقدسا وبتناوله نتحد به اتحادا تاما ونثبت فيه الى الابد.

♦ ثالثا: لأن كل سر من الأسرار يفعل في الشخص الذي يقبله، ولكن سر الشكر فضلا عن كونه اكثر سموا عن الادراك واكثر خلاصا بين الأسرار، فهو أيضا ذبيحة تقدم لله كفارة عن الجميع احياء وامواتا. (59)

وقد سمي هذا السر منذ القديم بأسماء متعددة فدعي ( سر الشكر ) و ( العشاء الرباني ) و ( العشاء السري ) و ( العشاء الالهي ) و ( مائدة الرب ) و ( مائدة المسيح ) و ( المائدة المقدسة ) و ( المائدة السرية ) و ( سر المذبح ) و ( خبز الرب ) و ( خبز الله ) و ( الخبز السماوي ) و ( الخبز الجوهري ) و ( جسد المسيح ) و ( الجسد الرباني والخلاصي والمقدس ) و ( دم المسيح ) و ( الدم الكريم ) و سمي أيضا ( شركة ) و ( اتحادا ) و ( كأس الحياة الخلاصية ) و ( الأسرار المقدسة ) و ( الأسرار الالهية ) و ( الأسرار المخوفة السموية ) و ( الذبيحة المقدسة السرية ) ، وهكذا من الاسماء الرهيبة. (60)

### الخبز جسد المسيح والخمر دمه / مجاز أم حقيقة؟:

يعترضون بقولهم كيف أن الخبز والخمر اللذين هما من نباتات الارض يستحيلان الى جسد المسيح ودمه ويكونان هما جسد ودم المسيح.

ونرد على ذلك بأن الاستحالة نوعان، حسية أى واقعة تحت الحواس، وسرية لا يقع عليها حكم، والاستحالة هي انتقال الشيء الى غيره. فالحسية هي تحويل طبع وصورة وفعل شيء ما الى طبع وصورة وفعل الشيء الذي يتحول اليه، كتحويل امرأة لوط الى عمود ملح، وتحويل عصا هرون الى ثعبان، وتحويل ماء النهر في مصر الى دم، وتحويل الماء في عرس قانا الجليل الى خمر. وأما الاستحالة السرية التي لا تدخل تحت الحواس فهي استحالة الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه في سر الافخارستيا، وذلك بناء على قول السيد الصريح ( هذا هو جسدى وهذا هو دمي ). وان قال المعترض كيف يكون ذلك، فنرد عليه بأن أعمال الله لا يسأل عنها بكيف. وقد اقتضت الحكمة الالهية أن تكون استحالة امرأة لوط الى ملح، والماء الى دم في مصر، والى خمر في عرس قانا الجليل لضرورة اعتبار الحس، لأن الغاية منها ظهور قوة الله علنا. وأما الاستحالة في سر الافخارستيا فليس من الضروري ظهورها للحواس: وليس أيضا من المناسب ان لا يمكن للانسان أن يأكل

لحما ويشرب دما، فهذه الاستحالة سرية لا تدرك بالحواس، فمع أننا نأكل خبزنا ونشرب خمرا إلا أن هذا الخبز وهذا الخمر ليسا بعد التقديس خبزاً وخمراً عاديين بل هما جسد ودم المسيح كما قال الرسول ((لأننا بالايان نسلك لا بالعيان)) (2كو5:7) ((ولأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء، لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً)) (رو8:24) والايان بأعمال الله السرية أعظم من الايمان بأعماله الظاهرة، لأن هذه يحكم عليها بالحواس، وأما تلك فيراها العقل بنور الايمان.

أما قول المعترض أن الخبز والخمر هما من نباتات الارض فإنه إذا تأمل في فعل الطبيعة وجد أن كل جسد ودم هما من نبات الارض ويعودان أيضاً نباتاً، وهذا أمر مسلم به، وأما صيرورتها جسد المسيح ودمه فهذا موكل لفعل القدرة الالهية التي لا يشك فيها. (61)

### البعد الميثولوجي للخمر في الثقافات الإنسانية:

وكان الاشتراك الجماعي في تناول الطعام والشراب المقدسين من المظاهر الكثيرة الحدوث في أديان البحر الأبيض المتوسط، وكثيراً ما كان أهل هذه الأديان يعتقدون أن هذا الطعام ستحل فيه بهذا التقديس قوى الإله، ثم تنتقل منه بطريقة سحرية خفية إلى المشتركين في تناوله. (62)

وكان «ديونيسس» الذي لم يقبل بين آلهة أولمبس إلا في أخريات أيامه. ذلك أنه كان في أول الأمر من آلهة تراقية، قبل أن تهبه تلك البلاد اليونان. وكان في موطنه الأصلي إله الشراب المعصور من الشعير، وكان اسمه سبزيوس Sabazius، فلما جاء بلاد اليونان أصبح إله الخمر، ومغذي الكروم وحارسها. وكان في بادئ الأمر إلهاً للخصب، ثم أصبح إله السكر، وانتهى أمره بأن صار ابن الله الذي مات لينجي البشر. (63)

وكذلك كانت الخمر يتصب فوق الضحية، ويصب بعدئذ في كوؤس العابدين، فكانهم بهذا كانوا يشربون مع الآلهة. وكانت فكرة الاشتراك المقدس في الوجبة الدينية هي الرابطة التي تربط هيئات الإخوان التي كان كثير من أصحاب الحرف والهيئات الاجتماعية يؤلفونها في أثينة. (64)

وكان كهنة مثراسيين (65) على رأسهم «حبر أكبر»، وعزّاب وعذارى في خدمة الإله؛ وكانت القرابين تقرب إليه على مذبحه في كل يوم، كما كان عباده يشتركون في تناول طعام مقدس من الخبز والنبيذ؛ وكانت الإشارة التي يختتم بها عيده هي دقات ناقوس. (66)



وقد أمر قورش<sup>(67)</sup> بتقديم الخمر لجيوشه ولم تكن مناقشة جدية في الشؤون السياسية تدور في مجالس الفرس إلا وهم سكارى، وإن كانوا يحرصون على أن يعيدوا النظر في قراراتهم في صباح اليوم التالي. وكان من مشروباتهم مشروب مسكر يسمى الهوما يقدمونه قرباناً محبباً لآلهتهم؛ وكانوا يعتقدون أنه لا يبعث في مدمنه الهياج والغضب، بل يبعث فيه التقى والاستقامة.<sup>(68)</sup>

### التعالق المقدس بين الخمر والدم:

وكان الخمر شراباً إلهياً مقدساً، والخمرة في المعتقدات القديمة ترمز إلى دم الإله الذي صرع، يشربه عابده لتحل فيهم روحه وقواه في احتفالات يمثل فيها مصرعه وقيامه من بين الأموات. ومن مظاهر قدسية الخمر عند العرب أهميتها في إتمام تأدية الشعائر الوثنية في الحج، وقد شاع في حضرة وادي الرافدين تقديم القربين من النبيذ إلى الآلهة يومية.<sup>(69)</sup>

ويروي بعض المؤرخين أنه كان يسمى في مصر « خميس العدس »؛ لأن النصارى تطبخ فيه العدس المصفى، ويقول أهل الشام: خميس الأرز وخميس البيض، ويقول أهل الأندلس: خميس أبريل، وأبريل اسم شهر من شهورهم.<sup>(70)</sup>

## الهوامش:

1. الماجدي، خزعل: الدين المصري. ط1، دار الشروق، عمان، 1999، ص 251.
2. ويليام جيمس ديورانت: قصة الحضارة. تقديم: محيي الدين صابر. ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت- لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ج، 2، ص436.
3. الموسوعة العربية العالمية . مجموعة مؤلفين. ط2، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، السعودية، 1999، ج12، ص 8.
4. المرجع نفسه: ج16، ص728 .
5. المرجع نفسه: ج 3، ص467.
6. المرجع نفسه: ج16، ص728.
7. المرجع نفسه: ج12، ص 80.
8. المرجع نفسه: ج16، ص729.
9. أديب، سمير: موسوعة الحضارة المصرية القديمة. ط1، دار العربي للنشر والتوزيع، 2000، ص162 .
10. المرجع نفسه: ص162 .
11. نعمة، حسن: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة. دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994، ص234.
12. عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها. ط1، دار الفارابي، بيروت، 1994، ج 1، ص274.
13. النعمي، أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام. ط1، سينا للنشر، القاهرة، 1995، ص171 .
14. عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها. ط1، دار الفارابي، بيروت، 1994، ج 1، ص140.
15. مواقع الإنجيل الإيجابية [http:// st- takla. org](http://st-takla.org) / ماذا تعرف عن قصة شجرة عيد الميلاد؟

16. عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها. ط1، دار الفارابي، بيروت، 1994، ج 1، ص 200.
17. الموسوعة العربية العالمية ج10، ص563.
18. معاني ورموز شجرة عيد الميلاد (http:// www. arabwomantoday. com).
19. الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) http:// ar. wikipedia. org/.
20. الموسوعة العربية العالمية ج 10، ص 260.
21. أديب، سمير: موسوعة الحضارة المصرية القديمة ص 163، 801.
22. قصة الحضارة. ج 14، ص 80.
23. شيخو، لويس: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية. ط2، دار الشروق، بيروت، 1986، ص 97.
24. أديب، سمير: موسوعة الحضارة المصرية القديمة ص 163.
25. مقالة أصل قصة البيض الملون في عيد الفصح وكالة معا الإخبارية.  
http:// www. maannews. net/
26. الموسوعة الحرة، ويكيبيديا http:// ar. wikipedia. org/ wiki
27. العيسة، أسامة: طقوس الحرية والانبعاث على وقع أزيز الرصاص (أعياد الربيع الفلسطينية). صحيفة الحياة الجديدة. الثلاثاء 19 ربيع الثاني (16 جمادى الأولى) 2011 العدد 5554.
28. مقالة أصل قصة البيض الملون في عيد الفصح وكالة معا الإخبارية.  
http:// www. maannews. net/
29. الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) http:// ar. wikipedia. org/.
30. قصة الحضارة. ج 2، ص 374.
31. انظر: البابا شنودة الثالث: كتاب الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي. ط6، القاهرة، لجنة أصدقاء الكلية الأكليريكية، ص 104، 1988.
32. الموسوعة الحرة، ويكيبيديا http:// ar. wikipedia. org/ wiki
33. الموسوعة العربية العالمية . مجموعة مؤلفين. الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، السعودية، 1999، ج16، ص 729.

34. العبيدي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ، ج 2، ص 27.
35. النصرانية وأدائها. ص 97.
36. المرجع نفسه. ص 97.
37. دغيم، سميح: أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام. ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995، ص 75.
38. الموسوعة العربية العالمية ج16، ص 726 (مرجع سابق).
39. قصة الحضارة. ج11، ص 216.
40. جرس، حبيب: أسرار الكنيسة السبعة. ط1، عُنيّت بنشره جمعية المحبة القبطية الأروذكسية، مطبعة التوفيق القبطية، القاهرة، 1934، ص 26 وما بعدها.
41. المرجع نفسه: ص 26 وما بعدها.
42. قصة الحضارة. ج3، ص 226.
43. الموسوعة العربية العالمية ج 27، ص 346.
44. عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها ج 1.
45. جرس، حبيب: أسرار الكنيسة السبعة ص 36.
46. قصة الحضارة. ج11، ص 284.
47. جرس، حبيب: أسرار الكنيسة السبعة. ص 73.
48. المرجع نفسه: ص 75.
49. المرجع نفسه: ص 74.
50. قصة الحضارة. ج16، ص 14.
51. جرس، حبيب: أسرار الكنيسة السبعة. ص 45.
52. قصة الحضارة. ج16، ص 14.
53. الموسوعة العربية العالمية ج 21، ص 302.
54. المرجع نفسه: ج16، ص 726.
55. جرس، حبيب: أسرار الكنيسة السبعة. ص 52.

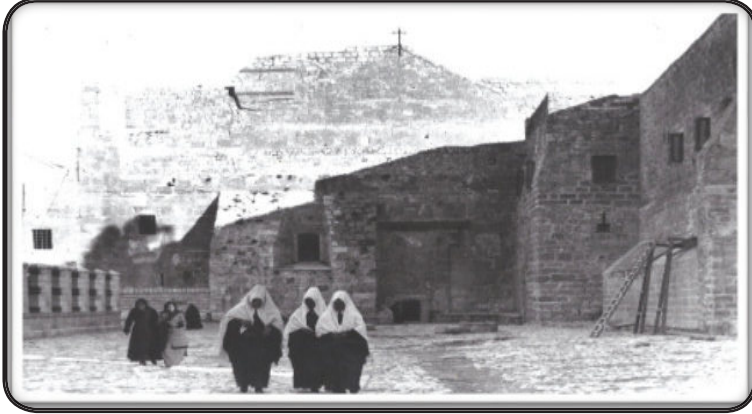
56. الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) [http:// ar. wikipedia. org](http://ar.wikipedia.org).
57. المواعظ والاعتبار. ج 2، ص 30.
58. قصة الحضارة. ج 11، ص 284.
59. جرس، حبيب: أسرار الكنيسة السبعة. ص 80.
60. المرجع نفسه: ص 80.
61. المرجع نفسه: ص 113 وما بعدها.
62. قصة الحضارة. ج 11، ص 151.
63. المرجع نفسه: ج 6، ص 338.
64. المرجع نفسه: ج 6، ص 353.
65. كانت عبادة مثراس Mithras الإله الذكر تنتقل في هذه الأثناء من فارس إلى أقصى تخوم الإمبراطورية الرومانية؛ وكان مثراس هذا في المراحل المتأخرة من الدين الزرادشتي ابن أهورا- مزدا إله النور، وكان هو أيضاً إلهاً للنور، والحق، والطهر، والشرف؛ وكان يُقال أحياناً إنه هو الشمس، وإنه يقود الحرب العالمية ضد قوى الظلمة، وإنه يشفع على الدوام لأتباعه عند أبيه، ويحميهم، ويُسجّعهم في كفاحهم الدائم للشر والكذب، والدنس، وغيرها من أعمال أهرمان أمير الظلام. قصة الحضارة. ج 11، ص 148.
66. قصة الحضارة. ج 11، ص 148.
67. أسس الأسرة الأكمينية أسرة "الملوك العظام" التي حكمت بلاد الفرس في أزهى أيامها وأعظمها شهرة، وأنه نظم قوات ليديا وفارس الحربية فجعل منها جيشاً قوياً لا يقهر، وأنه استولى على سرديس وبابل، وقضى على حكم الساميين في غرب آسية قصة الحضارة. ج 2، ص 403.
68. قصة الحضارة. ج 2، ص 412.
69. النعيمي، أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام. ط 1، سينا للنشر، القاهرة، 1995، ص 235 - 237 (نقلا عن الصورة في الشعر العربي ص 202).
70. المواعظ والاعتبار. ج 2، ص 30.

## ثوب عروس بيت لحم ثوب الملك (أيقونة بيت لحم) سيد الأثواب

أ. مها السقا

مركز التراث الفلسطيني/ بيت لحم/ فلسطين.

بيت لحم هذه المدينة الخالدة عاصمة الميلاد الروحية للعالم المسيحي أجمع ولد فيها السيد المسيح في كنيسة المهد أقدم كنيسة في العالم بنيت عام 327 م



بناها الامبراطور قسطنطين وأمه الملكة هيلانه وقد أدرجت مدينة بيت لحم من ضمن التراث العالمي في منظمة السياحة العالمية ” اليونسكو ” والان ستدخل التاريخ مرة اخرى فقد أعلنت مدينة بيت لحم عاصمة للثقافة العربية 2019 .





ان الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر الى أوائل القرن العشرين هي فترة ازدهار فن المعمار وجميع الحرف اليدوية في بيت لحم من فن التطريز والحفر على الصدف والحفر على الخشب والحفر على الحجر وأصبحت مهنة صنع الملابس والتطريز عليها مهنة قائمة بحد ذاتها وازدهرت مشاغل الحياكة والتطريز في بيت لحم للسكان المحليين وللسياح الوافدين

### صناعة الخشب في بيت لحم

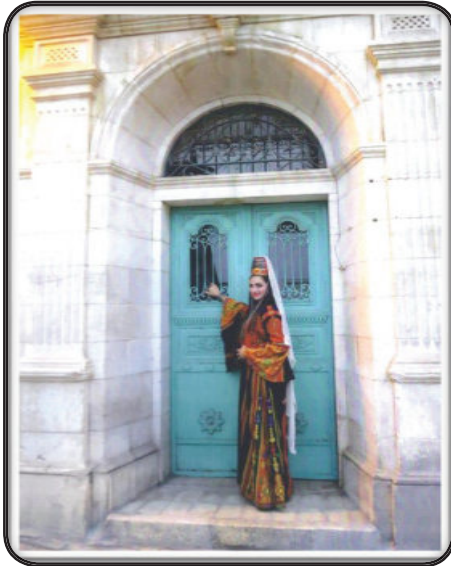


### صناعة الصدف في بيت لحم

التراث يعتبر وثيقة امتلاك للأرض عبر التاريخ. التراث في الحقيقة هو البحث عن الذات فهو قضية بحث تاريخي وحضاري وجغرافي وسياسي وهو ذلك المخزون الذي تحتفظ به ذاكرة الشعوب وتنقله من السلف الى الخلف.



إن تراث شعب من الشعوب لا يتكون إلا من خلال حياة مستمرة لشعب على بقعة من الأرض تسمى الوطن والشعب الفلسطيني الذي راكم هذه الحضارة على أرضه فلسطين على مدى آلاف السنين، يحق له وبجدارة أن يقول هذا وطني فلسطين .





ان اهتمامنا بالثوب الفلسطيني باعتباره هوية ووثيقة تراثية وحضارية وتاريخية لوجودنا في كل قرية ومدينة فلسطينية ومن منطلق ان المرأة الفلسطينية رسمت من خلال الزخارف قصة قريتها على ثوبها



فطرزت عليه البيئة المحيطة بها والأرض ومنتجاتها ، ومعتقداتها، وأشكالها الهندسية الجميلة فأصبحنا نعرف المرأة الفلسطينية من أي قرية أو أي مدينة من خلال تطريز هذا الفن الرفيع الخلاق المبدع الذي نقلته الفلسطينية على ثوبها الفلسطيني الجميل



يرجع تاريخ التطريز الفلسطيني الى زمن أجدادنا الكنعانيين أي منذ أكثر من خمسة



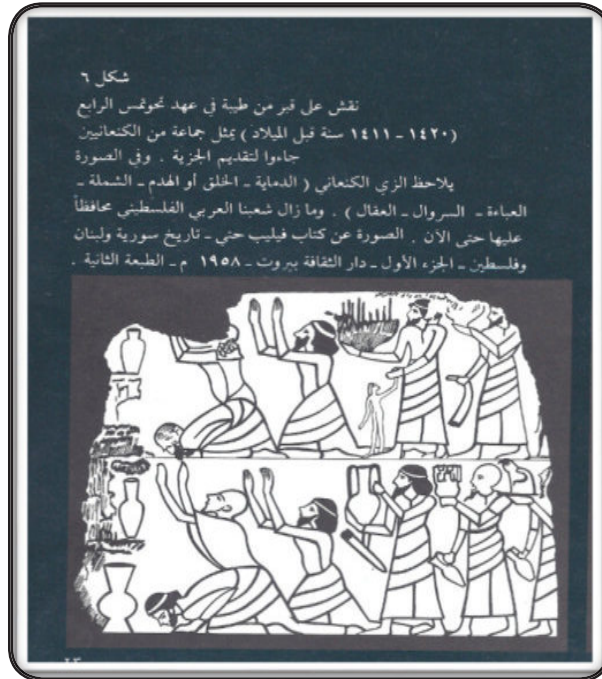
آلاف عام حيث امتاز أهل فلسطين بالتطريز باللون الأحمر الكنعاني فإن كلمة كنعان تعني ارجوان أي اللون الأحمر البنفسجي بجميع درجاته وتعني أيضاً (الارض المنخفضة) ، وكان لون التطريز بالأحمر يغلب على معظم أثواب فلسطين.

× من كتاب الدكتور فيليب حنة تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين صفحة 86-87 لعام 1951

× من كتاب الدكتور عبد الرحمن المزين (موسوعة التراث الفلسطيني ) صفحة 39

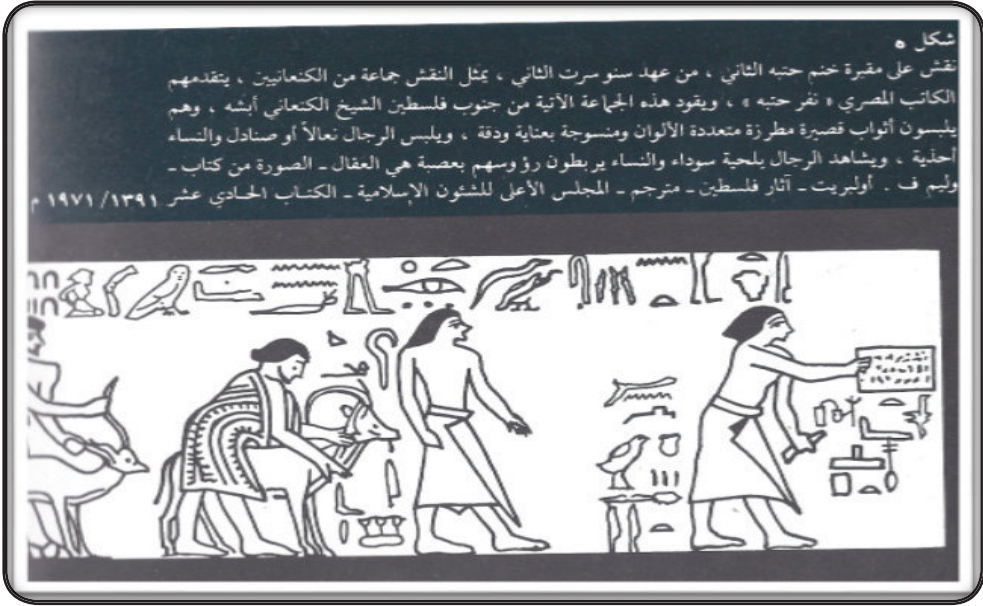
نقش يمثل جماعة من الكنعانيين يقودهم الشيخ الكنعاني (ابشه) وهم يلبسون أثواب قصيرة مطرزة عام 1420 قبل الميلاد

من كتاب فيليب حنة (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين دار الثقافة بيروت عام 1958)



شكل ٦

نقش عل قبر من طيبة في عهد تحتمس الرابع (١٤٢٠ - ١٤١١ سنة قبل الميلاد) يمثل جماعة من الكنعانيين جاءوا لتقديم الجزية . وفي الصورة يلاحظ الزي الكنعاني ( الدماية - الخلق أو الهدم - الشملة - العباءة - السروال - العقال ) . وما زال شعبنا العربي الفلسطيني عافياً عليها حتى الان . الصورة عن كتاب فيليب حنة - تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - الجزء الأول - دار الثقافة بيروت - ١٩٥٨ م - الطبعة الثانية .



لوحة عاجية عثر عليها في مجدو في فلسطين وتاريخها يعود الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ويظهر الثوب الكنعاني ذو الاردان وزخارفه الممتدة مع طول الثوب بشكل أسطرطولية وهذا الثوب لا يختلف عن الاثواب الفلسطينية المعاصرة من كتاب فيليب حتي (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين دار الثقافة بيروت عام 1958)



## ثوب الملك ومكملات وزينة ثوب عروس بيت لحم ثوب الزفاف ملك الأثواب وايقونة بيت لحم

سيد الأثواب الفلسطينية:

تمتاز عرائس بيت لحم بأثواب جميلة متنوعة أهمها الثوب الخضاري (جنة ونار)  
وثوب الملس وثوب عنبر وثوب الملك موضوع فقرتنا في هذا المؤتمر .



أما ثوب الملك ثوب عروس بيت لحم فهو  
موضوع محاضرتي.

هو الثوب الذي تتميز طريقة تطريزه  
بالقطبة التلحمية وبخيوط الحرير والقصب،  
وكذلك بشكل الثوب المخروطي بالبنايق على  
جوانب الثوب والأردان.



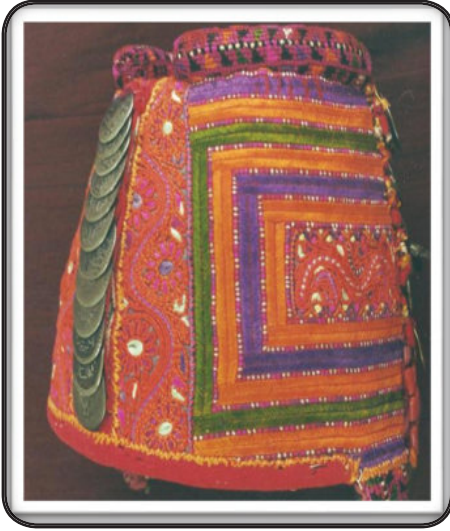
مكملات وزينة الثوب التلحمي تتميز بالشطوة (غطاء الرأس) المزينة بالعملة الذهبية والفضية، والغدفة ( الخرقة) ، والتقصيرة المطرزة (الجاكيت)، والحنلى الجميلة، وبذلك فإن ثوب عروس بيت لحم يعتبر من أغنى وأثرى وأجمل أثواب فلسطين إنه سيد الأثواب .

الشطوة غطاء الرأس وكانت تتميز بها منطقة بيت لحم وتزين بها المرأة المتزوجة فقط وهي قطعة من مهر العروس مطرزة ومزينة بالعملة الذهبية والفضية وخرز المرجان الجميل، يتدلى منها عقد فضي جميل يدعى سبعة ارواح.



شطوة جدة جدتي عام 1886

ولبس أيضاً للزينة ، الأساور (الحيدري) الفضية من صاغة من بيت لحم .  
 سمور وحناء و خليل وغيرهم وكانوا يحفرون أسماءهم على الحلي.  
 وكم انا سعيدة انني أمتلك هذه الشطوة بكامل زينتها للعائلة يرجع تاريخها الموثق  
 الى عام 1886.



الغدفة: التربيعة خرقة كانت توضع فوق الشطوة ” غطاء الرأس “ طولها حوالي مترين  
 ، القماش من نسيج الكتان الناعم مطرزة من الجوانب الأربعة بالتطريز بغرزة الفلاحي و  
 يغلب على الزخارف اللون الكنعاني الأحمر.

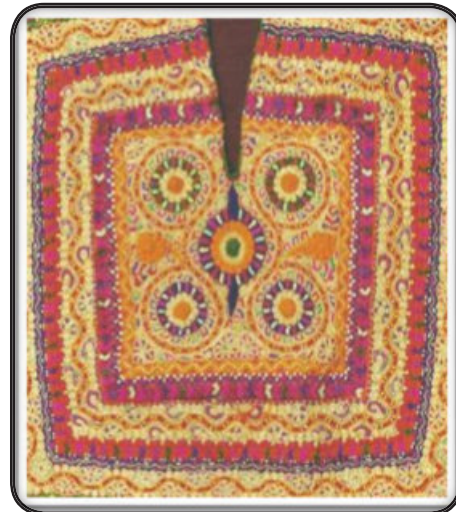


## قبة ثوب الملك

ان تاريخ التطريز على القبة بدأ من قبة الثوب الأولى الخالية من التطريز وهي قطعة من قماش الحرير الهرمزي، ومن ثم الى التطريز الجزئي على القبة حتى وصلنا الى القبات المغطاة جميعها بزخارف التطريز ولكنها حافظت في جميع المراحل من الأساس، مساحتها وموقعها على صدر الثوب على افتراض ان التطور يبدأ من الفراغ وحتى الممتلئ الغني.



تقنية التطريز التلحمي هو التطريز بالتمسيك يتم بواسطة وضع خيوط القصب والحرير على ظهر القماش بأشكالها العديدة والزخارف يتم تشكيلها باليد ومن ثم يتم تمسيكها بالإبرة يدوياً وبخيوط رفيعة يتناسب مع لون خيوط الحرير وتثبت على القبة الجميلة التي تزين صدر الثوب وهي من أهم الأجزاء المؤثرة بالثوب.



وكلما كانت قبة الثوب غنية بالتطريز كانت تجلب النظر اليها وتعد حجاباً (تعويذة) للحماية من الضرر لصدر المرأة.

ان تقنيات التطريز الخاصة بالقبة تشير الى ارتباطها بالبيئة المحيطة بها والمعتقدات.



كانت القبة قطعة منفردة (منفصلة) عن الثوب وذلك لتسهيل تطريزها وكذلك لسهولة تسويقها منفردة الى بقية المناطق وللتجارة.

فقد شوهدت العديد من نساء منطقة بيت لحم في الماضي في اسواق القدس القديمة وهن يبعن القطع المطرزة لجمالها وازادتها لتزيين الاثواب واغنائها .





أهم الزخارف التي تزين القبة زخرف القوار في الوسط مزيناً بخمسة نجوم تعلق النجمة في الوسط رموز دينية مثل الصليب وكذلك وجدت هذه الرموز على زخارف الاكمام وجوانب الثوب.

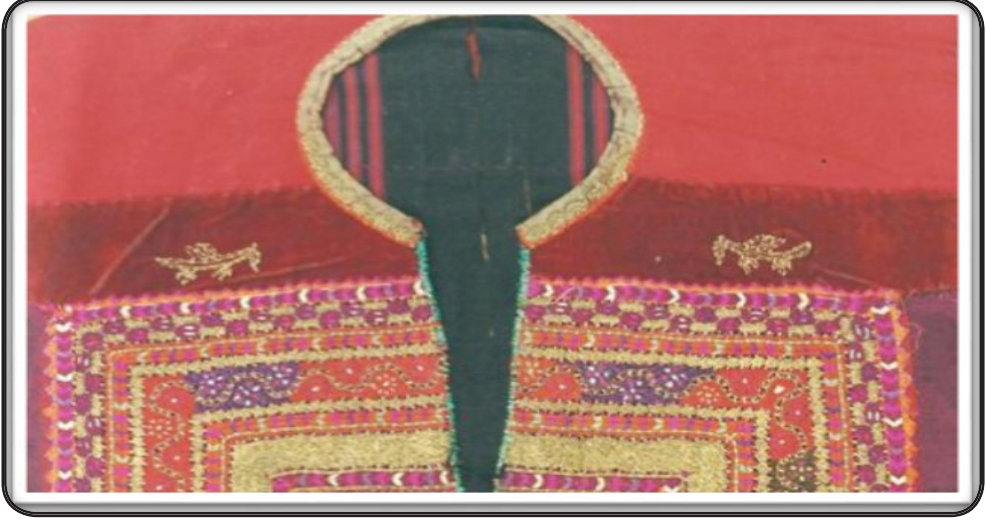


يلتف حول القوار عرق الصبيان وعرق النجوم والخياط وملوى وقوس والسبلة وحولها تشاريف من القماش الحرير المثلث ركبت هذه القبة التلحمية الجميلة ايضاً على اثواب منطقة القدس الثوب الغباني وابو قطبة والأساوري وثوب جنة ونار.



ان كثافة التطريز المتزايدة الجميلة على قبة الثوب تعكس المهنية الرائعة والمتقنة للنساء المطرزات وكذلك تدل على ثراء وذوق مالكة الثوب.

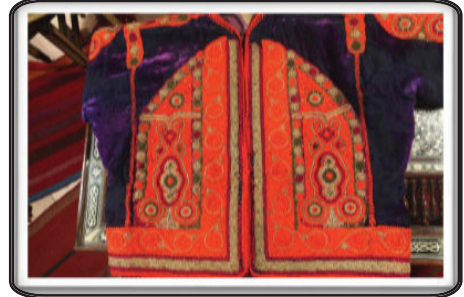
يعلو القبة كتف الثوب وهي قطعة من قماش المخمل المزين بطائر الفنيق والمطرز بخيوط القصب.



التقصيرة (الجاكيت) تلبس فوق الثوب من قماش الجوخ او المخمل سميت بالتقصيرة لأنها قصيرة الاكمام لإظهار جمال التطريز على الاردان وقصيرة الطول لإظهار جمال التطريز على جوانب الثوب

**البنايق :**

امتازت التقصيرة بالتطريز الكثيف والجميل على الصدر والجوانب وبخيوط الحرير والقصب المذهب.



وكان أيضاً يلبس في الشتاء كبوت الفرو الأحمر الجميل أو كبوت منسوج بخيوط الصوف المخطط المنسوج يدوياً على النول وباللون الأحمر والأسود.



البنايق: بنايق الثوب عبارة عن ثلاث قطع على شكل مثلث من الحرير الملون تضاف الى الثوب من الجوانب لتوسيعه مطرزة بقطبة التحرير والقصب وزخرف الساعة الشربة وعرق التفاح.



أكمام ثوب الملك الأردان «السواعد» تمتاز بقماش الحرير وعلى شكل مخروطي من ثلاث قطع ملونة بالأخضر والبرتقالي أو الأحمر



الأكمام مطرزة بزخرف الساعة والشربة وعرق التفاح.  
أساور وحلى ثوب الملك:



ذيال الثوب هي نهاية المنطقة الخلفية للثوب نسجت بخيوط فضية ناعمة وخيوط من الحرير الملونة لتزين الثوب من الخلف.  
الحزام الشملة الزنار يلتف حول وسط ثوب المرأة وهو من قماش الحرير الممزوج بالصوف الملون بزخارف زاهية جميلة.



هنالك ثوب جميل آخر الثوب اليومي ثوب عنبر مصنوع من قماش الحرير الأسود ومزين بالتطريز بالقطبة الفلاحي "الصليب" و يغلب عليه التطريز باللون الأرجواني والأحمر وبزخارف جميلة أهمها زخرف النجمة الكنعانية الثمانية.



الثوب اليومي  
ثوب العنبر الأرجواني الكنعاني  
أهم زخارفه النجمة الكنعانية الثمانية

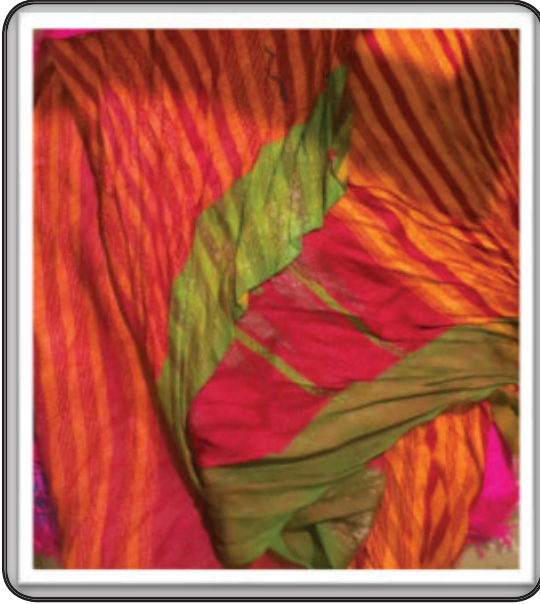


تميزت أثواب منطقة بيت لحم بالتطريز بخيوط الحرير الطبيعية والقصب المذهب  
وبالتطريز بالقطبة التلحمية



ملوى من الخشب تلف حوله خيوط التطريز

أهم مصانع النسيج في بيت لحم تعود لعائلة ابراهيم وسليم ونجيب ناصر تأسست عام 1832 في بيت لحم ، نُسج فيها ثوب الملك والثوب الخضاري بخيوط الكتان والحريير والاحزمة والشملة بخيوط الصوف وكذلك البشت "الكبوت" المقلّم باللون الاحمر والاسود .



من أشهر النساء العاملات في التطريز بالقطبة التلحمية وبالحرير والقصب السيدة  
نجمة خاروفة ومنه حزبون وجميلة مهيوب وحببية حزبون آخر سيدة شوهدت تلبس هذا  
الثوب منذ حوالي عام 1980 .



منة حزبون



نجمة خاروفة



جميلة مهيوب

حببية حزبون



ومن تقاليد العائلات في منطقة بيت لحم ان تدفن المرأة بثوب عرسها وبهذا التقليد ضاعت العديد من ثروات اثوابنا الفلسطينية



كانت الفلسطينية تبدأ بتعلم مهنة التطريز وهي في الثامنة من عمرها وبعد أن تتقن هذا الفن تبدأ بتطريز ثياب زفافها بخيوط من القصب والحريز المصبوغ بعدة ألوان ، صبغت جميعها بالصبغة الطبيعية .



فمثلاً اخذ اللون الأصفر من نبات الزعفران واللون الأزرق من نبات النيلة الذي زرع في أريحا ، واللون الاسود من قشور الرمان ، واللون الأخضر من أوراق شجر السماق واللون البني من لحاء شجر البلوط أما اللون الاحمر الكنعاني فأخذ من دم حيوان الموركس عن ساحل البحر المتوسط .



كل هذه الألوان صبغت بها خيوط الحرير والقماش، وقد تاجر الفلسطينيون بالنسيج والخيوط الملونة واحتفظوا بسر صناعة اللون الأحمر وكان هنالك تفاوت في درجات اللون الاحمر من منطقة الى أخرى .



مثلاً تميز تطريز منطقة رام الله ويافا باللون الاحمر النبيذي ومنطقة الخليل باللون الاحمر الضارب الي البني وبئر السبع باللون الاحمر الضارب الي البرتقالي أما منطقة غزة والمجدل فتميزت باللون الأحمر الكنعاني الأرجواني الضارب الي الليليكي و الزهر الغامق .



بعد أن سرقت إسرائيل الأرض وغيرت معالمها لم تجد تراثاً تدافع به عن وجودها على أرضنا الفلسطينية فبدأت بسرقة العديد من جوانب تراثنا: أثوابنا الفلسطينية وأكلاتنا الشعبية حتى وصلت الى سرقة الكوفية الفلسطينية لا يضيع حق وراءه مطالب:

سرقة الثوب الفلسطيني في الموسوعة العالمية 1993 وتم متابعة هذه السرقة ونجحنا في إلغائها عام 2007



اسرائيل تسرق ثوبنا بالنجمة الكنعانية الثمانية  
في مؤتمردولي لأثواب الشعوب في العالم في مدينة نيويورك عام 2012



زي مضيفات شركة العال الاسرائيلية للطيران وقد نشرت في صحيفة الجبروساليم  
بوست بتاريخ 7-2-1980 وهي مسروقة عن الازياء الشعبية الفلسطينية

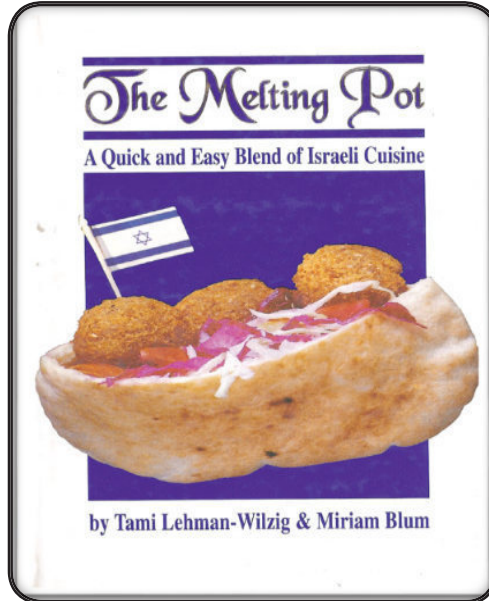


فتاة إسرائيلية ترتدي الزي الشعبي الفلسطيني في المهرجان التاسع عشر للفلكلور  
في أمريكا

نشرت في صحيفة ليرنر الاميركية بتاريخ 5-12-1978



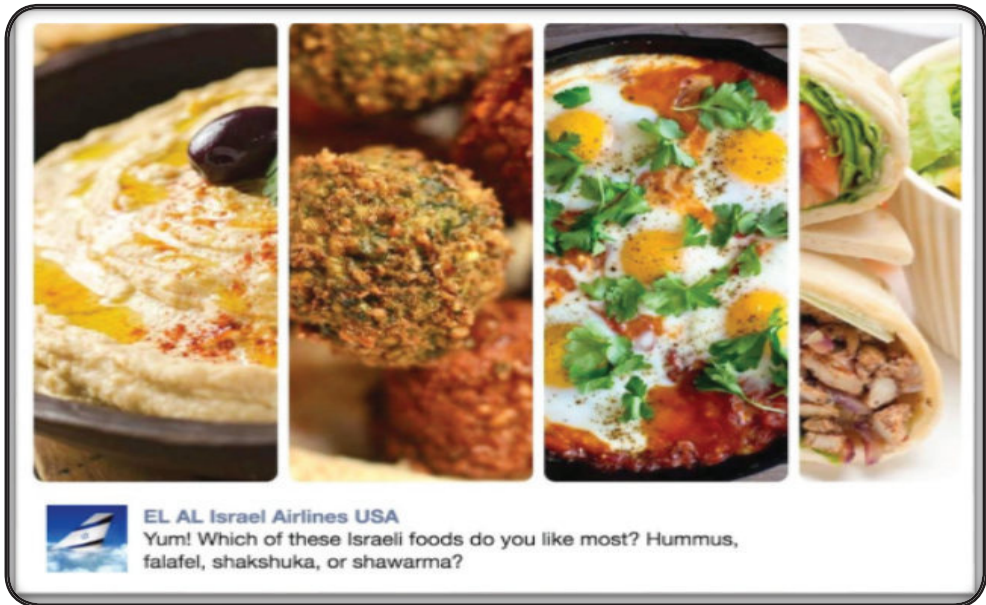
اسرائيل تسرق أكلاتنا الشعبية في مؤلفات وكتب اسرائيلية  
الفلافل والحمص والزعتر والمجدرة !!!



محاولة تشويه الكوفية الفلسطينية و ابرازها بعدة الوان لاضاعة مضمونها السياسي وقد تم ايقاف استعمال الكوفيات الملونة وخاصة باللون الأزرق



اعلان لشركة الطيران الاسرائيلي العال يقول اي من الاكلات الاسرائيلية تفضل ؟  
الحمص ام الفلافل او الشكشوكة او الشاوروما ؟









## من نشاطات وإنجازات مركز التراث الفلسطيني / بيت لحم:

خارطة ازياء فلسطين وربط الزي الشعبي بالموقع التاريخي والديني



المطالبة بتغيير الزي المدرسي القديم بزي تراثي لدولة فلسطين  
تعميم الزي المدرسي الفلسطيني المقترح بلمسات من التطريز ليصبح اللباس الرسمي  
لمدارس الاناث في دولة فلسطين وقد تمت تجربة الزي في مدرسة العودة في بيت لحم وهو  
من تصميم مها السقا .



تطريز وشاح بابا الفاتيكان بنديكتوس وفرانسيس برموز فلسطينية واهم رموزه  
المطرزة مفتاح العودة وشجرة الزيتون وقبة الصخرة وخارطة وعلم فلسطين وحضلة



تم اختيار المفتاح المطرز من وشاح البابا كطابع رسمي لدولة فلسطين وكتب على  
بطاقته تصميمها السقا .



قرار مجلس الوزراء رقم :  
16/28/70 م.و.ر.ح لعام 2014

تاريخ الاصدار : 2014/5/25

عدد الفئات : هتان + بطاقة  
فئات الإصدار : 250 مليم، 480 مليم، 1500 مليم

نوع الإصدار : تذكاري

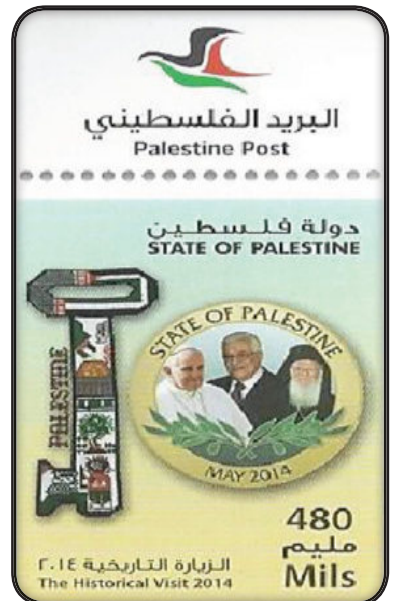
أبعاد الإصدار : ( 3 سم x 4 سم ) للبطاقة ( 7 سم x 10.5 سم )

كمية الطوابع : 10000 طابع من كل فئة + 2000 بطاقة

طريقة الطباعة : لوست

تصميمه : مها السقا

إشرافه : البريد الفلسطيني - اللجنة الوطنية العليا للطوابع  
الشركة للطباعة الأمنية - مملكة البحرين

البريد الفلسطيني  
Palestine Post

دولة فلسطين  
STATE OF PALESTINE

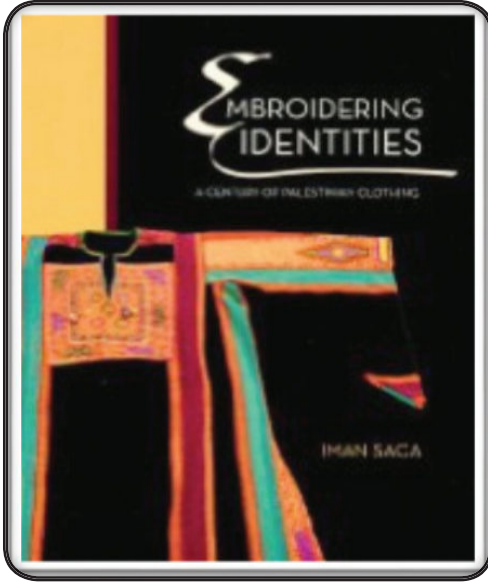
480 مليم  
Mils

الزيارة التاريخية ٢٠١٤  
The Historical Visit 2014

فاز مركز التراث بالمسابقة العالمية لليونسكو (المرأة والسياحة) جرت بين اكثر من ستين دولة بالعالم فاز بها مركز التراث بالمرتبة الاولى بلوحة ازياء فلسطين وكرمت مها السقا من السيد الرئيس .



أصدر مركز التراث كتاب التطريز هوية ” قرن على الاثواب الفلسطينية ” بعد مشاركة المركز بمعرض للاثواب الفلسطينية استمر لمدة ستة أشهر في متحف جامعة شيكاغو والكتاب قيم جداً باللغة الانجليزية وانا الآن بصدد ترجمته واضافة ملحق له باللغة العربية.

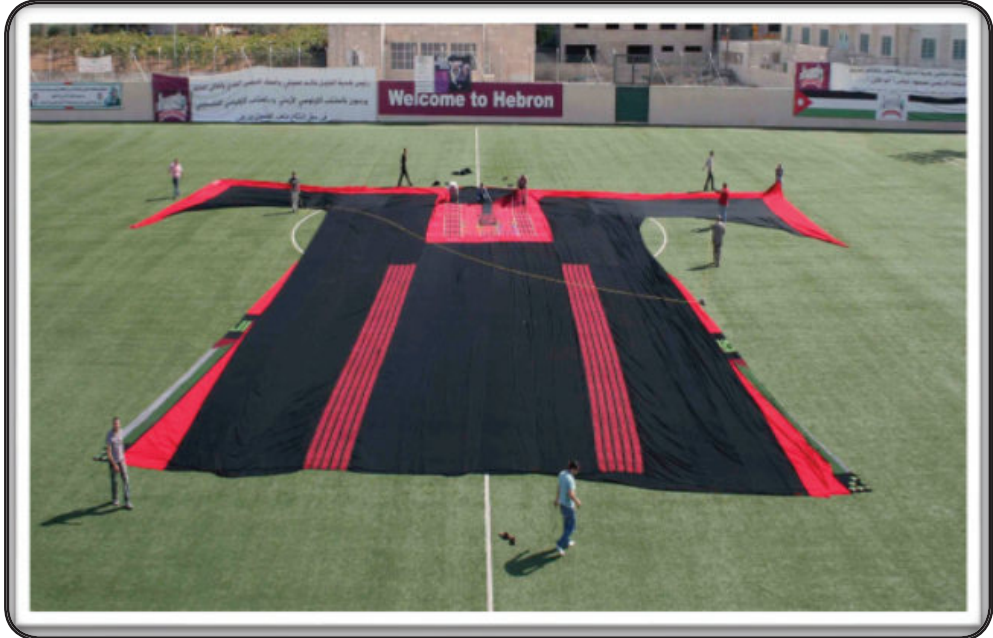


### متحف مركز التراث الفلسطيني في بيت لحم





الثوب الفلسطيني الذي دخل موسوعة جينيس العالمية بمساحة 400 م مربع وقد  
قمت باختيار زخارف هذا الثوب وقد تم تنفيذه من قبل دار الطفل في الخليل



## ثلاثة أجيال ..

كم أنا فخورة بكِ والدتي وأبنتي



في النهاية كم أنا فخورة بجذاتنا اللواتي استطعن  
اتقان فن تطريز الخلاق المبدع على ثوبنا الفلسطيني  
وجعلن منه قطعة فنية رائعة نفخر بها ونفتخر بما  
أنجزوه لنا من فن وتراث وحضارة ، فعلينا ان نحافظ  
على تراثنا وان نمارسه حتى يبقى ملكاً لنا.

## التوصيات:

### لمؤتمر التراث الشعبي الفلسطيني عام 2015 :

1. استحداث مساق، التراث الفلسطيني، حضارة وتاريخ، ليدرس في الجامعات الفلسطينية ولا سيما جامعة القدس المفتوحة وذلك حرصاً على توثيق هذا التراث وحمايته من الطمس والمصادرة والتهميد، والانتحال ولتجذير هذا التراث في الذاكرة والوجدان والوعي الوطني الفلسطيني باعتبار ان التراث هوية وثيقة حضارية وتاريخية لوجودنا في كل قرية ومدينة فلسطينية .

2. تعميم الزي المدرسي الفلسطيني المقترح بلمسات من التطريز ليصبح اللباس المدرسي الرسمي في مدارس الإناث في دولة فلسطين وقد تمت تجربة الزي في مدرسة العودة وهو من تصميم مها السقا (توصية لوزارة التربية والتعليم).

3. تدريس فن تصميم الملابس والتطريز الفلسطيني من واقع الموروث التراثي الفلسطيني، ضمن مساقات التربية الفنية... وتصميم الأزياء في مدارس الإناث والمعاهد العلمية ذات العلاقة.

4. اصدار كتيب مصور لتوثيق السرقات الإسرائيلية التي تحاول تهويد تراثنا ومصادره ونسبته إليهم-ومتابعة ذلك وهو من اعداد مها السقا .

5. من كتبهم ندينهم انظر كتاب: صدر عن متحف حيفا للموسيقى والاجناس عام 1995 وقد شاركت مها السقا فيه -علينا دراسة ومتابعة- ويبين هذا الكتاب عدم وجود زي شعبي تقليدي موحد لليهود، الكتاب بعنوان (من القمباز الى القفطان) صدر عام 1995 عن متحف حيفا باللغة العبرية و العربية والانجليزية وكانت مديرة المتحف ( نينا بنتسور ) وسأزود الجامعة بنسخة منة .

6. From the kumbaz to the kaftan - Jewish and palestinian costumes .

7. الملاحقة القضائية في المحاكم الدولية ضد سرقاتهم لتراثنا وانتحاله وتهويده ونسبته إليهم .

8. اعطاء حقوق طباعة خارطة ازياء فلسطين التاريخية لجامعة القدس ايضا لطباعتها وتوزيعها لنشر المزيد من المعرفة بتراثنا وازيائنا ---وهي من انتاج مركز التراث الفلسطيني في بيت لحم

9. تبني مقولة (علينا ان نمارس التراث حتى يبقى ملكا لنا).

جميع القطع والاثواب الفلسطينية من مجموعة مركز التراث الفلسطيني

www.phs.ps





# صناعة الحفر على خشب الزيتون في التراث الشعبي التلحمي

د. طالب الصوافي  
وزارة السياحة والآثار/ فلسطين.

مقدمة:

## لماذا التراث:

التراث ليس وليد لحظة مسروقة من عمر الزمن، أو في خلسة منه، وليس نبتاً وحشياً ينمو على ضفاف الأسطورة، فالتراث لا يقوم إلا مستنداً على جدارين صلبين: جدار الزمان وجدار المكان.

وتراث شعبنا الفلسطيني يحقق أصالته بتمكّنه من هذين الشرطين المتجادلين، فهو يتأصل بامتداداته في عمق التاريخ ويتواصل معه حتى اللحظة الراهنة، في الوقت الذي يظل فيه منتسباً إلى الجغرافيا، ومتجذراً في رحم الأرض الفلسطينية، فمن مثل ذلك الامتداد التاريخي الموهل في الزمان، ومثل ذلك الجغرافيا التي ترسم أرضها خارطة الوطن، فتحدد ملامح تراثنا الفلسطيني بدقة (1).

والتراث الشعبي الفلسطيني بالإضافة إلى عراقته يتسم أيضاً بالشمولية والاتساع، وهو لا يقتصر على ثوب متشح بالتطريز، أو أغنية يرددّها الحادي، أو رقصة تؤدّيها الصبايا في الأعراس، إنه تركيبة شاملة ومتنوعة تعكس كل تفاصيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والحضارية والسياسية، وظروفها وبيئتها وفلسفتها (2).

ومن هنا يتحتم على كل منا في موقعه أن ينضم نشطاً إلى حركة إنعاش التراث إنعاشاً فعالاً لا يقف عند حد جعله متحفاً مسجلاً على ورق، أو معروضاً على جدران، وأخص بالذكر هنا من حيث الدور والموقع، وسائل الإعلام المسؤولة والمربين والمتقنين في جميع المراحل والمواقع، لأنّ عليهم دوراً تاريخياً يقومون به بالإضافة إلى الذي لعبوه إلى الآن، كما وندعو الأكفاء من أبناء أمتنا أن يجعلوا من هذه الحركة - حركة الكشف عن

التراث وإنعاشه - إلى المبادرة والاستمرار في سبر أغوار تراثنا وتطويره من حيث القصص الشعبي والصناعة الشعبية والتراثية الأخرى والمعتقدات الشائعة والأساطير والخرافات؛ لأن كل هذا يعكس وجوداً كان...، ولكن هذا الوجود يأبى إلا أن ينتفض ليعود متجدداً متكاملاً منطلقاً نحو مستقبل يجسد فيه ذاته، مؤكداً لحقيقة بسيطة ألا وهي أنه لم يذب وأنه سيعود ليبرز ساطعاً أصيلاً<sup>(3)</sup>.

## أهداف الدراسة:

1. بيان أهمية التراث الشعبي الفلسطيني بشكل عام والصناعات الحرفية اليدوية بشكل خاص، والعمل على إحيائها وتنميتها والمحافظة عليها.
2. تشجيع أصحاب هذه الحرف على التمسك بها وتطويرها وتسويقها محلياً وعالمياً.
3. بيان المعوقات والمشاكل التي واجهتها، وواجهها أصحاب هذه الحرف والمهن في مناطق صناعتها ووضع الحلول المناسبة لها لاستمرارها.
4. إبراز الأهمية التراثية والحضارية والاقتصادية لهذه الحرف التي تعبر عن تاريخ وثقافة وهوية الشعب الفلسطيني وانتمائه إلى أرضه لتجسيد صموده في وطنه.
5. بيان أنّ هذه الحرفة الشعبية ليست جديدة وطائرة ومستوردة من الخارج، بل هي قديمة قدم شجر الزيتون ومتأصلة منذ آلاف السنين.

## أهمية شجرة الزيتون في التراث الشعبي الفلسطيني "القدسية":

يقال إن أمة بلا تاريخ هي أمة بلا حاضر أو مستقبل، لكن التراث الشعبي يفوق التاريخ في أهميته، فإذا كان التاريخ سجلاً لجانب من الأحداث الماضية، فإن التراث سجل لكافة التحديات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والسياسية وسواها، ويقال أيضاً أن: "من لا تراث له، لا حضارة له ومن لا حضارة له، لا تاريخ له، ومن ليس له تاريخ ليس له وجود"، فالبحث عن التراث والتنقيب عن جذوره بالدرس والتحليل هو في الحقيقة بحث وشرط جوهري بتجدد الشخصية الحضارية الفلسطينية<sup>(4)</sup> وقد اكتسب تراثنا الشعبي الفلسطيني صفاته من تفاعل العناصر الثلاثة اللازمة لتكونه وهي: الأرض والإنسان والزمن، وهذا التفاعل المستمر بين عناصر تكوين التراث الشعبي أنتج الرموز المشتركة بين الفلسطينيين، والتي نجدها في كل جزء من أجزاء التراث الشعبي، ومن هنا نقول أن تراثنا الشعبي هو أحد أبرز مقومات هويتنا الفلسطينية التي يتوجب علينا حمايتها وتغريزها<sup>(5)</sup>.

وتدور العديد من المعتقدات الشعبية الفلسطينية حول شجرة الزيتون وغيرها من الأشجار والنباتات، فأجدادنا الكنعانيون ومن قبلهم ممن سكنوا في فلسطين قدسوا هذه الشجرة وكونوا حولها العديد من الاعتقادات والخرافات التي ترعرعت واستمرت إلى وقت قريب فيما عرف ”بالمعتقدات الشعبية“، ثم حبا الله الانسان في بلادنا بكتبه المقدسة ورسله الذي خص بها بعض الأشجار والنباتات - وخاصة الزيتون - بكثير من الوصف والصفات، مما مكنها في الوجدان الشعبي (6).

كانت مدن فلسطين وخاصة القدس وبيت لحم والخليل مسرحاً لظهور العديد من الأنبياء والأولياء والصالحين الذين اقترنت بهم الحياة النباتية، كما اقترنت العديد من الأشجار بمقاماتهم وأضرحتهم، ومن ثم فقد تغلغت هذه النباتات والأشجار بالنسيج الفكري الفلسطيني بقوة بحيث سيطرت على مناحي الحياة الزراعية والطبية الشعبية وطقوسه السحرية، فأطلقت أسمائها على العديد من مناطق عمرانها المتمثلة في قراه ومدنه ومراكز تجمعاته (7)، ومما لا شك فيه أن شجرة الزيتون على مر العصور احتلت مكانة مرموقة في حياة السكان في الأرض المقدسة، حيث تعد بالفكر الميثولوجي مباركة ومقدسة، كما تمثل شجرة الزيتون الوثيقة المادية للتاريخ نظراً لأهميتها في الحياة المادية والثقافية منذ القدم وحتى يومنا هذا، والذي يتتبع تاريخ هذه الشجرة منذ زراعتها في فلسطين، يرى بأن أهالي فلسطين ما زالوا يقدسونها ويهتمون بزراعتها والعناية بها، فبالإضافة إلى الاستفادة من جانبها المادي، فإن كثيراً من أهالي المدن الفلسطينية وقراها كانوا يذهبون إلى الأشجار المعمرة ومنها الزيتون، والقريبة من المقامات والمزارات من أجل التبرك بها والجلوس في ظلها، لاعتقادهم بأن هذه الأشجار تساعد في حل بعض المشاكل والأمراض التي تصيب الناس، وهي ليست عادة جديدة طارئة، لأن كثيراً من الأماكن منذ عهود قديمة كانت ذات علاقة بالأشجار الخضراء، وما زال سكان المدن والقرى والأرياف الفلسطينية ينظرون إلى هذه الشجرة بنوع من القداسة ليس للشجرة نفسها بل لاعتقادهم بقوتها الخارقة المستمدة من قدرة الخالق الذي تسكن روحه المزار أو القبر أو الكهف أو النبع الملتصق بها (8).

واليوم تُعد شجرة الزيتون أيقونة وطنية عند أهل فلسطين، فانتشارها الكثيف في الجبال والتلال والأودية والسهول، ومثله عمرها المديد في تماريه، يرمزان إلى الرسوخ والتجذر والانتماء والاصرار على البقاء على الرغم من الحرب المدمرة التي تشن عليها من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي ومستوطنيه، ذلك أن أسلوب الطمس والتدمير والاقتلاع الذي تتبعه سلطات الاحتلال لا يقتصر على المباني والأماكن المقدسة والرموز الدينية،

وإنما يتعداه إلى الشجر وخاصة شجرة الزيتون، هذه الشجرة المباركة والمقدسة التي تعد الشاهد على الحياة والتراث الفلسطيني من جهة، ومن جهة أخرى فهي عصب اقتصادي رئيسي، ومن الجهة الثالثة فهي تمثل رمزاً لديمومة التاريخ الفلسطيني وتراثه.

## التطور التاريخي للصناعات الحرفية والتراثية في المدينة وأشكالها وموضوعاتها:

### أ. تعريف الحرف الشعبية اليدوية «الصناعات التراثية»:

اختلفت الدراسات في التعريف بمصطلح الصناعات التراثية - الحرفية بسبب عدم وجود مصطلح موحد لهذه الصناعات، إذ إن بعض الدراسات تعتبرها صناعات تراثية أو سياحية أو حرف تقليدية، ويعتمد بعضها الآخر مصطلح الصناعات الحرفية، لكن الصناعات الحرفية يمكن أن تشمل الصناعات التراثية والسياحة وغيرها<sup>(9)</sup>.

ومن خلال الاطلاع على بعض القراءات بدا واضحاً أن هناك العديد من المعاني والتصورات لمصطلح الصناعات التراثية «الحرفية» وإن كانت كلها تصب في ذات المعنى ومنها:

هي تلك الصناعات التي تشير إلى مجموعة من الأنشطة الاقتصادية التي تتعلق باستغلال المعرفة والمعلومات، ووفقاً للمنظمات الدولية مثل اليونسكو ومنظمة التجارة العالمية، فإن الصناعات التراثية هي الصناعات التي تجمع ما بين الإبداع والإنتاج التي هي بطبيعتها ثقافية أو تقليدية، أما موسوعة ويكيبيديا فعرفت الصناعات التراثية بأنها تلك الصناعات البسيطة واليدوية التي تعتمد بشكل رئيسي على الحرفة والحرفيين، وتعتمد على مهارات الأسرة، وتتطلب مهارات خاصة إما موروثية أو مكتسبة، وعادة ما تكون المنتجات بسيطة وبكميات محدودة ولا تعتمد اعتماداً كبيراً على الآلة<sup>(10)</sup>.

وهناك من عرّف الصناعات الحرفية التراثية بأنها تلك الصناعات التي تعتمد على مهارات يدوية خاصة بالعمال، أو التي تستخدم أدوات بسيطة فقط، وتستند تلك الصناعات إلى فكرة رئيسية تتمثل في تحويل المواد الخام البسيطة وبشكل يدوي إلى منتجات مصنعة تعكس طابعاً تراثياً وثقافياً محلياً، وتحمل هذه المنتجات تعابير وملامح تراثية ودينية في معظم الأحيان، وتصنف الصناعات الحرفية الفلسطينية إلى نحو سبع عشرة صناعة أهمها: الخزف وخشب الزيتون والزجاج والصابون وغيرها<sup>(11)</sup>.

أما تعريف الصناعات التراثية الفلسطينية فهي تلك الصناعات التراثية واليدوية التي يزاولها فرد أو مجموعة أفراد لإنتاج أو تصنيع منتجات يدوية من المادة المحلية الطبيعية

باستخدام الطرق التقليدية، وهي صناعة توارثتها الأجيال على مر السنين، وقد ارتبطت بتاريخ الشعب الفلسطيني وبتقافته وحضارته، ويعتمد محترف هذه الصناعة على مهارته الفردية الذهنية واليدوية التي يكون قد اكتسبها وطورها بالممارسة، ويستخدم في حرفته الخامات الأولية المتوفرة في البيئة الطبيعية المحلية، وتتميز تلك المنتجات بأنها تصنع إما يدوياً بالكامل أو بمساعدة أدوات بسيطة، وإن حدث عليها بعض التطوير باستخدام الآلة إلا أنّ العمل اليدوي يظل السمة المميزة للمنتج النهائي. وتتنوع الصناعات التراثية من تحف جمالية وإبداعية وفنية وتراثية ودينية تحمل كلها رموز ومعاني اجتماعية ودينية تعكس ثقافة البلد الذي تنشأ فيه<sup>(12)</sup>.

أما حسين لوباني فقد عرف الحرف اليدوية الفلسطينية في معجمه التراثي: «بأنها نتاج ما يبدعه الفنان الفلسطيني الشعبي بطرق بسيطة لتحقيق أهداف مختلفة، كما أشار إلى أن هذه الحرف اليدوية الشعبية متحررة من تحكم الآلة وسيطرتها، وغير مقيدة بالأساليب والنظم الاقتصادية والتجارية الحديثة»<sup>(13)</sup>، في حين عرف عبد اللطيف البرغوثي الحرفة «بأنها الاحتراف والصناعة، وطريقة الكسب، والمحترف هو صاحب حرفة متفنن في اتقان العمل»<sup>(14)</sup>. ولم يختلف عن ذلك الكتاب الأجانب حيث عرّف أحدهم الصناعة الحرفية بأنها كل نشاط في مجال الإنتاج أو الصيانة، ويعتمد على المهارات اليدوية، وتستخدم الآلة فيه بشكل بسيط، وتكون المنتجات في هذا المجال غير نمطية، وهذه الصناعة الحرفية تعتمد على الأيدي البشرية في تحويل الموارد الطبيعية بأبسط الوسائل وبمهارات انسانية عالية وفنية وإبداعية<sup>(15)</sup>.

نلاحظ من خلال التعريفات السابقة أن الصناعات التراثية أو الحرفية والتقليدية بسيطة ويدوية، وتعتمد بشكل أساسي على العمالة الحرفية، وعلى العمالة العائلية أحياناً، وأنها تحتاج إلى مهارات خاصة متوارثة أو يتم تعلمها، والثاني أنّ منتجاتها ليست بالحجم الكبير لأنها لا تعتمد بشكل أساسي على الآلات المتطورة عالية التكلفة، ولهذا كان الإقبال عليها كثيراً سواء في الماضي أو الحاضر، كما أنها تعتمد على مواد خام محلية، ويمكن ممارسة أنشطتها داخل المنزل أو في مساحات محدودة.

## ب. نشوء الحرف التراثية في فلسطين:

تحتل الصناعات الشعبية اليدوية في فلسطين مكانة بارزة بين ألوان التراث الأخرى، ومن المؤكد أن بعض هذه الصناعات هو الوليد الشرعي للنشاطات الإنتاجية المحلية، وأصبح مع الزمن صناعة شعبية محلية، بعد مجمل التعديلات أو الإضافات التي أضافها

الصانع الشعبي الفلسطيني، حيث تبدو فيها بصمات البيئة الجمالية الفلسطينية، وتضفي عليها خصوصيتها التي تميزها عن غيرها<sup>(16)</sup>.

ويرجع تاريخ نشوء الحرف اليدوية في فلسطين إلى آلاف السنين، فقد دلت الدراسات التاريخية والأثرية أنها ظهرت مع ظهور الإنسان العاقل فيها وفي مناطق عدة، وذلك حينما استخدم قطع الصوان في صناعة سكينه ورمحه، وفي العصر الحجري الوسيط أي قبل نحو عشرة آلاف سنة عرف الإنسان الفلسطيني الزراعة، واستطاع أن يصنع بنفسه أدوات عدة لمساعدته في حياته، حيث أطلق على تلك الفترة اسم الحضارة النطوفية<sup>(17)</sup>.

وقد دلت الاكتشافات أنّ الحرف اليدوية التي تنوعت وتخصصت وصنفت فيما بعد، أنها كانت في العصور الغابرة تعمل على إنتاج أدوات الصيد والعيش اليومي والأدوات الزراعية، وكذلك للأغراض الدينية، وقد شهدت أريحا مثلاً صنع الحصير من القصب منذ آلاف السنين، ولا يزال إلى اليوم في المدينة وبعض المدن الفلسطينية الأخرى حرفيون يعملون في مختلف الحرف بعد نحو عشرة آلاف سنة من الحضارة التي لم تنقطع أسبابها<sup>(18)</sup>.

وكان لاستمرار الحياة الإنسانية في فلسطين منذ آلاف السنين، وما يتطلبه ذلك من استمرارية إنتاج ضروريات الحياة من مسكن ومعيشة، إضافة إلى كون فلسطين واقعة في ملتقى الحضارات والقارات القديمة، وتأثرها بتلك الفنون، ووجود المقدرات على هذه الأرض، وما يعنيه ذلك من تشييد معالم خالدة شملت كافة الفنون والحرف بمستويات راقية، أن أدّى ذلك إلى خلق حرف ومنتجات تميزت ببصمات خاصة وتقاليد عريقة، حيث كشفت الحفريات والمصادر التاريخية عن وجود العديد من الابتكارات والإبداعات على هذه الأرض - أرض فلسطين - منذ سكانها الأوائل الكنعانيين الذين سجّل لهم اكتشاف الصبغ الأرجواني وزخرفة العاج ومنتجات الخزف<sup>(19)</sup>.

وتتداخل هذه الصناعات الحرفية الشعبية ذات الطابع التراثي لدى أي شعب من الشعوب بتاريخ حياته الحضارية على الأرض، وبما أنتجه من فكر وفن، وما حققه من منجزات مادية ملموسة تشكل مجموعها الامتداد التاريخي له، والذي يميزه عن غيره من الشعوب والأمم الأخرى، ويعكس هذا الانتاج أنماط المعيشة في جوانبها كافة، بحيث يصور البيئة الطبيعية التي أنتجت فيها هذه الحضارة، فالحضارة وليدة البيئة تعبر أصدق تعبير عما تكنه الطبيعة من أسرار، وما تنطق به من جمال، كأنها لسانها أو صورتها المنعكسة على صفحة الأعمال المادية والفكرية<sup>(20)</sup>.

ولا بد ونحن نتحدث عن هذه الحرف الشعبية من ملاحظة اتخاذ كثير من العائلات في المدن الفلسطينية أسماء حرفية مثل: النقاش، والنجار، والبناء، والصباغ، والعطار، والحداد، وغيرها(21).

ومن العوامل التي ساهمت في انتشار هذه الحرف بين فئات الشعب الفلسطيني، بحيث أصبحت السمة القومية التي تمتاز مناطق فلسطين، اعتمادها على أدوات في غاية البساطة، وتوفر الأيدي العاملة الخبيرة والبسيطة من خلال نظام التوارث في الحرفة، وإقبال السياح وغيرهم على اقتنائها لما تحويه من سحر وجمال الشرق والديار المقدسة، وكذلك إمكانية تحضير المواد الأولية لهذه الصناعات محلياً، حيث الزيتون بشكل رئيس، وعدم قدرة الصناعات الحديثة على منافستها، وخاصة المستورد منها لأنها تعتمد على العمل اليدوي التقليدي الدقيق، ومما ساهم في رواجها في الوقت الحاضر اهتمام أهل البلاد بها، وإدخالها إلى معظم البيوت كقطع فنية أو تذكارية جميلة(22).

والصناعات الشعبية شأنها شأن باقي الصناعات نشأت في الأساس نتيجة لحاجة الإنسان إليها، فجاءت معبرة عن مستلزمات احتياجاته الحياتية، ومظاهرها الاجتماعية، ومكونات رغباته النفسية، ومجالاً للتعبير عن أفكاره ومعتقداته ومهاراته الفنية، فأتتنا خليطاً تعبر بصدقها عن أصالة شعبها، ودقة صنعها لامتدادها عبر الزمن الذي شهد تطورها، جيلاً بعد جيل، فجاءت لوحة نابضة لعبقرية جماعية، تعبر عن معاني الجِدِّ والصبر والمثابرة الذي يمتاز بها القائمون عليها، وكأن القيمة الفنية ودرجة الإتقان العالية تتحدى الزمن(23).

ويمكن القول إن الحرف اليدوية التقليدية ذات الطابع التراثي في فلسطين تندرج في قسمين رئيسيين(24) :

أ. صناعات ريفية يدوية في أصولها، كالتطريز والقش والفخار.

ب. صناعات فنية سياحية: نشأت في بعض المدن كالصدف والزجاج والخزف والحفر على خشب الزيتون. وقد نشأت الأولى استجابة لاحتياجات المجتمع المحلي، مستفيدة من إمكانيات الطبيعة والبيئة المحلية في توفير موادها الأولية، أما الثانية فنشأت استجابة لاحتياجات ليس فقط المجتمع المحلي، وإنما أيضاً المجتمع الدولي الإنساني نتيجة لاحتكاك شعب فلسطين بالشعوب الأخرى التي كانت وما زالت تفد لزيارة الأماكن المقدسة، فاحتوت هذه الصناعات أفكاراً دينية عبرت عنها من خلال المجسمات ذات المدلولات الدينية، فكان متلقي هذه الصناعات بأغلبه من خارج البيئة المحلية، والتي لقيت طريقها عبر الأسواق الدولية من خلال عمليات التصدير(25).



### ت. ظهور صناعة الحفر على خشب الزيتون في بيت لحم وتطورها:

مرت الحرف اليدوية في فلسطين منذ عصور قديمة، واستمرت حتى الوقت الحاضر بمراحل وأشكال مختلفة منها، المشاهدة، والنقل الشفوي، بحيث كان الآباء يحرصون على تعليمها لأبنائهم من بعدهم، وقد تأثرت خلالها بفنون الأمم الأخرى بواسطة الفنانين والحرفيين من المناطق المجاورة، وبقيت هذه الصناعات والحرف الشعبية التراثية في فلسطين عبر الأجيال المتلاحقة التي حفظت الزخارف والرموز بشكل مجسد وعملي<sup>(26)</sup>.

وتعد صناعة الحفر على الخشب من الصناعات التراثية اليدوية المهمة التي تتميز بها منطقة بيت لحم وبعض المدن الفلسطينية الأخرى، وهي من الصناعات والحرف القديمة في المدينة، وقد بلغت شهرتها الملوك والقادة في العصور المختلفة<sup>(27)</sup>. وقد بدأت هذه الصناعة بالظهور منذ بداية وفود الحجاج من الخارج لزيارة المدينة والأراضي المقدسة الأخرى، حيث ابتكر السكان بعض الصناعات الشعبية الناتجة عن خشب الزيتون والصدف، والتي أخذ الحجاج والزوار يشترونها ويحملونها إلى بلادهم كذكرى زيارتهم للديار المقدسة<sup>(28)</sup>.

ويرجع أقدم ذكر لصناعة الأدوات التذكارية المتنوعة والمصنوعة من خشب الزيتون إلى الفترة البيزنطية، حينما انتشرت الديانة المسيحية في فلسطين، وأصبحت إحدى الديانات الرسمية في الدولة البيزنطية، ثم أصبحت الديانة الرسمية فيها في القرن الرابع الميلادي، حيث زاد اهتمام سكان الدولة بفلسطين كأرض مقدسة بالنسبة إليهم، وارتادها الآف الرهبان الذين قضوا حياتهم في مغاورها وفي الأديرة التي بنوها، ومن المواد الرئيسية التي صنعوا منها هذه الأدوات كانت عظام القديسين والتي اشتراها الحجاج مع عودتهم إلى بلادهم<sup>(29)</sup>.

ومما يؤيد هذا القول ظهور هذه الصناعة الحرفية بعد بناء كنيسة المهد في المدينة، حيث قام الرهبان المحليون بتعليم هذه الحرفة للسكان، ثم بدأت بعد ذلك بالانتشار حول المدينة وبأشكال مختلفة<sup>(30)</sup>، ومنذ ذلك الوقت انتشرت هذه الحرفة بسبب ارتباطها الوثيق بشجرة الزيتون والتي تشتهر بها مدينة بيت لحم وبعض المدن الفلسطينية الأخرى.

واستمرت هذه الصناعة في المدينة خلال الفترات الإسلامية الأولى - بعد الفتوحات الإسلامية لفلسطين - الأموية والعباسية، حيث وصف بعض الرحالة والجغرافيين المسلمين أشجار الزيتون في المدينة ومنهم المقدسي وناصر خسرو وغيرهم ممن زاروا فلسطين، كما وصفوا الأوضاع الزراعية والاقتصادية فيها. أما في الفترة الصليبية التي بدأت بعد احتلال الصليبيين لفلسطين في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي، فهناك العديد من المؤشرات التي تفيد بأن هذه الصناعة أصبحت متطورة، لأنها أصبحت مرتبطة أكثر بحركة الحج

المسيحي ومواسمه في فلسطين، حيث تدفق أعداد كبيرة من الحجاج الغربيين وأقبلوا على شراء منتجات خشب الزيتون، وكان لمدينة بيت لحم والقدس وغيرها مهارة كبيرة في هذه الصناعة، حيث أصبح حرفيوها يتقنوها أكثر من الماضي، وصنعوا منها أشكالاً متنوعة ومتقنة<sup>(31)</sup>، وأخذ الفنان الشعبي والحرفي في تلك المدن في إنتاج نماذج سياحية مختلفة من الهدايا والرموز الدينية التي تناسب ذوق الحجاج المسيحيين وزوار الأراضي المقدسة من مختلف الطوائف والمذاهب، وذهب بعض الحرفيون أبعد من ذلك في إنتاج التماثيل الإنسانية للمسيح وبعض القديسين المسيحيين<sup>(32)</sup>. ذلك أن الحج المسيحي إلى الأراضي المقدسة اعتبر أحد الأسباب الرئيسية إلى الرحلة في فلسطين وما جاورها، وكان قصد هؤلاء الحجاج هوزيارة المكان الذي ولد فيه السيد المسيح وعاش وخاصة مدن بيت لحم والقدس والناصرية، وقد زادت هذه الرحلات في العصور الوسطى بعد انتشار العديد من القصص والروايات حول السيد المسيح وتلاميذه وغيرهم من القديسين، وبتشجيع أيضاً من الكنيسة الغربية، وكانت أعداد هؤلاء الحجاج كبيرة ومن مختلف الطوائف الدينية والجنسيات والمناطق المختلفة، سواء من الغرب أم من الشرق والذين قدّروا بعشرات الآلاف كل سنة<sup>(33)</sup>. وقد حرص هؤلاء الحجاج على شراء منتجات خشب الزيتون لتذكركم بالأماكن المقدسة وتبارك من قبل القسيسين، فهذا أحد الحجاج يقول ”وبعد القدّاس يبارك القسيس الأشياء التي اشتريناها كتذكّار، والتي وضعناها على حجر المدفن“<sup>(34)</sup>.

وعلى الرغم من بساطة هذه المشغولات اليدوية، فقد كان الحجاج يهتون بشرائها، لتصبح كتذكّار من الأراضي المقدسة بعد العودة، الأمر الذي شجع الصناع والحرفيين على استغلال المكانة المقدسة للمدن الدينية في صناعة هذه التذكّارات ذات الدلالة الدينية كالصلبان والمسابع والقناديل والتماثيل وغيرها<sup>(35)</sup>.

وبشكل عام يمكن القول: إن الصناعات التي شهدتها المدينة وخاصة صناعة الحفر على خشب الزيتون وغيرها في الفترة الصليبية (1187م - 1099م)، قد ساهمت في انتعاش الحركة التجارية، وساعدت على قيام عمليات التبادل التجاري مع أوروبا وخاصة المدن التجارية الإيطالية، كذلك قامت هذه الصناعة بتوفير الكثير من الإيرادات للسلطات الصليبية عن طريق فرض الضرائب على هذه المنتجات، أو عن طريق بيع الملك الصليبي لحقوق احتكاره لبعض الصناعات<sup>(36)</sup>. وخلال تلك الفترة أيضاً تطورت تلك الصناعة وصناعة الصدف أيضاً في الأراضي المقدسة، وتطورت الحركة السياحية بحكم وقوع فلسطين تحت الحكم الصليبي الغربي الأوروبي، حيث أتقن أهل المدينة هذه الحرفة، وأصبحت مصدر الرزق الرئيس لمعظم سكانها<sup>(37)</sup>. ومما ساعد أيضاً في انتعاش الحركة التجارية في تلك الفترة، هو الهدوء النسبي الذي ساد المدينة بعد الاحتلال الصليبي،

وازدیاد عدد الحجاج الوافدين إليها من بقاع الأرض كلها حاملين معهم بعض الهدايا الثمينة لكنيسة المهدي، ومبتاعين الهدايا التذكارية من خشب الزيتون وغيره من التجار التلاحمة الذين كانوا يبسطون بضائعهم على الأرض أمام الكنيسة<sup>(38)</sup>.

أما في العصر المملوكي (1250-1517م) فقد واصلت هذه الصناعة تقدمها وتطورها لسببين رئيسيين: أولهما هو تشجيع الحكام المماليك لهذه الصناعة، واعتماد الصناع على الأخشاب المحلية في صناعتها، والثاني هو استمرار تدفق الحجاج والزوار المسيحيين من الغرب الأوروبي إلى بيت لحم دون أية مضايقات من سلطات الدولة، وتوفير وسائل الأمن وغيرها لهم في المدن المقدسة التي يقصدونها في فلسطين، حيث قام الصناع في هذه المدن بصناعة أشكالاً متنوعة من الأدوات ذات المعنى الديني والتي كانت تجذب نظر هؤلاء الحجاج والزوار وتلقى رواجاً في الشراء، ومن المرجح أن أغلب المشتغلين بها كان المسيحيون المحليون من الطوائف المختلفة المقيمة في القدس وبيت لحم<sup>(39)</sup>. وقد كان للرهبان الفرنسيين الذين عاشوا في القدس وبيت لحم في القرن 14م دور في تقدم النشاط الاقتصادي والتجاري في هذه المدن، حيث جادت أيدي أصحاب حرفة الحفر على خشب الزيتون بالتحف التذكارية والتماثيل الخشبية للأماكن المقدسة مرصعة بالصدف من تلك المنطقة<sup>(40)</sup>.

ومن الأسباب التي ساعدت على تقدم هذه الصناعة في المدينة أيضاً ما شاهده الرحالة الأوروبيين في القرن الثاني عشر الميلادي، بأن مدينة بيت لحم وبيت ساحور غنية جداً بأشجار الزيتون حيث اشترى من منتجاتها الخشبية<sup>(41)</sup>.

وحافظت هذه الصناعة على وجودها وتقدمها بشكل عام طوال الفترة العثمانية (1517-1917م)، - مع تعرضها لبعض المشكلات في فترات مختلفة - حيث أصبحت من أهم النشاطات الاقتصادية في مدينة بيت لحم، وقد وصف العشرات من الرحالة الذين زاروا خلال تلك الفترة المدينة هذه الصناعة ومدى تقدمها واهتمام السكان بها، والذي ساعد على ذلك هو سرعة اندماج فلسطين بالسوق الرأسمالي الأوروبي<sup>(42)</sup>، بحيث أصبحت هذه الحرفة الشعبية لا يوجد لها منافس في أوروبا أو أي منطقة أخرى، هذا بالإضافة إلى توسع شبكة المواصلات وتطور وسائل النقل، وتزايد عدد سكان المدينة وازدياد قدوم الحجاج والزائرين الأجانب إلى المدينة وانتعاش حركة العمران فيها<sup>(43)</sup>.

ومن العوامل التي ساهمت في تشجيع هذه الحرف وغيرها من الصناعات التراثية التي عرفت ازدهاراً واسعاً في المدينة وبعض المدن الفلسطينية الأخرى مثل القدس والناصرية، هو كثرة المحلات المتخصصة في صناعة الحفر على الخشب وانتشارها، وخاصة المسابح

والصلبان وغيرها، وكذلك الشراكة العائلية الجماعية في تلك وحيث يتعاون الجميع في هذه الصناعة لتحسين دخلهم اليومي وأحوال معيشتهم<sup>(44)</sup>.

وسوف نورد هنا بعض الأمثلة على مدى اهتمام السكان ونشاطهم بهذه الحرفة، فقد زار بيت لحم الرحالة الفرنسي (نو) Nau في سنة 1725م، ومما قاله: ”أن سكان المدينة المسلمين والنصارى تمتهن عمل المسابح والصلبان التي ترسل إلى أوروبا، ...، ومنها الصلبان الجميلة جداً ونماذج للكنايس، وكانت أسعار هذه الصلبان تعتمد على الحجم والنوع، وترسل إلى أوروبا، ...، وهذا يبين الفن المتقدم الذي وصل إليه أهالي بيت لحم في هذه الحرفة<sup>(45)</sup>. وقد اكد على ذلك رحالة آخر زار المدينة في النصف الثاني من القرن 18م وذكر بأنه كان يتم شراء هذه المصنوعات من قبل تجار عكا، والذين بدورهم يشحنونها في صناديق إلى البندقية في إيطاليا، ومن ثم تصدر إلى اسبانيا وألمانيا واسكتلندا<sup>(46)</sup>.

أما المثال الثاني فهو ما أخبر عنه الرحالة ”غورين“ Guerin الذي زار بيت لحم في سنة 1854م، حيث قال: «يعمل جزء من السكان في إنتاج وصناعة تجارة أخذت بالازدهار، وهي صناعة المسابح المصنوعة من الصدف وبجسم خشب الزيتون، وكذلك الصلبان من خشب الزيتون والميداليات الخشبية المحفور عليها آيات دينية، حيث يبيعونها إلى الحجاج الزائرين، وتعتبر من التذكارات الثمينة لرحلاتهم، ونموذجاً لصناعة المسيحيين في بيت لحم<sup>(47)</sup>. وقد اكدت على ذلك الرحالة (ماري روجرز) «Mary Rogers» والتي ذكرت أن إحدى المهن الرئيسية التي يحترفها التلاحمة هي حرفة الحفر على خشب الزيتون وصناعة وتنسيق الصدفيات<sup>(48)</sup>.

أما الرحالة العرب فسوف نعطي مثالين أيضاً وهما: أولاً الرحالة عبد الغني النابلسي الذي زار المدينة في مطلع القرن 18م، ومما قاله عن سكان المدينة وصناعتهم من خشب الزيتون: ”ومن عاداتهم أن يصنعون المسابح من خشب الزيتون ويخراطونها - يشكلونها- على أنواع مختلفة ويبيعونها للزوار“، كما وصف طريقة عرضها وبيعها حينما قال: ”فوقفوا لنا على حافة الطريق وفي أيديهم أشياء من ذلك يبيعونها“، ولم ينس النابلسي أن يشتري من هذه المنتجات للتبرك بها بعد عوته إلى بلده “فاشترينا منهم نحن وجماعتنا لأجل التبرك ما يسره الله تعالى، وصحبناه إلى الشام“<sup>(49)</sup>.

أما الرحالة الثاني فهو نعمان القساطلي الذي زار المدينة في سنة 1878م، وقد أخبر بأن منطقة بيت لحم معروفة بزراعة الزيتون، كما أنه مدح سكان المدينة على نشاطهم وحذقهم بهذه الصناعة التي صُدرت إلى معظم أنحاء العالم حيث قال ”يحق لهم أن يعتبروا من أصحاب العقول الراقية والفظانة والذكاء إذا اتخذنا ذلك برهاناً عليهم فضلاً عن

ادارتهم وحذقهم في شغل الصدف ونقشه، الأمر الذي فاقوا به جميع من سواهم في أوروبا وآسيا، ولهم نشاط في الأسفار-السفر- فإنه قلما تجد مملكة في ممالك أوروبا، ولا تجد بها ولو نفرًا واحدًا منهم سار إليها برسم التجارة في صدفه المنقوش بأجمل النقوش، وأدقها في مسابحه وصلبانه المختلفة الأجناس والأشكال<sup>(50)</sup>. كما وصف سكان بيت لحم بالجدية في العمل وعدم الكسل حيث قال: ”وأهل هذه المدينة عندهم عدم القيام بالاشتغال من الامور المعيبة جداً، فبواسطة جدهم تمكنوا من أن يجعلوا لبلدتهم أهمية تجارية في البلاد حولهم...، وهم يصدرون الصدف المنقوش والمسابع...“<sup>(51)</sup>.

والدليل على تطور هذه الصناعة في المدينة وتقدمها هو مشاركتها في العديد من المعارض الدولية في أوروبا وأمريكا، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: معرض فيينا الدولي سنة 1873م، حيث مثلت بيت لحم فلسطين بعرض التحف التذكارية وتشكيلة متنوعة من خشب الزيتون للأماكن المقدسة المسيحية واليهودية والإسلامية<sup>(52)</sup>. كما شاركت فلسطين أيضاً في معرض فيلاديلفيا الدولي في سنة 1876م، حيث لاقت اقبالاً كبيراً على منتجاتها، والتي بيعت بأسعار عالية وقد مثل فلسطين تجاراً من مدينة بيت لحم، ومن ثم ذاع صيتها في العديد من المحافل الدولية في أمريكا وأوروبا<sup>(53)</sup>.

وكان من نتيجة المشاركة في هذه المعارض الدولية انعكاسها إيجاباً على السكان في المدينة حيث زار من اهتمام أوروبا بالأماكن المقدسة في فلسطين، وفي الوقت نفسه ازدادت صادرات المدينة من منتجات خشب الزيتون، مما انعكس على المردود المالي لهذه الصناعة<sup>(54)</sup>.

وخلال الفترة العثمانية أيضاً، ولأهمية هذه الصناعة في العجلة الاقتصادية في الدولة، فقد قام إبراهيم باشا خلال فترة الحكم المصري لفلسطين (1831-1840م) بنقل صناعة خشب الزيتون والصدف إلى مصر حيث نقل عدداً من الحرفيين المتخصصين بهذه الصناعة من أهالي بيت لحم وبيت جالا إلى مصر بقصد إنشائها<sup>(55)</sup>.

وخلال فترة الانتداب البريطاني (1917-1948م) على فلسطين، فقد حافظت هذه الصناعة على استمراريتها بالرغم من ظروف الاحتلال السياسية والاقتصادية، وقاومت الإجراءات الانتدابية واستطاع السكان في المدن الفلسطينية المشهورة بهذه الصناعة من أن يركزوا في صناعتهم على الأدوات ذات الرموز الدينية، فكان الصناع في القدس مثلاً يقومون بترصيع (تطعيم) الأدوات الخشبية بأصداف اللؤلؤ، وكان صناع بيت لحم يقومون بصناعة المسابح والصلبان وغيرها من أدوات الزينة، كما قام أصحاب هذه الحرفة في زيادة المعامل الكبيرة في فلسطين والمتخصصة بهذه الصناعة، حيث وصل عددها في سنة

1927 حوالي 12 معمل<sup>(56)</sup>، وفي الوقت نفسه زاد عدد العاملين فيها، حيث أصبح عددهم بالآلاف في منطقة بيت لحم في مطلع القرن العشرين<sup>(57)</sup>.

وخلال الحكم الأردني (1948-1967م)، واصلت هذه الصناعة نموها وتطورها وانتعشت عما كانت عليه أثناء الاحتلال البريطاني، ونتيجة لذلك توسعت هذه الصناعة وأدخلت عليها العديد من التحسينات لزيادة الانتاج وتميزه<sup>(58)</sup>. ومما ساعد على تطويرها أيضاً الخدمات السياحية وما رافقها من فنادق ومطاعم وغيرها من الخدمات الخاصة بخدمة السياح وتنمية الفروع التابعة لها، إضافة إلى مشاركتها في عدة معارض دولية في بروكسل وروما وميلانو ونيويورك ودمشق وغيرها، وقد فازت هذه المعروضات بعدة جوائز عالمية، وقد وصل عدد المصانع التي تتعامل مع الصدف وخشب الزيتون إلى 33 مصنفاً سنة 1964م، يعمل فيها مئات العمال<sup>(59)</sup>. إلا أن هذه الصناعة تأثرت بظروف الاحتلال الإسرائيلي بعد سنة 1967م لارتفاع أسعار المواد الخام وعدم توفر الأيدي العاملة الماهرة وانخفاض كميات التصدير، حيث أغلق بعض المحلات والورش وتوجه أصحابها للعمل في فروع صناعية.

### مميزات خشب الزيتون والصناعات الناتجة عنه في المدينة:

يعدُّ الخشب على رأس المواد الطبيعية التي استعملها الانسان في صنع أدواته المختلفة، واتفق استعمالها، ويبدو أنّ طبيعة هذه الخامات التي تمتاز بسهولة تحضيرها والعمل بها والحصول عليها، بالإضافة إلى تجاوبها مع عمليات الدهان والترزين، قد ساعدت على اهتمام الانسان بها<sup>(60)</sup>.

ويستخدم في صناعة الحفر على خشب الزيتون أخشاب الزيتون الطبيعية التي لا تحمل ثماراً أو قليلة الثمار، وبالتالي لا تتسبب هذه الصناعة بأضرار على زراعة الزيتون، ويتميز خشب الزيتون باللينة وتدرج لونه بحيث كلما تقدمت الشجرة في العمر تبرز الألوان وتدرجها بشكل أوضح<sup>(61)</sup>. كما أن خشب يعتبر الزيتون من النوع الصلب الذي يعمر طويلاً، وله القدرة على مقاومة الأعطاب والأمراض، وخاصة العفن. ومن مميزاته الأخرى جمال العروق، والتموجات الطبيعية التي تتخلله والتي لا تتوافر بالأنواع الأخرى، ولذا تجنب صنّاعه إخفاء لونه وامتنعوا ما أمكنهم عن زخرفته بالصدف والعاج والمعادن، واستعاضوا عن ذلك بالتخريم والحفر<sup>(62)</sup>. وهو في العادة لا يُلون بل يدهن بالزيت للمحافظة على جمال لونه الطبيعي<sup>(63)</sup>. كما يتم الحفر عليه بأشكال متنوعة بسهولة ودقة بوساطة أدوات بسيطة<sup>(64)</sup>، وأخشاب الزيتون أيضاً لا تحتاج إلى جهود كبيرة للعناية بها، فهي تحتاج إلى القليل من الماء، وفي الوقت نفسه تتحمل الجفاف والحرارة وهو متوسط

القساوة، وقابل للنقش والتخريم وعمل تفاصيل غاية في الدقة<sup>(65)</sup>، وبالتالي يعتبر من الأخشاب الجيدة لأعمال الحفر بأشكاله وأنواعه المختلفة.

أما أهم الصناعات المرتبطة والناجمة من خشب الزيتون والناجمة عنه فهي متعددة ومتنوعة، وقد تطورت هذه الحرفة خلال المراحل التاريخية منذ ظهورها لتصبح صناعة سياحية من الدرجة الأولى في مدينة بيت لحم بشكل خاص، وفلسطين بشكل عام، وهذه المنتجات وغيرها من الصناعات الحرفية الأخرى تباع أمام الأديرة والكنائس وكذلك في المحال السياحية في المدينة، وعادة ما كانت تنشط مبيعاتها في المواسم الدينية المسيحية والأعياد، حين يتوافد على المدينة أفواج كبيرة من الحجاج والزوار، ومن أهم هذه الصناعات هي: الصلبان ذات الأشكال المختلفة المستوحاة من الكتب المقدسة، والتي أقبل الحجاج وزوار المدينة على شرائها واقتنائها بكثرة منذ بداية ظهور هذه الصناعة الحرفية، أما المسابح فقد صنعت من نوى خشب الزيتون، وكانت على نوعين وهي: السبح الدينية التي استعملها رجال الدين من الطوائف المسيحية أثناء تأدية فريضة الصلاة وعدد حباتها (59) حبة، أما السبح الشعبية فقد استخدمت للتسلية وقضاء الوقت وعدد حباتها (33) والذي يعتقد أنها بعدد سني حياة المسيح<sup>(66)</sup>. أما التماثيل الدينية فصنعت من نماذج وأشكال مختلفة مثل تماثيل العائلة المقدسة والرعاة، وغيرها من الأشكال المنحوتة التي ترمز إلى الحياة المسيحية<sup>(67)</sup>. كما استخدم خشب الزيتون في صناعة مواد أخرى استدعتها الحاجة مع التطور الزمني ومع زيادة الطلب عليها من السياح والحجاج الغربيين، وخاصة المرتبطة بالمعالم الدينية المسيحية مثل: الشمعدانات والقلائد والجمال والأجراس والعلب الخشبية المخصصة للمصاحف والذهب والسجائر وغيرها، وعلب الشطرنج وأطقم العشاء السري، وأطقم الميلاد وأطقم رعاة الغنم والمزهريات بجميع أنواعها، وطاولات الزهر وأغلفة الكتب المقدسة، ومجسمات السيد المسيح ومريم العذراء، وقبة الصخرة والكنائس ولعب الأطفال المختلفة الأشكال والألوان، ودبابيس الزينة، واللوحات المزخرفة، ومجسمات تصور الحياة الاجتماعية مثل مجسمات الفلاحين والفلاحات في المدينة، ومجسمات الطيور وحيوانات بأحجام مختلفة وغيرها<sup>(68)</sup>.

## الأهمية التاريخية والتراثية - الثقافية والاقتصادية لهذه الصناعة:

تكتسب صناعة الحفر على خشب الزيتون في مدينة بيت لحم أهمية تراثية - ثقافية، وحضارية - تاريخية واقتصادية خاصة بسبب ارتباطها بالأراضي المقدسة وبالأديان السماوية الثلاث، والتي تستقبل الزوار من مناطق وطوائف مختلفة، ومجتمعات متباينة منذ فترة زمنية طويلة، وقد تفاعل المجتمع الفلسطيني منذ البدايات الأولى بثقافته وبيئته

ومنتجاته مع السياحة الوافدة إلى فلسطين، فقام بتطوير صناعات حرفية يدوية سياحية يبتاعها السائح والزائر تذكراً لزيارته، ثم يعود إلى بلده ليشاهدها كثيرون غيره.

وقد حظيت مدينة بيت لحم عبر تاريخها بأهمية دينية وحضارية - تاريخية فريدة من نوعها ميزتها عن غيرها من المدن الأخرى، وأدت وما زالت دوراً روحياً مميزاً، ولا غرابة في ذلك فهي مدينة الأديان السماوية، على أرضها ولد السيد المسيح، وأقام أتباعه مزارات وديارات تناثرت على الأراضي الفلسطينية، أشهرها كنيسة المهد وغيرها من الأديرة والكنائس، وهذه الميزات جعلت من المدينة منطقة جذب سياحي عبر العصور، فقد زارها العديد من الرحالة العرب والأجانب كما وفد إليها أعداد غفيرة من الحجاج والسياح والزوار لمشاهدة معالمها الدينية ومهد السيد المسيح عليه السلام.

وتعدُّ مهنة الحفر على خشب الزيتون من الحرف التراثية المقدسة لدى المسيحيين في بيت لحم وفلسطين، لأنها جزء لا يتجزأ من التراث الفلسطيني، حيث سكنت شجرة الزيتون فلسطين منذ فجر التاريخ وارتبطت بالإنسان الفلسطيني ارتباطاً وثيقاً، فدخلت في التراث والتقاليد والوجدان الشعبي له، وحيكت حولها الحكايات والأمثال والأغاني، وكما ذكرنا فهي أيضاً من الأشجار المباركة التي ذكرت في الأديان السماوية. وقد ارتبط الزيتون وما ينتج عنه وما يصنع منه بالتراث الفلسطيني وزخر به من حيث العمليات الزراعية إلى استعماله المختلفة، كما يعتبر موسم قطافه منذ القدم مهرجاناً شعبياً تراثياً حاشداً، وهو بمثابة العيد الوطني لكافة طبقات الشعب<sup>(69)</sup>.

وقد أدت هذه الصناعة دوراً هاماً في بيان أهمية التراث الفلسطيني واستمراره فهي التي تعكس التراث والحضارة الفلسطينية والتاريخ الفلسطيني من جهة، كما أنها توفر السلع والتذكارات الدينية المختلفة التي يهتم باقتنائها من يزور الأراضي المقدسة من الجهة الأخرى، وفي الوقت نفسه فإن هذه الصناعات أصبحت تشكل حيزاً مهماً من منظومة التعريف بثقافة الشعوب والحفاظ عليها، كما أنها تعكس تاريخ الشعوب وتصل الحاضر بالماضي، فهي امتداد لصناعة كانت موجودة قبل آلاف السنين وما زالت مستمرة، وشاهدة على تاريخ وحضارة هذا الشعب<sup>(70)</sup>. وشكلت هذه الحرفة التراثية قيمة تاريخية حضارية، لأنها عبرت عن هوية الإنسان الفلسطيني وانتمائه لأرضه، وتؤكد جدلية العلاقة بين الإنسان في الزمان والمكان، وبين الإنسان على أرضه وعبر تاريخه، وهي جزء من معركة الانسان الفلسطيني وصموده على أرضه والتشبث في مواجهة محاولات الاحتلال استهداف هذه الشجرة بالاقْتلاع والتدمير<sup>(71)</sup>.



وتعد هذه الحرفة من أقدم الحرف القديمة في بيت لحم وفلسطين، والتي تم توارثها عبر الأجيال حتى أصبحت من علامات التراث الفلسطيني، ويرجع ذلك إلى ارتباط منتجاتها مع تاريخ فلسطين والديانة المسيحية تحديداً<sup>(72)</sup>. كما تعبر عن ثقافة الشعب الفلسطيني وموروثه الثقافي على اختلاف شرائحه وتوجهاته، فهي صناعة عريقة وترتبط بوجود الانسان الفلسطيني على أرضه<sup>(73)</sup>.

أما الجانب الثاني لأهميتها فيتمثل في البعد الاقتصادي، فقد اكتسبت مدينة بيت لحم أهمية تجارية منذ القدم كونها الأخت الصغرى لمدينة القدس الواقعة بجوارها إلى الجنوب، حيث أصبحت مع توأمها القدس تشكل موقعاً رئيسياً لاستقبال الحجاج والزوار من أنحاء العالم كافة، طوال العام وخاصة في مناسبات الأعياد المسيحية وغيرها، حيث تختلط هذه المواسم بالحركة التجارية، كون أن هؤلاء الحجاج والزوار يحملون معهم منتجات خشب الزيتون وغيرها -والتي اشتروها- إلى بلادهم أثناء عودتهم<sup>(74)</sup>. وبهذا شكلت هذه الصناعة الحرفية وما زالت مصدر دخل للعديد من العائلات الفلسطينية في المدينة، لأنها تعمل على توفير مصدر مالي أساسي ومساند في ظل الأوضاع الاقتصادية التي عانى منها السكان في الماضي والحاضر<sup>(75)</sup>، بحيث تساهم بنسبة معينة في الناتج المحلي، لأن هذه المهنة الحرفة توفر فرصاً للعمل، كما لعبت هذه الصناعة التقليدية دوراً في استقطاب نسبة عالية من السياح والزوار وبالتالي جلب العملة الصعبة للعاملين فيها<sup>(76)</sup>، ولهذا فهي إحدى الطرق التي تساعد على تعزيز صمود الناس في وطنهم.

أما في المجال الاجتماعي فهو مرتبط بالبعد الاقتصادي فمن خلال تشغيل جزءاً من الأيدي العاملة من الرجال والنساء فإنها تساعد في حل بعض المشاكل الاجتماعية لهم، وخاصة الحد من الهجرة الداخلية والخارجية، كما تساعد على الاستقرار الاجتماعي الداخلي. أما مستوى الأيدي العاملة من النساء وبالتحديد ربات البيوت، فإن المرأة لم تتردد في العمل في مجال هذه الصناعة الحرفية بسبب امكانيتها العمل في المنزل دون الحاجة إلى الانتقال إلى الخارج<sup>(77)</sup>. كما تتوفر في هذه الصناعة مرونة خاصة تتمثل في إمكانية العمل في المناطق التي لا تحتاج إلى خدمات أولية، وبنية تحتية كبيرة، لذلك فإمكانية العمل في أي منطقة ولو كانت مهمشة واردة، وبذلك فهي تساهم في تحقيق نوع من التنمية الاقتصادية والبشرية<sup>(78)</sup>.

ومن مميزات هذه الصناعة أيضاً أنها لا تعتمد على رأس مال كبير في الانشاء أو التشغيل، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه المهنة لا تشترط مستويات عالية من التعليم أو التدريب، ومن الجهة الأخرى فإن تنشيط حركة السياحة يشكل عائداً للبلد ككل، حيث أن السياح والزوار الذين يقيمون في المدينة يشكلون جزءاً من الدخل القومي للبلد نفسه، كما

تُنشط هذه الحركة السياحية قطاعات أخرى أيضاً، وتعتبر هذه الصناعة أيضاً جزءاً مهماً من صادرات البلد وتسويقه إلى الخارج<sup>(79)</sup>.

لذلك فإن تطوير هذه الصناعة يعزز من الأهمية السياحية والتاريخية لفلسطين، ويساعد في تثبيت الهوية الفلسطينية خصوصاً في ظل الاحتلال الذي يحاول صقل هذه الصناعات تحت ثقافته وتاريخه المزعوم.

## عوامل ازدهار واستمرارها:

ويمكن القول إن استمرار هذه الحرفة اليدوية في المدينة منذ القدم وحتى الآن حكمته عوامل عدة<sup>(80)</sup>:

1. إمكانية تحضير المواد الأولية (الخام) لهذه الصناعة محلياً، فأشجار الزيتون منتشرة بشكل كبير في فلسطين ومنها مدينة بيت لحم.
2. عدم قدرة الصناعات الحديثة من المنافسة بشكل كبير لأنها تعتمد على العمل اليدوي التقليدي الدقيق، الذي يتجدد باستمرار، رغم استخدامه لنفس المواد التي كانت مستخدمة في الماضي.
3. توافر الأيدي العاملة الخبيرة، وإمدادها بالأيدي العاملة من خلال نظام التوارث.
4. إقبال السياح على اقتنائها لما تحويه من سحر وجمال الشرق والديار المقدسة.
5. ومما ساهم في رواجها في الوقت الحاضر، اهتمام أهل البلاد بها وإدخالها إلى معظم البيوت كقطع فنية أو كأدوات تذكارية مفيدة وجميلة.

## المعوقات والتحديات قديماً وحديثاً:

إن صناعة الحفر على خشب الزيتون كغيرها من الصناعات التراثية واجهت في الماضي وما زالت تواجه صعوبات ومعوقات أدت في بعض الأوقات لتراجعها وعلى فترات متقطعة، ولكنها بالرغم من ذلك صمدت أمام تلك المشكلات واستمرت في مدينة بيت لحم منذ ظهورها في القرن الرابع الميلادي على الأغلب.

وتعدُّ العوامل العامة والطبيعية من أهم المشاكل التي واجهت تلك الصناعة، ومن هذه العوامل الحروب وخاصة في الفترة العثمانية (1516-1916م)، فقد خاضت الدولة العثمانية العديد من الحروب الكبيرة ضد أعدائها وخاصة في القرنين 18، 19م والتي انعكست آثارها السلبية على معظم مناطق فلسطين وسكانها وأعمالهم، وأدت إلى موت

الآلاف من السكان، وإلى ارتفاع أسعار المواد الخام، ورافق ذلك انقطاع قدوم الحجاج والسياح إلى الأراضي المقدسة والذين هم المورد الرئيس لشراء منتجات خشب الزيتون، وبالتالي أدت إلى انقطاع ازراق كثير من الحرفيين والصناع والعاملين في هذه الصناعة ولا سيما في مدينة بيت لحم<sup>(81)</sup>، كما تعرضت المدينة لقطع أشجار الزيتون الضخمة في بعض مناطقها أثناء قمع إبراهيم باشا سنة 1834م لثورة سكان فلسطين ومنها بيت لحم، لحاجته إلى الحطب لإطعام جيشه، ولاعتقاده أن الثوار اتخذوا من أشجار الزيتون الضخمة متاريس للمقاومة<sup>(82)</sup>.

وجاءت الحرب العالمية الأولى (1915-1919م) لتساعد أيضاً في الحد من انتعاش هذه الصناعة في المدينة، فكان من نتائجها أن أبيع وقطع الآلاف من أشجار الزيتون فيها، وخاصة الأشجار الضخمة حينما احتاج العثمانيون إلى مادة الفحم الحجري اللازم لتسيير القطارات، لنقل الجنود والمعدات للجيش<sup>(83)</sup>.

واستمر مسلسل تقطيع أشجار الزيتون في المدينة خلال وبعد احتلال الحركة الصهيونية لفلسطين سنة 1948م، عندما هجرت أفواج كبيرة من سكان الساحل إلى المناطق الجبلية في الضفة الغربية من الخليل وبيت لحم والقدس، حيث قام النازحون بقطع الأشجار ومنها الزيتون لاستعمالها في الطهي والتدفئة في فصل الشتاء<sup>(84)</sup>.

أما الأمراض والأوبئة التي انتشرت بين السكان بين الحين والآخر، فقد أدت إلى التأثير النشاط الحرفي في المدينة، كما المدن الأخرى في فلسطين لكن بشكل متفاوت، وقد عانت مدينة بيت لحم كغيرها من المدن من انتشار العديد من الأوبئة والأمراض، وخاصة مرض الطاعون وغيره، وما كان يرافق ذلك من موت الآلاف منهم، وعادة ما ترتبط تلك الأمراض إما بالحروب أو بعوامل الجذب والقحط وانحباس الأمطار في سنوات متفاوتة، مما سبب في جفاف الأشجار والزروع وارتفاع أسعار المواد الغذائية، والذي كان هذا بدوره يؤدي إلى التأثير على هذه الصناعة، وتذبذبها، زد على ذلك انقطاع المورد الرئيسي لهذه الصناعة، وهو توقف القادمون إلى الأرض المقدسة، وبالتالي انقطاع المورد الوحيد لارتزاق كثير من الصناع والحرفيين والعاملين في هذه الصناعة<sup>(85)</sup>.

وجاء تدهور حالة البلاد الأمنية في بعض فترات الحكم العثماني لتزيد من سوء الأحوال الاقتصادية في سائر أنحاء الإمبراطورية، وهذا الواقع ترك أثره الشديد على مدن فلسطين، فأدى إلى فساد الحكام المحليين واهمالهم لشؤون السكان، كما زاد فرض الضرائب عليهم، وانتشر قطاع الطرق ينهبون المزروعات والأشجار المثمرة، وتحولت المزارع إلى أراض قاحلة، فاهملت الزراعة والصناعة وتراجعت إلى حد كبير، مما أدى إلى انتشار الفقر بين السكان<sup>(86)</sup>.

وعلى الرغم من هذه المشكلات التي واجهتها هذه الصناعة في المدينة في الفترة العثمانية والتي لم تكن في معظمها ضمن سياسة من الدولة، إلا أنها استمرت وتطورت في الفترة العثمانية، والدليل على ذلك ما ذكرناه في الصفحات السابقة من مشاهدات الرحالة والزوار والسياح، وكذلك مشاركة المدينة في العديد من المعارض الدولية الكبيرة في تلك الفترة.

واستمرت هذه الصناعة تواجه بعض المعوقات والمضايقات في فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين (1918-1948م)، وذلك نتيجة الوضع السياسي الذي أصبحت تمر به فلسطين منذ مطلع القرن العشرين، فقد حاولت سلطات الاحتلال البريطاني بسياساتها اتجاه السكان أن تحارب الناس في زراعتهم وصناعاتهم وتجارتهم لصالح الحركة الصهيونية عن طريق فرض الضرائب، وخلق المنافسة لهذه الصناعات بحجة مواكبة الحياة العصرية، والتركيز على الكماليات الصناعية للقضاء على هذه الصناعة التراثية المتوارثة عبر الأجيال ووضع العقبات أمامها<sup>(87)</sup>، ولهذا فقد تراجعت هذه الصناعة في مدينة بيت لحم وغيرها. كما أدى الوضع السياسي الذي كانت تعيشه المدن الفلسطينية وخاصة في فترات الثورات المستمرة والمتلاحقة إلى تراجع هذه الصناعة لانعدام الأمن وغيره. وفي الوقت نفسه أعاققت بريطانيا التحريج الجديد للأشجار ومنها شجر الزيتون في معظم المدن الفلسطينية ومنها مدينة بيت لحم، كما أن زيادة وتطور النهضة العمرانية الطبيعية تطلب استهلاك كميات كبيرة من الأخشاب ومنها خشب الزيتون الداخل في هذه الصناعة<sup>(88)</sup>.

أما بعد الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين في سنة 1948م. فقد تعرضت هذه الصناعة والحرف الأخرى للعديد من الممارسات لشلها والقضاء عليها إن أمكن خاصة وأن هذه الصناعة مرتبطة بتراث الشعب الفلسطيني وهويته، ولهذا فقد اتخذت سلطات الاحتلال العديد من الإجراءات في سبيل تحقيق تلك الأهداف ومنها العمل على طمس بعض الحرف اليدوية ومنها حرفة الحفر على خشب الزيتون بحجة مواكبة الحياة العصرية، بحيث تصبح من الكماليات، كما فرضت الضرائب والجمارك العالية لعرقلة الانتاج والتسويق<sup>(89)</sup> وخلق منافسة شديدة مع السلع الصناعية الرخيصة المشابهة لها والتي بدأت في الظهور في أوروبا، وفي داخل الكيان الصهيوني، وبالتالي انعدام الجدوى الاقتصادية لهذه الصناعات الحرفية التقليدية<sup>(90)</sup>.

وعلى الرغم من قدم هذه الصناعة الحرفية التقليدية الفلسطينية وتوافر إمكانات تطويرها مع تنمية القطاع السياحي في مدينة بيت لحم وبعض المدن الأخرى، إلا أن واقعها في ظل الاحتلال الإسرائيلي بعد عام 67م ساهم في إضعافها والحد من توسعها، فقد أصبحت صناعة خشب الزيتون تعاني من مجموعة من المشكلات، الأولى مرتبطة بالإجراءات

الإسرائيلية، أما الثانية فهي مرتبطة بالمشكلات وبالمقومات التي تواجه القطاع الحرفي الفلسطيني نفسه، ومن الإجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال الإسرائيلي للعمل على عرقلة وعدم تطور هذا القطاع من الحرف الفلسطينية، أنها عملت على فرض بعض القيود على دخول السياح الأجانب الوافدين إلى الأراضي المقدسة وخاصة إلى مدينة بيت لحم لأنها تتحكم في دخولهم إليها وخروجهم منها، خاصة وأن هذه الحرفة كما نعرف مرتبطة بالسياحة الوافدة إلى المدينة وبعض المدن الفلسطينية الأخرى، ونظراً لهذا التراجع في أعداد السياح فقد تضررت هذه الصناعة وتراجع عدد المعامل وعدد العاملين فيها بشكل مطرد، علماً بأن هذه الحرفة تشكل مصدر رزق للكثير من العائلات في المدينة<sup>(91)</sup>، ذلك أن قلة السياح الوافدين إلى المدينة جعل أصحاب هذه الحرفة يفتقرون إلى المقدرة على تسويق منتجاتهم في الأسواق بشكل مباشر<sup>(92)</sup>.

وهناك عامل آخر ساعد على تدهور هذه الحرفة، وهي الدعاية الإسرائيلية التي تروج للسائح بشكل سلبي على العرب الفلسطينيين، مما أثر على القوة الشرائية له، والتحول إلى شرائها من المحلات الإسرائيلية، خاصة وأن بعض المصانع الإسرائيلية بدأت تنافس هذه الحرفة الفلسطينية، مما نتج عنه إغلاق بعض المصانع والورش الفلسطينية في بيت لحم وغيرها<sup>(93)</sup>.

كما أدى الوضع السياسي في المناطق الفلسطينية دوراً مهماً في تراجع هذه الصناعة في المدينة، فقد أدت سلسلة الإجراءات الإسرائيلية في الانتفاضة الأولى عام 87 والثانية عام 2000 إلى إغلاق المناطق أمام حركة السياح وحتى إغلاق المدينة نفسها، مما أدى إلى إحداث أزمة اقتصادية أدت إلى إغلاق العديد من المعامل والورش الحرفية في بيت لحم وغيرها، عوضاً عن الركود السياحي الذي ترك آثاراً سلبية بالغ الأهمية على الصناعات الحرفية بشكل خاص<sup>(94)</sup>.

كما قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي باتخاذ سلسلة من الإجراءات لمنع تصدير وتسويق منتجات خشب الزيتون إلى الأسواق الخارجية سواء كانت العربية أو الأجنبية عبر إغلاق السوق الإسرائيلي أولاً، ووضع صعوبات أمام حركة النقل والتنقل داخل المدن الفلسطينية وإسرائيل، وحتى لو نجح أصحاب الحرف في التصدير إلى خارج فلسطين فإن الرسوم الجمركية والضرائب التي تفرضها سلطات الاحتلال على المنتجات الحرفية عالية<sup>(95)</sup>، وفي الوقت نفسه منعت سلطات الاحتلال من استيراد المواد الخام الخاصة بهذه الحرفة وخاصة خشب الزيتون الذي كان يستورد جزء كبير منه قبل الاحتلال من سوريا والأردن لأنّ الخشب المحلي كان لا يكفي في بعض الأوقات<sup>(96)</sup>، وحتى الناتج المحلي فقد أصبح في ظل الاحتلال الإسرائيلي من الصعب الحصول عليه، وذلك نتيجة

الحصار وإقامة جدار الفصل العنصري، والذي أدى إلى اقتلاع الآلاف من أشجار الزيتون ومصادرتها في السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين، وذلك ضمن خطة موضوعة ومدروسة للقضاء على هذه الشجرة المباركة، كما أنّ الجدار الذي بني على أراضي المواطنين في الضفة الغربية - ومنها مدينة بيت لحم - أدى إلى تقلص مساحة الأراضي الزراعية المزروعة بالزيتون، وكان من نتائج ذلك تقييد حركة المزارعين وعدم تمكنهم من الوصول إلى أراضيهم للاعتناء بها، وقص خشب الزيتون، وزراعة أشجار جديدة بدلاً منها، وبذلك أصبحت كمية خشب الزيتون قليلة للغاية، وهناك خشية من انعدامها في حال تصاعد الإجراءات الإسرائيلية التي تحول دون الاهتمام بأشجار الزيتون، وفي حال استمرار هذه الأوضاع، يمكن أن يلجأ أصحاب هذه الصناعات إلى الاعتماد على الاستيراد، وهذا من شأنه أن يضاعف التكاليف، عدا عن عقبات الاستيراد الأخرى، هذا بالإضافة إلى ارتفاع تكلفة الحصول على المواد الخام الناجمة عن تكاليف النقل المرتفعة، مما يساهم في إضعاف قدرة منتجاتهم التنافسية سواء في الأسواق المحلية أو العربية أو الدولية<sup>(97)</sup>.

كما يعاني قطاع صناعة الحفر على الخشب في بيت لحم من مجموعة أخرى من المشاكل الخاصة الذاتية منها: الوضع الاقتصادي العام في الضفة الغربية ومنها بيت لحم مما ينعكس ذلك سلباً على الإنتاج والتسويق لمنتجات الزيتون داخلياً وخارجياً، والاحتكار التسويقي الخارجي على بعض المؤسسات والأفراد، إضافة إلى استغلال المشاغل من قبل بعض التجار، إضافة إلى ضريبة القيمة المضافة المفروضة على هذه الصناعات الشعبية، وانعدام الدعم المالي، أو توفير التسهيلات المالية والائتمانية، وعدم توافر الأدوات التسويقية والدعائية المناسبة<sup>(98)</sup>. كما أصبحت هذه المنتجات الحرفية تعاني من تدني أسعارها، والافتقار إلى إنتاج نماذج جديدة، والحاجة إلى مستوى تقني متقدم للآلات، وانخفاض الطلب المحلي المرتبط بقدوم السياح في بعض الأوقات، وعدم توفير الأسعار المناسبة، والبيع الأجل لفترات طويلة<sup>(99)</sup>.

ومن المشكلات الرئيسية الأخرى التي تواجهها هذه المعامل الحرفية، النقص في التمويل وعدم توفر القروض الميسرة، ذلك أن معظم أصحاب المشاغل يعتمدون على مدخراتهم الشخصية، مما يحد ذلك من قدرتها على التطور والتوسع والدخول إلى الأسواق الخارجية، كما أن زيادة الإنتاج دون وجود قدرة على التوسع في الأسواق، لن يكون في مصلحة أصحاب المشاغل<sup>(100)</sup>. ويواجه أصحاب هذه الحرفة أيضاً صعوبات في التسويق المحلي لمنتجاتهم بسبب اعتمادهم فقط على المعارض المحلية، وهذا ليس كافياً، ومن الجهة الأخرى فإن الحرفيين في بعض الأحيان لا يستطيعون المشاركة في المعارض

المحلية التي تتقاضى أجراً على المساحة المستغلة للعرض، أما على المستوى الخارجي فليس هناك قدرة للحرفيين المشاركة في المعارض الخارجية إلا من خلال جمعيات ومؤسسات ووزارات كبيرة الحجم لأن ذلك يشكل عبئاً مالياً كبيراً عليها<sup>(101)</sup>.

ومن التحديات الأخرى التي تواجه هذه الصناعة الحرفية في المدينة، قلة رأس المال المستخدم في المعامل والورش الصناعية، بحيث إن كثيراً من الحرفيين لا يستطيعون شراء ما يكفي لاحتياجاتهم في هذه الصناعة، أما المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة فهي أيضاً من المشكلات التي يعاني منها هذا القطاع، حيث كانت الأسواق العربية مفتوحة أمام استيراد خشب الزيتون بأسعار مناسبة، أما الآن فيتم شرائها من الضفة الغربية وإسرائيل، بالإضافة إلى الإنتاج المحلي للمدينة مما يجعل المنافسة في الأسعار شديدة<sup>(102)</sup>. أما مهارات العمل فهناك حاجة للعاملين بصناعة الحفر على الخشب إلى فهم بعض مهارات العمل كي يستطيعوا البقاء والصمود في سوق اليوم، ولهذا يجب عليهم المحافظة على الجودة والإتقان في العمل حتى يضمنوا بيعها لزوار المدينة وخاصة السياح الغربيين<sup>(103)</sup>.

ومن المشكلات الأخرى التي تعاني منها هذه الحرفة والحرف الأخرى<sup>(104)</sup> :

1. عدم وجود سياسات ملائمة وواضحة على المستوى الوطني، تستهدف هذا القطاع الحيوي، يمكن أن تسهم في إيجاد المناخ الملائم لنمو هذه الحرفة وتطورها والاستفادة منها في تنمية المجتمع المحلي.

2. عدم وجود مراكز ومؤسسات تدريب لتأهيل وتوفير اليد العاملة المدربة لهذه الحرفة، كما لا يوجد في النظام التعليمي الفلسطيني أية خطة أو استراتيجية مستقبلية لإدماج التعليم الحرفي في المناهج التعليمية للعمل في هذا القطاع باليد العاملة المدربة وذات الكفاءة.

3. ضعف أداء المؤسسات المساندة الحكومية وغير الحكومية على صعيد دعم قطاع الصناعات الحرفية ومساندته في الجوانب المختلفة (التسويقية، والانتاجية، والتمويلية).

4. عدم قدرة الحرفيين على الوصول المباشر إلى شريحة كبيرة من المستهلكين الأجانب من السياح، حيث لا تشمل الجولات التي يقودها الأدلاء السياحيين زيارة ورش التصنيع للمنتجات الحرفية، مما يفوت على الحرفيين فرصة الاستفادة من هذه الوفود لتسويق منتجاتهم مباشرة.

5. عدم خضوع هذه المنتجات الحرفية للرقابة والمتابعة من قبل الجهات الرقابية، مما يؤدي إلى تزايد إمكانية وصول منتجات قليلة الجودة إلى الأسواق المحلية، كما تتولد انطباعات سيئة لدى مستهلكي هذه المنتجات ويقل مستوى ثقتهم بها.

6. زيادة المنافسة مع البضائع الأجنبية المشابهة لها، وخاصة المستوردة من الصين، وميل كثير من تجار محلات البيع التذكارية المحلية لاستيرادها وبيعها على أنها فلسطينية.

7. تردي نوعية وتصميم بعض الصناعات والحرف التراثية، وغياب الأسماء التجارية المعترف بها، مما يقلل من قيمتها وقابليتها للتسويق.

هذه المعوقات والصعوبات إلى جانب مشكلات أخرى، تسببت في تقييد هذا العمل الحرفي الفلسطيني في مدينة بيت لحم وعدم تطوره بالشكل المطلوب، مما أدى بكثير من الحرفيين إلى التحول إلى مجالات أخرى في العمل، وتقلص مساهمة هذه الحرفة في الاقتصاد الفلسطيني، والأهم من ذلك بدء تلاشي بعض الحرف التراثية التي تميز فلسطين عن غيرها من المناطق، وهذا بكل تأكيد سيؤثر على النشاط السياحي الفلسطيني بشكل كبير، إذ أن الدول السياحية بما لديها من حضارة وتراث يتم صقلها في المنتجات التراثية.

### استراتيجية النهوض والتطوير:

على الرغم من ذلك، فإن هذه الحرفة ما زالت صامدة في وجه هذه التغيرات والصعوبات إلا أنها بحاجة إلى إعادة تقييم وبحث للمساعدة على استمرارها في المدينة وغيرها من المدن الفلسطينية، ليس لمردودها المادي فقط، وإنما تنبع أهميتها من قيمتها التراثية والحضارية والوطنية للشعب الفلسطيني، ولهذا يجب أن تتضافر كل الجهود والطاقات من مختلف المؤسسات والوزارات وأصحاب الحرف مجتمعة من أجل تقويتها واستمرارها، وأن توضع استراتيجية مناسبة ومتكاملة للنهوض بها، ويتطلب ذلك اتباع مجموعة من السياسات والخطوات التي يمكن أن تساهم في إعادة رسم ملامح هذا القطاع الحرفي المهم بما يعظم حجم الاستفادة منه، ويقلل من الأضرار والخسائر التي تواجه العاملين فيه، وتمثل هذه السياسات بشكل أساسي<sup>(105)</sup>:

1. العمل على إيجاد جسم تنسيقي (هيئة) لتنسيق الجهود، وتوجيه الموارد الكبيرة في قطاع الصناعات الحرفية بما يخدم أهداف التنمية المجتمعية ويحقق مصالح العاملين في هذا القطاع.

2. وهناك حاجة كبيرة لتوفير ترابط عضوي بين مخرجات نظام التعليم الفلسطيني، ومتطلبات تطوير قطاع الصناعات الحرفية والتراثية، واحتياجاته من الموارد البشرية المؤهلة والمدربة.



3. وتبرز الحاجة أيضاً إلى تطوير أداء المؤسسات المساندة المعنية بهذا القطاع، وتفعيل دورها للنهوض بالصناعات الحرفية، أو المساهمة في تذليل الصعوبات التي تعانيها تلك الحرف.

4. كما ينبغي التركيز على الجوانب التسويقية في هذا المجال، وهذا يتطلب إيجاد المؤسسات التسويقية المختصة للمساهمة في توفير منافذ تسويقية جديدة وتطوير العلاقة، وتحسين شروط التبادل مع الأسواق المحلية.

5. هذا بالإضافة إلى تركيز الاهتمام على وسائل الترويج للمنتجات الحرفية، وخاصة إقامة المعارض المتخصصة ونشر الوعي التسويقي بين الحرفيين، وحثهم على الاهتمام بجميع حلقات العملية التسويقية، وكذلك إقامة مهرجانات دولية حول الحرف اليدوية للتعريف بها، وعرض أهميتها الجمالية سواء في العالم العربي أو أوروبا وأمريكا.

6. التركيز على وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية والوسائل الأخرى في التعريف بهذه الحرفة التراثية وأهميتها، لمساعدة أصحاب تلك الحرف في تسويق منتجاتهم محلياً وخارجياً.

7. ويتوجب العمل كذلك على إعادة هيكلة قطاع الصناعات الحرفية ودمجه في الاقتصاد الفلسطيني المنظم، وينبغي أن يترافق ذلك مع مجموعة من الإجراءات التي تراعي خصوصية كل حرفة، والظروف المؤثرة فيها، بحيث تساهم هذه الإجراءات في المحصلة في تعظيم المكاسب المتوقعة لعملية الإدماج، وفي الوقت نفسه تحد من مخاطر هذه العملية وخسائرها على الحرفيين وعلى المجتمع بشكل عام.

8. كما تحتاج عملية تطوير هذه الصناعة إلى تنظيم جذري للعلاقات بين العاملين في هذه الحرفة والمستفيدين منها، وهذا الأمر يتطلب خبراء في الحقل الاقتصادي والقانوني، والنقابي، ويتطلب ذلك ما يأتي<sup>(106)</sup>:

- تنظيم العلاقة بين الحرفي وصاحب المعمل أو المصنع.
- تنظيم العلاقة بين صاحب المصنع والتاجر أو المصدر.
- عمل لجنة تصنيف يتقيد بأحكامها العاملون في هذه الحرفة.
- استغلال فترة الركود الاقتصادي التي تكون بين المواسم السياحية لإنتاج تصميمات تتلاءم مع ذوق الجمهور المحلي.
- إقامة دورات فنية للحرفيين العاملين في هذا القطاع.

وبالإضافة لهذا يتطلب هذا الأمر أيضاً<sup>(107)</sup> :

1. تأسيس مركز متخصص لدعم الصناعات التراثية من خلال تطوير تصاميم جديدة وتدريب أجيال جديدة وبناء قدرات الحرفيين العاملين.
2. وضع معايير صارمة للتميز في مجال الصناعات الحرفية التراثية لغايات التسويق، وتنظيم المنافسة ولحماية المستهلك، بحيث تطرح الصناعة منتجات مقبولة في الأسواق العالمية تتوافق مع الأنظمة الأساسية وصديقة للبيئة ومصنعة بطريقة مقبولة اجتماعياً.
3. إنشاء مراكز في المدن الكبيرة التي يزورها السياح أو تطويرها، وخاصة بيت لحم والقدس لجميع الصناعات الحرفية التراثية كنموذج يحتذى به للصناعات الحرفية، حيث يمكن لوزارة السياحة والثقافة الدفع بهذا الموضوع لجعل هذه المراكز جزءاً من برامج الزيارات السياحية كما هو الحال في الدول المجاورة، ويمكن الاستفادة منها في بيع التحف والمنتجات التراثية.
4. إعفاء ورش ومعامل الصناعات الحرفية من الضرائب والرسوم أو تخفيضها كوسيلة لتشجيع الحرف اليدوية، وتخفيض الرسوم على المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة.
5. تشجيع مشاركة المرأة في الصناعات الحرفية التراثية من خلال توفير التدريب والقروض الميسرة ورعاية الأنشطة المختلفة لها... الخ.
6. تطوير المنتج من ناحية النوعية والشكل ليتناسب مع المعايير والمواصفات العالمية، حتى يصبح قادراً على المنافسة مع المنتجات الأجنبية المشابهة لها بالأسواق العالمية.
7. تنمية قدرات العاملين في قطاع الصناعات الحرفية التراثية الفلسطينية من منتجات ومصنّعين ومصممين ومسوقين ومصدّرين على الاستخدام الأمثل للأساليب الحديثة في التصنيع والتغليف والترويج والتسويق والتصدير، وتقديم الدعم الفني في هذا المجال، وتطوير قدرات هؤلاء على الاستخدام الأمثل للتكنولوجيا والانتاج والترويج.
8. عمل قانون ينظم هذه الصناعات ويوفر إطاراً قانونياً لها، بحيث يشمل القانون التعريف بها وتصنيعها، وتسجيلها، والإطار التنظيمي لها، والمواصفات والمقاييس لمنتجاتها، بحيث تضمن وجود منتج تراثي وسياحي ذا جودة عالية.

9. عقد الندوات والمحاضرات والمؤتمرات وورش العمل والأيام الدراسية لتوعية الجيل والنشء الجديد بأهمية هذه الصناعة التراثية، وتعزيز الاهتمام بها لأنها جزء من الهوية الثقافية والحضارية للشعب الفلسطيني.

10. إقامة مراكز وأكاديميات في الوطن لتشجيع النشء الجديد على تعلم هذه الصناعة كجزء من خطة وطنية شاملة لحل جزء من مشكلة البطالة في المجتمع التلحمي خاصة والفلسطيني عامة.

11. الانضمام إلى عضوية المنظمات الدولية المعنية بالحرف اليدوية والفنون الشعبية مثل المجلس الأعلى للحرف اليدوية، وغيرها بهدف التعريف بالحرف التقليدية الفلسطينية على نطاق واسع.

12. إصدار المطبوعات والمواد الإعلامية المتنوعة بالعديد من اللغات الأجنبية حول موضوع التراث الشعبي الفلسطيني والحرف التقليدية وتوزيعها مجاناً حول العالم.

13. دعوة المؤسسات العلمية والثقافية إلى اعتماد برنامج متخصص لتعليم التراث الشعبي بمختلف أقسامه وخاصة الحرف اليدوية التقليدية.

وعلى الرغم من الصناعات الحديثة في هذا المجال، فإن هذه الصناعة الحرفية التراثية صمدت واستمرت وحافظت على وجودها، إلا أن الخطر ما زال يهدد وجودها، ولهذا لا بد من المحافظة عليها لأنها تشكل جزءاً من الواجهة الحضارية والتراثية للبلد، وفي هذا يقول المفكر ابن خلدون: "إن رسوخ الصنائع - الصناعات والحرف - في الأمصار - المدن -، إنما هو برسوخ الحضارة، وطول أمدها، والسبب في ذلك ظاهر، وهو ان هذه كلها عوائد - آثار - العمران، والعوائد إنما ترسخ بكثرة التكرار، وطول الأمد، فتستحكم صيغة ذلك، وترسخ - تثبت وتستمر - في الأجيال" (108).

## نتائج البحث:

من خلال هذه الدراسة المتواضعة، أمكن استخلاص النتائج الآتية:

1. إن صناعة الحفر على خشب الزيتون هي صناعة قديمة في مدينة بيت لحم وفلسطين ترجع للقرون الميلادية الأولى.

2. وهذه الصناعة التراثية والحرف التقليدية الأخرى كانت وما زالت تجسد الهوية الثقافية والتراثية للشعب الفلسطيني

3. كان انتاج هذه الصناعة\_ الحفر على خشب الزيتون\_ بأشكالها المختلفة يصدر إلى معظم قارات العالم، وخاصة إلى أوروبا وأمريكا، سواء عن طريق زوار المدينة أم السياح أو الحجاج القادمين من الخارج، أم عن طريق أصحابها.
4. تميزت صناعة الحفر على خشب الزيتون بالدقة والحرفية العالية، وذلك بشهادة العديد من الرحالة والسياح والزائرين للمدينة الذين شاهدوها أو اشتروها، أو بشهادة من رآها في المعارض الدولية التي شاركت فيها المدينة بمنتجاتها المختلفة.
5. وبالرغم من تعرض هذه الصناعة الشعبية وغيرها من الصناعات الأخرى للمنافسة من قبل الإسرائيلي، فإنها بقيت صامدة في وجه المخططات الإسرائيلية لطمس معالمها، كما صمدت أمام المشكلات العديدة الأخرى في الفترات التاريخية السابقة.
6. ساعدت السياحة الدينية طوال الفترات التاريخية منذ أن نشأت هذه الصناعة الحرفية في مدينة بيت لحم، على ازدهارها وتطورها وتنوعها.
7. عملت هذه الصناعات الشعبية على تجسيد الأفكار والأهداف المستوحاة من التراث الشعبي، وتعمل على تعميق الثقة بهذا التراث، وتعزيزها في المجتمع الفلسطيني.
8. إن الصناعات الحرفية ما زالت قائمة، وأنها تشكل عماد الصناعات السياحية وتساهم في تشكيل جزء من الدخل القومي.
9. جرى تدهور كبير على وضع هذه الصناعة بسبب المشكلات الضريبية والتسويقية والأوضاع السياسية، مما أدى إلى إغلاق بعض الورش والمصانع القائمة في المدينة في فترة الاحتلال الإسرائيلي، وخاصة في الانتفاضة الأولى والثانية، بسبب الإغلاق وحصار للمدينة.

## الهوامش:

1. مجلة صامد، السنة التاسعة، ع67-68، بيروت، 1978، مقدمة العدد، ص4.
2. المرجع نفسه، ص4.
3. شكري عراف، الأرض، الإنسان والجهد، ترشيحا، مطبعة مخول، ط2، 1993، ص12.
4. عبد اللطيف البرغوثي، التراث الشعبي الفلسطيني، جذور وتحديات، الطيبة: مركز إحياء التراث، 1991، ص46.
5. نبيل علقم "كيف نحمي تراثنا الشعبي"، مجلة التراث والمجتمع، رام الله: جمعية إنعاش الأسرة، ع50، 2009، ص66-67.
6. طالب الصوافي "الزيتون في الميثولوجيا الشعبية الفلسطينية" ضمن كتاب: التراث الشعبي في محافظة الخليل، أعمال المؤتمر الثالث للتراث الشعبي، إشراف د. حسن السلواي، رام الله، جامعة القدس المفتوحة، 2011، ص111.
7. المرجع نفسه، ص111.
8. توفيق كنعان، الأولياء والمزارات الاسلامية في فلسطين، ترجمة: نمر سرحان، رام الله، وزارة الثقافة، 1998م، ص56، 156، طالب الصوافي، المرجع السابق، ص112.
9. مهند حامد، "الصناعات التراثية في الأراضي الفلسطينية" رام الله: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس)، رام الله، 2011، ص11.
10. واقع الصناعات التراثية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، رام الله، 2012، ص6-7.
11. قطاع الصناعات الحرفية غير المنظم في الأراضي الفلسطينية "الواقع والآفاق"، رام الله: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينية (ماس)، 2006، ص9.
12. المرجع نفسه، ص7.
13. حسين لوباني، معجم الألفاظ التراثية في فلسطين، بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 2007، ص99.
14. عبد اللطيف البرغوثي، القاموس العربي الشعبي الفلسطيني، رام الله: جمعية إنعاش الأسرة، ج1، 1987، ص207.

15. يوشع بروار، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة: عبد الحافظ البنا، القاهرة: عين للدراسات، ط 1، 2001، ص472.
16. حسن نعيرات ومحمد جبر، الفنون الشعبية الفلسطينية، رام الله: وزارة الثقافة، ط 1، 2011، ص23.
17. فيكتور سحاب: التقاليد والمعتقدات والحرف الشعبية في فلسطين قبل العام 1984، بيروت: دار الحمراء، ط 1، 1993م، ص215، والحضارة النطوفية: ظهرت في فلسطين وبالتحديد في وادي النطوف في مغارة شقبة إلى الغرب من رام الله، حيث صنع الإنسان الفلسطيني أدواته الزراعية والدفاعية من الخشب والعظام والحجارة.
18. حسين لوباني، المرجع السابق، ص3، فيكتور سحاب، المرجع السابق، ص216.
19. نواف حامد» اللمسات الإبداعية في الحرف التقليدية الفلسطينية» من كتاب: الابتكار والحرف اليدوية في العالم الإسلامي، استنبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسلام آباد: وزارة الثقافة، 2004، ص155.
20. ميسر أبو علي «الصناعات الحرفية التراثية في فلسطين، مجلة صامد. السنة التاسعة، ع 67-68، بيروت: 1987، ص138.
21. فيكتور سحاب، المرجع السابق، ص216.
22. ميسر أبو علي «الصناعات الحرفية» المرجع السابق، ص139، عادل يحيى وثائر العطارى، الحرف اليدوية التقليدية الفلسطينية، رام الله: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي، 2005، ص5.
23. ميسر أبو علي «الصناعات الحرفية» المرجع السابق، ص139.
24. عمر خالدى «توظيف تقنيات حديثة لتطوير الحرف التقليدية» من كتاب: الابتكار والحرف اليدوية، المرجع السابق، ص128.
25. المرجع نفسه، ص139-140.
26. نواف حامد، المرجع السابق، ص155، عادل يحيى وزميله، المرجع السابق، ص8.
27. حسين لوباني، المرجع السابق، ص5.
28. المرجع نفسه، ص94، 99.

29. شكري عراف، مصادر الاقتصاد الفلسطيني منذ أقدم الفترات حتى سنة 1948م. معليا: دار العمق، ط1، 1997، ص295، مهند حامد، المرجع السابق، ص27.
30. The Olive Tree: Heritage of Harvest Times, In: pillars, The Tourism Magazine of Palestine, Bethlahem, V, I, N4, 2005, p16  
الحرفية، المرجع السابق، ص9، ميسر أبو علي، الصناعات الحرفية، المرجع السابق، ص143.
31. حسن نعيرات وزميله، المرجع السابق، ص47.
32. علي السيد علي، المرجع السابق، ص212-213.
33. أحمد القضاة، نصارى القدس» دراسة في ضوء الوثائق العثمانية» القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2006، ص310.
34. حاتم الطحاوي، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، القاهرة: عين للدراسات، ط1، 1999، ص216.
35. المرجع نفسه، ص216.
36. الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، مج1، ط2، 1984، ص460.
37. حنا جقمان، جولة في تاريخ الأرض المقدسة، ق1، ج1، بيت لحم، 1992، ط1، ص20.
38. سماح السلاوي، الأوضاع الحضارية في مصر والشام في العصر المملوكي، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2014، ص133-134.
39. توما بنورة، تاريخ بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور، القدس، مطبعة المعارف، 1982، ص149.
40. إبراهيم الجندي، «فلسطين في عيون الرحالة الأوروبيين» المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية، رام الله، مج1، ع3، 2003، ص150، 155، 159.
41. إبراهيم الجندي المرجع السابق، ص150، 159.
42. ماهر الشريف، تاريخ فلسطين الاقتصادي - الاجتماعي، بيروت: دار ابن خلدون، ط1، 1985، ص51، 54-56، إبراهيم الجندي، المرجع السابق، ص155.

43. حنا جقمان، المرجع السابق، مج2، 1996، ص25.
44. خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني (1517-1917م). بيت لحم، د. ت، 2000، ص111.
45. المرجع نفسه، ص113، 162.
46. المرجع نفسه، ص160.
47. ماري روجرز، الحياة في بيوت فلسطين «رحلات ماري روجرز في فلسطين»، (1855-1859م)، ترجمة: جمال أبو غيدا، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2013، ص165.
48. النابلسي، عبد الغني بن اسماعيل بن إبراهيم (ت1134هـ/ 1731م). الحضرة الانسية في الرحلة القدسية، تحقيق: أكرم الصليبي، بيروت: دار صادر، ط1، 1990، ص299.
49. القساطلي، نعمان بن عبدو بن يوسف (ت1920م)، الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض المدن الشامية، دراسة وتحقيق: شوكت حجة وزملائه، اربد: مؤسسة حمادة للنشر، 2009، ص111، 112.
50. المصدر السابق، ص112، وللمزيد من التفصيل حول ما قاله العديد من الرحالة الأجانب والعرب الذين زاروا مدينة بيت لحم ووصفوا هذه الصناعة طوال الفترة العثمانية، انظر، خليل شوكة، المرجع السابق، الصفحات، 64-66، 109، 111، 112، 113، 114، 115، 150، 151، 153، 155، 157، 158، 161، 162.
51. عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني (1700-1918م)، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، 2003، ص194، الكسندر شولش، تحولات جذرية في فلسطين (1856-1882م) ترجمة: كامل العسلي، كفر قرع: دار الهدى، ط2، 1990، ص93.
52. علي سعيد خلف، شيء من تاريخنا، القدس: وكالة أبو عرفة، 1976، ص95.
53. موسوعة المدن الفلسطينية، دار الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر، ط1، 1990، ص98.



54. شكري عراف، مصادر، المرجع السابق، ص298.
55. سعيد حمادة، «الصناعة»، ضمن كتاب: النظام الاقتصادي في فلسطين، تحرير: سعيد حمادة، بيروت: الجامعة الأمريكية، 1939، ص 280.
56. علي سعيد خلف، المرجع السابق، ص95.
57. حسين لوباني، المرجع السابق، ص95.
58. موسوعة المدن الفلسطينية، المرجع السابق، ص100.
59. مهند حامد، المرجع السابق، ص28.
60. عايد صلاح الدين، واقع حركة وصناعة السياحة في مدينة القدس، رام الله: وزارة الإعلام، 2010، ص96.
61. حسين لوباني، المرجع السابق، ص7، الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، ج2، ص201.
62. ميسر أبو علي، «الصناعات الحرفية»، المرجع السابق، ص145، فيكتور سحاب، المرجع السابق، ص221.
63. قطاع الصناعات الحرفية، المرجع السابق، ص10، فيكتور سحاب، المرجع السابق، ص221.
64. The olive tree. Op, cit, p18.
65. حسين لوباني، المرجع السابق، ص94، عايد صلاح الدين، المرجع السابق، ص97.
66. مهند حامد، المرجع السابق، ص30.
67. ميسر أبو علي «واقع الصناعات السياحية في الأراضي المحتلة» مجلة صامد، السنة العاشرة، ع 71، عمان، 1988، ص50، فيكتور سحاب، المرجع السابق، ص221، عايد صلاح الدين، المرجع السابق، ص96-97، مهند حامد، المرجع السابق، ص30، شكري عراف، مصادر، المرجع السابق، ص295.
68. عزام صالح وآخرون، دليل ارشادي حول النباتات الفلسطينية، التعريف والاستعمال والبعد الثقافي، نشر مؤسسة: MDG Achievement Fund, 2012، ص22.

69. مهند حامد، المرجع السابق، ص VII، من المقدمة، ص16.
70. ميسر أبوعلي، «الصناعات الحرفية» المرجع السابق، ص 140، عزام صالح وآخرون، المرجع السابق، ص23.
71. واقع الصناعات التراثية الفلسطينية، المرجع السابق، ص15.
72. قطاع الصناعات الحرفية، المرجع السابق، ص1.
73. ابراهيم عودة، بيت لحم في العهد الفرنسي، (492-691هـ / 1099-1291م)، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس: جامعة النجاح، 1998، ص79-80.
74. قطاع الصناعات الحرفية، المرجع السابق ص1.
75. عزام صالح وآخرون، المرجع السابق، ص22.
76. مهند حامد، المرجع السابق، ص16-17.
77. المرجع نفسه، ص17.
78. المرجع نسه، ص18.
79. ميسر أبو علي، الصناعات الخزفية، المرجع السابق، ص139.
80. حنا جقمان، مج2، الباب الثاني، المرجع السابق، ص43، هنري لورنس، مسألة فلسطين، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، مج1، الكتاب الأول، 2006، ص85.
81. شكري عراف، مصادر، المرجع السابق، ص81.
82. الموسوعة الفلسطينية، مج 1، المرجع السابق، ص42.
83. المرجع نفسه، ص42.
84. حنا جقمان، مج2، الباب الثاني، المرجع السابق، ص43، هنري لورنس، المرجع السابق، ص85.
85. حنا جقمان، مج2، الباب الأول، المرجع، ص50.
86. توما بنورة، المرجع السابق، ص149، نواف حامد، المرجع السابق، ص155.
87. الموسوعة الفلسطينية، مج2، المرجع السابق، ص342.

88. نواف حامد، المرجع السابق، ص156.
89. عادل يحيى والعطاري، المرجع السابق، ص23.
90. قطاع الصناعات الحرفية، مج2، المرجع السابق، ص342.
91. المرجع نفسه، ص13.
92. عايد صلاح الدين، المرجع السابق، ص99-100.
93. الصناعات الحرفية في بيت لحم، المرجع السابق، ص9، محمد نصر، دور القطاع الصناعي في التنمية الاقتصادية الفلسطينية، رام الله: معهد ماس، 2002، ص9.
94. الصناعات الحرفية، المرجع السابق، ص27، ميسر أبو علي «واقع الصناعات السياحية»، المرجع السابق، ص41، 45.
95. الموسوعة الفلسطينية، المرجع السابق، مج1، ص46، هند قطان سلمان «مكننة صناعة خشب الزيتون»، بيت لحم: الجمعية الانطونية الخيرية البيتلحمية، 1998-1997، ص93.
96. مهند حامد، المرجع السابق، ص29، محمد نصر، المرجع السابق، ص10، واقع الصناعات التراثية، المرجع السابق، ص6.
97. الصناعات الحرفية، المرجع السابق، ص21، واقع الصناعات التراثية. المرجع السابق، ص7.
98. الصناعات الحرفية، المرجع السابق، ص27.
99. مهند حامد، المرجع السابق، ص31، قطاع الصناعات الحرفية، المرجع السابق، ص13.
100. قطاع الصناعات الحرفية، ص VII، ص VIII. من المقدمة.
101. هند قطان سلمان، المرجع السابق، ص93، قطاع الصناعات الحرفية، المرجع السابق، ص VII.
102. هند قطان سلمان، المرجع نفسه، ص97.

103. قطاع الصناعات الحرفية، المرجع السابق، ص XI، واقع الصناعات التراثية،  
المرجع السابق، ص42.
104. قطاع الصناعات الحرفية، المرجع السابق، ص IV.
105. قطاع الصناعات الحرفية، المرجع السابق، ص31.
106. واقع الصناعات التراثية، المرجع السابق، ص57، عمر خالد، المرجع السابق،  
ص130، 135، 141، 146.
107. نواف حامد، المرجع السابق، ص90.

## المصادر والمراجع:

### أولاً - المصادر:

1. القساطلي، نعمان بن عبدو بن يوسف (ت1920م) ، الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض المدن الشامية، دراسة وتحقيق: شوكت حجة وزملائه، اربد: مؤسسة حمادة للنشر، 2009.
2. النابلسي، عبد الغني بن اسماعيل بن إبراهيم (ت1134هـ/ 1731م). الحضرة الانسية في الرحلة القدسية، تحقيق: أكرم الصليبي، بيروت: دار صادر، ط1، 1990.

### ثانياً - المراجع:

1. إبراهيم الجندي، "فلسطين في عيون الرحالة الأوروبيين" المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية، رام الله، مج 1، ع3، 2003.
2. ابراهيم عودة، بيت لحم في العهد الفرنجي، (492-691هـ/ 1099-1291م) ، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس: جامعة النجاح، 1998.
3. أحمد القضاة، نصارى القدس " دراسة في ضوء الوثائق العثمانية" القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2006.
4. الكسندر شولش، تحولات جذرية في فلسطين (1856-1882م) ترجمة: كامل العسلي، كفر قرع: دار الهدى، ط2، 1990.
5. توفيق كنعان، الأولياء والمزارات الاسلامية في فلسطين، ترجمة: نمر سرحان، رام الله، وزارة الثقافة، 1998م.
6. توما بنورة، تاريخ بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور، القدس، مطبعة المعارف، 1982.
7. حاتم الصحاوي، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، القاهرة: عين للدراسات، ط1، 1999.
8. حسن نعييرات ومحمد جبر، الفنون الشعبية الفلسطينية، رام الله: وزارة الثقافة، ط1، 2011.
9. حسين لوباني، معجم الألفاظ التراثية في فلسطين، بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 2007.

10. حنا جقمان، جولة في تاريخ الأرض المقدسة، 4 مج، بيت لحم، 1992م.
11. خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني (1517-1917م). بيت لحم، د. ت، 2000.
12. سعيد حمادة، "الصناعة"، ضمن كتاب: النظام الاقتصادي في فلسطين، تحرير: سعيد حمادة، بيروت: الجامعة الأمريكية، 1939.
13. سماح السلواي، الأوضاع الحضارية في مصر والشام في العصر المملوكي، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2014.
14. شكري عراف، الأرض - الإنسان والجهد، ترسيما، مطبعة مخول، ط2، 1993.
15. \_\_\_\_\_، مصادر الاقتصادي الفلسطيني منذ أقدم الفترات حتى سنة 1948م، معليا: دار العمق، ط1، 1997.
16. الصناعات الحرفية في بيت لحم "خشب الزيتون والصدف" بيت لحم: غرفة صناعة وتجارة بيت لحم، 2004.
17. طالب الصوافي "الزيتون في الميثولوجيا الشعبية الفلسطينية" ضمن كتاب: التراث الشعبي في محافظة الخليل، أعمال المؤتمر الثالث للتراث الشعبي، إشراف د. حسن السلواي، رام الله، جامعة القدس المفتوحة، 2011.
18. عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني (1700-1918م)، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، 2003.
19. عادل يحيى وثائر العطار، الحرف اليدوية التقليدية الفلسطينية، رام الله: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي، 2005.
20. عايد صلاح الدين، واقع حركة وصناعة السياحة في مدينة القدس، رام الله: وزارة الإعلام، 2010.
21. عبد اللطيف البرغوثي، القاموس العربي الشعبي الفلسطيني، رام الله: جمعية إنعاش الأسرة، ج1، 1987.
22. \_\_\_\_\_، التراث الشعبي الفلسطيني، جذور وتحديات، الطيبة: مركز إحياء التراث، 1991.

23. عزام صالح وآخرون، دليل ارشادي حول النباتات الفلسطينية، التعريف والاستعمال والبعد الثقافي، نشر مؤسسة: MDG Achievement Fund, 2012.
24. علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، القاهرة: دار الفكر، ط1، 1986.
25. علي سعيد خلف، شيء من تاريخنا، القدس: وكالة أبو عرفة، 1976.
26. عمر خالدي "توظيف تقنيات حديثة لتطوير الحرف التقليدية" من كتاب: الابتكار والحرف اليدوية في العالم الإسلامي، استنبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية، إسلام آباد: وزارة الثقافة، 2004.
27. فيكتور سحاب: التقاليد والمعتقدات والحرف الشعبية في فلسطين قبل العام 1984، بيروت: دار الحمراء، ط1، 1993م.
28. قطاع الصناعات الحرفية غير المنظم في الأراضي الفلسطينية "الواقع والآفاق"، رام الله: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينية (ماس)، 2006.
29. ماري روجرز، الحياة في بيوت فلسطين "رحلات ماري روجرز في فلسطين"، (1855-1859م)، ترجمة: جمال أبو غيدا، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2013.
30. ماهر الشريف، تاريخ فلسطين الاقتصادي - الاجتماعي، بيروت: دار ابن خلدون، ط1، 1985.
31. مجلة صامد، السنة التاسعة، ع67، 68، بيروت، 1978، مقدمة العدد.
32. محمد نصر، دور القطاع الصناعي في التنمية الاقتصادية الفلسطينية، رام الله: معهد ماس، 2002.
33. مهند حامد، "الصناعات التراثية في الأراضي الفلسطينية" رام الله: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس)، رام الله، 2011.
34. الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، مج1، ط2، 1984.
35. موسوعة المدن الفلسطينية، دار الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر، ط1، 1990.

36. ميسر أبو علي، "الصناعات الحرفية التوأمية في فلسطين، مجلة صامد. السنة التاسعة، ع67-68، بيروت: 1987.
37. \_\_\_\_\_، "واقع الصناعات السياحية في الأراضي المحتلة" مجلة صامد، السنة العاشرة، ع 71، عمان، 1988.
38. نواف حامد "اللمسات الإبداعية في الحرف التقليدية الفلسطينية" من كتاب: الابتكار والحرف اليدوية في العالم الإسلامي، استنبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسلام آباد: وزارة الثقافة، 2004.
39. هند قطان سلمان "مكننة صناعة خشب الزيتون"، بيت لحم: الجمعية الانطونية الخيرية البيتلحمية، 1997-1998.
40. هنري لورنس، مسألة فلسطين، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، مج 1، الكتاب الأول، 2006.
41. واقع الصناعات التراثية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، رام الله، 2012.
42. يوشع بروار، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة: عبد الحافظ البنا، القاهرة: عين للدراسات، ط 1، 2001.
43. The Olive Tree: Heritage of Harvest Times, In: pillars, The Tourism Magazine of Palestine, Bethlahem, V, I, N4, 2005 .





# التشبيهاة الشعبية الفلسطينية منطقة بيت لحم وعرب التعمارة أنموذجا

د. مفيد أبو عرقوب

محاضر غير متفرغ/ فرع رام الله والبيرة/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين.

بالتعاون مع

د. إدريس محمد صقر جرادات

## ملخص:

إن تراثنا غني وثرى، فيه قيم ورؤى وحكم نفيسة، وصور جمالية خلابة؛ مما يدعونا لسبر غوره، والبحث في كنوزه، فهو سرّ ارتباطنا بوطننا، ولغز تمسكنا الفطري المتجذر بأرضنا، والشعب الفلسطيني أحوج ما يكون إلى التمسك بتراثه في إطار معاركه الشاملة لحماية هويته الوطنية والقومية والدينية، في وجه كل المحاولات التي تستهدف قطع كل صلة له بماضيه وتراثه الضاربة جذوره في أعماق التاريخ.

وتعد الأمثال الشعبية والتشبيهاة الشعبية من الفنون الهامة التي تعزز الهوية الذاتية لشعبنا الفلسطيني، وتستمد محتواها من العادات والتقاليد والطقوس الدينية، والمعتقدات الشعبية، ومن البيئة المحيطة، تنتقل من السلف إلى الخلف، ومن الآباء والأجداد إلى الأبناء.

وتعالج هذه الدراسة التشبيهاة الشعبية بوصفها فناً مستقلاً بذاته، له خصائصه ومقوماته، التي تميزه عن باقي الفنون القولية الأخرى كالمثل، وهذا الفن هو من أكثر فنون التراث الشعبي انتشاراً وتداولاً بين مختلف فئات الشعب وشرائحه الاجتماعية، الأمر الذي جعله عرضة للتعديل والتحريف لمواكبة تطور الحياة.

وجاءت هذه الدراسة في مقدمة وخاتمة ومحورين اثنين هما:

• **المحور الأول:** التشبيه والتشبيه الشعبي والمثل الشعبي، وعالج هذا المحور تعريف التشبيه لغة واصطلاحاً وبين أركانه وأدواته وأغراضه وبواعثه، وعلاقته بالمثل، وعقد مقارنة بين التشبيه الشعبي والمثل الشعبي، من حيث تعريف كل منهما، وبيان أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

• **المحور الثاني:** التشبيهات الشعبية: أدواتها، أركانها، سماتها، أصنافها، وقد صنّفها الباحثان إلى نوعين:

- أولاً: التشبيهات المتعلقة بالوصف المادي للإنسان، الجمال أو القبح، النحافة أو البدانة وغيره.

- ثانياً: التشبيهات المتعلقة بالصفات المعنوية، وهي كثيرة، كالتشبيهات الدالة على الشجاعة والرجولة، أو الجبن، أو البلادة، أو الخنوع، وتلك الدالة على حسن الكلام، أو قبحه، وغيرها.

واتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي في تحليل هذه التشبيهات، بعد تصنيفها وبيان مدلولاتها، وتمخضت الدراسة عن مجموعة من المقترحات والتوصيات. والله ولي التوفيق

### مقدمة:

تعالج هذه الدراسة واحداً من أهم الفنون التراثية الفلسطينية، وأكثرها رواجاً وتداولاً بين الناس، على اختلاف فناتهم وشرائحهم الاجتماعية، ألا وهو التشبيهات الشعبية بوصفها فناً مستقلاً قائماً بذاته، له سماته التي يتميز بها عن غيره من الفنون الشعبية كالمثل والزجل والقص والقول المأثور وغيره.

ووقعت الدراسة في مقدمة وخاتمة ومحورين اثنين هما:

♦ **المحور الأول:** التشبيه والتشبيه الشعبي والمثل الشعبي:

1. تعريف التشبيه لغة واصطلاحاً.

2. أركانه وأدواته.

3. أغراضه وبواعثه.

4. علاقته بالمثل.

5. أوجه الاتفاق بين التشبيه الشعبي والمثل الشعبي .

6. أوجه الافتراق بين المثل الشعبي والتشبيه الشعبي .

♦ أما المحور الثاني فتناول التشبيهات الشعبية: أدواتها، أركانها، سماتها، أصنافها. وقد قام الباحثان بتصنيف هذه التشبيهات إلى قسمين رئيسيين هما:

- القسم الأول: التشبيهات المتعلقة بالوصف المادي للإنسان كالجمال أو القبح، والبدانة أو النحافة.

- القسم الثاني: التشبيهات الشعبية المتعلقة بالصفات المعنوية، كتلك الدالة على الشجاعة والبطولة والرجولة أو البلادة والجبن والخضوع، والتشبيهات الدالة على النشاط أو الكسل....

واتبع الباحثان المنهج الوصفي في تحليل هذه التشبيهات وبيان مدلولاتها، ثم المنهج الميداني في إجراء بعض المقابلات في منطقة بيت لحم وعرب التعامرة خصوصاً مع المعمرين منهم.

وكان منهجنا هو إيراد التشبيهات الشعبية ضمن تقسيماتها المختلفة، ومن ثم توضيحها، وتفصيلها متى ما كان ذلك ضرورياً، ثم تحليل هذه التشبيهات وبيان مدلولها.

### مشكلة الدراسة:

وجد الباحثان أن ثمة حاجة ماسة لدراسة هذا النوع من التراث، الذي يتعرض لعمليات إهمال وتشويه وتحريف في ظل عصر العولمة، وعليه يمكن الإشارة إلى بروز سؤال واضح حول أهمية الحفاظ على هذه التشبيهات الشعبية.

### حدود الدراسة:

1. الحدود الموضوعية: وتتضمن التشبيهات الشعبية الدارجة على ألسنة الناس، وقد أخذ الباحثان عينة من هذه التشبيهات، وأجرى عليها الدراسة.
2. الحدود الزمانية: جُمعت هذه التشبيهات خلال العام 2014م.
3. الحدود الجغرافية: منطقة بيت لحم وعرب التعامرة.

## أهداف الدراسة:

تعد هذه الدراسة من الدراسات والبحوث القليلة والنادرة التي تتناول هذا الموضوع، بل لا يجازف الباحثان إن زعمنا أن هذه الدراسة هي الأولى التي تناولت التشبيه الشعبي، بوصفه فناً مستقلاً من فنون التراث الشعبي الفلسطيني القولي الشفاهي - في حدود علم الباحثين - .

وتنبع أهمية هذا الموضوع كونه من المجالات الهامة التي تؤسس للهوية الذاتية لشعبنا من خلال عمليات السرد على نطاق الأسرة النووية والممتدة والعشيرة، سواء في البيت، أو في الجلسات الخاصة والعامة.

ولهذا يمكن أن يشكل هذا البحث إضافة علمية نوعية إلى مكتبتنا الفلسطينية التي تفتقد إلى مثل هذا النوع من الدراسات، خصوصاً وأن هذه التشبيهات تعد مصدراً مهماً للتجارب الفردية والجمعية، وتثري مكتبتنا بمادة علمية ممتعة يحلق فيها الخيال منطلقاً عبر الزمان بلا قيود.

وتستخدم التشبيهات الشعبية شأنها شأن الأمثال الشعبية في التعبير عن موقف معين، وهي تحتاج إلى قوة الذاكرة، ومهارة العرض؛ كي تؤدي دورها في التأثير على المستمعين.

وللتشبيهات الشعبية رسالة تربوية تسعى إلى تحقيقها من خلال التهيئة الوجدانية والإدراكية، وترك الأثر البليغ في النفس، من خلال التعبير عن موقف معين، أو التدليل على وجهة نظر معينة، وتربي لقيم خلقية معينة تشتق من الكتب المقدسة، أو الأساطير القديمة، أو تستمد من البيئة المحيطة، بما تحتويها من إنسان وحيوان وطيور وجماد؛ للتعبير عن البطولات والمغامرات، والمواقف والصفات.

والتشبيهات الشعبية تستمد محتواها من العادات والتقاليد، والطقوس الدينية، والمعتقدات الشعبية، والظواهر الكونية، وتنتقل من السلف إلى الخلف، ومن الأجداد والآباء إلى الأبناء، وهي قابلة للتطوير والتعديل والتجديد، وربما تتعرض لعمليات حذف أو إضافة مقصودة، لما يقتضيه موقف معين، أو مناقشة معينة.

وعند دراسة هذه التشبيهات وجد الباحثان أنها غنية وثرية بالمواقف والقيم، وقد غزت جميع الميادين، واستخدمت في جميع المجالات، كما كشف الباحثان عن الصور الجمالية التي تضمنتها هذه التشبيهات، ودعيا إلى العناية بهذا العمل جمعاً وتحليلاً ودراسة؛ فهو على اتساعه يعتبر فرعاً من فروع الفلكلور الفلسطيني الشعبي.

## المحور الأول:

### التشبيه والتشبيه الشعبي والمثل الشعبي:

#### 1. تعريف التشبيه لغة واصطلاحًا:

التشبيه لغة: هو «التمثيل»<sup>(1)</sup>، واصطلاحًا: هو «الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ما من المعاني بأداة التشبيه»<sup>(2)</sup>

والتشبيه هو «بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو صفات بأداة هي الكاف أو نحوها»<sup>(3)</sup>.

#### 2. أهميته :

التشبيه فن من فنون البلاغة اتفق البيانون على علو شأنه، ورفعة منزلته، ووقعه العظيم في النفس، وتأثيره في إقناع النفس وإمتاعها، ومقدرته على توضيح الخفي، وتقريب القصي.

والتشبيه من أهم أساليب البلاغة، وأجمع طرق التعبير لأسرار الحسن، ومعاني البراعة، وفيه تتفاوت أقدار القائلين، حتى يكون منهم المعجز الذي لا يبارى، والساقط الذي لا ينظر إليه، ولذلك كان المعول الأكبر في علم البيان على باب التشبيه، فلا غرو أن يكون له ذلك الشأن<sup>(4)</sup>.

وحقا ما قيل في بلاغة التشبيه: إنه يزيد المعنى وضوحًا، ويكسبه تأكيدًا، ويضفي عليه جمالاً، فهو من هذه الناحية يعمل عمل السحر في التقريب بين الأشياء المتباعدة، ويرى ابن رشيق القيرواني أن التشبيه والاستعارة «يخرجان الأغمض إلى الأوضح، ويقربان البعيد»<sup>(5)</sup>.

ولم تخف عن العرب فائدة التشبيه، وقيمتها البيانية، وقد أوتوا ما أوتوا من الفصاحة والبلاغة والقدرة على انتقاء خير الأساليب للتعبير البياني، وألطف الطرق للإبانة عما في نفوسهم، فحمل التشبيه أساليب بيانهم، وكان أكثر كلام العرب، حتى قال المبرد: «لو قال قائل إن التشبيه هو أكثر كلام العرب لم يبعد»<sup>(6)</sup>.

ويراه قدامة بن جعفر «من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم»<sup>(7)</sup>.

فن التشبيه فن شريف القدر، فخم الأمر، في مجال البلاغة العربية، وهو يضاعف قوى النفس، ويبثُّ فيها النشاط، في تحريك النفوس تجاه الشيء المراد، وتزيينه أو تقبيحه

للمخاطب، أو تقريبه له، أو بيان مقداره، أو حاله، ناهيك عما فيه من إيجاز مما يمكن من بلوغ المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة.

والأصل في التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أبين منه، أو أقبح منه وأوضح، أو بما هو أحسن منه، أو أقبح، وكذلك يشبه الأقل بالأكثر، ويُلقح الأدنى بالأعلى، وفي هذا من المبالغة ما لا يخفى، وبهذه الطريقة تتضح المعاني وتبرز الحقائق ماثلة للعيان، ويزيل الغموض بها عن الأشياء<sup>(8)</sup>.

3. أركانه وأقسامه: أما أركانه فله أربعة أركان هي: المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه.

وهذه الأركان الأربعة قد توجد، وقد تحذف حذفًا على الانفراد، أو معًا؛ لوجود دليل ما عدا المشبه به<sup>(9)</sup>

أما أقسامه فهي:

- المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة.
- المفصل: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه.
- المؤكد: وهو ما حذف في الأداة.
- المجمل: وهو ما حذف فيه وجه الشبه.
- البليغ: وهو ما حذف في الأداة ووجه الشبه.

## 2. التشبيه الشعبي:

أ. ماهيته وأهميته وأغراضه.

ب. أدواته:

ت. التشبيه الشعبي والمثل.

أ. ماهيته وأهميته وأغراضه:

التشبيه الشعبي لا يختلف عن التشبيه الفصيح في مدلوله وتعريفه، ومعناه، سوى في استخدام الألفاظ العامية الدارجة مكان اللغة الفصيحة، ويتميز بوجود لازمة وهي كلمة (مثل) شبيه بأداة تشبيه ثابتة (مثل الأسد)، و (مثل القمر) وغيره.

والتشبيه الشعبي: فن من الفنون التراثية الفولكلورية الشفاهية، وهو مجهول القائل، والتشبيه الشعبي خلاصة تجارب وأفعال الناس على مر السنين.

تشكل التشبيهات الشعبية مصدرًا مهمًا لمعرفة الشخصية الفلسطينية وميولها، والتعرف على أسلوب تفكيرها، وأنماط حياتها، ونظرتها للحياة.

والتشبيه الشعبي جزء أصيل من فنون الأدب الشعبي، فهو يعبر عن مواقف معينة أو تجارب معينة من تجارب الإنسان الفلسطيني، وهو متداول بين الناس، ومن خلال دراستنا لهذه التشبيهات نستطيع التعرف على عادات المجتمع الفلسطيني وذكائه، فهذا التشبيه، ما كان له أن يبقى وتتناقله الأجيال، إلا لأنه صدر عن إنسان ذكي أولاً، ثم لحاجة المجتمع لهذا اللون من الأدب الشعبي، الذي يعبر عن تجربة مديدة. ولهذا فإن انتشار هذا اللون بشكل كبير بين أفراد المجتمع، إنما هو مؤشر يدل على حاجة الأفراد لاستخدامه، والتعبير عما يختلج في النفس من مشاعر وأفكار وأحاسيس.

وتعدُّ التشبيهات الشعبية من الظواهر الفريدة في الأدب العالمي؛ لأنها تعكس خلاصة التجارب الإنسانية المتنوعة، التي تتسم صياغتها اللغوية بالرمزية والتشبيه، وتمتاز بأنها عبارات مقتضبة موجزة مصاغة بصورة متكاملة، لا تقبل الزيادة، أو النقصان.

كما أن هذه التشبيهات يميل الناس إلى استخدامها لتطعيم كلامهم، وتدعيم حجتهم؛ لتكون أراؤهم موضع تقدير واستحسان لدى الناس.

والتشبيهات الشعبية تعكس بلاغة المجتمع، وتفننه في أقواله، ونسيج عبارته، وميله إلى الرمز والتلميح، دون التصريح والتقرير، ومن هذه الزاوية تقدم هذه التشبيهات صورًا فنية حية، تمتع الحس والشعور، وترضي النفس؛ مما ينمي الذوق الأدبي، ويطور الملكة التعبيرية.

### أغراض التشبيه الشعبي وبواعثه:

وتقوم هذه التشبيهات على المقارنة والموازنة، وتعددت الأغراض من هذه التشبيهات كتلك الدالة على الشجاعة والبطولة والإقدام كقولهم (مثل الأسد) أي: في الشجاعة والبراعة والإقدام. فالأسد رمز للشجاعة والقيادة والوقار. أو كتلك الدالة على العمل والنشاط ونبذ الكسل والخمول كقولهم: (مثل البرق)، أو (زي هبوب الريح)، و (مثل الفلقة)، وكلها تشبيهات تصف الإنسان النشط سريع الحركة. أو التشبيهات الدالة على الجمال، فشُبِّهت الحسناء بالقمر كقولهم (زي القمر)، أي إطلالتها كإطلالة القمر، فالقمر يقترن بالجمال.

كما نرى أن هناك تشبيهات تنبذ السلوك غير الحسن كالكسل والخضوع والضعف والهوان كقولهم (زي اللي ماشي عبيض)، أو (مثل الأرنب) و (مثل الخاتم بصباغه)، كما أن هناك من التشبيهات ما تحارب الإنتهازية، وتنبذ التطفل كقولهم (مثل الحية المشوبة)،



أو (زي البصل محشور في كل طعام) ، أو كتلك التي تحارب المكر والخداع كتشبيه الإنسان الماكر المخادع بالثعلب بقولهم (زي الثعلب) .

وهكذا نرى أن هذه التشبيهات بمعظمها تدعو إلى القيم المثلى والعادات الحسنة، وتشيد بالسلوك الحسن، وتنبذ القيم السيئة والعادات الكريهة، وتحارب السلوك السيء .

أما بواعث التشبيه الشعبي فيمكن تلخيصها بما يأتي:

1. التفنن في أساليب التعبير، إذ تقوم هذه التشبيهات على المقابلة والموازنة. فحين تشبه الحبيبة مثلاً بالغزال بقولهم (مثل الغزال) ، فإنما أرادوا المقابلة بين صفات الغزال وصفات الحسنة، كالرشاقة واتساع العيون، وإذا شبهوها بالحمامة، فإن ذلك يعني اللطافة والهدوء.

2. النزوع إلى التجديد والابتكار والإبداع لطريقة التشبيه، فالتشبيه ملكة تولد الإبداع وتميل إلى الابتكار.

3. إقامة البرهان والحجة على أن الذي أسند إليه المشبه أمر مقنع وممكن وقائم فعلاً.

### ب. أدوات التشبيه الشعبي:

أدوات التشبيه: أداة التشبيه هي كل لفظة تدل على المماثلة والاشترك؛ أي أنها الأداة التي تربط بين الطرفين: المشبه والمشبه به، وعند البلاغيين يقصد بأداة التشبيه آتة التي يتوصل بها إليه، قال الطيبي: «وهي ما يتوصل به إلى وصف المشبه، بمشاركته المشبه به في الوجه، وهي الكاف وكأن ومثل وشبه، وما في معناهما» (10).

وتعد كاف التشبيه من أشهر أدوات التشبيه وأكثرها استعمالاً؛ لختها ووجازتها، بل هي أصل معانيه، قال سيبويه: «... وكاف التشبيه التي تجيء للتشبيه، وذلك قولك: أنت كزيد» (11).

وكاف التشبيه هي بمعنى (مثل) التي هي أداة التشبيه الرئيسية في التشبيه الشعبي، «وقولك أنت كزيد معناه: مثل زيد» (12).

### ج. التشبيه الشعبي والمثل:

#### 1. تعريف المثل:

تتوزع مادة (مثل) في معاجم اللغة بين مجموعة من المفاهيم المتنوعة: التسوية والممثلة، الشبه والنظير، الحديث، الصفة، الخبر، الحذر، الحجة، الند، العبرة، الآية، المقدار، القالب، الانتصاب، نصب الهدف، الفضيلة، التصوير، الالتصاق بالأرض، الذهاب، الزوال، التنكيل، العقوبة، القصاص، الجهد، الفراش، النمط، الحجر المنقور، الوصف والإبانة (13).

ففي اللسان معناه التسوية، يقال: هذا مثله ومثله، كما يقال شبهه وشبهه، قال ابن بري: الفرق بين المماثلة والمساواة، أن المساواة لا تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين؛ لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون في المتفقين.... والمثل: الشيء الذي يضرب بشيء مثلاً فيجعل مثله، وفي الصحاح: ما يضرب به الأمثال، ومثل الشيء عند الجوهري صفته، ... والمثال: الفراش والنمط، وحجر قد نقر في وجهه نقر...<sup>(14)</sup>.

واعتنى العرب منذ القدم بالمثل، فكان لكل موقف من المواقف مثل يستشهد به؛ ونظراً للأهمية التي يكتسبها المثل في الثقافة العربية، وهو ما أشار إليه ابن الأثير بقوله " وذلك أن العرب لم تصنع الأمثال إلا لأسباب أوجدتها، وحوادث اقتضتها، فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي تعرف بها الشيء "<sup>(15)</sup>.

وهو قول موجز قيل في مناسبة ما، وأصبح يتمثل به للتعبير عن كل حاله تشبه هذه المناسبة التي قيل فيها، وهو قول مأثور، تظهر بلاغته في إيجاز لفظه، وإصابة معناه. والمثل عند الفارابي ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتدلوه فيما بينهم، وقنعوا به في السراء والضراء، ويرى أنه أبلغ الحكمة؛ لأن الناس لا تجتمع على ناقص، لذا فهو قيمة خلقية اصطلح على قبولها، وهو يمر قبل اعتماده وشيوعه في غربال معايير الشعب، ويعبر عن هذه المعايير في مجالات الحياة المختلفة<sup>(16)</sup>.

وعرفه السيوطي نقلاً عن المرزوقي في (شرح الفصيح) : «جملة من القول مقتضبة من أصلها ومرسلة بذاتها تتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول عما وردت فيه، إلى كل ما يصح قصده بها، وعما يصح الظاهر إلى أشباهه من المعاني»<sup>(17)</sup>.

والمثل الشعبي: وهو فن من الفنون التراثية الفولكلورية، مجهول القائل، وهو سلوك تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية يوحى في أغلب الأحيان بعمل، أو يصدر حكماً عن وضع معين، وهو يتميز بالاختصار والتنغيم والمجازية في الأسلوب والواقعية في صور بلاغية.

### الفرق بين التشبيه والمثل:

تتداخل في كثير من الأحيان فنون التراث الشعبي المختلفة، خاصة بين التشبيه الشعبي والمثل الشعبي، لدرجة أن كثيراً من الباحثين والمتخصصين قد جعلوا التشبيهات الشعبية ضمن أنواع المثل، لذا عملنا جاهدين في هذا البحث لفصلهما عن بعضهما بعضاً، وهو ما جعلنا نتعرض لمخاطر عديدة أبرزها نقص أو انعدام المراجع والمصادر، التي تناولت هذا الموضوع، منطلقين من حقيقة مفادها أن التشبيه الشعبي لا يختلف كثيراً عن التشبيه الفصيح، سوى في استخدام الألفاظ العامية، وطالما أن التشبيه الفصيح ظل

مستقلاً عن المثل عند اللغويين والباحثين، فلم نقوم اليوم بفصل التشبيه الشعبي عن المثل أيضاً؛ بل أن بعض الباحثين ذهب لأبعد من ذلك حين قال: ”الأصل في المثل هو التشبيه والتصوير؛ فالمثل يميل إلى تشبيه المجرّد بالمحسوس، وإلى تبني الرمز الحسي المتداخل مع الرؤية التأملية” (18).

ومهما يكن من أمر فسناحاول الوقوف عند أوجه الاتفاق والافتراق بين هذين الفنين الأصليين:

### أوجه الاتفاق بين التشبيه الشعبي والمثل الشعبي:

يتفق المثل والتشبيه الشعبي في أن كل منهما:

- من أقسام الفنون التراثية الفلوكلورية.
- وقائلها مجهول.
- خلاصة تجارب الناس وأفعالهم على مر السنين.
- الاختصار

### أوجه الافتراق بين التشبيه الشعبي والمثل الشعبي:

1. إن أكثر التشبيهات محسوسة تقترن بإيراد مسمى لكائن حي أو جماد من البيئة المحيطة، كقولهم (مثل البطة)، (مثل عود الزان)، بينما أكثر الأمثال مجردة تعتمد على المحاكاة العقلية، واختصار المواقف.
2. التشبيه أكثر اختصاراً من المثل، كقولنا: مثل الجريدة.
3. معظم التشبيهات الشعبية يسبقها كلمة (مثل) أو (زي)، كأنهما شيفرة تميز التشبيه عن المثل.
4. التشبيهات في الموروث الشعبي أقل عدداً من الأمثال.
5. التشبيه أكثر خصوصية من المثل، فهو (أي التشبيه) يهتم بخصائص وممارسات معينة، بينما يطلق المثل على الصفات العامة والشاملة للإنسان.
6. غالباً ما يمتزج المثل بالحكمة، وهو قليل في التشبيه.
7. لعل استخدام التشبيه في الريف أكثر من المدينة، بينما تنتشر الأمثال في الريف والمدينة على حد سواء.
8. نص التشبيه أقرب إلى اللغة الفصحى، فأكثر التشبيهات تكتب بالفصحى، أما المثل فتكثر فيه الكلمات الغريبة عن العربية.

9. تخضع غالبية الأمثال لجرس موسيقي معين، ولحن مخصوص كقولنا في وصف الجار السيء الذي لا منفعة فيه: (كوم احجار ولا هالجار)، أما التشبيه فلا يخضع للاعتبار نفسه.

10. قد يجري التشبيه مجرى المثل كقولنا: (مثل اللي عازم الحمار عالعرس)، فيصبح هنا إيراد التشبيه كـ (مثل)، بينما لا يمكن أن يجري مجرى التشبيه الشعبي.

وهكذا يتضح للباحثين الفرق بين التشبيه الشعبي والمثل، مما يحدونا التعامل مع التشبيه الشعبي بصفته فناً مستقلاً، وليس فرعاً من فروع المثل كما تبين لنا من خلال تعريف كل منهما، وأنه وإن كانا قد اتفقا في كثير من الأمور، إلا أنهما اختلفا في أمور أكثر، ولو كان التشبيه الشعبي جزءاً من المثل، لعدّ العلماء واللغويون التشبيه الفصيح جزءاً من المثل، لا سيما وأن التشبيه الشعبي لا يختلف عن التشبيه الفصيح سوى في استخدام الألفاظ الدارجة كما سيتبين لنا في هذه الدراسة.

## المحور الثاني:

### التشبيهات الشعبية: أدواتها، أركانها، سماتها، أصنافها:

تبين لنا في المحور الأول أن التشبيه الشعبي لا يختلف عن التشبيه الفصيح إلا في الألفاظ، كما تبين أن كاف التشبيه التي هي أصل أدوات التشبيه عند سيوييه، وغيره من النحاة، تأتي بمعنى (مثل) التي هي أداة التشبيه الرئيسية في التشبيه الشعبي. ويوجد أداة تشبيه أخرى هي كلمة (زي)، وتستخدم بمعنى (مثل) أو (شبه).

إن الشيء يشبه بالشيء من وجه واحد، لا يكون مثله في الحقيقة، إلا إذا أشبهه من الوجوه جميعها لذاته، فكأن الله تعالى حين قال: ﴿ليس كمثله شيء﴾<sup>(19)</sup>، أنه لا شبه مثله، ولو كان قوله تعالى «ليس كمثله شيء» نفيًا أن يكون لمثله مثل، لكان قولنا: ليس كمثله زيد رجل مناقضة؛ لأن زيد مثل من هو مثله، والتشبيه بالكاف يفيد تشبيه الصفات بعضها ببعض، وبالمثل يفيد تشبيه الذات بعضها ببعض، نقول: ليس كزيد رجل: أي في بعض صفاته؛ لأن كل أحد مثله في الذات، وفلان كالأسد: أي: في الشجاعة دون الهيئة، وغيرها من صفاته، لذا نقول: نقول مثل هذا كمثله هذا: أي: صفته كصفته، قال تعالى: «كمثل الحمار يحمل أسفارا»، وحاملو التوراة لا يماثلون الحمار، ولكن جمعهم وإياه صفة، فاشتركوا فيها.

ومن المعلوم أن الذي يلي أداة التشبيه هو المشبه به لفظاً كقولنا (مثل الأسد) ، فالمشبه به هو الأصل، وهو المعول عليه في التشبيه، جيء به لتوضيح حال المشبه، وليظهر مقداره أو كميته، صحيح أن المقصود هو إيضاح حال المشبه، لكن المشبه به لا بد أن يكون معلوماً في الذهن ظاهراً بيّناً، وعليه المتكأ في التشبيه.

ومن دراستنا للتشبيهات الشعبية تبين لنا:

1. يجري التشبيه بأداتين هما: مثل وزي.
2. قد يأتي المشبه محذوفاً؛ سعياً وراء الاختصار والوجازة؛ لأن المشبه معلوم في ذهن السامع.
3. وقد يأتي مذكوراً لفظاً كقولهم: بنت مثل الملبسة.
4. غالباً ما يكون التشبيه مفرداً، كقولنا ” وجهها زي البدر، مثل الصوص.
5. قد يذكر وجه الشبه في التشبيه الشعبي كقولهم: (زي الفيل) ، وقد يحذف كقولهم: مثل البوم يدل عالخراب.
6. يأتي التشبيه في حالات نادرة صورة بصورة، كقولهم: الكبرة اللي ماهي لايقة مثل الحبلى المتضايقة، فنحن أمام صورتين: الأولى: صورة الإنسان المتكبر المتعالى على الناس، وهو ليس بأفضل منهم ولا بأحسن منهم، كصورة المرأة الحامل التي غالباً تشكو من ضيق من حملها.
7. التشبه بالحيوانات والطيور.

ولعل البيئة الصحراوية فرضت على الإنسان أن يتعامل مع الحيوانات والطيور؛ لذا نجد أن كثيراً من التشبيهات الشعبية قد استخدمت هذه الحيوانات والطيور كالأسود والسبع والذئب والخيول والإبل والبغال والأغنام؛ والصقور والغربان واليوميات وغيرها؛ ولعل هذا السبب وراء انتشار هذه التشبيهات في الريف أكثر منه في المدينة.

ومهما يكن من أمر فإن الحيوانات والطيور أم تشبه أم البشرية، وتمائلها في أكثر الأحوال، فتعيش كما يعيش الإنسان في حياته اليومية، فيتزاوجون ويلدون ويكونون الأسرة، قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر بجناحيه إلا أم أمثالكم، ما فرطنا في الكتاب من شيء إلى ربهم يحشرون﴾<sup>(20)</sup>.

وعليه فقد استعار التشبيه الشعبي بعض أشكال هذه الحيوانات والطيور وألوانها ولغات وأجناسها وأنواعها وأمراضها وطباعها، ليفوا بها الإنسان وطباعه وصفاته، التي تشبه صفات الحيوانات والطيور، حتى أصبحت مضرِباً للأمثال.

وليس الغرض من تشبيه الإنسان بالحيوان إلا بغية نعته بما يتميز به ذلك الحيوان من صفات بارزة معروفة، وكانت العرب إذا شبهت الحبيبة بالطبي، فإنما أرادوا الرشاقة واتساع العيون، وإذا شبهوا الرجل بالأسد، فإنما قصدوا الشجاعة والقوة والقيادة.

## أصنافها:

لقد تبين للباحثين من خلال دراستهما للتشبيهات الشعبية المعمقة أنها يمكن أن تخضع لأكثر من تصنيف منها:

1. تصنيفها حسب الموضوع، كالتشبيهات المتعلقة بالجمال أو القبح، والانتهازية، والوداعة واللطافة، والنظافة، وغيرها.

2. تصنيفها تبعاً بما يرتبط بالمحسوس والمجرد؛ انطلاقاً من أن معظم التشبيهات الشعبية الواردة تخضع للبيئة المحيطة بنا، والقريبة من نظرنا من إنسان وحيوان وطير، وأشياء نتعامل معها مباشرة.

3. ومن خلال استعراضنا لهذه التشبيهات تبين لنا أنها تنقسم من حيث قالبها اللغوي إلى ثلاثة أقسام هي:

♦ الأول: التشبيه الذي يشبه المشبه به بشيء محسوس ومعروف لدى العامة كقولهم: (مثل الأرنب) و (مثل القمر)، وهنا يكون المشبه به معروف الصفات سلفاً لدى المستمعين، فهم يعرفون ما يعنيه (الأرنب)، وأنه من الحيوانات الجبانة، ويعرفون القمر، أنه ينم عن الجمال والبهاء، وهكذا بقية التشبيهات التي تنتمي إلى هذا النوع.

♦ الثاني: التشبيه الذي يشبه المشبه به بشيء غير معروف الصفات لدى العامة، فيتم رده بقريئة تدل عليه، فيتم تحديد صفة المشبه به، كقولنا: (مثل خبز الشعير مأكول مذموم).

♦ الثالث: التشبيه الذي يسبق الأداة (مثل أو زي) بصفة أو فعل للدلالة على المشبه به. كما يقال: (سحبه مثل الشعرة من العجين) و (وجهه زي الليمونة). فقولهم (زي الليمونة)، هو غير كاف؛ لأن المقصود هنا هو اللون الأصفر، فوجب وضع كلمة (أصفر) من اللون الأصفر، لتدل على وجه المشبه (الأصفر)، الذي ينم عن المرض، أو تراجع الصحة، في كثير من الأحيان.

واتضح أن الغالبية العظمى من هذه التشبيهات تنقسم إلى نوعين:

♦ الأول: مرسل مفصل

♦ والثاني: مرسل مجمل

وبعد دراسة وجد الباحثان أن التصنيف على أساس طبيعة الموضوعات التي تناولتها التشبيهات هي الطريقة الأفضل في التصنيف؛ لأسباب لا يتسع المجال لتناولها.

◀ القسم الأول: التشبيهات المتعلقة بالوصف المادي للإنسان ومنها:

1. الجمال والحسن، ومن أمثلتها:

- مثل النقطة بالمصحف

إن الغاية من ذكر المصحف الشريف في هذا التشبيه، إنما يدل على الصفاء والنقاء والطهارة، وغالبًا ما يوصف به الطفل جميل الصورة، وما يتمتع به من وداعة وبراعة.

- مثل ريم الفلا

لقد تغنى العرب منذ قديم الزمان بجمال الظبي خالص البياض، جميل الشكل، خفيف الحركة، كما تغنوا بجمال عيونه، ورشاقة حركته، وطول عنقه، وروعة خلقه، وشبهوا النساء الحسان ذوات البشرة البيضاء والقدم المشقوق، والقوام الرشيق، وذات العينين الواسعتين، بالغزال.

- مثل السكر بذوب في الثم

تفصيح التشبيه: كالسكر يذوب في الفم

إذ يوصف به الشخص الوسيم، اللطيف، خفيف الظل، المحبوب، والذي يكون وجوده محل ترحيب أينما حلّ، فهو كقطعة من السكر في الفم سرعان ما تذوب بلعابنا، فننتدق مذاقها الحلو؛ لتمنحنا إحساساً جميلاً محبباً.

- مثل القمر، زي البدر

ولقد تغنى الناس منذ قديم الزمان بالقمر وجماله وسطوع نوره، وهو من أجمل الأشياء التي نشاهدها، وأكثرها جمالاً وبهاء. وله حضور مكثف في مخيلة الشعراء والأدباء، وكثيراً ما ينعت الحبيب حبيبته بصفة القمر، فيقول لها: أنت قمر حياتي، كما حفلت هذه المفردة (القمر) على الصعيد الشعبي بحضور مكثف، هذا الحضور غلفته طيبة السريرة التي فطر عليها الإنسان الشعبي.

- شب زي الوردية: ونرى أن هذا التشبيه اختلف عما سبقه من التشبيهات أنه أورد

المشبه (شب)، وهو ما لم يكن موجوداً في التشبيهات السابقة، ومن المعلوم أنه لو حذف المشبه في هذا التشبيه لحصل اللبس؛ لأن المشبه غير معلوم لدى العامة، فوجب ذكره، وفي قولهم مثل الوردية إنما المراد حمرة أوراق الورد وطراوتها؛ نظراً لجماله ورقته، وعذوبة أفاظه. وقد شبه به الفتاة الحسناء أيضاً.

- بنت مثل الملبسة (21): أي حبة الحلوى في عذوبتها وحلاوتها وفتنتها.
- مثل الحبق (22): ويمتاز الحبق بجمال منظره، ورائحته الذكية، ويشبه به الشباب من الجنسين الذين يعتنون بمظهرهم ونظافتهم، ويمتازون بحسن قامتهم.
- مثل غصن البان: وشبه به النساء الطويلات، وذوات الخصر الممشوق، والقوام المعتدل.

- مثل العروس بالجلوة (23): أن أجمل الأيام بالنسبة للفتاة هو يوم زفافها على من تحب وترضى، فيكون وجهها مشرقاً وأساريرها فرحة، مرتدية أجمل الثياب، وتقف وسط الفتيات المدعوات لترقص على الموسيقى الهادئة. وعند تشبيه فتاة معينة بتلك العروس فإنما نجعلها في مرتبة العروس وزينتها وبهائها وجمالها وبهجتها.

## 2. الزينة والتبرج:

- مثل القطة الفرنجية: وتشبه النساء ذوات البشرة البيضاء، والشعر الأشقر، التي زينت نفسها، وتبرجت بمواد التجميل؛ تشبهاً لهن بالنساء الأجنبية.
- مثل الصوص: حين يخرج الصوص من البيضضة، فإن حركته تكون كثيرة، وغير متناسقة، أو منتظمة، ويذكر التشبيه هنا للشخص الفوضوي قليل الصبر، كثير الحركة غير الهادفة.

## 3. القبح والدمامة:

- مثل القرد الممسوخ: يعد الذم والهجاء بوصف الشخص بالقرد من أقبح الألفاظ وأقساها على الشخص الذي يشبه به، وقد استخدم الشعراء العرب قديماً هذا اللفظ، فقد هجا حماد عجرد بشار بن برد بقوله:

ألا من مبلغ عني الذي والده بُرد  
إذا ما نسب الناس فلا قبل ولا بعد  
ويا أقبح من قرد إذا ما عمي القرد

- وكان بشار شاعراً فاحش الهجاء، لم يستطع أحد أن يجاربه أحد في هجائه إلا حماد عجرد، وقيل: إن بشاراً ما جزع يوماً من شيء جزعه من هذا البيت، وقد أبكاه هذا البيت، وقال: يراني فيصفني، ولا أراه فأصفه (24).

- مثل سعادين اليمن: ويوصف به الشخص قصير القامة، أسود البشرة، وهي ذات الصفات التي اتصفت بها قروود اليمن.



- وجّه مثل طيز السعدان: وهو يقال لمن كانت ملامح وجهه دميمة، ودائم العبوس.  
- مثل العنزة الجريانة: ويقال لمن يكون منبوذاً بين الناس، ويتحاشون معاشرته، سواء كان بسبب مظهره وشكله، أم بسبب تصرفاته السيئة المنفّرة. وكان العرب يطلقون اسم العنزة مقترنة بوصف الجرياء، وهي من أقبح الألفاظ، فقالوا في المثل: «إذا تفرقت الغنم قادتها عنز جرياء».

- مثل الجاجة المطروشة: تفصيحه: كالدجاجة المضروبة. ويوصف به الشخص الذي أصابه الرعب والهلع والخوف، فيكون هائماً على وجهه، لا يعرف إلى أين يتجه، كما يشبه به الشخص الفوضوي غير المنتظم في أفعاله وتصرفاته، مثله مثل الدجاجة التي تعرضت للضرب فجزعت وخافت، وضاعت بها السبل فتكون غير سوية في سيرها.

- ثمّه مثل المغارة، تفصيحه: فمه كالمغارة، ويقال هذا التشبيه الذي ذكر فيه المشبه والمشبه به وأداة التشبيه في وصف الإنسان ذي الفم الواسع، وتشبيهه بالمغارة؛ دلالة على اتساعه.

- مثل الضّبع: ويطلق على الشخص قبيح الوجه، خشن المعاملة، سيء السلوك، حاد الطباع، والضبع في الموروث الشعبي حيوان مفترس، قليل العدو، قبيح المنظر، ويُقال أن الضبع سنة ذكر، وسنة أنثى، والضبع والكلب أعداء ألداء، فإن وقع ظلّ الضبع على الكلب يقف مكانه، ولا يقدر على مواصلة سيره خوفاً من الضبع (25).

#### 4. البدانة أو النحافة:

- مثل العجل، مثل البغل، زي الفيل: وهي كلها رموز للقدره والضخامة الطائشة، والشراهة، فحين نقول: فلان زي الفيل: أي: قوي ضخم.

- زي الدب: وهو أيضاً يدل على القوة والغلظة والغباء والشراهة، ويشبه به من يحمل هذه الصفات.

- مثل الخنزير: ويدل ذلك على الشهوة والقذارة والضخامة، كما يدل على قبح المنظر، وسماجة التمثيل، وقبح الصوت.

- مثل البقرة الهولندية: وتوصف بها النساء السمينات المكتنزات، تشبيهاً لهن بالبقرة السمان المستورد.

#### 5. النقاء والنعمه:

- ناعمة مثل الحرير: وتوصف به المرأة الجميلة الناعمة اللطيفة.

- مثل الليرة<sup>(26)</sup>: ويقال في مدح الشخص المهم المعطاء الشهم.
- مثل الضراط عالبلاط: ويوصف به من يقوم بالعمل الأحمق الذي لا فائدة منه، وليس له نتيجة تذكر.
- مثل اللي برقص بالعتمة، مثل رقصة السلم لا للي فوق شافوها ولا اللي تحت سمعوها. كمن يفعل فعلاً يراه جميلاً ورائعاً بنظر الآخرين، لكنه يُفاجأ بأن لا أحد يراه أو يسمعه، فيكون عمله غير مُجد.

## 6. القسوة والغطرسة والغرور:

- مثل الثور الهيجان، بجعر: ويوصف به الشخص كثير الغضب الهائج، الذي لا يستطيع أحد إيقافه عند حده، أو رده، أو تهدئته.
- مثل الطبل منفوخ عالفاضي: يشبه به الأشخاص المتغطرسين المتكبرين المغرورين
- مثل النمس يتسحّول من تحت لتحت: النمس حيوان أحمر العينين، ينتهز الفرص، وينفذ ما يريد، وقد كثر استعماله في الموروث الشعبي، لوصف حال الشخص الانتهازي، الذي يتصف بالدهاء والخداع، ويقوم بأعمال دون أن يشعر به أحد.

## ◀ القسم الثاني: من الصفات النفسية للإنسان

### 1. الرجولة والبسالة والشجاعة:

- شب مثل النسر، مثل الباشق<sup>(27)</sup>: وهذه صفات وأوصاف يشبه بها الشاب السريع في تنفيذ ما يطلب منه تنفيذه، وقد شبه بالنسر في سرعته، وكذلك بالباشق، وهو من الطيور الجوارح، يشبه الصقر.
- شب مثل القرطة: ويطلق على الإنسان قصير القامة، ممتليء الجسم، الذي تبدو عليه مظاهر القوة والرجولة. والقرطة هي قطعة من الخشب قصيرة، عصية على الكسر.
- مثل الأسد: وقد شبه الرجل القوي الشجاع الذي يتحلى بصفات الرجولة بالأسد، في شراسته وبأسه وصلابته وإقدامه، فالأسد رمز للشجاعة والقيادة والوقار، وهو ملك الغابات، ويقال في المثل الشعبي: هذا الشبل من ذاك الأسد.
- زي النمر، مثل الفهد: ويشبه بهما الشخص السريع النشيط الأنيق الشرس.

### 2. الخضوع والضعف والغباء:

- لبد مثل الأرنب: ولبد هنا بمعنى هدأ وسكت ذليلاً خانعاً، دون رد فعل للدفاع عن نفسه، وبهذا استخدم هذا التشبيه ليدل على الإنسان الجبان الذي يقبل الخضوع والإهانة،

والأرنب في الموروث الشعبي، يدل على الحيطة والحذر، ويتميز بعدم مقاومته، وهروبه من الأعداء.

- مثل الحمار: الحمار يدل على حماقة وقلة التفكير، كما يدل على الصوت المنكر، ويشبه به الشخص الأحمق قليل التفكير، كما يشبه به ذو الصوت المزعج، قال تعالى: « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» (28).

- رأسه زي الحجر: ويوصف به الشخص الذي لا يسمع الكلام، ولا النصائح.

- جاره مثل السخل: تفصيحه: جرّه كما يُجرُّ السخل

وهو يقال في وصف من كان تابعاً لغيره في سلوكه وأفعاله وتصرفاته .

- مثل الخاتم بصباعه: تفصيحه: كالخاتم في إصبعه

ويقال حين يتحكم شخص بآخر فيأمره بتنفيذ أوامره دون نقاش، أو إبداء أي اعتراض، أو ردة فعل تجاه ما يطلب منه تنفيذه، تماماً كتحكم الشخص بالخاتم، إذ يضعه حول إصبعه ويخلعه متى شاء وكيفما شاء.

- زي المقروص بخاف من جرة الحبل: يوصف به الإنسان الخائف المذعور الملدوغ من أفعى، ومن شدة خوفه وهلعه، فإنه يرى الحبل المتحرك، كأنه أفعى.

- زي اللي بمشي ع بيض: ويوصف به الإنسان بطيء الحركة، وكأنه يسير على البيض، ومن المعلوم أن الذي يسير على البيض يكون حذرًا بطيئًا.

### 3. الحيرة والارتباك:

- مثل اللي بالع موس: ويستخدم لوصف الشخص الذي يشعر بالحيرة والارتباك تجاه مشكلة كبيرة تكون جميع خياراته فيها سيئة.

- مثل أم العروس فاضي مشغول: تعد أم العروس بمثابة قطب الرُحى في حفل الزفاف، فكثير من الترتيبات والأدوار ترتبط بها بشكل مباشر، أو غير مباشر، وهي بسبب كثرة المهام وتعددتها تكون في وضع لا تستطيع فيه فعل شيء، ويشبه بها الشخص الذي انهالت عليه الأعمال، وازدادت عليه الأرزاء والأحمال الثقال، وهو لا يدري ماذا يفعل.

- عمال يحوص مثل الصوص: بعد أن يخرج الصوص من البيضة فإنه يقوم بحركات عشوائية غير منتظمة في جميع الاتجاهات، مثل الشخص المصاب بالحيرة والارتباك، الذي يقوم بجهود، لكن هذه الجهود غير هادفة، فتذهب هباءً منثورًا.

- مثل اللي قاعد عالجمر: ويقال للشخص الذي ينتظر نبأ هاماً، أو موعداً ضرورياً، فيكون قلقاً متبرماً شاكياً بطء الوقت.

#### 4. النشاط والسرعة وخفة الحركة:

- مثل القضا المستعجل: حين يأتي الموت بغتة، فإنه لا يستأذن أحداً، ويوصف به الإنسان الذي يأتي بدون موعد، جالباً معه المشاكل والمتاعب.
- مثل النار بالهشيم: النار تبدأ من أصغر الشرر، ثم تتسع وتكبر في الحشائش اليابسة بسرعة، ويذكر هذا التشبيه في وصف الأشياء غير المحببة التي تبدأ صغيرة، ثم سرعان ما تكبر وتتسع، فتصيب كل شيء حولها، دون تمييز.
- وغالباً ما يعبر هذا التشبيه عن الخلافات العشائرية التي تحدث، والتي تبدأ أول الأمر بين شخصين لتتسع، وتتحول إلى صراعات بين عشيرتين؛ مما يصعب السيطرة على هذه الخلافات.
- مثل البرق، مثل الرصاص: وتستخدم في وصف الشخص السريع في أداء الأعمال المنوط به فعلها.
- مثل هبوب الريح: ويقال في الشخص النشط السريع في إنجاز ما يوكل إليه من مهمات وأعمال.
- مثل الفلقة: ويوصف بها الإنسان السريع في حركته، كما يطلق هذا التشبيه غالباً على الفتاة أو المرأة، التي تقوم بالأعمال المنزلية بخفة ونشاط وسرعة.

#### 5. الانتهازية:

- مثل الحية المسنونة<sup>(29)</sup>: تخرج الأفاعي والثعابين من جورها في فصل الصيف، حيث الحرارة الشديدة، وتكون في أوج قوتها وسرعتها، وعلى استعداد للدغ وبت سمومها بسرعة، ويشبه بها الشخص الذي يبث روح التفرقة بين الناس وساهم في توسيع خلافاتهم.
- زي حية التبن: التبن هو القش الناعم المطحون، وحين تدخل فيه الأفعى، فإن حركتها فيه تكون خفية، إذ لا يراها ولا يحس بها أحد، ويشبه بها الشخص الذي يؤدي الآخريين، دون أن يعرفوا، أو يشعروا بذلك، فالأفعى عدو لعين، لا يعرف إلا الظلم.
- مثل العقرب: ويوصف به من يكون انتقامه خفياً وسريعاً وقاتلاً، فالعقرب ترمز إلى الغدر والخسة في الظلم، وأنها تؤذيك، حتى وإن لم تؤذيها.

#### 6. الكلام:

- مثل الببغاء: تفصيحه: كالبيبغاء. لقد وهب الله تعالى العقل للإنسان، وهو ما جعله يتميز عن باقي المخلوقات الأخرى، لكن بعض الناس لا يعملون عقولهم فتراهم يحاولون

تقليد الآخرين تقليدات أعمى، كطير الببغاء الذي يردد ما يُسمع من ألفاظ وعبارات، دون إدراك معاني هذه الألفاظ والعبارات.

- مثل النسوان، زي عجائز النور، قطيعة في الزاد، وثقل على الدابة: ويذكر هذا التشبيه في وصف الإنسان المترثار كثير اللغو، وصاحب النقاشات السخيفة فارغة المحتوى، عديمة الفائدة، وهو وصف كثر في الموروث الشعبي، وكأنه صفة من صفات النساء، وفيه نظر.

- مثل البلبل: يقال في وصف المرء الذي يتميز بصوته الجميل.

- لسانه مثل المبرد: ويوصف به الشخص حاد الكلام، قاسي التعبير، المؤذي لمن حوله.

### 7. التشاؤم:

- مثل البوم بدل عالخراب<sup>(30)</sup>: تفصيحه: كالبوم يدلُّ على الخراب: التشاؤم صفة لصيقة بطير البوم، وهو طير شؤم، فحين ينق البوم، فإنما يدل ذلك على الشؤم، لذلك وصفوا الإنسان التشاؤمي قبيح الصوت والصورة بالبوم.

- مثل الغراب، مثل غراب البين: تناولت أكثر الحكايات الشعبية شخصية الغراب، وربطت بينه وبين الشؤم، وبين الهلاك والموت والخراب، فيحمل ذلك الطائر المشؤوم تبعات فساد الرأي، ونتائج أفعال الناس السيئة<sup>(31)</sup>. لذلك يقولون: غراب البين. وكل غراب يقال له غراب البين، إذا أريد به الشؤم. وقد يشبه صوت الشخص غير المحبب بنعيق الغراب.

### 8. التطفل:

- زي البصل محشور في كل طعام: ويوصف به الشخص المتطفل الذي يقتحم المجالس، ويلتصق بالناس.

### 9. السلوك السيء:

- زي الغنم بلا راعي: ويقال لمجموعة من الناس يعملون على هواهم وطريقتهم، ويتصرفون دون حسيب أو رقيب، ودون أن يردع أحد، فإن حالهم كحال الماشية دون راعي.

### 10. المكر والخداع:

- زي الثعلب: فالثعلب يدل على المكر والخداع والدهاء.

## الخاتمة والنتائج والتوصيات:

وهكذا تنتهي هذه الدراسة التي تقصّى فيها الباحثان فناً مهماً ولوناً فريداً من فنون الفلكلور الشعبي الفلسطيني وألوانه، وهو التشبيه الشعبي، واتضح أن هذا التشبيه له صفاته

الذي يتميز بها عن غيره من الفنون الشعبية الأخرى، وهو جزء أصيل من فنون الأدب الشعبي، يعبر عن مواقف معينة وتجارب معينة، ومن خلال هذه التشبيهات يمكننا التعرف على السلوك الفردي والجماعي؛ لأن هذه التشبيهات تحمل بين دفتيها عادة وتقاليد وأخلاق ومثل وقيم وميول، وتعبّر عن علاقات الفرد مع ذاته وأسرته ومجتمعه، وتعكس نظرتة الكلية للمجتمع والبيئة والحياة من حوله، وتبين علاقته مع بيئته، وما تشتمل عليه من حيوان ونبات وجماد، وتفصح عن طريقة عيشه، وتقدم صوراً وتشبيهات مستمدة من هذه البيئة.

ونجد كثيراً من هذه التشبيهات تحت على الشجاعة والبطولة والبسالة والإقدام، وتحارب الجبن والضعف الكسل والهوان، وتشجع التواضع وتدعو إلى التكاتف والحث على العمل والجد والاجتهاد والنشاط، وتسخر من الشخص المتعالي والكسول والانتهازي والتابع.

وبالتشبيه نستطيع التعرف على ذكاء هذا الشعب؛ لأن هذا اللون ما كان له أن يبقى وتتناقله الأجيال إلا لأنه صدر عن إنسان ذكي، علاوة عن حاجة المجتمع لهذا الفن بوصفه ظاهرة فريدة، تعكس خلاصة تجاربه المتنوعة.

والتشبيهات الشعبية تعكس بلاغة المجتمع، وتفننه في أقواله، وميله إلى الرمز والتلميح، دون التقرير والتصريح، ومن هذه الزاوية تقدم هذه التشبيهات صوراً فنية حية، تمتع الحس والشعور، وترضي النفس؛ مما ينمي الذوق الأدبي، ويطور الملكة التعبيرية.

كما أن هذه التشبيهات يميل الناس إلى استخدامها لتطعيم كلامهم، وتدعيم حججهم؛ لتكون آراؤهم موضع تقدير واستحسان.

وقد حاولنا في هذه الورقة الموجزة أن تبين الفرق بين التشبيه الشعبي والمثل، وخلصت - على الرغم من وجوه الشبه بينهما - بضرورة الفصل بينهما بوصفهما لونيّن منفصلين من ألوان التراث الشعبي الفلسطيني.

وكشفت الدراسة عن أن التشبيهات الشعبية تتسم صياغتها اللغوية بالرمزية في التشبيه، وتمتاز بأنها عبارات مقتضبة موجزة، مصاغة بصورة متكاملة، لا تقبل الزيادة، أو النقصان.

وبناء عليه، فإن هذه التشبيهات على نفاستها، وعظيم فائدتها، لغةً وأدباً وثقافةً وفولكلوراً شعبياً يتعين حفظها ودراستها ومقارنتها مع مثيلاتها في البلاد العربية وغير العربية. ولا بد من القيام بجمع هذه التشبيهات الشعبية في فلسطين. ثم إجراء الدراسات عليها؛ لإحياء هذا اللون الأدبي التراثي الأصيل.

## الهوامش:

1. القزويني، الخطيب، تلخيص المفتاح، ص 135
2. القزويني، الخطيب، تلخيص المفتاح، ص 135
3. اللادقي، محمد طاهر: المبسط في علوم البلاغة، ص 176.
4. القيرواني، ابن رشيّق: العمدة، ص 157
5. المبرد: الكامل، ج 2، ص 96.
6. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص 58.
7. الدراويش وعرقوب: دور أسلوب التشبيه البليغ في الكشف عن صورة شيخ الأزهر شمس الدين الأنبائي، ص 5.
8. ينظر حاشية الأنبائي على الرسالة البيانية للصبان، ص 39.
9. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، ص 212.
10. أبو علي، محمد توفيق: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، ص 12.
11. سيبويه: الكتاب، 4 / 217.
12. المبرد: المقتضب، 1 / 39.
13. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (مثل).
14. ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 54.
15. الفارابي، أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم، ديوان الأدب، ص 74.
16. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص 486.
17. مكّي، أحمد: التربية الشعبية في اليمن، دراسة للمثل الشعبي في محافظة إب، ص 14.
18. عبد الرزاق، علي: أمالي عبد الرزاق في علم البيان، ص 73-74 بتصرف.
19. الشورى: 11.
20. الأنعام: 18.
21. الملابس: حبة الملابس، وهي نوع من الحلوى حلوة الطعم والمذاق.

22. الحبق: نبات عشبي تزييني أوراقه جميلة الخضار، وأزهاره بيضاء، أو وردية اللون، رائحته زكية يشبه النعناع شكلاً ورائحة وطعمًا، ويستخدم كتوابل لتحسين طعم المأكولات، وتنقيتها من الروائح غير المحببة للنفس، كما تضيف طعمًا لذيذًا على الطعام. معجم المعاني الجامع، مادة (حبق).
23. الجلوة: حفلة خاصة بالنساء، وهي تسبق حفلة الزفاف، وتكون العروس بكامل زينتها، مرتدية لباسًا خاصًا بهذه المناسبة، وتحفل مع صديقاتها وقربياتها بهذه المناسبة.
24. الإسفارينى، عبد القاهر: الفرق بين الفرق وبين الفرقة الناجية، ص42.
25. القزوينى، زكريا محمد: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص261-262.
26. يقصد به الليرة الذهب، وهي قطعة ذهبية دائرية لها مسميات كثيرة (الليرة الإنجليزية) و (الليرة العصلمية) وغيرها، والهدف من شرائها كي تتزين بها النساء، ويتفاخرن بارتدائها، وبيعها عند الحاجة.
27. الباشق: من الطيور الجوارح، وهو يشبه الصقر، . معجم الألفاظ العامية، ص4.
28. سورة لقمان: 29.
29. شوبّ: كلمة سريانية، معناها حرارة. ينظر موسوعة العامية السورية، ج3، ص886.
30. البوم: وكنيتها أم الخراب، وأم الصبيان، وهي تدخل على كل طير في وكره، وتأكل أفراخه، ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار؛ خوفًا من العين؛ لأنها تظن أنها حسناء، والبوم أصناف، وكلها تحب الخلوة. ينظر من المستطرف في كل فن مستطرف، ج2، ص61-62.
31. علاء الدين إبراهيم: التشبيه العامي في منطوقة الزيداني، ص59.



## المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة.
3. الإسفاري، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي (429هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1977م.
4. الإشبهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح: المستطرف في كل فن مستظرف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1986م.
5. الأنباي، حاشية الأنباي على الرسالة البيانية للصبان، المطبعة الأميرية.
6. حسين الدراويس ومفيد عرقوب: دور أسلوب التشبيه البليغ في الكشف عن صورة شيخ الأزهر شمس الدين الأنباي، دراسة تحليلية.
7. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.
8. السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت.
9. عبد الرحيم، ياسين: موسوعة العامية السورية (4 أجزاء)، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية، 1985م.
10. علاء الدين إبراهيم: التشبيه العامي في منطوقة الزبداني، وزارة الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2010م.
11. أبو علي، محمد توفيق: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، دار النفائس، بيروت.
12. الفارابي، أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم: ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، الجزء الأول، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
13. فرحة، أنيس: معجم الألفاظ العامية، مكتبة لبنان، ط2، 1995م.
14. القزويني، زكريا محمد: حاشية كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات)، منشورات دار آفاق الجديدة، بيروت، 1981م.

15. القزويني، الخطيب: تلخيص المفتاح، تحقيق ياسين الأيوبي، المطبعة العصرية، ط1، 1423هـ - 2002م.
16. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، والمثنى بغداد، ط2، 1963 م.
17. المبرد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق زكي مبارك، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1936 م.
18. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق حسن حمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.
19. اللادقي، محمد طاهر: المبسط في علوم البلاغة، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، بيروت، 1962 م.



# من التراث الشعبي الفلسطيني تقاليد وأغاني الأعراس بحث ميداني في بيت ساحور

أ. جمال بنورة

باحث في التراث الشعبي الفلسطيني / بيت لحم / فلسطين.

## تمهيد:

يتناول هذا البحث عادات الزواج وتقاليد وأغاني الأعراس في مدينة بيت ساحور عندما كانت لا تزال قرية صغيرة، و حتى أواسط الخمسينيات من القرن الماضي عندما تحولت الى مدينة.

وقد جرى كثير من التطور والتغيير في هذه العادات والتقاليد منذ ذلك الحين، و يلمس ذلك كل من عاش تلك الفترة، حتى يومنا هذا. ولا بد من الإشارة في بداية هذه الدراسة: ان هذه العادات والتقاليد تشمل جميع الطوائف لا فرق بينها سوى في المراسيم الدينية. و بداية يمكن تعريف الزواج بأنه شراكة بين اثنين، يشعر كل منهما انه مكمل للآخر، بحيث لا يستطيع أحدهما أن يعيش دون الآخر. و هذه الشراكة لها شروطها ومتطلباتها، و لها غايتها ايضا.

وإن كانت هذه الشروط و المتطلبات لا يحددها دائما الشخص الذي ينوي الزواج و شريكه في ذلك. فكان الأهل هم الذين يقومون بهذا الدور. و قد اختلف الآن هذا الوضع الى حد كبير.

أما الغاية النهائية للزواج فهي الإبقاء على النسل. فالزواج ضرورة حياتية لا غنى للإنسان عنها لاستمرار الحياة و الحفاظ على الوجود الانساني على هذه الارض.

يبدأ الاهتمام بزواج الأبناء منذ الولادة. و كان يحدث احيانا أن تُقطع سرّة البنت على اسم أحد أقاربها، و غالبا ما يكون ابن العم او الخال، و يتم ذلك باتفاق الأهل، حين يُبدي أحد الأقارب رغبته في أن تكون هذه المولودة من نصيب احد أبنائه. فيجيبه والدها: « تراها، أجتك عطا ما وراها جزا». و تظل البنت على اسم الطفل الذي طلبت له حتى سن البلوغ، ثم يعقد قرانها.

## الزواج المبكر:

من أسباب الاهتمام بالزواج المبكر للأبناء، أن المجتمع يعتبر الزواج سترة للبنات. و لذلك يقولون: “دور لبنتك قبل ابنك.” و يحثون الشاب على الزواج المبكر لأن ” الزواج نصف الدين “، و يقولون عن الشاب الذي ينوي الزواج: ” يريد ان يكمل دينه “. هذا عدا عن الأسباب الاجتماعية و الاقتصادية التي تجعل الناس يحبذون الزواج في سن مبكرة ، ويمكن تلخيص هذه الاسباب فيما يأتي:

1. إكثار النسل ، و التباهي بكثرة الاولاد ، فهم عزوة الرجل. «من خلف ما مات»، «بيت رجال و لا بيت مال». و الناس تهاب الأسرة كثيرة الأولاد. فالأبناء يعملون هيبة لأهلهم ، و يرفعون من قدرهم بين الناس. و الرجل ينادونه باسم أكبر أبنائه، فيقولون «أبو فلان» وعندما يكبر الابن يصبح سندا لأبيه ، لذلك يقولون: «إذا كبر ابنك خاويه» و «لن طلع ذقن ابنك، زين ذقنك»

2. الرغبة في إنجاب الأولاد ، بهدف زيادة الأيدي العاملة. في البيت للمساعدة في توفير مصادر العيش ، كالعمل في الزراعة او في المهن الحرة ، او العمل في المحاجر و البناء، وغير ذلك. أما الزوجة التي لا تنجب فيقولون عنها: «شجرة بلا ثمرة قطعها حلال». 3. العناية بالأهل في كبرهم. فهم يحبذون الزواج المبكر ، لكي يصل الأبناء سن الرجولة قبل ان يهرم الوالدان ، لكي يقوموا بواجبهم تجاه الاهل ، في حال أقعدهم العجز او المرض.

4. لتجنب الأبناء الغواية، و الانحراف عن الطريق السوي. فالزواج يعصم الشاب و البنت من ارتكاب الخطأ و تحمل نتائجه غير المحمودة.

## سن الزواج:

عندما نتحدث عن الزواج المبكر، فذلك يعني ان سن الزواج المتعارف عليه هو سن البلوغ. فمتى بلغ الشاب او البنت يكون مهيناً للزواج ، و يبدأ الاهل بالبحث عن الزوجة المناسبة لابنهم.

و بشكل عام يمكن تحديد سن الزواج بالنسبة للشباب ما بين السادسة عشرة و الثانية والعشرين. و من النادر ان يتجاوز سن الزواج هذا العمر او يقل عن ذلك.

و اما بالنسبة للبنات ، فيتراوح ما بين الثالثة عشرة و السابعة عشرة، و قد يزيد على ذلك أو ينقص، و لكن في حالات نادرة ، و هناك من الفتيات من تزوجن في سن الثانية

عشرة، وربما أقل. وفي حالات معينة لم يكن يدخل عليها زوجها الا بعد مرور سنة او أكثر ، حتى تكون كاملة البلوغ. وفي بعض الأحيان كانت الفتاة تنام في فراش حماتها \_ لإبعادها عن زوجها \_ الى ان يكتمل بلوغها ، ويسمح لزوجها بمشاركتها الفراش.

## اختيار العروس:

يفضل الأهل ، عادة ، اختيار العروس من الأقارب للمحافظة على وحدة و أفراد العائلة الواحدة وتماسكها. «عليك بالطريق لو دارت و بنت العم ولو بارت» «لط خدادك من طين بلادك» وهذا يعني اذا لم تكن ابنة العم ، فعلى الأقل من البلد نفسه.. اي أن لا يتزوج غريبة. «يا ابن العم لا توخذ غريبة ، قساولنا ولا قمح الصليبية.» «بنت العم بتصبر عالجفا ، أما الغريبة بدها تدليل.» و حتى لو رغب الأهل في تزويج ابنتهم من شخص خارج العائلة فالمثل يقول: «ابن العم بطيح عن ظهر الفرس.» اي أن له الأحقية في الزواج من ابنة عمه، يسانده في ذلك جميع افراد العائلة.

و رغم تفضيل ابنة العم ، فإن هذا لم يمنع الزواج بين العائلات المختلفة في البلد الواحد، وأحياناً من خارج البلد أيضاً.

### أما عن الصفات الشخصية التي يحبذونها في الزوجة:

1. يفضل الناس الفتاة الوديدة الهادئة على أن تكون ذات جمال و أخلاق، وفي كثير من الأحيان يأخذون البنت على صيت امها. «إقلب الجرة على تمها بتطلع البنت لأمها».
2. أن تكون صغيرة السن ، بحيث يربونها على أيديهم كما يقولون و يطبعونها بطباعهم و عاداتهم ، حتى تكون مطيعة للأسرة التي انضمت اليها.
3. أن تكون قوية البنية ، صلبة العود ، بحيث تتحمل مشاق العمل. فالزوجة تعني أيضاً إضافة عضو عامل للأسرة. فكان على العروس ان تنهض في صباحية دخلتها لمشاركة حماتها في اعمال البيت.
4. ان تكون ممتلئة الجسم ، واسعة الحوض ، بحيث تكون قادرة على تحمل آلام الحمل والولادة و الرضاعة.

5. ان تتقن أعمال البيت من عجين و خبيز في الطابون ، و غسل و طبخ. بالاضافة إلى عملها خارج البيت في الزراعة و الحصيد ، و جمع روث البهائم لتزليل الطابون ، و جمع الحطب. فالفتاة التي تكون حزمتهما من الحطب أكبر يكون حظها في الزواج اكثر من

غيرها ، لأنها تتحمل المشاق ، و تصبر على التعب. ولذلك يقولون في إحدى الاغاني:  
يا ماخذين البيض والبيض غنّاج      والسّمرا تشيل الحمل قنطار وشويّة

## طلبة العروس:

تذهب الأم أو إحدى قريبات العريس لتنفذ العروس عن قرب ، و تتعرف عليها جيدا ، فإذا راقت لها ، و تمّ التفاهم مع أهلها ، يبدأ الاستعداد لطلبة العروس. من المهم ان نذكر أن العروس لم يكن يؤخذ رأيها على اعتبار أن الأهل أدرى بمصلحتها ، و ينطبق الشيء نفسه تقريبا على الشاب. و بسبب عدم الاختلاط بين الجنسين ، فهو لا يعرف الفتاة التي سيخطبها ، الا من خلال امه او إحدى قريباته ، التي تعلمه رأيها في العروس و هو يقرر رأيه بناء على ذلك. و غالباً ما يوافق على اختيار اهله، و حتى لو اعترض ، فإذا لم يقتنع الأهل باعتراضه ، فرأي الأهل هو الذي يفرض في النهاية على الشاب.

بالنسبة للفتاة فإن أهلها يُعلمونها فقط أنها طلبت من فلان، وانهم وافقوا على ذلك. وهي لأنها لا تعرف الشاب ترجو من الله ان يكون هو فارس الأحلام الذي يراود خيالها. وتبدأ تتسقط أخباره لتعرف شيئاً عنه، دون أن تجرؤ على الاقتراب منه أو التحدث معه.

و كان لا يسمح للخطيب بروية خطيبته أو محادثتها حتى ليلة الدخلة ، لذلك يقولون: «العروس في مجالها ما بتعرف مين بتولاها» و قد اخبرتني إحدى النساء، وهي متقدمة في السن ، انها التقت بخطيبها في الشارع و جها لوجه، فارتبكت، ولم تدر ماذا تفعل. ارادت ان تهرب منه ، ولم تجد مكاناً تلجأ إليه ، فانتحت جانبا من الطريق ، أدارت له ظهرها. غطت وجهها بكلتا يديها إلى ان ابتعد عنها، و عادت مهرولة إلى بيتها.

كان والد العروس يستشير أقاربه قبل أن يعطي كلمة لأهل العريس المتقدم لخطبة ابنته ليعرف اذا كانوا موافقين ام لا ، او إذا كان هناك من يريد ان “يتبدى” في طلب ابنته. في إحدى المرات طُلبت ابنة رجل لأحد أبناء البلدة من خارج الحامولة، و لأن المتقدم كان غنياً، وافق والد الفتاة أن يعطيه دون استشارة أقاربه. فهبت العائلة كلها معترضة على ذلك ، واضطر نزولا عند رغبتهم، على عقد اجتماع في ديوان العائلة وطرح عليهم السؤال التالي: «من منكم يريد لها لابنه؟»، فلم يتقدم أحد. فصرخ قائلاً: «لماذا تقفون في طريق ابنتي ما دام لا احد منكم يريد لها لابنه؟» فصار كل واحد منهم يسوق حجة ، بان ابنه ليس مستعداً بعد للزواج. فقال غاضباً: «و الى متى علي ان انتظر حتى يكون احد ابنائكم مستعداً للزواج؟ اي منطق هذا؟»

و خرج من الاجتماع غاضبا ، وزوج ابنته من حامولة ثانية ، وهذا مثال على مدى العصبية العائلية.

بالاتفاق بين العائلتين المتصاهرتين ، يحدّد موعد لطلبة العروس. يقوم والد العريس بدعوة بعض الأقارب لمرافقته ال بيت والد العروس الذي يجمع بدوره عدداً من أقاربه ليكونوا في استقبال الضيوف.

يبدأ الحديث عادة ، والد العريس أو وجيه عائلته مخاطباً والد العروس: «يا أبو فلان احنا جينا نزوركم وإلنا طلب عندكم.» يرد والد العروس قائلاً: وصلت. «او حياكم الله في اللي تطلبوه.»

فيكمل: «احنا طالبين القرب منكم. بدنا ايد بنتكم فلانة لابننا فلان.» فيرد قائلاً: «بحصل إلنا الشرف.. يا ريتها مبروكة.»

بعد ذلك تقدم القهوة و الحلوى، بالإضافة إلى كأس من الخمر عند المسيحيين ، وتطلق إحدى النساء الزغاريت:

يا ريتها مباركة  
كما بارك المسيح  
أو: كما بارك محمد  
بالسبع بركات  
ع الخمس خبزات  
ع جبل عرفات

بعد ذلك يبدأ التباحث في موعد الخطبة و لوازمها، وكسوة العروس ، وما الى ذلك. كما يتم الاتفاق على قيمة المهر، أو الفيد عند المسيحيين ، وكان يتراوح ما بين 20 إلى 50 جنيهاً فلسطينياً ، و في حالات نادرة يصل إلى مائة جنيه. واستعداداً ليوم الخطبة ، يتم شراء ثوب و خرقة و زوج من الأساور الفضية و قندرة إضافة إلى خاتمي الذبلة و بعض أدوات الزينة.

## الخطبة:

يتجمع أقارب العريس في الموعد المحدد للخطبة ، ثم يتوجهون إلى بيت والد العروس ، تتبعهم النساء بالغناء و الزغاريت. و يأخذون معهم رأساً من السكر على شكل مخروطي ، و معه الحلوى و الملابس والمشروب و القهوة و القضامة الصفراء و الدخان الهيشي. يستقبلهم أهل العروس و أقاربهم بالترحاب و المهااة ، و بعد استراحة قصيرة و قبل شرب القهوة ، يقول والد العريس او كبير العائلة موجها حديثه لوالد العروس و أقاربه: “يا أبو فلان، الله يمسيكم بالخيرات و قرابيك، و عموم الموجودين. احنا اولاد عمكم و قرابيكم و اولاد بلدكم جينا في هذه الجاهة لبيتكم العامر طالبين منكم الحسب و النسب ، بدنا بنتكم فلانة إلى ابننا فلان ”.



فيرد والد العروس أو وجيه عائلته: «اهلا و سهلا فيكم ، الصبي ابنكم و البنت بنتكم ، و يا ريتها مبروكة عليكم».

او يردون بصيغة اخرى: «مرحبا بكم في اللي تطلبوه.. بنتنا على حسابكم.. ويا ريتها مبروكة».

بعد ذلك يقرأ الجميع الفاتحة ، و عند المسيحيين تتلى صلاة قصيرة من قبل الكاهن ، يبارك خاتمي الخطبة ، و يقوم بتلبيسهما للعروسين. ثم تقدم الضيافة التي احضرها اهل العريس و خلال ذلك يبارك الطرفان لبعضهما ، و تطلق النساء الزغاريت و الاغاني.

و تدفع قيمة المهر المتفق عليه او قسم منه، ويتم دفع الباقي قبل خروج الفتاة من بيت والدها. و في الغالب يتم كتابة عقد الزواج في يوم الخطبة. أما عند المسيحيين فيدفع الفيد عند الرضوة اي في بداية العرس.

و قد تم الإتفاق بين الطوائف المسيحية في البلدة بعد نكبة 1948 ، على تخفيض قيمة الفيد الى ستة دنانير اردنية فقط وذلك بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية و قلة الاعمال. و فيما بعد تم إلغاء الفيد نهائياً، و انما يوضع مبلغ غير محدد من المال في منديل ” صرة عرب“ كما يسمونها، تقدم إلى والد العروس في الرضوة ، و الذي يعيدها بدوره بعد المباركة إلى العريس، أما عقد الزواج فتتم كتابته في أثناء الإكليل في الكنيسة.

### بعض الاغاني و المهاهة في الخطبة:

يا فلان شمسِ الضحى	طلبُ عروسِ و ما استحي
يومنّه سمعّه بيّه	بفِيدِ العروسِ انتخى
يا فلان شمسِ الضحى	طلبِ عروسِ و بالديبوس
يومنّه سمعّه بيّه	انتخى بفِيدِ العروسِ
طيرِ غربيّ البلدِ هدّا	قلتِ يا فلانِ تعِ تغدّي
قالِ ماشِ اليومِ لغدّا	
طيرِ غربيّ البلدِ طايرِ	قلتِ يا خالدِ ليثِشِ دايرِ
دايرِ عَ غزاليِ دايرِ	

يا هالدار طوبة على طوبة  
يا هالدار جالس على جالس  
عمرها فلان بالخطوبة  
عمرها فلان بالعرايس

واحد قبلتي لُخرى شمالي  
فلان يطلّع البيض الملاح

يا هالدار إلك بابين تفتُح  
واحد يطلّع الشبان منه

و سنونك البيض مثل الثلج محسوبة  
وبنت الأجاويد لابن لكرام مخطوبة

فلانة وقع خاتمك في دقة النوبة  
والخيل صارت مسروجة ومركوبة

مهاهة:

وقراية الحميد فيها  
اللي خطب فلان فيها

يستاهل الرب راية  
سيسة سعيدة يا ربي

مهاهة:

والمى عليه جاري  
ما يعلى على نسبهم عالي

تفاحنا بياري  
واحنا ناسبنا السواخرة

مهاهة:

خلوا المهني يهني  
ما خيب الله ظني

افتحوا باب الدار  
وأنا طلبت من الله

صندوق صدري أنجر من عقب ما اتكسر  
و انا فرحانة ع هذا اليوم بتحسر  
لا ما لاقينا غاليات الطلب  
يا بيها يسوى علايق ذهب

الحميد لله صبر قلبي ولا قصر  
سبحان من خلى نجوم الليل تتفسر  
يا ما مشينا من بلد لبلد  
يا ما طلبنا فلانة من بيها

لما وصلنا دار ابوك يا مليحة  
لما وصلنا دار ابوك يا زيني

واحنا ذبحنا عالطريق ذبيحة  
واحنا ذبحنا عالطريق كبشين

ظليت داير على لجواد تناسبهم  
وانت تعزوا النسب والا تهينونوه  
يا شمس لا تطلعني من روس الجبال  
وأهلك يا فلانة على راسي و عيني  
وأهلك يا فلانة على راسي و عويناتي

لما رماني الهوى على مصاطبهم  
واحنا نعز النسب و السيف من دونه  
واحنا النسب عندنا زي الذهب غالي  
واخذتك ع الأصل ما هو على الغية  
واخذتك ع الأصل ما هو ع الغيات

بعد الخطبة يبدأ الاستعداد لاسبوع العرس. وأول ما يقوم به أهل العريس ، هو شراء جهاز العروس الذي يتكون في الغالب من:

1. ثوب حرير مطرز بالقصب (كسر فضة) و قبة مطرزة تلبس في يوم الزفاف ، والمناسبات المشابهة. و يلبس تحت الثوب قميص مكشكش.
2. ثوب مخمل (رسمي ايضا) .
3. ثوب حبر (عملي) .
4. حزام حرير ملون، او ما يسمونه (شداد) يلبس على الوسط.
5. تقصيرة مطرزة تلبس فوق الثوب.
6. خرقة حرير تلبس فوق طاقية مطرزة في وسط الراس او شطوة.
7. قندرة.
8. غيارات داخلية.
9. قلادة من كبش القرنفل ذات رائحة زكية تلبسها العروس في الحنة و الطلعة. و بعض ادوات الزينة المتعارف عليها في ذلك الحين ، كالعطر و الكحل و ما شابه.
10. الصيغة و هي عبارة عن عدد من الاساور الفضية مع خاتم فضة و حلق، و صليب للعروس اذا كانت مسيحية.

اما كسوة العريس فهي تتكون من:

1. قمباز من الصوف.
2. حزام او شملة تربط على الوسط.
3. جاكيت.

4. طربوش (تم استبداله بالحطة و العقال في عام 1936-1939 بأمر من قيادة الثورة الفلسطينية).

هذا بالإضافة إلى شراء بعض الثياب لام العريس و اخواته وام العروس ايضا.

## اسبوع العرس:

غالبا ما كانت تقام الأعراس في ساحة واسعة ، تحيط بها معظم دور البلد الملاصقة لبعضها بعضاً ، او في الساحة المحيطة (ببئر السيدة) و المسمى بهذا الاسم نسبة للسيدة العذراء التي شربت منه في طريق هربها الى مصر مع خطيبها يوسف خوفاً على ابنها السيد المسيح من الملك هيروودس ، الذي أمر بقتل جميع الاطفال دون السنيتين في مدينة بيت لحم. او تقام الاعراس في ساحات البيوت الخاصة إذا كانت بعيدة عن وسط البلد.

تفرش الساحة بالحصر ، و فوقها فرشات من الصوف لكبار السن، و وجّهاء العائلات. من المهم ان نذكر ان الأفراح ، كانت تتم بحضور و مشاركة عائلات البلد كلّها من مسلمين و مسيحيين، بغض النظر اذا كان الفرح لهذه الطائفة او تلك، أو لهذه العائلة او تلك ، و ان التعايش بين الطوائف ، كان في أحسن صورة ، فلم يحدث قط في تاريخ بيت ساحور ، اي نزاع على خلفية طائفية. فالشعور بأننا شعب واحد كان يطغى على اي شعور آخر. وكان هناك اتفاق ضمني ، ان لا يكون هناك اكثر من عرس واحد في الاسبوع الواحد، ليتسنى لكل افراد البلد المشاركة في أفراح أبناء بلدتهم.

و كان كبار السن يحضرون منذ الصباح الى العرس، و يقدم أهل العريس الفطور للجميع. و كان يتكون من خبز الطابون ، و الزيت و الزعتر. او العنب و التين ، اذا كان في نفس الموسم. او الزلابية اذا كان الطقس شتاء ، او مما يخرج الجيران و الأقارب إلى أهل العرس ، و هو غالبا ما يتوفر في بيوتهم مما تنتجه الارض.

و يُختار توقيت الاعراس في اشهر الصيف ، و خاصة في الليالي القمرية، اي عندما يكون القمر بدرا ، او يستعينون بنور الفنيار او اللوكس.

اما مراحل العرس فتتم على النحو الآتي:

## الرضوة:

يقوم اهل العريس، و معهم بعض الاقارب بزيارة اهل العروس قبل اسبوع من يوم الزفاف. و الغرض من الزيارة هو ، طلب الاذن ببدء العرس ،وتلبية اي طلب لاهل العروس (اذا كان هناك أي شيء ناقص من حقوقها) ، و دفع الفيد المتفق عليه ، بالإضافة إلى

ليرة العم و ليرة الخال و كذلك العمّة و الخالة. يقول و جيهه عائلة العريس ، او والده: “ احنا يا نسايبنا جايين نرضيكم في كل اللي تطلبوه منا ، و نستأذنكم نتمم فرحنا و فرحكم ، بنتكم ما بتتقدر عندنا بمال ، و لو قدمنا وزنها ذهب، لأن الروح ما بتتثنم ، و اللي بيجود عليك بأربعة و عشرين ضلع، بتجود عليه بكل المصاري ، واحنا علينا نقدم واجبنا زي كل الناس. “ ثم ينهض و يقدم المبلغ المتفق عليه الى والد العروس الذي يرد عليه بكلمة ترحيب ثم مباركة.

ثم تبدأ الزغاريت و الأغاني التي نقتطف منها الابيات التالية:

خطب و اتجوز من حاله      عقبال فلان عقباله  
يُخطب و تعمّر دياره  
خطب و تجوز من يدّه      عقبال فلان على حدّه  
يخطب و يعمر محلّه

يا محلي فيد العرايس      يا محلي فيد العروس  
يا فلان نقي المليحة      يا بيّه عدّ الفلوس

مشطك وقع في الطبلية يا نشمية      بيك رضي والا نزيده ميه  
بيي رضي ما هو طلاب للميه  
مشطك وقع في الطراحة يا فلاحه      بيك رضي والانزيده لاحه  
بيي رضي ما هو طلاب للاحه

## بداية العرس:

يبدأ يوم الأحد أو الاثنين بعد أن يعودوا من رضوة العروس إلى بيت والد العريس. يديرون النار بمعنى بدأ العرس. تقف أم العريس أمام البيت و تهاهي قائلة:

افتحوا باب الدار      خلّوا المهني يهنّي  
وانا طلبت من الله      ما خيب الله ظني

و يبدأ الناس بالتوافد على بيت العريس ، و تكمل أم العريس غناءها ، داعية الناس

لمشاركتها فرحتها و النساء تردد وراءها:

جَدّ الفرح لينا يا مين يهنينا والفرح عادتنا وعادة اهالينا

يا موت خلينا نفرح باهالينا

وتفرح النساء من الجوار يشاركن ام العريس غناءها:

تعالوا هَنُوني يا كل أهلي تَجَوَّزوا واجوني سند ظهري

انشالله بيظلولي سند ظهري

تعالو هَنُوني يا كل الناس تَجَوَّزوا واجوني ناموس الراس

انشالله بيظلولي ناموس الراس

ثم تغني النساء مخاطبات ام العريس:

تَسْتَاهلي يا أم العريس هالفرح

تسْتَاهلي نَغْنِي عَ باب دارك

ونظّل نَغْنِي تِيلِيح الصبح

يا شاب فلان يا حبيب الصبح

يا كبش قرنفل عَ صدير الملاح

بينما تمضي النساء في غنائهن داخل البيت ، يجلس الرجال في ساحة البيت ، بينما يأخذ الشاعر الشعبي مكانه أمام كانون النار، و بيده الريابة ، ليحميها وقت الحاجة ، وعلى النار دلات القهوة ، يقوم احدهم بتصفية القهوة من دلة الى اخرى ، وكل ضيف يأتي ، تصب له القهوة السادة ، و يقدم له دخان الهيشي ، او يملأون علبته بالدخان.

يبدأ العرس عادة يوم الاثنين ، وضمن برنامج يتكرر طيلة ايام الاسبوع. وتبدأ سهرة العرس بوصلة الشاعر الشعبي الذي يروي احدى القصص الشعبية ، وغالبا ما تكون تغريبة بني هلال. يبدأ الشاعر حديثه قائلا: «النبي شفيع لمن صلى عليه ومن رَوَّق الديوان رحم الله والديه».

ثم يستأنف قائلا: «قال الراوي عن بني هلال ، أهل الطعن و القتال،والسيوف الثقال ، و الرماح الطوال، ضرابين السيف ، طعمامين الضيف، راحوا تحت طبايق الارض يا حيف. ثم يبدأ بسرد حكايته على انغام الريابة. و أثناء ذلك ، تدار القهوة السادة مع الدخان الهيشي ، و التمباك للأراجيل على الضيوف الجالسين على فراش أرضي في ساحة امام بيت العريس، و يدور صبي او شاب على الحضور يحمل البص في ملقط قائلا: «نار... نار» لمن يرغب من مدخني الاراجيل ، و أحيانا يحمل كيلة ماء ، يدور بها على الضيوف لمن يرغب في الشرب. و ينهي الشاعر وصلته بعد ساعة او اكثر قائلا: «طق غزالها و الرشذ فالها». على ان يستأنف حكايته في الليلة القادمة و ما يليها.

## السامر:

بعد الشاعر ياتي دور السامر. ينقسم المشاركون إلى فريقين متقابلين. كل منهما على شكل نصف دائرة. يغني الفريق الأول الشطرة الأولى من بيت الشعر مع التصفيق والانحناء قليلاً إلى الأمام في آن واحد ، ثم العودة إلى الوضع الطبيعي المستقيم. ويرد الفريق الثاني بغناء الشطرة الثانية من البيت مع الانحناء بنفس الطريقة.

يبدأ الغناء بصوت هادئ خفيض ، ثم يشتد حدة وحرارة مع الاستمرار في الأداء.

يبدأ الفريق الأول: «يا ام العريس مبارك ما عملتيه».

يرد الفريق الثاني: «جوخة جديدة وبنت كرام أخذتيله». ويكررون البيت الواحد مرتين،

و يستمر الغناء على الوتيرة نفسها حتى نهاية السامر.

جوخة جديدة و بنت كرام أخذتيله  
 مرشوقة بالعطّر و المسك فواح  
 لن عشت يا دار بالحنا لحنيك  
 لولا هوى صاحبي ما عدت انا جيهنا  
 مية سواقي و جالبها كحيل العين  
 واحنا نكيد الاعادي وين ما رُوحنا  
 واحنا رماح القنا تعكزت فيها  
 ما ينزل الوسط غير النذل و الخايف  
 ولن عجعج الحرب بالبارود نحميها  
 شوفك يزيل التعب و الهرج يسلي  
 شقّاق ع بلادكم بدي رفق ثاني  
 تمنّي اصلي صلاة العصر وأجيبك  
 وأمبارح العصر شفت اللي اشترى منك  
 فنجان واحد مع الدلال يسواها  
 محبوبي هالزَيْن و صغير يوازِنهم  
 يا من درى اتجوزن والا كما هن  
 سوسحن عقل العزب راحن و خلينه  
 يا ازناق صبة ذهب دقة عثمليه

يا ام العريس مبارك ما عملتيه  
 مرشوقة بالعطّر يا دار لفراح  
 يا دار يا اللي تلملم شملنا فيك  
 يا داركم عالية محلّى النزول فيها  
 يا دار قوم عالي تسقى العليل منين  
 واحنا ونحنا واحنا اللي تنحنحنا  
 واحنا كبار البلد واحنا كراسيها  
 واحنا الغطارف و منزلنا على طارف  
 وبلادنا المشرقة واحنا الشباب فيها  
 يا حبي لولا الرفق ما جيت متعني  
 يا حبي لولا الرفق ما جيت وحداني  
 يا قهوجي ظبب بنك مع فناجينك  
 بنان بنان بدي رطل من بنك  
 ثلث فناجين في الحفرة دفناها  
 ثلث محابيب محبوبك انو منهم  
 ثلث بنيات عالبيدر يغربلن  
 ثنتين يمشن سوا ع الجسر عدينه  
 ثنتين يمشن سوا صبحه و صبحية

مسيك بالخير ياللي ما حدا مساك  
مسيك بالخير مسيلي عليه مسي  
مسيك بالخير مسيلي عليه بالخير  
مسيك بالخير مسيلي عبو صالح  
مسيك بالخير مسيلي ع بو حنا  
يا مركب في البحر يضرب يمن وشمال  
يا مركب في البحر حارت لواليبيه  
لن هود الليل حملنا مطايانا  
لن هود الليل حملنا وزملنا  
والخاتم اللي وقع في البير اله رنه  
لا تحسبي يا بنت كل الرجال رجال  
لا تحسبوا كثرنكوا تغلب شجاعتنا  
في خاطري فيك لكن مستحي منك  
شباب قوموا العبوا و الموت ما عنه  
يا صاحب الطير قوم اسهر على طيرك  
والزوين و الزين حياالله بلاد الزين  
والزوين من لذته بلاده سكانها  
والزوين زي السرو يهتز من طوله  
والزوين زي الذهب جوا الدكاكين  
والزوين زي الحلاوة في الورق ملفوف

### يا ظالوم

ما ادري انت عالبال و الا غيرنا مساك  
خطف عقيلي و حطه في قصب مصي  
خطف عقيلي و حطه في جناح الطير  
رجال طيب و في رد الجواب فالج  
رجال طيب في رد الجواب عنا  
من فوق صدر المليحة يمرح الخيال  
محبوبنا اللي في السفر يا ربنا تجيبه  
كاسس الهنا نشربه و السم لعदानا  
شط الشريعة و بيت ساحور منزلنا  
و اللي سمع رنته مضمون اله للجنة  
فيهم صميدع و فيهم في الحرب ذلال  
بالسيف من و سطكوا نطلع جماعتنا  
يا ابو شنيل ذهب يرهج على سنك  
والعمر زي القمر ما ينشبع منه  
اسهر عليه بالعلف ليصاحبه غيرك  
و الكحل في العين خلانا نقع و نميل  
صمنا عن الزاد والمية سليناها  
شهرين واربع ليالي جدلة شعوره  
يستاهل الهوش عنه بالسكاكين  
لن عشت يا صحبي غد الضحى بتشوف

تحت ظل القطيفة فوق ريش النعوم  
علي سافرت يا عين ما ودري شوتجيبه  
فلان جحش الحطب حملن يا ساحوريات  
ع اللي سافرت يا عين ما ودعت رفقتها  
فلان خطب و تجوز قوموا تانغيله  
وازرع خووخ مع رمان مأكول السلطين

يا ظالوم يا ظالوم وين الزينة تنوم  
رفرف الصقر وين علق في مخالبيه  
رفرف الصقر وين ع الخشب يا بنات  
رفرف الصقروين تعلق على باب طاقتها  
والرمان فوق العين قوموا تانغيله  
وهي يا زارع الرمان وازرع في البساتين



خَلَى الزين يتدرج يخطر ع سواقينا  
 زين البنات لا توخذ دور على الأصلية  
 زين البنات لا توخذ دور ع هاليها  
 خاطري بعشرتك قبل التجيبي ليعال  
 خاطري بعشرتك يا ام الحلق والذبله  
 خاطري بعشرتك يا ام الحلق والخرقه  
 خاطري بعشرتك قبل تجيبي لولاد  
 في مصر هالبعيدة وما بعثلي سلام  
 سلموا تسلموا واكثر سلامي اليه

وهي يا زارع الرمان وازرع سهل واديها  
 لا يا باحش التينة وابحش على القرمية  
 لا يا باحش التينة وابحش ع قراميهها  
 هي هي راعي هي بقرة من شمال  
 هي هي راعي هي بقرة من قبله  
 هي هي راعي هي بقرة من شرقا  
 هي هي راعي هي بقرة جنب الواد  
 صاحبني في المدينة غايب وله زمان  
 صاحبني في المدينة سلموا لي عليه

ثم تبدأ وصلة جديدة هي (يا حلالي يا مالي) ، حيث يقوم المغني بترديد البيت الواحد مرتين ، وفي كل مرة يرد الآخرون (يا حلالي يا مالي) :

يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي  
 يا حلالي يا مالي

يا حلالي يا مالي يا ربعي ردوا علي  
 وانا رايح و مروح وملقي درب الشامية  
 لاقتني بنت العويل وحاملة سعين المية  
 قتلها خية وخية واسقيني شربة مية  
 قالتلي اشرب وتدردي يا ريتها سم وقحيه  
 وانا رايح و مروح وملقي درب الشامية  
 لاقتني بنت الخير وحاملة سعين المية  
 قتلها خية وخية واسقيني شربة مية  
 قالتلي اشرب واتهنأ يا ريتها صحة وعافية  
 يا حلالي يا مالي يا ربعي ردوا علي  
 يا حلالي من حلاه و عيوناه سود مكمله  
 ولاحيا يا بنت لاحيا ام حدود التفاحة  
 ولو حطوكي في السما لصير حمامة بجناحا  
 ولو حطوكي في البحر لصير سمكة سباحة  
 ولو حطوكي في الصندوق لصير للقفل مفتاحا  
 وعلى ما قال القوال وقال بيوت تسر البال

يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي  
يا حلالي يا مالي

وعلى سنان بن ياسين وسايح في روس الجبال  
وسايح في هوا عذبا و عاملي حاله جلال  
قوم اجت ع بو عذبا ونهبت جميع الحلال  
يا عذبا بتصيح بتليح وما عندي غير الجلال  
وهذا سيف لبويا وان كان بتذبح يا جلال  
وهذا رمح ل بويانا وان كان بتطعن يا جلال  
وهذا درع لبويانا وان كان بتلبس يا جلال  
وهذا مهر لبويانا وان كان بتركب يا جلال  
وركب الجلال وصفق وسبق في أول الحلال  
قال الحادي يا ابا ردا البوش من غير قتال  
ردوا لي ناقة عذبا هالتغاوى في لعقال  
تسوى هيلي واهيك وحتى الماتوا من زمان  
وتسوى من هانا قبلة لقبّر محمد يا صبيان  
وتسوى من هانا شاما لكل من فتح له دكان  
وتسوى من هانا غربا ليافا إم البرتقان  
وتسوى قمح المشارق منقى وخالي من الزوان  
ورد البوش بطعن وهوش وطعن يشيب للرضعان

الدبكة: بعد السامر ياتي دور الدبكة على انغام الشبابة. و على لحن الدلعونا.. وهي للرجال فقط. وهناك ايضا الدبكة النسائية التي تقوم بها النساء وحدهن داخل البيت ، ومن اغاني الدبكة النسائية:

تمشي الذرى الذرى لخوف يشوفوها  
واللي جوزها نذل ترخي السوالف ليش  
وتسيح مع العرب و تصير بدوية  
مجروح جرح الهوى يا مين يداويني  
عسى يطيب الجرح من شربة المية  
و مرشوقة عالصدر خرفان و نعاج  
والسمرة تشيل الحمل قنطار و شوية

يا شوفة شفيتها ع حيطان ابوها  
يا شوفة شفيتها تعبى القطن في الخيش  
تترك بيوت الحجر تسكن بيوت الخيش  
يا شوفة شفيتها بين البساتين  
ويا حاملات القرب ميلن واسقيني  
يا شوفة شفيتها بتخبز على الصاج  
يا ماخدين البيض والبيض غناج

وعراس خد البننت علقت انا روجي  
لما يغيب القمر و نتعلل شووية  
ع راس خد البننت علقت انا كمي  
وحط خوات أربعة والشايب رهنية  
ع راس خد البننت علقت انا كمي  
لما يغيب القمر ونتعلل شووية  
والسر اللي بيننا ويش وصله للغير  
وان كان ما في حبر هيلن يا عيني  
من يوم غاب الولف ما شفت يوم أبيض  
ترد الولف عالولف سبعة زمنية

يا شوفة شفتيها عالبير بتحوجي  
سايق عليك النبي يا بنت لا تروحي  
يا شوفة شفتيها عالبير بتملي  
والله لن جازالبدل لبدلك بمي  
يا شوفة شفتيها بتقتس وبتلمي  
سايق عليك النبي يا بنت لا تظن  
يا شوفة شفتيها تلقت في أرض الدير  
وان كان ما في ورق لكتب ع جنج الطير  
يا شوفة شفتيها تلقت حنون أبيض  
قصاد رب السما أبو العلم لبيض

يومن خطبوها يا دمع عيني سالت  
يومن خطبوها يا دمع عيني سالت  
فلانة يا لمليحة سوسخت عزبنا  
فلان يا بو الحطة سوسخت بناتنا  
فلانة يا أم اللبس سوسخت عزبنا  
فلانة يا ما شالله سوسخت عزبنا

شالت شالت شالت حملت وشالت  
شالت شيلوها ع حيطان ابوها  
شالت على ريحا وحطت على ريحا  
شالت على يطا وحطت على يطا  
شالت على القدس وحطت على القدس  
شالت ع رام الله وحطت وحطت ع رام الله

و يستمر العرس طوال الاسبوع على هذا المنوال ، حتى يوم السبت و هو اليوم الاخير  
قبل الزفاف.

### الحنة:

تقوم النسوة بجبل الحنة بعد ظهر يوم السبت ، يصاحب ذلك الغناء و المهاهة و من  
امثلة ذلك

مهاهة:

صندوق قلبي إنجبر من عقب ما إتكسر  
وانا فرحانة على هذا اليوم بتحسر

الحمدالله صبر قلبي ولا قصر  
سبحان من خلى نجوم الليل تنفسر

دار العريس وسبعة	والفرح عابِرٌ فيها
وأمّ العريس فَرحانة	واحنا جينا نُهنيها
يا جمَلتي يا احبابي	تعالوا عندي هَنوني
انشالله الفرح بيحيكو	وايجي على عيوني
يا جمَلتي يا أحبّابي	تعالوا عندي شويّة
انشالله الفرح بيحيكو	ويجي على عيني

فلان يا يمّه اساورِي	ما يطلَعن يا الّا ليوم الغيّة
فلان يا يمّه أساوري العتيقة	ما يطلَعن يا الّا ليوم الذّيقة
فلان يا يمّه خرقتي ع راسي	تسَلّم لي عينك يا رافع راسي

قال فلان يا يمّه الدهر ميّال	وتوكلي على الله وأنا الشّيال
قال فلان يا يمّه الدهر يعود	وتوكلي على الله وانا القاعد

ثمّه شبّيكة و الخرز ع كِمه	فلان عريس ولَبسّه يا عمّه
ثمّه شبّيكة و الخرز ع ذيالّه	فلان عريس ولَبسّه يا خاله

تستاهلي يا دارنا	حنّة وحنّي ايديا
يا اللي لميت شملنا	والخيّ مع الخيّة
تستاهلي يا دارنا	حنّة و نقش جديد
يا اللي لميت شملنا	على ليالي العيد
تستاهلي يا دارنا	حنّه واحني بوأبك
ياللي لميت شملنا	وأجو عليك ضحّابك
تستاهلي يا دارنا	كيف و شرب سيجارة
يا اللي لميت شملنا	والخيّ جوا الحارة

يا تمر حنّة يا خصاب الشجر	بقول بيّه يا قليبّي انجبر
---------------------------	---------------------------

فلان عريس وكن لَقَطْنَا الخبر  
يا تمر حنه يا خصاب القمح  
بتقول إمه يا قليبى انجبر  
بتقول إمه يا قليبى فرح

يعلم الله اليوم حنانا  
للحبايب اللي عزمناها  
يا فلان مريت من الحارة  
لن اجت عالبيت لحبسها  
ثلث ترطال اللي جبلناها  
للحبايب اللي عزمناها  
واجعل العينين نظارة  
وافتح الصندوق والبسها

من حرير الشام هالغالي

منين جايب حناتك يا فلان يا بو الزوق  
منين جايب حناتك يا فلان يا فرحان  
من كل عطار شوية فريت كل السوق  
من كل عطار شوية فريت كل الشام

حنة ولاك يا جالب الحنة  
ريحه ولاك يا جالب الريحة  
عطرة ولاك يا جالب العطرة  
لية ولاك يا جالب اللية  
فلان عريس عروسته منا  
فلان عريس عروسته مليحة  
فلان عريس عروسته شقرة  
فلان عريس عروسته شلبية

رشوا المخدة بالورد والحنة  
رشوا المخدة بالورد واليانس  
خلوا فلان يفرح ويتهننا  
خلوا فلان يفرح بالعرايس

من هو بجبل بالحنة بالهيل يا يمه  
عساه حنة يحنينا بالهيل يا يمة

طير الحمام يا عريس على حيطان امك  
طير الحمام يا عريس على مخداتك  
وانت القمر يا عريس واحنا بنات عمك  
وانت القمر يا عريس واحنا قراتك

يا قمح ديرباني يا حايط عالمية  
واتبشر يا فلان جينالك جية

يا قمح ديرباني يا حايط عالوادات

واتبشّر يا خالد جين القرابات

من هو عزمك يا بيّض يا ملاح  
من هو عزمك يا بيّض يا زيني  
من هو عزمك يا بيّض يا سُمّر

عزمتنا فلان هالولد الفلاح  
عزمتنا فلان يا كحيل العين  
عزمتنا فلان يا طويل العمر

بالهيل بالهيل يا حبّ الملبّس  
بالهيل بالهيل يا مطرق السريس  
بالهيل بالهيل يا مطرق الريحان

في عرسك يا فلان نلبس ونتلبس  
واحنّا بنات عمك يا فلان يا عريس  
واحنّا بنات عمك يا فلان يا فرحان

يا ميمة فلان فزّي حيلك قومي  
يا أم العريس وط يحي عالديكان  
يا بي خالد كلشي يحلالك  
بدري عطا والا شريّة مالك

يا شوفة ولادك تفرح المغبون  
هات الاطالس لبسي العرسان  
زين الشباب و عابرة ع دارك  
لا هو عطا ولا شريّة مالي

يا اللّ عطا من  
يا بي فلان خيلنا مربوطة  
يا بي فلان خيلنا مع خيلك  
يا بي فلان عمر وجهك ما عبس  
وحياة أبوك وتربة اللي خلفك  
سبوعه مكنة في قاع وادي

عطية الرحمن  
خيل الاعادي قيلت في الحوطة  
يا جايب القهوة يكثر خيرك  
ولا عدوك في المجالس ما جلس  
جرّ الاعادي كل سبعة في مرس  
هاتوا لسبوعه رماح فضة

لَمَنَّهُمْ يَكِيدُوا هَالْأَعَادِي

المهااة:-

بي خالد يا لولو ملاة ايدي  
نذر علي لن جوزت ابنك يا سيدي

مطعم الزاد يا خلفه لجاويد  
لقول بيتين والثالث تراويدي

فلان هالفرحة لك

والشور و المعنى لك

## وانت يا معين عقبالك

دار ابو فلان يا قلعة حديدية      طلّعوا عليها من الألفين للمية  
طلّعوا عليها عداها تيهدها      خسيت لاهم ولا داسوها

فلان خطب و تجوز      فلان على نية  
فلان بتدل      بدّه عروس شلبية

فتت عالواد وأثاري السبع في الوادي      وأثاري بيني و بين السبع ميعادي  
بي خالد ويا مطعم الزاد      غد المجالس بجيبوا سيرة اللي جاد

بعد جبلة الحنة ، يقوم اهل العرس بتوزيع الحنة على الدور، وبعد مغيب الشمس تتهياً  
النساء لمسيرة الحنة الى بيت العروس ، ولانه لم يكن هناك اضاءة ، يحملن المشاعل المشربة  
بالزيت ، لتطول فترة اشتعالها ، و اثناء سيرهن يرددن كثيراً من الاغاني بما يتناسب مع كل  
مرحلة. ويبدأن باغنية:

صبوا من جرار الزيت تنظوي مشاعلنا      الله يجير ابو فلان رداد الجواب عنا  
صبوا من جرار الزيت تنظوي السريجات      الله يجير ابو فلان رداد الجوابات  
صبوا من جرارالزيت تنظوي من مار نقولا      الله يجير ابو فلان يا فلان راعي الصولة  
صبوا من جرار الزيت تنظوي هالعقودة      الله يجيرك يا فلان طيحة وطلعة ابارودة  
صبوا من جرار الزيت تنظوي هالرعات      الله يجبر ابو فلان يا حامي ظعون البنات

وعندما يتقدمن في السير يغنين قائلات:

واحنا ذبحنا ع الطريق ذبيحة      لما وصلنا دار ابوك يا مليحة  
واحنا ذبحنا عالطريق كبشين      لما وصلنا دار ابوك يا زيني  
ثم أغنية:

يا ما ماشينا من الصبح للعصر      لا ما لاقينا طيبات الاصل

يا ما طلبنا فلانة من بيها  
يا ما مشينا من بلد لبلد  
يا ما طلبنا فلانة من بيها  
يا بيها يسوي مدينة مصر  
لا ما لاقينا غاليات الطلب  
يا بيها يسوي علايق ذهب

وعندما يقتربن من بيت العروس يغنين:

رحبونا رحبونا  
واحنا ناسبنا ثلاثة  
عادتنا نلبس حريري  
نسايب لا تزعلونا  
وانتو الرابع شرفتونا  
عادتنا اناسب الامير

وامام بيت العروس يغنين في ابي العروس قائلات:

يا بي فلان ووسع باب الدار  
معهن قهيوة ومعهن كل اشي غالي  
هاي هن جينك بنات العم زوار  
معهن حمامة تيرجم لحن عثمان

ثم تخرج النساء من بيت اهل العروس ليرحبن بالقاديات من اهل العريس  
بالمهااة:

مرحبا من طل  
خلوا عداهم وراهم  
زي الهلال لهل  
زي الورق ع التل

مرحبا بكو ثمانمية من الترحيب  
وانتو الثريا وتالي النجم كله يغيب  
تدخل النساء إلى بيت اهل العروس وهن يغنين:

شيل يا جمال شيل  
ما شلنا ما انجرينا  
عدار ابو فلان حطينا  
ابو فلان يالامير  
حيا الله ليالي الشيل  
حيا الله ليالي الشيل  
حيا الله ليالي الشيل  
حيا الله ليالي الشيل  
حيا الله ليالي الشيل  
حيا الله ليالي الشيل



حيا الله ليالي الشيل  
حيا الله ليالي الشيل  
دكان مقابل دكان  
دكاني من كل أشكال  
يومن عبر عالديكان  
يا كمامه فرط الرمان  
من السرايا للديوان  
تشبه لجفر الغزلان  
من السرايا للديوان  
والشعر لشقر متدلي  
عينين يا ساحوريات

ما يطعم يالا البندق  
والبندق و الكعبان  
هي يا مان الله يا مان  
دكانك ما فئس إشي  
شبهت أنا أبو فلان  
جاب لي ثوب الحرير  
تمشي مشي السيراوان  
تحتة زرقه صينية  
تمشي مشي السيراوان  
تمشي مشي العثملي  
دار ايده على جيبه

و بعدها مباشرة:

لما رماني الهوى على مصابهم  
واحنا نعر النسب والسيف من دونه  
واحنا النسب عندنا زي الذهب غالي  
وأختك ع الأصل ما هو على الغية  
واخذتك ع الأصل ما هو على الغيات

ظليت داير على لجواد تناسبهم  
وانتو تعزوا النسب ولا تهينونه  
يا شمس لا تطلعي من روس الجبال  
وأهلك يا فلانة على راسي وعيني  
واهلك يا فلانة على راسي وعويناتي

يا مخضبة بالحناء  
صحاب الكرم والقن  
في الشريق يحكوا عنا

صبي ابريق البناء  
وأهلك ويا فلانة  
لن فتحو اخرى ساحة

و تقوم ام العريس بتلبس العروس المصاغ مع نعمات هذه الأغنية:

منك يا ذهب جنبنا السرية  
منك يا ذهب جنبنا السراري  
منك يا ذهب جنبنا الاصيله

تدحرج يا ذهب على الصينية  
تدحرج يا ذهب على الصواني  
تدحرج يا ذهب على الحصيرة

ثم تبدأ أغاني صمدة العروس حيث يجلسونها على فرشة ارضية و النساء من حولها. و تغني قريبات العروس متفاخرات بالعروس و اهلها. و تشاركهن في ذلك قريبات العريس. و بين الحين و الآخر تأخذ الفتيات بيد العروس و ينزلنها الى ساحة الرقص فيما يعرف بأغاني (الجلوة) ، و من هذه الاغاني:

طاح المدل للغوى	عرايس ما انتنش سوا
يا فلانة من هو قدها	شيخ الشباب يا بيها
طاح المدل للبس	عرايس ما انتنش جنس
يا فلانة من هو قدها	سبع الرجال يا خيها

ميلي يا فلانة ميلي	ميلي على الجنبية
لن خرفك قوليله	بنت الدلال و الغية
ميلي يا فلانة ميلي	ميلي على الطراحة
لن خرفك قوليله	بنت الدلال والراحة

ظوا القمرع كملك يا فلانة هي	قوليلي من هو عمك يا فلانة
عمي من عيلة كبيرة يلاصيلة	عمي يسوي قبيلة الله يجيره
ظوا القمرع ذياك يا فلانة هي	قوليلي من هو خالك يا مريم هي
خالي من عيلة كبيرة يا اصيلة	يا صيته ملا الديرة الله يجيره

واحنا بنات العُلا والعلالي	واحنا اللي رافعين روس الأهالي
واحنا بنات العُلا والعلية	واحنا اللي رافعين روس الأهلية
لا تحسبونا من بنات الحارة	يا سيوف اهلنا ع العدا جرارة
لا تحسبونا من بنات الحوش	يا سيوف اهلنا ع العدا بنهوش
لا تحسبونا من بنات الشارع	يا سيوف اهلنا ع العدا بتسارع
لا تحسبونا سبل عالارض مرمية	يا الأ قلايد ذهب عالصدر مرخية
لا تحسبونا سبل عالارض مدهوسة	يا الأ قلايد ذهب عالصدر ملبوسة

وأنا رببت في دار أبوي ع دلال وع غية  
وأنا رببت في دار أبوي ع دلال وع عقل  
وأنا رببت في دار أبوي على عز وع دلال  
وأنا رببت في دار أبوي على عز وع ناموس

قوليلي عَليش رببتي يا عوينات الحية  
قوليلي عَليش رببتي يا عوينات الصقر  
قوليلي عَليش رببتي يا عوينات الغزال  
قوليلي عَليش رببتي يا عوينات الجاموس

لو حط الثمانمية ما هو ندمان  
لو حط الثمن غالي ما هو ندمان  
مبروكة على فلان ماشر خسارة

يا فلانة يا سرية في العلية  
يا فلانة يا سراري في العلالى  
يا فلانة يا نواره في القوارة

ويقمن خلال الاغاني بالمهااة في العروس و أهلها ، ومنها:

وجهك رغيف الباطية  
الله يسلمك يالاماية  
و الباطية خديك  
على حسن ما رببتي

واحنا بنات البنا  
من راد خصلة منا  
وشعورنا بتتجلى  
يجيب الذهب ويتعنى

ارفعي راسك ولا تبالي  
وراك ابوك واخوتك واعمامك  
وراك ميتين رجال  
ويهدوا الجبل لو كان عالي

يا فلانة من قدك ومن ودك  
يقول فلان تمنيت قعدة على حدك  
والورد والياسمين فتح على خدك  
واكون عطشان واروى من صحن خدك

تسناهي يا بنت الحسب و النسب  
يستاهل ابوك بوسة اللحية  
تسناهي علبة ملانة ذهب  
ومن فوقها مية ذهب

بعد ذلك تبدأ النساء بتحنية العروس على يديها حتى الكوع، وعلى رجليها حتى

الركبة. و يأخذ الحنة شكل سَبَل على الرجلين و اوراق شجر او ما يسمى ( ملاوي) او تعريق على اليدين. و خلال ذلك تقوم النساء المتقدمات في السن بغناء ( الترويدة ) وهي أغنية ذات لحن حزين لوداع العروس ، ومن كلماتها ما يلي:

يا رويدتنا يا فلانة ، يا رويدتنا يا هي  
مثل خيويتنا نحبك ، مثل خيويتنا يا هي  
من حويرتنا رحلت ، من حويرتنا يا هي  
لحويرتهم نزلت ، لحويرتهم يا هي  
خيتي يا فلانة، شعرك ع المية حبال حبال  
لانا بطوله ، ولا المية تحببه جاي  
قعدنا تنودعها، خيتي يا فلانة ، قعدنا تنودعها  
واحنا نودع ، وهي تسبل مدامعها  
ولا دمعة ولا ثنتين، خيتي يا مريم  
خيك عزيز، يضيفك ليلة الاثنين  
ولا دمعة ولا أربعة ، خيتي يا فلانة  
بيك عزيز ، يضيفك ليلة الأربعاء  
ولا تبكي تبكيني ، خيتي يا فلانة  
دمعك عزيز ، على خدك حرقيني

وامبارحة يا رويده كنت انا وانتي  
وشو السبب يا رويده تا تجوزت  
وامبارحة يا رويده كنت عند امك  
وشو السبب يا رويده اخذت ابن عمك  
وامبارحة يا رويده كنت في الحارة  
وشو السبب يا رويده لبست لسوارة

تعود النساء بعد ذلك ال بيت العريس، حيث تجري السهرة كالمعتاد في كل ليلة، و يستمر تقديم الاغاني النسائية لما تبقى من السهرة ، ومنها:

هالليلة و اخرى ليلة يا حبايب  
تجوز جمل العيلة باقي غايب

هالليلة واخرى ليلة بنات العم      تجوز جمل العيلة شملنا التم  
هالليلة واخرى ليلة حبايبنا      نستحمد الله ع جبرة خاطرنا

واجب عليك يا بنات العيلة      واجب عليك ترقصن الليلة  
جايب عروسه فوق فرس كحيله  
واجب عليك يا بنات أعمامه      واجب عليك ترقصن في داره  
جايب عروسه فوق ظهر حصانه

جينا داركو يا دار عمي      سمعنا بفرحكو جينا نغني  
جينا نغني ما استجرينا      خفنا كبيركو يزعل علينا  
جينا داركو يا دار خالي      سمعنا بفرحكو جينا نلالي  
جينا نلالي ما استجرينا      خفنا كبيركو يزعل علينا

علبة العطار جديدة      يا ملانة حندقوق  
ينصرك يا بي فلان      نصره من عند الله فوق  
ينصرك على عدوك      ما يعلى عليك مخلوق  
علبة العطار جديدة      يا ملانة ملالين  
ينصرك يا شاب فلان      و يجيبك على فلسطين  
ينصرك على عدوك      جيرة الله و الخليل

و في ساعة متأخرة من ليلة السبت ، تبدأ سهرة العود و الكمنجة. يكون عدد الحضور قد انخفض إلى أقل من النصف، ولم يتبق سوى أقرباء العروسين ، ويقدم في هذه السهرة مشروب العرق ، و يكون الضيوف من المسلمين قد انسحبوا من السهرة ، اذا كان العرس عند المسيحيين ، عندما يبدأ توزيع الخمرة.

## يوم الزفاف – زبانة العريس:

منذ صباح الأحد تجري الاستعدادات لحفل الزفاف في منزلي العريس و العروس على حد سواء.

تقوم قريبات العروس بتحميمها ، و تمشيطها و تزيينها بالكحل و العطر و بعض المساحيق و الحناء ، و يقمن بالباسها ثياب العرس ، المذكورة سابقا ، و الصيغة ايضا. و يضعن على وجهها نوعا من الورق الملون ، قابلاً للالتصاق؛ لإضفاء جاذبية خاصة للوجه ، تسميه النساء (شَرَقَ بَرَق) ، يقوم العريس بانتزاعه بمنديل بعد ان يكشف عن وجهها في المساء. كما تُزَيِّن العروس بقلادة من القرنفل ، و تضع على رأسها حزاما من الحرير ، تسدله على وجهها عندما تسير في موكب العرس. تقوم النساء خلال ذلك بتريد الاهازيج و الاغاني، يرافقها الضرب على الطبله، ثم يجلسن العروس على فراش مرتفع يسمونه الصمدة ، ويستمر الغناء.

في القنية يا ميمتي يمة	في القنية يا زارعين الورد
عالعية يا ميمتي يمه	عالعية يا مطلع العرايس
في الحاكورة يا ميمتي يمة	في الحاكورة يا زارعين الورد
ع القصورة ياميمتي يمه	عالقصوره يا مطلع العرايس
قاع الوادي يا ميمتي يمة	قاع الوادي يا زارعين الورد
ع الوسادة يا ميمتي يمه	ع الوسادة يا نايمين الليل

يا فلانة روعي تعالي	ع العالي ع العالي
كرم ابوك فيه دوالي	دليني عكرم ابوك
و تدلت عناقيده	يمه استوى عنبنا
و العروس على يمينه	يا محلى خشة فلان

يا بو عقال الموز يا ليلاه	يا بو عقال الموز يا فلان
وردة بين اللوز يا ليلاه	وردة بين اللوز يا فلانة
يا بو عقال ميال يا ليلاه	يا بو عقال ميال يا فلان
وردة في البستان يا ليلاه	وردة في البستان يا فلانة

لا تقول غريبة يا ليلاه	لا تقول غريبة يا فلان
واهلي القريبة يا ليلاه	واهلي القريبة يا فلان

لا تقولي فلاحه يا ليلاه  
 واهلي الذبحة يا ليلاه  
 لا تقول قيسية يا ليلاه  
 واهلي الساحورية يا ليلاه  
 وبيك يا فلانة كاد الرجال  
 يمشي نص الطريق يرجع يقولك  
 بيريد سلامتك مع طول عمرك  
 طول الزمان

لا تقول فلاحه يا فلان  
 واهلي ذبحة يا فلان  
 لا تقول قيسية يا فلان  
 واهلي الساحورية يا فلان  
 بياضك يا فلانة سقل العلامي  
 وبيك يا فلانة من هو قده  
 ويشو تريدي بيبي دلالي  
 بَعيش بهيبتك

لبسها خاتم ذهب وقعدھا جوا الأوضة  
 لبسها سواره ذهب وقعدھا في قصر جديد  
 فلان زارع جنينة في باب الحوش  
 والورد مفتح فيها احمر منقوش  
 مرحبا بك يا يابا لدقه دقة الحاكم

تستاهلها يا فلان بنت ست وع الموضه  
 تستاهلها يا فلان بنت ست و بنت سيد  
 من هو زارع جنينة في باب الحوش  
 يا فلانة قومي اسقيها لا تنسيها  
 يا فلانة قالت لبوها في الملعب ضاع الخاتم

واربع قلايد لبرة  
 ما فوت سبله عيونك

يا صدرها هالمعري  
 لاروح على الشام مرة

بعد الظهر بقليل يبدأ الأقارب و الأصدقاء بالتوافد إلى بيت العريس ، حيث يحضر الحلاق الذي سيقوم بزيانة العريس وإخوته، وبعض أقاربه و اشبينه.

و فيما الحلاق يقوم بعمله يستمر الغناء و الرقص الذي يشارك به النساء و الرجال وخاصة ام العريس واخواته و قريباته ، بعد ان يفرغ الحلاق من زيانة العريس ، يذهب العريس برفقة بعض الأصدقاء للاستحمام وارتداء ملابس العرس ، ويتواصل الرقص و الغناء. ومن أغاني الزيانة نختار النماذج الآتية:

يا دموع المدلل بللت كمه  
 لا توجع لي فلان عمه عزب  
 فلان هالمدلل ع مهله تيرضى

زينوا يا مزين و ناوله لامه  
 زينوا يا مزين بمواس الذهب  
 زينوا يا مزين بمواس الفضة

زينوا يا مزين بموأسر الفضة  
زينوا يا مزين تحت فأي عراق  
زينوا يا مزين تحت فأي الدير  
بالله يا مزين و بالله عليك  
فلان هالمدلل ع مهله للعصير  
يا ميمته فرحانة يا قلبها مشتاق  
يا ميمته فرحانة خواته بستنين  
كلخ مواسك وخفف أيديك  
ولا توجع لي فلان بعنّب عليك

يا عمتي يا اخت ابوي خبيني تحت الصفة  
يا عمتي يا اخت ابوي خبيني تحت الحزام  
لجا الحلاق يسايل قولوا فلان في الزفة  
لجا الحلاق يسايل قولوا فلان في الحمام

عالزينوا الزينوا زينوا  
دخيل الله و دخيلك  
حبيبي واسمه فارس  
الله و الملك الحارس  
حبيبي لما اتبسم  
الله و العذرا مريم  
اسمر ومكحل عينه  
دلني عالبيت وينه  
علمني سبع مدارس  
يحرسلي سواد عينه  
ستا عشر شقفة اتقسم  
تحرس لي سواد عينه

## زفة العريس الى بيت العروس:

عند الوقت المحدد ، يبدأ موكب العريس بالسير في اتجاه منزل والد العروس. يسير الرجال في المقدمة ، و امامهم كبار السن من اقارب العريس ، ثم العريس يحيط به عدد من الاصدقاء وهم يتأبطون ذراعيه. و تتبعهم النساء وهن يُنشدن الأغاني على ايقاع ضرب الطبله. ومن هذه الاغاني:

سيروا يا سنا جق مصر سيروا  
غسلنا ل فلان ثيابه  
خلي الزين تاينشف غسيله  
ريحة العطر فاحت من جيايه

لمين هالزفة يا حفيظ لمين  
هذي لفلان و الفرحة لينا



وسعوا المرجة تلعب خيلنا  
فلان يا خاله بالسيف قدامه  
فلان يا خيه بالسيف سبق له

و سعوا المرجة و المرجة لينا  
لابس البدلة و البدلة تحلاله  
لابس البدلة والبدلة تلبق له

خيل الاصيل واردة ع المية  
يا رجالهن قدامهن زي الوزر  
خيل الاصيل واردة ع العيلة  
يا رجالهن قدامهن فوارس  
بنلوح الخيال عن ظهر الفرس

جين الساحوريات هية بهية  
جين الساحوريات بثياب الحبر  
جين الساحوريات هيلة بهيلة  
جين الساحوريات بالاطالس  
واحنا الساحوريات ما فينا دنس

بنلوح الخيال ونركب مطرحة

حس ابو فلان ع السرايا فات  
رجاله ع يمينه زغرتي لاثهابي  
حس ابو فلان ع لبلاد وفات  
رجاله ع يمينه زغرتي لاثهابي

دقة بالهادي يا ساحوريات  
من هو ع يمينه والعرق ع جبينه  
دقة رقية يا ساحوريات  
من هو ع يمينه والعرق ع جبينه

مشايخ و لها عروضة  
تعدي على الكبش تدبح  
مجروحها ما يطيب  
من باطن لطرف خله  
لحطهم في عيوني

روضه على الخيل روضة  
سكينتك بي فلان  
مسقية السم حية  
يا هالشباب المطللة  
ميا لشباب واعجبوني

يا بو فلان يا والينا  
لركب ولايكن  
واسامينا الساحوريات

عا المينا عا المينا  
وقوم اركب ولاقينا وانا  
تمني اعرف اساميكن

ونسوى من الذهب ميات

حكم ابو فلان يا ريته يدوم

يا حال اليوم يا مال اليوم

حكم عدوه يا ريته يزول

طلع درجة نزل درجة حَكَم على الوجبة في ليلة ويوم

و يغني الرجال في مقدمة الموكب الاغاني الحماسية و هم يرقصون بالسيوف و العصي.

واحنا حطينا عالمية بالسيف نوحذ البنية  
واحنا حطينا عالوادي بالسيف نقهر لعادي

وانفتح يا بير الزيت تنظوي مشاعلنا  
الله يجير أبو فلان رداد الجواب عنا

دقوا الرمح بعود الزين وانتو يا نشامى منين  
واحنا ريع أبو فلان والنعم والنعمتين  
عالشوقية عالشوقية واحنا اولاد ساحورية  
هانا واربط باب الدير ياللي شعرك شعر الخيل  
يا حليلك يا وليد العم يومن شفتك زال الهم  
ابو فلان لا تهتم حولك شباب تشرب دم

## طلعة العروس:

عندما يصل الموكب الى بيت العروس ، يتقدم و جيه عائلة العريس و معه بعض الرجال الى حيث يقف اهل العروس امام البيت لاستقبالهم ، و يتقدم من والد العروس قائلاً: «من بعد اذنك يا ابو العروس و يا اخوتها و اعمامها و اخوالها.. اسمحوا لنا بعروستنا.» يرد والد العروس قائلاً: “ تفضلوا خذوا عروستكم.. مبروكة عليكم. ” و تبدأ النساء بترديد الأغاني الآتية:

قومي اطلعي يا فلانة يا موشحة بالسيف طولك جريد النخل بين الشتا والضيف  
واهلك عزوة قوية ديمة يحيوا الضيف  
قومي اطلعي يا فلانة يا موشحة بسلاح طولك جريد النخل يا ام العيون الملاح  
واهلك عزوة قوية نقالة السلاح

قومي اطلعي قومي اطلعي لا والله  
قومي اطلعي قومي اطلعي ويش همك  
واحنا حطينا حقوق ابوك من مرة  
واحنا حطينا حقوق ابوك وعمك

و تقاطع بعض النساء الغناء بترديد الهاهات الآتية:

خيارة	وفقوسة	طاسات	منقوشة
هذه الفرحة لفلان	قومي اطلعي حل الرواح	عقبال اخوة العروسة	والبلبل غنى والديك صاح
باب دارك صايغ واسمه صلاح		يصنع أساور ليديك الملاح	

فتردد النساء من قريبات العروس الهاهات الآتية:

ارفعي راسك يا مرفوعة الراس	لا فيك عيبة ولا بتطلعي الراس
ارفعي راسك لبيك وقوليله	احنا طاسات الذهب ومعرمة بلولو

خذوها يا الأمانة	وانتو والغانمين
هذي بنت ابو فلان	تنهدى ع السلاطين

فترد النساء من اهل العريس:

يا رب سلم بيها	يا رب كثر ماله
واطلع جهاز الغالية	عقبال ما يدخل العرايس داره

خلف الله عليك بيي فلان	بدال الخلف خلفين
يا بو منسف الريان	ومركز لحم خرفان

ثم ينشدون الاغنية الآتية موجهة لوالد العروس:

يخلف على ابو العروس	يخلف عليه من حقه
طلبنا منه النسب	اعطانا غزال منقى

يُخلف على ابو العروس      يخلف عليه خلفين  
طَلَبْنَا منه النَّسَب      اعطانا بنت زين و عين

و عندما تخرج العروس من منزلها تغني النسوة قائلات:

طل القمر من شرقا يا حليله طل      بي العروس اطلعها يا ريته يظل  
طل القمر من شرقا      حمامة من تحت خوخة  
طل القمر من شرقا      يا فلان زِرِّ الجوخة

### زفة العروس الى الكنيسة: شاة الشباب + قيس و يمن:

بعد خروج العروس من البيت يركبونها فرسا ، يمسك بعنانها احد اقرب اقربائها. يضعون في يدها سيفاً ، تحمله بشكل قائم ، مقبضه في يدها ، ونصله الى اعلى وعليه باقة ورد. وفي المسافات البعيدة كأن تكون العروس من بلدة اخرى ، كانوا يركبونها في هودج. وعندما تكون العروس غريبة كان من المعتاد ان تتم مراسم طلعة العروس حسب عادات القرية التي تنتمي اليها. فيتجمع الشباب من اقاربها و يطوقون بيت العروس لمنعها من الخروج ، مطالبين (بشاة الشباب) ، فيضطر العريس لدفع ثمن شاه الشباب لكي يحصل على عروسه. وقد يعيدون المبلغ الى العروس على شكل نقوط او يتصرفون به بالشكل الذي يرتأونه.

و في إحدى المرات ، كانت فاردة العروس قادمة من بيت جالا في طريقها الى بيت ساحور. و عند باب الزقاق وهو الحد الفاصل بين القيس غرباً ، و اليمن شرقاً، طلب اهل العريس من انسبائهم ان تخلع العروس زي القيس، وهو الوشاح الأحمر الذي يغطي رأسها ووجهها ، لترتدي الوشاح الأبيض و هو شعار اليمن الذي ينتمي اليه اهل بيت ساحور. فرفض اهل العروس ذلك ، وكادت الأمور تسوء بين الطرفين إلى حد التضارب. و تصادف مرور مجموعة رجال من جبل الخليل. فاحتكم الطرفان اليهم ، فحكموا ان تلبس العروس شعار اليمن. و التزم الطرفان بقرارهم ، فوضعوا بذلك حدا لمشكلة كادت تؤدي إلى فسخ الزواج قبل ان يتم.

قلنا بعد خروج العروس من بيت والدها ، تبدأ مسيرة العرس الى الكنيسة. يأخذ الرجال بالغناء و هم يرقصون بالسيوف و العصي امام العروس:

درج يا غزالي      يا صحن الحلاوي

درج يا حبيبي يا صحن الزبيب

ثم يهتف ادهم ويرد عليه الآخرون:

عريسنا يا رب هنية  
كثُرَ عليه النعائم  
ميتين شب تباري  
ويظل في هالعز دايم  
عفالله يا واو  
عفالله يا واو  
عفالله يا واو  
عفالله يا واو

بينما تنطلق النساء بالغناء يصاحبها الضرب على الطبلية:

ويش هالزول اللي مرق تيتكلل  
ويش هالزول اللي مرق من باب الدار  
ويش هالزول اللي مرق ع الصوانة  
ويش هالزول اللي مرق ع حارتنا  
ويش هالزول اللي مرق ع الصلاة  
هذا زولك يا فلان يا لمدل  
هذا زولك يا فلان عمّار الدار  
هذا زولك يا فلان حلو القامة  
هذا زولك يا فلان يا نصرتنا  
هذا زولك يا فلان الله معاه

يا طبعة الخاتم حمرا وتحلالي  
يا طبعة الخاتم حمرا و منقوشة  
يا طبعة الخاتم حمرا وتلبق لي  
يا صيت ابو فلان عالدرب لاقاني  
شباب السواخرة شباب للهوشة  
يا صيت أبو فلان عالدرب سبق لي

يا خضر لخضر يا علي بن علي  
يا خضر لخضر يا نبي داهود  
يا خضر لخضر يا ست السيدة  
تحرس الشباب من الحسد و العين  
تحرس الشباب نقالة البارود  
تجيبلنا الغياب من بلاد بعيدة

حي الساحورية و اهل الساحورية  
مليحة لابو فلان لا عباب داره  
واللي على يمينه يا ربنا يعينه  
خلي الساحورية تلعب لينا شوية  
فلان على يمينه و فلان على شماله  
واللي على شماله والرب يعنى به

أمام الكنيسة تهاهي ام العريس قائلة:

باب الكنيسة عالي      وانا لشرعه بايدي  
خلي قلبيه يفرح      قد ما بكت عيني

عند باب الكنيسة يقف العريس ووالده ، في انتظار وصول العروس ، التي يسلمها والدها لعريسها قائلاً: «أنا نزعنت خطبتها من رقبتي.. وخطبتها في رقابكم». فيرد والد العريس: «توكل على الله.. بنتك صارت بنتنا. وبنحطها في عينينا». بينما يقوم الكاهن بصلاة الإكليل ، يستمر الرقص والغناء و الدبكة امام الكنيسة ، حتى تنتهي الصلاة ، و يخرج العروسان وتبدأ زفتهما الى منزل والد العريس.

داخل الكنيسة، و أثناء صلاة الاكليل تقوم احدى قريبات العريس كالأم او الأخت او العمّة ، بتمرير ابرة مع خيط غير معقود الطرف من ثياب العريس الى ثياب العروس ، و تكرر ذلك عدة مرات ، كانما تخطيطنها معا، و ذلك لإفساد أي عمل او سحر ، قد يكون عمل للتفريق بين العروسين ، او لإضعاف رجولة العريس. و هي تفعل ذلك لتوحد بينهما ، و تقربهما الى بعض. و تفك اي عقدة عملت لهما.

## زفة العروس إلى بيت العريس:

يستمر الرجال بالرقص بالسيوف و العصي أمام العروس. و بين الحين و الآخر يتوقف الرجال في مقدمة الموكب ، و يعملون حلقة دبكة و رقص ، وهم يهتفون:

هانا وا ربط باب الدير      ياللي شعرك شعر الخيل  
و من الاغاني التي يرددونها كلما توقفوا:

يا حليلك يا وليد العم      يومن شفتك زال الهم  
يا حليلك يا وليد الخال      يومن شفتك همّي زال  
يا حليلك يا بو الطربوش      عشانك لسوي هوش

عشيرك يا بو سيالة      عيب على الخيالة  
أبو دقة و حجرية      عيب على الرجعية  
أبو فلان لا تهتم      حولك شباب تشرب دم

واحننا اولاد ساحورية	عالشوقية عالشوقية
نضربه بالشبرية	واللي ما يصدقنا
يطلع عالخلا ويشوف	واللي ما يطاوعنا
وحنّ سيف	ضرب شباري

دقوا الرمح بعود الزين  
واحننا ربع أبو فلان  
وانتو يا نشامى منين  
والنعم والنعمتين

ثم يهتف احدهم مغنياً ” الشوباش ” ويردون وراءه:

عفالله يا واو	بارودنا من مصر جنبناه
عفالله يا واو	ملفوف لف السيجارة
عفالله يا واو	شارب عدونا دهكناه
عفالله يا واو	كرمال عيون العذارى

ثم يستأنفون سيرهم مع الغناء وهكذا. بينما تغني النساء وراءهم اغانيهن الخاصة

، ومنها:

يا ريتك تتهنى يا بو عيون سود	من باب القيامة لباب العمود
يا ريتك تتهنى يا خي الخوات	من باب القيامة لباب الرعوات
يا ريتك تتهنى يا ريت عمرك طويل	من باب لقيامة لباب الخليل
يا ريتك تتهنى يا فلان يا فهد	من باب القيامة لباب المهدي

يا هالزقاق ذيق	ما داسته حرة
ما داسه الا فلان	حوطته بالله
يا هالزقاق ذيق	ما داسته بنيه
ما داسه الا فلان	يا نور عيني
يا هالزقاق ذيق	ما داسته دولة
ما داسه الا فلان	يا عزوته هولة

و بينما موكب العرس يسير في اتجاه بيت العريس ، تجد العديد من الناس ، يقفون امام بيوتهم ، او على اسطح المنازل في انتظار رؤية العروسين اثناء مرورهما ، فتغني لهم النساء قائلات:

صلوا ع نبيكو يا اللي على الحيطان      صلوا ع نبيكو ع زفة العرسان  
صلوا ع نبيكو يا اللي على البلكون      صلوا ع نبيكو على زفة اليوم  
وكأنها دعوة لهم لعدم الاصابة بالعين.

ويبدأ المتفرجون برش الملح على العروسين لطرد العين. ويرشون عليهم الأرز أيضا ، والذي يرمز لأن يكون قدوم العروس فأل خير و بركة لأهل العريس. ويستمر الغناء:

يا طايح السوق ماشي      يا فلانة ما هي بلاش  
ياللا بدخل الكياس  
طلعت يا فلانة تغني      من قصرها تتصلني  
ندّهت يا فلان يا عمي      يا عمي كن زال همي  
قال اطلعي لا تنهمي  
طلعت يا فلانة تلالي      من قصرها هالعاللي  
ندّهت يا فلان يا خالي      يا خالي زادوا دلالي  
قال اطلعي لا تبالي  
طلعت وشاشي يهافي      قال اطلعي لا تخافي

هي يا حاملة الجرّة حطي عالعين      هذي الدرب الطويلة بتودي وين  
بتودي على يافا وع وادي حنين      فلان جايب عروسة يا ترى منين

جايبها من بيت ساحور من فلسطين

هي يا حاملة الجرّة حطي عالواد      هذي الدرب الطويلة بتودي غاد  
بتودي على يافا وعلى بغداد      فلان جايب عروسه من أي بلاد

جايبها من فلسطين من أحلى بلاد

الى ان يصل الموكب الى بيت العريس. وتطلق النساء الهاهات و الزغاريد ومنها:

يستاهل الرب راية      و قراية الحمد فيها  
سبعة سعيدة يا ربي      اللي تجوز فلان فيها



يا مرحبا يا عزازي      من فوق حمرا تزازي  
واللي ما تفرح بطلتكوا      تنكسر كسر لقزازي

-----  
مرحبا يا ضيوف اللي ضفتونا  
و اخضرت الدنيا و انستونا  
عقبال الفرحة لولادكم  
و نجيكم يا حباب كما جيتونا

على باب الدار حيث ستمر العروس ، يلصقون عجينة الخميرة ، و عليها ريحان وورد او غصن زيتون. فتضع العروس يدها على الخميرة و يضغط العريس يده فوق يدها. لكي تثبت في الدار، و تكون مصدر خصب و عطاء. ويتشاءمون اذا سقطت العجينة. وقبل دخول العريس الى الدار ، يحاول بعض الشباب ان يضربوه من الخلف على ظهره او كتفيه ، فيقف لحماية بعض الاصدقاء والاشبين الذي هو بمثابة الحارس والصديق الذي يقف متصدياً لكل من يحاول الاعتداء على العريس، ويحمل بيده عصا طرية من الرمان. ويعتقد البعض انهم يفعلون ذلك كي لا يشعر العريس بالاضطراب و الخوف عندما يختلي بعروسه. بعد دخولهما البيت تتوجه العروس الى الصمدة في الغرفة التي يخلونها للعروسين ، حيث يستمر الغناء:

مبروكة يا فلان	عروستك	زينة
ومحوطة	مكحولة	العين
مبروكة يا فلان	عروستك	منا
ومحوطة	مرشوقة	بالحنة
مبروكة يا فلان	عروستك	شقرا
ومحوطة	مرشوشة	بالعطرة
مبروكة يا فلان	عروستك	في الدار
ومحوطة	ع مثلها ما صار	

-----  
وانا حلفت الليلة ما بوكل غير فقوس      يا فرحتك يا امه فلان جاب العروس  
وانا حلفت الليلة ما بوكل الا خيار      فرحتك يا فلان غزالك خش الدار  
وانا حلفت الليلة ما بوكل الا رصيص      يا فرحتك يا بيه فلان دخل عريس

-----

لطلع عالحيط انادي يا حنة      نستحمد الله ل فلانة كنة  
لطلع عالحيط أنادي يا شاطر      يا ربي من فوق جَبَر الخواطر  
لطلع عالحيط انادي راجينا      يا ربي من فوق الفرح يجينا

وفي الوقت نفسه يقوم بعض الرجال بطبخ و ليمة العرس على الحطب للضيوف. بينما يستمر بعض الشباب بالرقص و الدبكة و الغناء في ساحة البيت.

### النقوطة:

من العادات المتبعة أيضاً في أعراسنا تقديم مبلغ من المال للعريس على شكل نقوط، وذلك لمساعدته في مصاريف العرس. وهذا المبلغ يُعتبر كأنه دين.. يُعاد للشخص الذي دفعه، عندما تحدث عنده مناسبة مشابهة، وهكذا يجلس احد اقرباء العريس ، و أمامه دفتر يسجل عليه النقوط. يفرش العريس منديله لوضع النقوط عليه. و يقف شاب آخر يتناول النقوط من الضيوف قائلاً: «خلف الله عليك يا فلان و هذا مبلغ كذا... محبة في النبي و الخليل»، او يقول: «خلف الله عليك يا فلان و هذه... محبة في راس ابو فلان اللي مات و ذكره ما مات»، او محبة في راس العريس او والد العروس.. الخ. و كل من ينقُط يُضيفونه كاس مشروب و يذهب داعين له: «عقبال اولادكو». او «عقبال العايزين عندكم». وكانت قيمة النقوط في ذلك الوقت لا تتجاوز نصف جنيه او في احسن الحالات جنيه فلسطيني. و كان الاهل يعتمدون على النقوط في تسديد مصاريف العرس ، و يعتبرون النقوط دينا عليهم و يقومون بسداده في المستقبل. عند تقديم العشاء تهاهي ام العريس:

مهااة:

و الرز ما هو عيش      و لا هو طعام الجيش  
واللي ما يسوي مثل ابو فلان      والالفشسر ليش

مهااة:

بيتنا      دافي      عيشنا      وافي  
تفضلوا يا جماعة      ريته صحة و عوافي

بعد ذلك ينصرف معظم المدعوين و يبقى الاقارب الذين يحملون العريس و يزفونه الى عروسه. و هم يغنون:

يا حليلك يا وليد العم  
وعند العروس يغنون « الشوباش »  
عريسنا يا رب هنية  
ميتين شب تباري  
يومن شفتك زال الهم  
كثر عليه من النعائم  
و يظل في هالعز دايم

ثم ينزلون العريس ، الذي يتقدم من عروسه ، فيما يسمونه « كشفة الوجه » ينقط ام العروس التي تقف بجانبها جنيتها فلسطينيا و للعروس مثله ثم يرفع البرقع عن وجهها براس الشبرية. ثم يجلس بجانبها، ويستمر الغناء لبعض الوقت. ثم ينصرف المدعوون. بعد قليل تقدم ام العريس العشاء للعروسين، وهو عادة ما يكون من أفضل ما في الذبيحة « الشذاة ». و تقفل عليها الباب.

### الصبحة:

من العادة ان تُحضر ام العروس الفطور لابنتها و عريسها في اليوم الاول لزواجهما ، و حقيقة سبب الزيارة في الصباح الباكر هو التاكيد من طهارة ابنتها و عذريتها.. و هذا الأمر يعلق عليه أهمية كبيرة من قبل أهل العروسين، و إذا ما كانت الأمور كما يتوقعون، في حوالي الساعة العاشرة تبدأ الصبحة. يحمل أهل العروس ملابسها الخاصة، و ما جهزوه لها من ملابس العرس، او اي شيء اشتروه لها. يحملونها على أطباق من القش إلى بيت العريس و يبدأ الرقص و الغناء، و تقديم النقوط للعrsان، حتى موعد الغداء حيث يتناول أهل العروس الغداء، ثم يعودون إلى بيوتهم. من أغاني الصبحة و المباركة ما يأتي:

يا دار وسيعة يا دار ابو فلان يا دار وسيعة  
كنة طويعة صلوا على العذرا كنة طويعة  
يا دار مريعة يا دار ابو فلان يا دار مريعة  
كناين أربعة صلوا على النبي كناين أربعة

ومباركة يا عروس عالم و العممة  
ومباركة يا عروس عالسلف و السلفة  
ومباركة يا عروس عالجار و الجارة  
ومباركة يا عروس علينا علينا  
وتبكري بالصبي و تكثري الامة  
وتبكري بالصبي و تكثري الخلفة  
وتبكري بالصبي و تكثري الحارة  
وتبكري بالصبي يلعب حوالينا

دوسي على الفرشة بقميصك  
دوسي على الفرشة بالحنّة  
دوسي على الفرشة بعباتك  
دوسي على الفرشة بالقَبَاب

ريتك امباركة ع عريسك  
ريتك مباركة على أهلنا  
ريتك مباركة عَ حماتك  
ريتك مباركة على لصحاب

رُشي عَ حالك قنينة ريحة  
رُشي عَ حالك سَبَع قناني  
رُشي عَ حالك قنينة صغيرة

واخذت فلان من عيلة مليحة  
وأخذت فلان سَبَع الرّجال  
واخذت فلان من عيلة كبيرة

مهاهة:

حوطتك بالله يا عريس جديد  
حوطتك بالله يا سند بيك وخوتك

يا ريت عمرك كل عام يزيد  
يا زينة العرسان في ليالي العيد

## الفردة:

وتكون الأحد التالي الذي يلي الزفاف و يمنع زهاب العروس الى بيت اهلها قبل ذلك، لأن ذلك يوول تأويلا سيئا. اي أن هنالك مشكلة استدعت زهابها الى أهلها، و على العريس و العروس أن يذهبا إلى الكنيسة أولاً، ثم إلى بيت اهلها و يرافقهم أهل العريس و أقاربه، و يحملون معهم اقداحاً من القش مليئة بالفواكه، و الفستق و الدخان، و تزين بأغصان الزيتون و الريحان و الفليفلة. يتناولون غذاءهم عند اهل العروس ثم يعودون الى بيوتهم. و تاتي هذه الزيارة لتعزيز أواصر المحبة بين العائلتين.

وتهاهي احدى قريبات العريس:

والحمد لله عمّرت دور أهالينا  
يا بو عباتين لا تفرح بعثرتنا

يتمايل الفرّح فيها كيف ما مال  
يا رُجالنا سالمة و المال مَيّال

انتهى العرس..... الف مبروك

## المراجع:

أما بخصوص المراجع.. فقد اعتمدت على جهدي الشخصي في جمع المعلومات، وخاصة من كبار السن. فقد كنت أقوم بتسجيل المقابلات التي أعملها مع العديد من الأشخاص رجالاً ونساءً الذين تربطني بهم معرفة أو صداقة أو جيرة، وخاصة ما يتعلق بالأغاني الشائعة بين الناس، والقصائد الشعبية، والبكائيات. والكثير من الناس ممن نقلت عنهم العديد من المعلومات والمقابلات.

وهذا أخذ مني مجهوداً كبيراً، وإضافة إلى ذلك فأنا لا أدعي أنني أضع القواعد للغة العربية. وإنما أعتبر أن المطلوب منّا هو جمع التراث وإحيائه، والحفاظ عليه حتى لا يضيع منه شيء، وحتى نمنع عملية طمسه. وأذكر منهم على سبيل المثال شعراء صاروا تاريخاً نقلت عنهم قصائد وأغاني وأمثال.. ومنهم يوسف سلامة قمصية، وهذا مات حديثاً.

ومنهم أيضاً الشاعر الشعبي الياس يوسف الطويل. وهناك شاعران ماتا منذ زمن بعيد نسبياً، ولكن قصائدهما ما زالت حيّة، وهما ابراهيم الشاعر، وجريس المشني قمصية.

وهكذا فما كتبته كان نتيجة جهد شخصي، تجاوز ربع قرن من الزمان. وأرجو أن أكون قد وفّقت فيما فعلته، والله الموفق.

# الدلالة التربوية للأمثال الشعبية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن في منطقة بيت لحم وعرب التعامرة

د. زهير حسن حسين الحروب  
تربوي ومحاضر جامعي / الخليل / فلسطين.

بالتعاون مع  
د. إدريس محمد صقر جرادات

## ملخص:

هدفت الدراسة إلى استقراء الدلالة التربوية للأمثال الشعبية الفولكلورية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن في منطقة بيت لحم وعرب التعامرة، لأهميتها الكبيرة في حياة الفرد والمجتمع الفلسطيني، فهي مصدر مهم لتعليم الحكمة والقيم الإيجابية الاجتماعية والدينية والسياسية والبلاغة اللغوية، وتساعد في بذل جهود إضافية لإحياء التراث الفلسطيني، في زمن تتعرض فيه الهوية الفلسطينية لهجوم إسرائيلي استتصالي يريد محو كل ما يتعلق بالتاريخ الفلسطيني.

ورصد الباحثان سبعين من الأمثال المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن شكلت مجتمع الدراسة، ثم انتقيا اثنين وعشرين مثلاً منها اعتماداً على قوة ارتباطها المعنوي مع عنوان الدراسة. واتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي (تحليل المضمون) المرتكز على وصف المثل وتحليل مضامينه التربوية.

واستعمل الباحثان نوعين من أدوات الدراسة هما: السماع المباشر للأمثال من بعض رواتها، والبحث عن الأمثال في الكتب والموسوعات والمجالات المتخصصة في التراث الشعبي.

وتوصل الباحثان إلى بعض المضامين التربوية المؤكدة على سلوكيات إيجابية، والمحذرة من سلوكيات سلبية. وأشارت الدراسة إلى مجموعة من المقترحات والتوصيات العامة والبحثية والأكاديمية لاستكمال إجراء دراسات علمية في هذا المجال.

## الإطار العام للبحث:

### مقدمة:

تعد الأمثال الشعبية من المجالات المهمة التي تؤسس للهوية الذاتية للشعب والأمة، من خلال عمليات السرد على نطاق الأسرة النووية والممتدة والعشيرة، سواء في البيت، أم المضافة، أم شق العرب، أم الجلسة حول الموقد، أم في مَحْرَمٍ وخر النساء، أم الحكواتي في حِلِّه وترحاله، لأنها نتاج أدبي مجهولة المؤلف.

لسرد الأمثال الشعبية ضوابط مهمّة، وتحتاج إلى قوة ذاكرة ومهارة في العرض والقدرة على التأثير في المستمعين، من خلال الاستماع والإصغاء والمشاركة الوجدانية والمتابعة مع الراوي.

وللأمثال الشعبية رسالة تربية تسعى إلى تحقيقها من خلال التهيئة الوجدانية والإدراكية وترك الأثر البليغ في النفس، عبر رواية أخبار ومواقف واقعية أو خيالية يعجب بها الناس، وتربّي لقيمة خلقية معينة تشتق من الكتب المقدسة أو أساطير الأولين والحيوانات والشعوب والبداءة والريف والحضر والبطولات والمغامرات وممارسات الحياة العامة.

وتستمد الأمثال الشعبية محتواها من التقاليد، والعادات، والطقوس الدينية، والمعتقدات الشعبية، والظواهر الكونية، التي تنقل من السلف إلى الخلف، ومن الآباء والأجداد إلى الأبناء، وهي قابلة للتطور والتجديد، وتتعرض لعمليات حذف وإضافة وتعديل، وهي انعكاس للوجود الاجتماعي (النمورة، 1998).

وتشكل الأمثال الشعبية مصدراً من أهم المصادر التي تحكم فكر الأمة، وتنبع أهمية هذا المصدر من القداسة- أو على الأقل- الاحترام الشديد الذي تحظى به الأمثال لدى غالبية الأُميين وأنصاف المتعلمين، وقطاع عريض من المتعلمين (العطيات، 1991).

ويصعب تحديد البعد الزمني لبداية اللغة الدارجة والأمثال التي نطقت بها، بيد أنها ولا شك ترجع إلى ما بعد الفتح الإسلامي بقليل، حيث سادت اللغة العربية وانتشرت لهجاتها في كل صقع، بحسب الناموس الطبيعي لتعدد اللهجات (شكارنة، 1998).

ويرى كناعنة (1992) «أن الأمثال الشعبية من أكثر أنواع التراث الشعبي انتشاراً وتداولاً، فاستعمالها لا يتطلب أية مواصفات أو مهارات معينة من قبل المستعمل، ولا

توجد أية ظروف نفسية أو مناسبات اجتماعية تمنع استعمال الأمثال، وإن لكل طرف ولكل مناسبة مجموعة من الأمثال تتناسب معها».

ولم يترك المثل في حياة الناس ميداناً من الميادين، إلا وله فيه قول، ويؤيد ذلك المثل نفسه عندما يقول «ما خلى المثل قول إلا قاله». ويعدّ المثل الشعبي فرعاً من أهم فروع الفولكلور أي (علم العامّة)، وهذا العلم بأمس الحاجة إلى الجمع والتحليل في فلسطين.

ويرى شكارنة (1998) «أن أصواتنا بدأت ترتفع منوّهةً ومنبّهةً ومشيرةً إلى أهمية التراث في دراسات العلوم الإنسانية، حيث إنه يعتبر بحق خير ما يمثل حياة تلك الشعوب، ويعطي الصورة الصادقة والدقيقة لأوضاعها الاجتماعية خاصة وجوانبها الحياتية الأخرى عامة طيلة الحقبة المنصرمة».

وتأتي مصداقية المثل في التعبير عن الواقع، من خلال تميزه عن أنواع الأدب الأخرى، في كونه بعيداً عن سيطرة الحكام وسطوتهم، فلا يستطيعون أن يوقفوا قوله أو يمنعوا انتشاره. ويعد المثل من أهم الفنون الشعبية التي تكشف عن مختلف التيارات الاجتماعية، ومن خلاله يمكن التعرف إلى طبيعة العلاقات بين أفراد المجتمع، وفي جميع نواحي حياته (شملان، 1972).

وقد ساور المثقفين العرب خوف من أن يكون الاهتمام بالأدب الشعبي ومنه الأمثال عامل تفريق بين العرب لا عامل توحيد، ونظر رجال الدين في كثير من الحالات للموروث الشعبي بوصفه مجرد خرافات وبدع معادية للدين. كما أن كثيراً من المثقفين رأوا في الاهتمام بالتراث الشعبي المصاغ باللهجات العامية المحلية خطراً على اللغة العربية الفصحى، التي هي من أهم عوامل توحيد العالم العربي، واللغة التي حفظ بها الأدب والعلم والتراث العربي (كناعنة، 1992).

وتعتبر الأمثال الشعبية عنصراً هاماً من عناصر التراث الفلسطيني، الذي يتعرض لمحاولات طمس وتهويد، وذلك بهدف إضعاف صلة الإنسان الفلسطيني بثقافته وأرضه فلسطين (حداد، 1989).

وللهجة الدارجة في فلسطين سماتها المميزة التي لا يستغني عنها دارس الأمثال ليقف على أسرار تلك اللهجة وليفهم الأمثال ومدلولاتها ومغازيها، وتختلف هذه اللهجات من منطقة إلى أخرى. إن اللهجات العامية المنبثقة عن اللغة العامية في فلسطين تستطيع أن تجسّد القيم الجمالية في محتوياتها وأسلوبها، وأنها مستكملة لمقوماتها بوصفها أداة فنية قادرة على عكس ذاتية الشعب الفلسطيني والإفصاح عن عواطفه ومعتقداته (شكارنة، 1999، عدد 33).



وجاءت الدراسة الحالية استكمالاً لدراسات عديدة أجريت في فلسطين بهدف البحث عن خفايا ومضامين التراث الشعبي الفلسطيني، ملقياً الضوء على جانب مهم منه ألا وهو جانب المثل الشعبي، في مجال المضامين التربوية الكامنة في ثنايا الأمثال ذات العلاقة بالماء والخضراء والوجه الحسن.

### مشكلة الدراسة:

وجد الباحثان أن هناك حاجة ماسة لدراسة هذا النمط من التراث الشعبي الذي يتعرض لعمليات طمس وتهويد واندثار وانتحال من قبل الجانب الإسرائيلي، الذي ما فتى يعمل على جمع ونشر الأمثال والقصص الشعبية التي تثير العداوة والبغضاء بين القبائل العربية في النقب، ويكرس مراكز بحوث وباحثين لهذا الغرض بهدف زعزعة أمن واستقرار المجتمع العربي وإثارة الصراعات فيه، وعليه يمكن الإشارة إلى ما يأتي:

- ◆ أولاً: هناك تساؤل واضح حول أهمية رواية الأمثال الشعبية المذكورة بقيم المجتمع التربوية في ظل عصر العولمة وطغيان الفضائيات والانترنت..
- ◆ ثانياً: هناك شعور سائد بأن القائمين على صناعة القرار في الدوائر الحكومية الرسمية لا يعطون الأمثال الشعبية الاهتمام الكافي.
- ◆ ثالثاً: ضرورة التمييز بين الدلالات السلبية والدلالات الإيجابية للأمثال الشعبية، وتجنب السلبية منها.

### حدود الدراسة:

- تحدد الدراسة وإمكانية تعميم نتائجها المحددات الآتية:
- ◆ الحدود الموضوعية: وتتضمن سرد الأمثال الشعبية كما هي على لسان الراوي باللهجة المحكية، وقد حدد الباحثان عينة من الأمثال المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن، بوصفها بؤرة الدراسة.
- ◆ الحدود البشرية: جمع الأمثال الشعبية من الآباء والأجداد والكتب والنشرات والمراجع التراثية.
- ◆ الحدود الزمنية: جمعت الأمثال الشعبية خلال العامين 2013/2014م.
- ◆ الحدود المكانية: ركزت الدراسة على بعض الأمثال المتداولة في منطقة بيت لحم وعرب التعامرة.

## أهداف الدراسة:

سعت الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية:

5. العمل على إحياء جانب مهم من التراث الفلسطيني وهو الأمثال الشعبية لتنميتها والمحافظة عليها، في وقت تتعرض فيه الهوية الفلسطينية لهجوم إسرائيلي استتصالي.
6. تقديم معلومات تخدم أصحاب القرار في اتخاذ خطوات إيجابية في رسم السياسة الثقافية العامة والخطط المستقبلية بإظهار الأمثال الشعبية ونشرها عالمياً بما ينسجم مع الأهداف المتوخاة في صياغة الشخصية الفلسطينية المؤمنة بأهدافها.
7. استقصاء الدلالات التربوية والتوجهات الفكرية لعينة من الأمثال الشعبية الفلسطينية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن، وذلك لأهميتها في حياة الفرد والمجتمع.
8. تعليم الحكمة والقيم الإيجابية المتضمنة في الأمثال الشعبية قيد الدراسة للأجيال الجديدة (كالقيم الدينية، والبلاغة اللغوية، والأفكار الاجتماعية والسياسية) ، واستقباح الرذيلة، ومدح الفضيلة.

## أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة من خلال النقاط الآتية:

1. تعد هذه الدراسة من الدراسات والبحوث القليلة والنادرة في فلسطين التي تتناول هذا الموضوع، فالأمثال الشعبية من مؤشرات التواصل التاريخي والاجتماعي للبلد والشعب، وفيها صدق الماضي بصوت الحاضر.
2. يمكن أن يشكل البحث إضافة علمية إلى المكتبة المحلية والتي هي بحاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات، فهي تحتزن التراث وتصور واقع المجتمع ومشكلاته وحاجاته وإمكاناته.
3. استفادة التربويين من هذه الدراسة، خاصة أن الأمثال الشعبية مصدر وفير للتجارب الشخصية الفردية والجماعية، وتقدم مادة أدبية ممتعة يخلق فيها الخيال بلا قيود.

## مصطلحات الدراسة:

◀ المثل الشعبي في اللغة: من الجذر الثلاثي مَثَلٌ، ومنه المثل والمثل معناه

الشبيه، والنظير المثل، وجمعها أمثال، وهو القول السائر بين الناس. والمثل بمضربه، أي الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام (المنورة، 1998).

المثل الشعبي اصطلاحاً: قول موجز قيل في مناسبة ما، وأصبح يُتمثل به للتعبير عن كل حالة تشبه هذه المناسبة التي قيل فيها (المنورة، 1998). وهو قول مأثور تظهر بلاغته في إيجاز لفظه، وإصابة معناه، قيل في مناسبة معينة، وأخذ ليقال في مثل تلك المناسبة. وهو جملة محكمة البناء بليغة العبارة، شائعة الاستعمال عند مختلف الطبقات (kenana online. com/ users/ Haris Ammar)، وعرفه سوكولوف: بأنه جملة قصيرة، صورها شائعة، تجري سهلة، وأسلوبها مجازي، وتسود مقاطعها الموسيقى اللفظية (صالح، 1956). وعرفه آرثر تايلور: أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية، يوصي - في غالب الأحيان - بعمل أو يصدر حكماً على وضع من الأوضاع (شعلان، 1972). ووصف داهل أسلوب المثل بأنه أسلوب الجملة القصيرة نسبياً، المنغمة في الغالب، المجازية دائماً (صالح، 1956). أما رينز فقد عرفه بأنه جملة محببة إلى النفوس تغرس في عقول الناس حقائق سامية (بان، بون تاريخ). أما الشاعر التركي إبراهيم شناسي فقد وصف المثل بأنه حكمة العوام تجري على ألسنتهم، وتصور ماهية الشعب، وهي عامرة بالمعنى الغزير (قباجي، 1970).

أما بالنسبة إلى كراب فإن المثل يعبر في شكله الأساسي عن حقيقة مألوفة، صيغت في أسلوب مختصر حتى يتداوله جمهور الناس، وقد يعبر المثل عن الحقيقة بطريقة حرفية فيكتفي بترديد هذه الحقيقة، كما هو الحال بالنسبة لأمثال المواعظ، وقد يلجأ إلى استخدام الاستعارة (كراب، 1967).

ويرى (عمار، بدون تاريخ) أن المثل يتضمن خلاصة خبرات وتجارب الشعوب عبر الزمان، يستخدمه الناس من مختلف الطبقات للتعبير عن الموقف الراهن، ولحض الناس على فعل شيء ما، أو لمنعهم من إتيان شيء آخر. وقد استخدمه العرب لتعليم أبنائهم، إذ إنه يشكل مخزناً لبعض وقائع العرب وتاريخهم. ومن أهداف الأمثال غرس وتنمية القيم على اختلاف أنواعها. (kenana online. com).

ويرى الباحثان أن المثل عبارة بليغة ومختصرة، تتميز بانضغاط ألفاظها، وكثافة معانيها، وتعدد أوجه تفسيرها في بعض الأحيان، وتعبر عن قضية معينة دينية أو اجتماعية أو سياسية، أو وصف لسمات شخصيات اجتماعية، أو نصائح حياتية، وهي جميلة المبني والمعنى، وتؤدي إلى المعنى المراد دون تعقيد.

وألفاظ الأمثال لا تغير تذكرها وتأنيتها وإفراداً وتثنية وجمعاً، بل ينظر فيها دائماً إلى مورد المثل، أي أصله (البرغوثي، 1998).

## منهج الدراسة وإجراءاتها:

تتبع الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي (تحليل المضمون) الذي سار وفق الخطوات الآتية:

1. الجانب الوصفي لواقع الأمثال الشعبية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن في منطقة بيت لحم.
2. الجانب التحليلي (تحليل المضمون) للدلالة التربوية والمحتوى لكل مثل شعبي.

## أدوات الدراسة:

اتفق الباحثان على استخدام الأدوات الآتية لمناسبتها للدراسة الحالية:

♦ أولاً: السماع المباشر، وذلك لتجميع الخبرات حول ما نسمع عنه أو نعايشه، بهدف التعرف على واقع الأمثال الشعبية التي كنا نسمعها ونحن فتية صغار أو يرويها الآباء والأجداد أو الشعراء الشعبيون.

♦ ثانياً: البحث عن الأمثال في الكتب والموسوعات والمجلات المتخصصة في التراث الشعبي.

ثم اتبع الباحثان منهج تحليل المضمون في توضيح معاني ومضامين عينة الأمثال قيد الدراسة.

وقد ذكر الباحثان الأمثال بلهجاتها العامية ثم ترجمتها إلى الفصحى، مبررين ذلك بما يأتي:

1. الاختلاف الكبير بين الرواة في رواية الأمثال الشعبية الواحدة والتنوع في اللهجات.
2. التنوع الجغرافي في سماع الأمثال الشعبية من الرواة.
3. بهدف الامتداد العربي والقومي، لأن حصر الدراسة في اللهجة المحكية يؤدي إلى حصرها في بيئة جغرافية محددة

ويرى شكارنة (1999) «أن شرح الأمثال وفهم مغزاها واستيعابها فيه شئ من الصعوبة، لأن فيها ما يرمز إلى غير فحواها، وفيها من الألفاظ المبهمة في معناها

ومبناها ما يستغل على الباحث أحياناً، لأنها قيلت في عصور مختلفة، ومن أقوام مختلفة على درجات متباينة من المعرفة والجهل. كما يصعب فهم المثل وتحديد معناه ومغزاه، يصعب أيضاً تخليصه من أشباهه وأمثاله من الفنون القوليّة».

## الإطار النظري:

يرى الأستاذ الأنثروبولوجي مالمينوسكي أن من الخطأ أن ننظر إلى الأمثال على أساس أنها شكل من أشكال الفولكلور أو مستند أوتوغرافي خاص بأحوال الشعوب، إنما هي في الواقع عمل كلامي يدعو قوّة معينة إلى التحرك. وفي اعتقاد الذين يصدر عنهم هذا الكلام أنه يؤدي إلى أقوى أنواع التأثير على مجرى الأمور، وعلى السلوك الإنساني. فالمعنى والغاية هما القاسم المشترك بين جميع أمثال الشعوب في العالم، وإن اختلفت في تراكيب جملها أو في صلاحيتها. وهي تكون كتاباً ضخماً يتصفح فيه القارئ أخلاق الأمة وعبقريتها وفطنتها وروحها (عرنيطة، 1968).

## الفرق بين المثل والحكمة:

الحكمة صياغة فردية عميقة، بينما المثل صياغة الجماعة السطحية الساذجة. لكن الحكمة تلتقي مع المثل في جوانب، وتختلف معه في أخرى. ولذلك قيل: الحكمة هي عصاره خبرة الحياة، وخلاصة فهم لأسرارها، ويبدلها ذهن ذكيّ فرديّ في جملة مرصوفة رسماً محكماً تستخدم في المناسبات. وهي من جوامع الكلم تنم عن فهم عميق لفلسفة الحياة والمجتمع، فهي علم وفن. بينما المثل يشبه الحكمة في إيجازه ورسوه، ولكنه يختلف عنها في منطقته. والحكمة تفيد معنى واحداً من نهى أو أمر أو إرشاد، بينما المثل يفيد معنيين ظاهراً وباطناً (شكارنة، 1999).

## أقوال الفلاسفة في المثل:

- ◆ أرسطو: كأن الأمثال مخلفات حكم قديمة أدركها الخراب، فسلمت هي من بين تلك الحكم لمتانتها وجزالة ألفاظها.
- ◆ سرفنتيس: المثل زبدة اختبار طويل، مفرغة في قالب صغير.
- ◆ ابن المقفع: إذا جُعل الكلام مثلاً، كان أوضح للمنطق، وأنقى للسمع، وأوسع لشعوب الحديث.
- ◆ الفارابي: هو ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتدلوه فيما بينهم وتغنّوا به (kenana online. com).

## لغة الأمثال:

نشأت لغة الأمثال عبر المراحل الآتية:

♦ أولاً: المثل في العصر الجاهلي: وقد صيغ باللغة الفصحى حيث كانت سليقة القوم التي جُبلوا عليها، ومع ذلك لم تخل من لحن.

♦ ثانياً: المثل في صدر الإسلام وبنى أمية: وهو امتداد للمثل الجاهلي من حيث مبناه اللغوي وإن اختلف من حيث المدلول والمعنى، بسبب تغير الحياة الإسلامية الجديدة.

♦ ثالثاً: المثل في العصر العباسي: وقد شهد هذا العصر ظهور لهجات عامية إقليمية في كل إقليم، ونضجت العاميات، وانحرفت عن الفصحى.

ومما ساعد على فساد اللسان العربي التأثير بالكتب المترجمة عن الفرس واليونان والهنود، وابتعاد العرب عن وطنهم الأصلي، ودخول الكلمات الأعجمية، وظهور الكلمات العامية، ونشوء اللحن، وظهور كلام المولدين. والكلمة المولدة هي التي استحدثها العرب، ولم تُسمع من فصحاءهم فيما مضى ولا رويت عنهم (شكارنة، 1999).

واستعرض شكارنة (1998) مجموعة تعريفات للمثل كتبت من قبل بعض العرب القدماء، وخرج بحصيلة للسّمات المثلّية البارزة لدى هؤلاء القدماء، وهي:

♦ أولاً: غلب الجانب اللغوي والأدبي على الجانب الموضوعي.

♦ ثانياً: سيرورتها بين الناس وتعميمها.

♦ ثالثاً: أعطت الجانب البلاغي أهمية كبيرة.

♦ رابعاً: أهميتها بالنسبة لغيرها من فنون القول والاهتمام الزائد بها من قبل الناس في كل زمان ومكان.

♦ خامساً: لا يجوز تغييرها أو الحذف منها إلا لضرورة شعرية.

♦ سادساً: يقصر استخدامها عند الكتاب في الغالب الأهم، على التحلية الأسلوبية، فلم تكن غاية للدرس والانتقاد.

## كيف نشأ المثل:

يرى شكارنة (1998) أن الجملة المثلّية ارتبطت ارتباطاً حسيّاً ومعنوياً بمجموعة من المسلمات الدينية، والمعتقدات الشعبية الناتجة عن الخبرة الحياتية المباشرة للإنسان

الفلسطيني ضمن بيئته، وظروفه الحياتية الأخرى المؤثرة. ولكل مثل قصة، وقد تضيع القصة ويبقى المثل معبراً عن مضمونها. وقد ينشأ المثل عن حادث تاريخي، أو حكمة، أو شعر، أو قصة شخصية.

## خصائص الأمثال:

تتميز الأمثال بالخصائص الآتية:

1. الإيجاز، حيث كلمات قليلة تعبر عن تجربة دهور.
2. إصابة المعنى في المواقف المتشابهة.
3. الأصالة، فالأمثال عربية المنشأ وبعضها مرتبط بالدين.
4. الواقعية، لتمييز الحياة المجتمعية الريفية العربية عموماً بالواقعية.
5. البلاغة، فهي ذات ألفاظ موجزة ومركزة وتصيب المعنى.
6. الموسيقى، فهي ذات جرس موسيقي ويوجد تناغم بين ألفاظها وتناسق بين الجمل، وتجانس بين الأحرف والجمل والتراكيب.
7. الإحساس، حيث تعكس بصدق مشاعر الشعب وأحاسيسه وآماله وآلامه وأفراحه وأحزانه وتفكيره وحكمته. ومن خلالها نستكشف آراءه في مختلف شؤون الحياة وموقفه منها، ونظرته إلى الكون وتفسيره لمظاهره.. (kenana online. com)

وذكر شكارنة (1998) الخصائص الآتية للمثل الشعبي:

1. الإيجاز
2. إصابة المعنى ووضوحه.
3. الشيوخ.
4. التميز الطبقي.
5. الأسلوب العامي.
6. صدى للتجربة الشعبية.
7. ذات صبغة تعليمية تهييية.
8. البعد الزمني المجهول، فبداية المثل غير محددة زمنياً (شكارنة، عمر، 1998 مجلة التراث والمجتمع، عدد 31).

## أهمية الأمثال الشعبية:

يلخص السويدي كارل باكستروم أهمية الأمثال الشعبية في النقاط الآتية:

1. تتحدث الأمثال عن سعادة من يتداولها، وعن شقائهم، وعن الغنى والفقير، والشرف والخزي، والجمال والقبح، والقوة والضعف، والعظمة والوضاعة.
2. الأمثال من الناحية العلمية تريح النفس، وتسخر وتمتدح، ثم تهزل في الوقت الذي تتضمن فيه أفكار جادة.
3. تلقي الأمثال الدروس بأسلوب من المرح الحاذق، وهي مليئة بكنوز من الأحكام السليمة، والحكمة العملية، والعدالة، والمشاركة العاطفية، ثم السخرية اللاذعة الذكية.
4. تتكرر الأمثال نفسها عند الشعوب المختلفة، وإن لم يُعبّر عنها من الناحية الشكلية بالألفاظ نفسها.
5. تستقبح الأمثال الرذيلة، وتعلي من شأن الفضيلة، فهي بهذه الصفات ذات قيمة تهيبيية (عرنيطة، 1968).

وذكر شكارنة (1998) أن أهمية المثل الشعبي في فلسطين تكمن فيما يأتي:

- أ. شاهد عدل: على حالة اللغة الدارجة في فلسطين، وهي صادقة كل الصدق لأنها تصدر عن فطرة نقية وطبيعة غير خادعة، توضح طبيعة اللهجات في فلسطين، وما يعترى الألفاظ من تغيير أو تبديل من بنية لأخرى.
- ب. فن أدبي مستور: هي فن أدبي ظل بعيداً عن سطوة الحاكم وسيطرته، وهي ظاهرة أدبية تلائم النفس، وتحفظ عن ظهر قلب بكل سهولة من قبل معظم الناس، وهي بالنسبة لحياة الناس كالمح للطعام تتدخل في معظم أحاديثهم.
- ت. دراسة للقطاعات الشعبية: إذ تكشف عن طبيعة الشعب وذكائه، والبحث فيها إنما هو بحث في حياة فئات العامة والخاصة من الناس، وتعبر عن أخلاق الناس. وهي وثيقة اجتماعية هامة لرصد الجانب الاجتماعي لحياة السكان الفلسطينيين في حلهم وترحالهم، في مدنهم وأريافهم وبيوتهم. وتعتبر قوانين غير مكتوبة يدين بها الناس، ويلتزمون بمضمونها نصاً وروحاً في الغالب عن طيب خاطر ودون أدنى غضاضة إلا عند أقلهم (ممن لا يؤمنون بها وهم قلة)، لما لها من تأثير فعال يترجم عن نزعاتهم العامة، ويكشف عن ملامح شخصياتهم من حيث التقاليد والقيم والعادات التي حرصوا ويحرصون على التقيد بها.



ث. ضرورة تاريخية: إنها تمثل عصارة تجارب الشعب الفلسطيني وخبراته في مسيرته الحياتية عبر الأجيال السحيقة، وهي زبدة تاريخه الطويل، وقاموس تاريخ الشعب الفلسطيني بكل طبقاته وقطاعاته، ويمكن اعتباره مصدراً هاماً للمورخ الأخلاقي والاجتماعي.

ج. بضاعة محلية: حيث يمكن استجلاء خصائص البيئة الفلسطينية ومقومات المجتمع الفلسطيني ومواقفه من خلال المثل الدارج الذي يكشف عن المناخ الفكري والشعوري الذي تنمو فيه المواهب والملكات. إنها بضاعة محلية خالية من كل غريب مستورد، ولم تعبت بها الأحداث والأيام.

ح. تعاليم الآباء وتربية الحكماء: فهي تنطوي على مبادئ الفضيلة والشرف والصدق والإحسان والمعروف وحسن السلوك والاقتصاد والكرم والضيافة والعزم والثبات والتأني والصبر والأخذ بالثأر والاحتراس من الأعداء، والتواضع والإيثار، وحرب على الرذيلة، وضرورة الاستشارة، وضرورة التربية الصحيحة.

خ. السالب والموجب: في الأمثال الدارجة السيء والضار والمثبط، كما أن فيها جمالاً وخيراً وفضائل يُعتز بها. ولذلك أصبح من الضروري تنقيتها من خلال الغريفة، مع المحافظة على النافع منها والتمسك بها وتنميتها والاستفادة منها في قوة الاندفاع إلى الأمام (شكارنة، عمر، 1998، مجلة التراث والمجتمع، عدد 34).

وتتكون الأمثال من جمل قصيرة تقال في موقف ما، إما للتحذير من الوقوع في الخطأ نفسه، أو للتحفيز على تعلم شيء ما مثل (اقنع تشبع). وبعضها يدعو إلى تعديل السلوك السيء (من حفر حفرة لأخيه سقط فيها). ويحث بعضها الناس على تعلم شيء معين، أو الحث على مواصلة التعلم والبحث عن كل جديد (الجديد حبه شديد، يموت المعلم وهو يتعلم). كما أن بعضها يدعو إلى الترابط الاجتماعي، والتحلي بكمارم الأخلاق، والتفكير واستشارة الآخرين، وتنمية المفاهيم اللغوية [kenanaonline.com](http://kenanaonline.com).

ويرى الدكتور نوفل نوفل (بدون تاريخ) أن الأمثال ترتبط بالقيمة الاجتماعية، وتشكل أعظم الأساليب التربوية المتبعة في التعليم والتعلم. وهي محفزات ل تنشئة اجتماعية تعنى بدمج الفرد في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه. كما أنها تعتبر عوامل مساعدة في تحقيق تربية متكاملة بأبعادها الأخلاقية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية.

وللأمثال دور مهم في تغيير القيم، إذ تدعو إلى السلوك والتمثل بالقيم، وهي تقوم مقام النصيحة، وتثير دوافع وانفعالات يصدر عنها سلوكيات. لذا كان من

الضروري اختيار الأمثال المناسبة ونشرها في المجتمع، وهو عمل ذو مسؤولية كبيرة [www.alodaba.com](http://www.alodaba.com).

أما جاسم محمد صالح فيعتقد أن الأمثال الشعبية لأي شعب من الشعوب، تشكل مرآة ناصعة لثقافته وهويته وقيمه ومبادئه وأخلاقه التربوية التي يؤمن بها، ويعمل على نشرها بين أبنائه، ويعمل على جعلها فلسفة اجتماعية له. وكما كان المثل الشعبي بما يمتلكه من إيجاز اللفظ ودقة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، وتركيز الفكرة، وسهولته في الحفظ، فقد استعمل في نشر المفاهيم التربوية السائدة [www.alodaba.com](http://www.alodaba.com).

وورد على الموقع الإلكتروني [kenanaonline.com](http://kenanaonline.com) (موقع متخصص في التراث الشعبي) أن أهمية الأمثال تبرز خلال النقاط الآتية:

1. تؤدي دوراً مميزاً في إبراز القيم الاجتماعية، كالترباط والتقدير والاحترام والتعامل الحسن بين الأفراد.

2. العمل على تنمية القيم الاقتصادية في المجتمع، مثل العمل والحرص عليه وتقديره والدقة والمحافظة على الثروات الطبيعية.

3. ترسيخ المعايير الدينية والأخلاقية وتعميمها على المواطنين.

4. هي حكمة الشعوب، والمرآة التي تعكس مشاعر الناس على مختلف مستوياتهم.

5. تعتبر المتنفس الأكثر استخداماً لمشاكل الناس والمعبر عن همومهم.

6. تعدّ معايير أخلاقية يضعها عقلاء القوم لتكون ضابطاً سلوكياً ومنهجاً أخلاقياً لعامّتهم وخواصّهم، يتناقلها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل.

7. تسرد كفاح الشعوب في عبارات موجزة سهلة الحفظ والتلقين.

يتضح مما سبق أن المثل يؤثر بقوة على السلوك الإنساني، وأن معنى وغاية الأمثال يشكّلان عاملاً مشتركاً بين أمثال مختلف شعوب العالم. ويعبر المثل عن ثقافة المجتمع السابقة والحالية، وبالتالي يمكن دراسة ثقافة المجتمع من خلال أمثاله السائدة، من خلال تلك التي تحت على التقدم والقيم الجميلة ورفع المعنويات والسير إلى الأمام.

## الدراسات السابقة:

أجرى المبيض (1986) دراسة بعنوان «الجغرافيا الفولكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية»، وتوصل الباحث إلى أن الكثير من الأمثال قد عبرت عن البيئة الفلسطينية،

فبعضها متعلق بالأرض والزرع، والضرع والثمر والشجر، والجو وتقلباته. ومن الأمثال التي ذكرها الباحث ولها علاقة مباشرة بدراستنا الحالية:

- ◆ احصد على بدري قبل ما تيجي الشوية.
- ◆ موسم التين فش عجين.
- ◆ أرض مألحة وسما قاذحة.
- ◆ أرض النجيل بصير فيها مستحيل.
- ◆ اتعب على أرضك تتعب عليك.

وبحث حسن (1988) في رسالة ماجستير بعنوان: «المرأة والمثل الدارج في فلسطين» مدى استطاعة الأمثال التي درجت على ألسنة الناس أن ترسم صورة شبه واقعية لحياة المرأة. وتركزت خطة البحث على عدة خطوات: إذ قام برصد الأمثال الشعبية ومراجعتها مراجعة خاصة ناقدة، وتقسيم الدراسة إلى موضوعات، ومراجعة ما دون من أمثال لكل موضوع على حدة، وقام بوضع الأمثال في الموضوع الواحد ضمن أطر محددة، وبذلك تمكن من تصنيف الأمثال المتعلقة بالمرأة تحت عناوين فرعية كثيرة.

وهدفت دراسة العطييات (1991) المعنونة: «أمثالنا الشعبية في الميزان» إلى توضيح ما يراه كاتبها مخالفاً للصواب، ونقض لبعض الأمثال الشعبيّة السلبية، معتمداً على مقاييس الشرع والعقل والواقع السليم. وقام الباحث بتصنيف عينة الأمثال الخاضعة للبحث إلى محاور عدة هي: قبول الأمر الواقع، والأنانية، وإساءة الظن، والزواج.

وأجرى كناعنه (1992) دراسة بعنوان: الترابط بين الأمثال الشعبية والأبعاد الاجتماعية. هدفت الدراسة إلى التعرف إلى الترابط بين الأمثال الشعبية من قبل الفئات المختلفة من جهة، والمتغيرات الاجتماعية والنفسية التي تميز هذه الفئات عن بعضها من جهة أخرى. واعتمدت الدراسة طريقة الجمع من الطلبة، بأن يقوم كل طالب في الشعبة الدراسية في جامعة بيرزيت بكتابة أكبر عدد ممكن من الأمثال الشعبيّة التي يتذكرها خلال عشر دقائق.

تكونت العينة من (106) فرداً من طلبة جامعة بيرزيت منهم (74) ذكراً، (32) أنثى (96) مسلماً، (10) من المسيحيين، (46) من سكان المدينة، (41) من القرى، (19) من المخيمات.

توصلت الدراسة إلى أن مجموع الأمثال التي ذكرت بلغ (316) مثلاً بنسبة (12.4%) للفرد الواحد، وتراوح ما ذكره الفرد من (1-28) مثلاً. كما أشارت الدراسة إلى وجود فروق

ملموسة بين معدل عدد الأمثال ونوعها التي يعرفها أفراد المجموعة حسب مؤشرات اجتماعية معينة.

وأظهرت الدراسة إلى وجود ارتباط ذي دلالة بين متغيرات (الجنس والدين ونوع البيئة الاجتماعية، والمنطقة الجغرافية، ونوع المدرسة التي تخرج منها الشخص، وحقل التخصص في الجامعة) مع عدد ونوع الأمثال الشعبية التي يعرفها الفرد.

وقام أبو زر (2004) بدراسة قدمها للحصول على درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بغزة، وكانت بعنوان: «أخطاء عقائدية في الأمثال والتراكيب والعادات الشعبية الفلسطينية». هدفت الدراسة إلى جمع الأخطاء العقائدية الشائعة في أقوال الناس من أمثال وتراكيب وفي العادات والتقاليد، والتي قد تصل بكثير من الناس إلى حد الكفر دون أن يعلموا. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على توثيق الأمثال الشعبية المخالفة للعقيدة أو ما اعتقد أنها كذلك، وعمل على تحليلها وبين أوجه الخطأ فيها، بعد أن بين الوجه الصحيح للمسألة موضوع النقاش، على ضوء العقيدة الصحيحة الموافقة لفهم السلف الصالح.

أما دراسة نجم وعلي (2006) التي كانت بعنوان: «صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية»، فقد كان هدفها التعرف إلى الصورة المقدمة عن المرأة من خلال الأمثال الشعبية الفلسطينية، والكشف عن مدى توافق الصورة المقدمة عن المرأة مع المنظور الإسلامي. تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي وتحليل المضمون. وتكون مجتمع الدراسة من (200) مثل شعبي متداول على ألسنة كبار السن، وتكونت عينة الدراسة من (100) مثل شعبي، وكانت أهم نتائجها كما يأتي:

- أولاً: قدمت الأمثال صور المرأة المتعددة (الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية) التي ساهمت في تشكيل جوانب الصورة العامة للمرأة.

- ثانياً: أشادت الأمثال بالصورة المتميزة التي احتلتها المرأة من خلال علاقتها بالزوج والأبناء والمجتمع.

- ثالثاً: اشتملت الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تناولت صورة المرأة على جوانب سلبية تتعارض مع معايير الكتاب والسنة.

وأوصت الباحثتان بما يلي:

■ العمل على تأهيل التراث الفلسطيني وغربلته شرعياً، وإقصاء كل ما يتعارض مع تعاليم الإسلام.

- ضرورة تفعيل الإعلام الفلسطيني في إحياء الأمثال الشعبية التي عبرت عن الصورة الناصعة والمضيئة للمرأة وتعزيزها بنظرة الإسلام لها.
- توعية المرأة بدور الأمثال الشعبية في التنشئة الاجتماعية.
- إدخال بعض عناصر التراث الفلسطيني خاصة ما يتعلق بالمرأة في المناهج الفلسطينية.
- تعزيز التراث الفلسطيني تعزيزاً موضوعياً والتركيز على ما يتصل بالمرأة.

وهدفنا دراسة محمد عليان (2009) التي كانت بعنوان «من صور التراث الشعبي في القدس: المثل المقدسي» لسبرأغوار المثل المقدسي كنمط حيوي من أنماط التراث، له تأثيره ووجوده ويرتبط بأزقة القدس وحراراتها، وبالعيون المقدسية الساهرة التي تطارد، وتُحاصر لتبعد عن أهلها وعن محيطها وعن ماضيها لتبدو غريبة يسهل اقتلاعها، بعد أن توارث المقدسيون عن أسلافهم مشافهة تراثهم العريق، محافظين عليه، وهم كغيرهم من الناس يضيفون وينقصون تبعاً لهواهم ومستجداتهم. وأشارت الدراسة إلى أهمية المثل ودوره في حياة المقدسي وإبراز ما فيه من تميّز وخصوصية (ما ضاع حق وراه مُطالب).

أما دراسة الكندري ومالك (2011) والتي كانت بعنوان «صورة المرأة في الأمثال الشعبية من منظور طلبة كلية التربية الأساسية في الكويت»، فقد هدفت إلى التعرف إلى صورة المرأة في الأمثال الشعبية الدارجة، والكشف عن مدى توافق الصورة المذكورة آنفاً مع معتقدات طلبة كلية أخرى. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يتضمن كشف الأنساق الفكرية المتضمنة في الخطاب الثقافي، وتكونت عينة الدراسة من (671) طالباً وطالبة من كلية التربية الأساسية في دولة الكويت. وكانت أداة الدراسة استبانة بوصفها أداة الدراسة الرئيسية.

وكانت أهم نتائج الدراسة كما يأتي:

- الأمثال الجيدة من أفضل طرق التعليم والتربية الاجتماعية من وجهة نظر الطلبة (81% من أفراد العينة).
- يستخدم الطلبة المثل الشعبي في الدول العربية مضموناً وشكلاً بصفة عامة في موضوع المرأة رغم وجود شيء من التفاوت.
- يتعلم الناشئة الأمثال الشعبية عن طريق الاستماع إلى كبار السن (96% من أفراد العينة)، ثم من خلال الديوانية، ثم الأسرة.
- وافق (28%) من أفراد العينة على البند القائل «شاوَر المرأة واخلف شورها»

- النساء أنفسهن قد يتشربن قيم معاداة النساء وينقلنها للجيل الجديد تماماً، كما قد يفعل بعض الرجال.

- هناك أمثال شعبية مشبعة بالتحيز ضد المرأة ما زالت تعشش في أذهان بعض الطلبة مثل: «موت البنات ستر».

- الأمثال السلبية التي ذكرها الطلبة أكثر من الأمثال الإيجابية.

وأجرى سويلم (2011) دراسة بعنوان: «صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية»، وهدفت الدراسة إلى الكشف عن صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية. تكونت عينة الدراسة من أمثال المرأة الواردة في بعض كتب الأمثال الشعبية الأردنية. استخدم الباحث أسلوب تحليل المحتوى، وأسفرت الدراسة عن النتائج الآتية:

إن الأمثال الشعبية خصّت المرأة بحصّة كبيرة من الأمثال التي تظهرهن بصورة سلبية تعبر غالباً عن نظرة دونية للمرأة في الأدوار المتعلقة بها كبنات، ومطلقة، وأرملة، وعجوز، بينما لم تشغل الأمثال التي تقدم الصورة الإيجابية إلا حيزاً ضيقاً خصوصاً في دورها بوصفها أمّاً. وأوصى الباحث بوضع خطة شاملة تهدف إلى تصحيح النظرة النمطية الخاطئة للمرأة في الثقافة الشعبية، خاصة أن هذه النظرة لا تنسجم مع نظرة الإسلام لها.

وأجرى إبراهيم (2013) دراسة بعنوان: «أدب الأمثال الشعبية في المأكولات النابلسية»

تناولت الدراسة جانباً من الفولكلور القولي المتمثل بالأمثال التي يتداولها النابلسيون في مأكولاتهم، وبرزت أهمية الدراسة لارتباطها بالهوية والخصوصية التي تتجلى لدى شريحة من المجتمع الفلسطيني، سارت الدراسة على المنهج الوصفي والاستقرائي لما يتم تداوله من أمثال شعبية خاصة بالمأكولات.

عالجت الدراسة مصادر الأمثال الشعبية، وخصائصها وفوائدها وأنواعها ومصادرها وصلتها بالمأكولات الشعبية النابلسية التي من أهمها الكنافة والمطبق والعوامة والمقلوبة والمسخن والمحاشي والعكوب والمسقعة والششريك.

وعرضت الدراسة مجموعة من الأمثال الشعبية ذات الدلالة بالمأكولات الشعبية، وأشارت إلى أن الأمثال الشعبية وثيقة تاريخية واجتماعية، وأنها المرأة التي تعكس ما بداخلها وتكشف حولها، وكل ما يمت إليها بصلة من عادات وتقاليد وقيم وتاريخ.

بعد استعراض الدراسات العشر السابقة، يظهر لنا أن سبع دراسات منها أجريت في فلسطين، واثنان في الأردن، وواحدة في الكويت. كما أن أربع دراسات منها كانت متعلقة

بالمرأة، أما الست دراسات الأخرى فقد كانت متعلقة بالمأكولات، والتراث الشعبي بشكل عام، ونقد الأمثال بوجه عام، والترابط بين الأمثال الشعبية والأبعاد الاجتماعية، والأمثال من وجهة نظر العقيدة الإسلامية، والجغرافيا الفولكلورية في فلسطين.

ولم يتمكن الباحثان من الحصول على دراسات متعلقة مباشرة بالماء والخضراء (الأرض والنبات)، بخلاف ما عثروا عليه من دراسات متعلقة بالمرأة (الوجه الحسن)، مع أن الدراسات الواردة أعلاه كانت كافية لإضاءة طريق هذه الدراسة.

### مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من عدد كبير من الأمثال التي وصل إليها الباحثان من مصادر مختلفة تمثلت في:

♦ أولاً: من الآباء والأجداد والرواة الذين يروون ويتناقلون القصص والأمثال الشعبية في منطقة عرب التعمارة وبيت لحم.

♦ ثانياً: الموسوعات التراثية والكتب والمجلات المتخصصة في التراث.

وحصر الباحثان الأمثال المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن فبلغت (70) مثلاً شكلت مجتمع الدراسة.

### عينة الدراسة:

قام الباحثان بعملية تفحص للأمثال التي يتضمنها مجتمع الدراسة بهدف تحديد عينة الأمثال المرتبطة بمقولة «الماء والخضراء والوجه الحسن» مباشرة وبوضوح، فاتفقا على اعتماد ستة وعشرين مثلاً بوصفها عينة الدراسة، منها ثمانية أمثال متعلقة بالماء، واثنا عشر مثلاً متعلقة بالأرض والنبات، وسبعة أمثال متعلقة بالوجه الحسن (الجمال والزين).

والأمثال التي شكلت عينة الدراسة هي:

♦ أولاً- الأمثال المتعلقة بالماء:

1. تاجر المية مش خسران (لا يمكن لتاجر الماء أن يخسر في تجارته).
2. وداه على البحر ورجعه عطشان (أرسله إلى البحر وأعادته عطشاناً).
3. بتصيد في المية العكرة (يصطاد في الماء العكر).
4. بنشرب مع المية العكرة (يشرب مع الماء العكر).

5. عطشان وحامل الميَّة على ظهره (يحمل الماء على ظهره لكنه في نفس الوقت عطشان). .

6. البير اللي تشرب منه لا ترمي فيه حجر (لا ترمي حجراً في البئر الذي تشرب منه).

7. الميَّة ما بتمر من عطشان (الماء لا يمر من خلال عطشان).

#### ♦ ثانياً- الأمثال المتعلقة بالأرض والنباتات:

1. الأرض بتنقاس بالشبر. (الأرض تقاس بالشبر)

2. الأرض ما تخبر عن اللي في بطنها (لا تخبر الأرض عما في داخلها).

3. اتعب على أرضك بتتعب عليك (بقدر تعبك يكون تعب الأرض عليك).

4. الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها (الأرض المنخفضة تشرب ماءها وماء غيرها من المناطق المرتفعة).

5. اللي ما له أرض ما له عرض (من لا أرض له لا عرض له).

6. الأرض للي بيزرع ويفلح ويقلع (الأرض لمن يزرع المزروعات فيها ويحافظ عليها ويقطفها).

7. إن جار عليك الزمن جور على الأرض (إذا جار عليك الزمن، فعليك أن تعتمد على الأرض).

8. لأجل الورد يشرب العليق (سقاية الورد بالماء تسقي العليق دون قصد مسبق).

9. الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة (قد تكون البنت طويلة لكن عقلها صغير مثل عقل بنت الماعز).

#### ♦ ثالثاً- الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن (الجمال والزين):

1. ما زين إلا زين العين (الزين هو زين العين).

2. لا يعجبك زينها وبياض خرقتها، بكرة بتيجي الحصيدا وبتشوف فعلتها (إياك أن تعجب من زينها وبياض ثيابها، غدا ستري فعلها الحقيقي في الحصيدا).

3. العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينه (العقل في الرأس زينة، ومن فقدته تكون حزينه).

4. اللي ما بتزيناهاش زنودها، ما بتزيناهاش خدودها (من لم تتزين بزنودها، لن تزيناها خدودها).



5. يا ماخذ البيض يا مقصّي الزمان فرحان. (يا من تتزوج المرأة البيضاء، ستقصي عمرك وأنت فرحان).

6. زوّق الصوصة تصير عروسة (إذا زوّقت الصوصة فإنها تصبح عروسة).

## عرض النتائج وتحليلها:

♦ أولاً- الأمثال المتعلقة بالماء:

- تاجر المية مش خسران (لا يمكن لتاجر الماء أن يخسر في تجارته).
- ودّاه على البحر ورّجّعه عطشان (أرسله إلى البحر وأعادته عطشاناً).
- بتصيد في المية العكرة (يصطاد في الماء العكر).
- بنشرب مع المية العكرة (يشرب مع الماء العكر).
- عطشان وحامل المية على ظهره (يحمل الماء على ظهره لكنه في نفس الوقت عطشان).
- البير اللي تشرب منه لا ترمي فيه حجر (لا ترمي حجراً في البئر الذي تشرب منه).
- المية ما بتمر من عطشان (الماء لا يمر من خلال عطشان).

خلق الله سبحانه وتعالى الماء لإحياء الإنسان والأرض والكائنات الحية ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾. النحل [65].

والماء عصب الحياة، وأهم مكوّن من مكوناتها، وارتبط استقرار الإنسان على وجه الأرض بالماء، وارتبطت الحضارات القديمة بمصادر مائية، وعرف بعضها بالمسمّى المائي مثل حضارة بين النهرين وحضارة وادي النيل، ودبت الحياة في مكة المكرمة بعد أن تفجّر بئر زمزم استجابة لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37].

وكلمة الماء مرادفة لكلمة الحياة، لأن الماء يعني الزراعة والغذاء والشراب والطاقة، وقد وصل الأمر إلى أن حجم الأراضي الزراعية يتحدد ليس فقط بحجم الأراضي القابلة للزراعة، وإنما بكميات المياه العذبة المتوفرة أيضاً. ولهذه الأهمية الكبرى للماء جعله الله سبحانه وتعالى شائعاً بين البشر جميعاً، فحق الانتفاع بالماء مكفول للجميع دون إسراف

ولا إفساد ولا احتقار ولا تعطيل، وهذا يعني عدم جواز احتكار مصادر الماء أو منعها عن الآخرين. وقد حرص المسلمون منذ فجر الإسلام على توفير الماء للجميع، واعتبر ثروة يمكن التصدّق بها كالمال، كما حدث في قصة بئر رومة الذي كان تحت يهودي وكان يمنع المسلمين من مائه، فقال صلى الله عليه وسلم "من يشتري بئر رومة فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين" رواه البخاري. فاشتراها عثمان - رضي الله عنه (عبد الفتاح، موقع المختار الإسلامي (ar. islamway. net/ article).

كما جعل الماء وسطاً مناسباً لنمو كثير من الحيوانات والنباتات والطحالب الضرورية للإنسان، واللازمة لاستمرارية حياته وحياة غيره من الكائنات الأخرى ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ [النحل:14].

وعندما نعلم أن الله سبحانه وتعالى قد جعل من الماء كل شيء حي، ويحتاجه الإنسان والحيوان والنبات، فجسم المولود حديثاً يحتوي ما يقارب 80% من كتلته ماء، وعند الشيخوخة تصل إلى حوالي 50%، ولا يستغني عنه البدن نهائياً في عملياته الحيوية ولا يستطيع الإنسان العيش بدونه إلا أياماً معدودات، فهو مذيّب للفيتامينات والأملاح والأحماض الأمينية والجلوكوز، وله دور كبير في هضم وامتصاص ونقل واستخدام العناصر الغذائية، وهو الوسيط الآمن للتخلص من السموم والفضلات، كما يسهم في إنتاج الطاقة، وعليه يعتمد التنظيم الحراري في الجسم، ويدخل في تركيب الأطعمة جميعها... حينها نتأكد بدون شك من صحة المثل (تاجر المية مش خسران) فلا غناء عنه [مهدي، الماء في الدراسات التراثية، www. alwae. com].

وقد نزل القرآن في بيئة صحراوية جافة تفتقد إلى الماء في معظم أرجائها، وإن وجد في ناحية ما، فقد كان من الصعب استخراجها، لعدم توفر الأدوات اللازمة لذلك، وتأخر التكنولوجيا الضرورية لحل هذه الإشكالية، وينسحب الحال نفسه على كثير من المناطق العربية، خاصة تلك البعيدة عن مصادر المياه من ينابيع وأنهار وبحيرات، كما هو الحال في المناطق الفلسطينية الجنوبية، إذ كان الناس قديماً يقطعون مسافات كبيرة من أجل الحصول على ماء الشرب، لهم وحيواناتهم. وكان بعضهم - وخاصة البدو - دائم الترحال بهدف الحصول على الماء والكلاء.

وكانوا يبذلون جهوداً جبارة في محاولاتهم للعثور على الماء الخفي من خلال شم التراب، ورائحة بعض النباتات، وحركة الحيوان، ثم تطورت معارفهم إبان النهضة العربية الإسلامية إلى علوم لها قواعدها وقوانينها.

وإذا ما تذكرنا أن الإسلام قد اعتبر طهارة المسلم من الحدث الأصغر والجنابة والحيض والنفاس شرطاً لصحة العديد من العبادات كالصلاة والطواف ومسّ المصحف، والماء هو المصدر الأول لهذه الطهارة... أدركنا أن تاجر الماء ليس خسراناً (مهدي، الماء في الدراسات التراثية، (www. alwae. com).

ويشكل الماء حوالي ثلثي حجم الكرة الأرضية موزعاً بالشكل الآتي:

- 97% مياه مالحة وتمثل بحاراً ومحيطات.
- 3% مياه عذبة تتوزع كالاتي:
- (22% مياه جوفية، 77% كتل جليدية، 1% يشكل دورة الماء في الطبيعة).

يتبين لنا من هذه الأرقام أن كمية المياه النقية قليلة جداً، وإذا نظرنا بمنظار أجدادنا المفتقرين لتكنولوجيا الحفر وتحلية المياه والمواصلات السريعة، حينها نفهم جيداً معنى المثل (تاجر المية مش خسران) ، لأنها تجارة بمادة استراتيجية لا يستغني عنها أحد، وكانت صعبة المنال في مناطق واسعة من بلادنا) موقع الكتروني: [tymaroc. ibd. a3. org/ t1- topic](http://tymaroc.ibd.a3.org/t1-topic).

ويعاني الوطن العربي من مشكلة مائية كبيرة، فلا يمتلك سوى حصة مائية قليلة (0.5%) من مجموع المياه المتجددة في العالم (المياه المرتبطة بالتساقطات التي تجري على سطح الأرض ويدخل بعضها إلى الباطن) ، ويتركز الجزء الأكبر منها في مصر وسوريا والعراق. وهناك أكثر من (60) مليوناً من العرب لا تتوافر لديهم مياه صحية.

وزادت الصراعات بين الدول حول مجاري المياه من استفحال المشكلة في الوطن العربي، كالصراع بين إسرائيل والعرب حول حوض الأردن وهضبة الجولان، والصراع بين مصر وأثيوبيا حول نهر النيل، والصراع بين العراق وتركيا وسوريا حول نهري دجلة والفرات.

وتمثل الأراضي المتصحرة أكثر من ثلثي مساحة العالم العربي، وتشكل الأراضي المهدهدة بالصحح حوالي خمس الأراضي، والأراضي الصالحة للزراعة لا تمثل سوى (11.6%) من مساحة الأراضي الكلية.

وتعدُّ الكثير من الدول الآن المياه بوصفها جزءاً من أمنها الغذائي، وأصبحت محوراً مهماً من محاور الصراع الدولي في الربع الأخير من القرن العشرين، وزاد الأمر تعقيداً مع بداية القرن الواحد والعشرين، إذ أصبحت المياه مفجراً لحروب يمكن أن تحدث بين الدول، خاصة بعد صدور تقارير دولية من قبل البنك الدولي والمجلس العالمي للمياه

تحذر فيها من شح المياه وندرتها، ودعوها لترشيد المياه، والمحافظة على مصادرها من التلوث، كما عقدت العديد من المؤتمرات الدولية والإقليمية لدراسة هذه القضية، وحددت الأمم المتحدة يوم الثاني والعشرين من آذار يوماً علمياً للمياه. (عبد الفتاح، موقع المختار الإسلامي (ar. islamway. net/ article).

ويشكل الماء إكسبير الحياة للمزارعين الفلسطينيين المعتمدين على الزراعة المروية، إذ يزود هذا النوع من الزراعة المواطنين بما يحتاجونه من الخضار والفواكه، ويسد حاجات الناس الغذائية، في ظل منافسة مستعرة مع المزارعين الإسرائيليين. وينطبق نفس الأمر على كثير من الصناعات الفلسطينية التي تحتاج إلى الماء، كالصناعات الغذائية، وصناعات حجر البناء والبلاط وغيرها.

وقد حرص الاحتلال الإسرائيلي على السيطرة على مصادر المياه الفلسطينية، فأضحى الفلسطيني يشتري ماءه من المحتل الإسرائيلي، علماً بأن ما يصله من الماء لا يشكل سوى نسبة ضئيلة جداً مما يصل للمستوطن الجاثم على أرضه ومقدراته.

لذلك، ليس مستغرباً أن يكون للماء حضور كبير في الأمثال الشعبية الفلسطينية والعربية، لأنه يمثل سلعة غالية للإنسان المحروم من أرضه ومائه بالرغم من توافر التكنولوجيا والعلم الحديثين بين أيدي الجميع.

إن تاجر الماء لن يخسر أبداً (تاجر المية مش خسران)، لأن سلعته لا يستغني عنها أحد، وهي أس الحياة ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (الأنبياء 30). ويشكل الماء سلعة لا يمكن أن تبور لأنها مادة مستهلكة، ومن الصعب تدويرها وإعادة استخدامها مرة أخرى، خاصة في المناطق الصحراوية، ولذلك فإن الربح مضمون لتاجر الماء، وفي أسوأ الأحوال فإنه لن يخسر.

هل من المنطق أن تأخذ شخصاً إلى منطقة مائية، ثم تقفل به راجعاً إلى بيته وهو عطشان (وداه على البحر ورجعه عطشان). ويضرب هذا المثل في الشخص المتحائل على الآخرين، الذي يقوم منهجه الحياتي على النصب والدجل وتضخيم الأمور، والمبالغة في الوصف، بحيث يوجي للآخرين بقدرته على الفعل وخدمتهم ومساعدتهم، لكنه في الحقيقة بعكس ذلك، فهو كذاب. وقد يكون للمثل علاقة بصفة البخل، إذ تذهب مع البخيل إلى أي مكان، ويمنعه بخله من أن يقدم لك أي نوع من التكرم، خاصة وأنت ذاهب لأجل مصلحته الشخصية. فهل من المعقول مثلاً أن يأخذك إلى بلد بعيد، ثم تعود بعد زمن طويل جائعاً لتأكل من بيتك. وقد يتضمن المثل النهي عن بعض الصفات الممقوتة كالكذب وإخلاف الوعد، مما يتناقض والقيم الدينية والإنسانية التي حث عليه الإسلام والأديان الأخرى..

وذكر حوى (1988) أن البخل من الأمراض الهادمة للألفة والحياة الاجتماعية السليمة والتعاون. ويترتب على ذلك استساغة العزلة، وتراجع قيم البذل والإيثار والبذل والتضحية والمروءة والعطف والمحبة والحنان، والإقدام على عمل الخير، والجهاد، والمواساة. ويدفع البخل المرأة إلى التردد في القيام بواجبات الأمومة، وتردد الرجل في القيام بواجباته الزوجية.

وقد ربط القرآن بين الإنفاق وزكاة النفس ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ (الليل، 18).  
وذم القرآن البخل فقال: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (الحشر، 9).

وقال: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم، بل هو شرُّ لهم، سيطوِّقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ (آل عمران، 180).

وقد يؤدى الشح إلى سفك الدماء واستحلال المحارم، فقال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم» أخرجه مسلم.

والبخيل محروم من الجنة، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة» أخرجه أحمد والترمذي وحسنه.

كما أن البخيل يفتقد إلى الإيمان، كما ورد في الحديث الشريف: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق» أخرجه الترمذي.

أما الكذب فهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وهو الأصل الذي يبني عليه النفاق. قال صلى الله عليه وسلم: «إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» متفق عليه. وقال أيضاً: «إن التجار هم الفجار، فقول: يا رسول الله، أليس أحل الله البيع؟ قال: نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون» مسند أحمد. وقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة يشنؤهم الله: التاجر أو البياع الحلاف، والفقير المحتال، والبخيل المنان» أخرجه أحمد بإسناد جيد.

إن الكذب مشين لأصحاب المروءة، وملوث لنفوس المحترمين، ومسيء لأهل النخوة، ويسبب الضرر للناس... فكيف يسوّغ المرء لنفسه أن يأخذ إنساناً إلى البحر ويرجعه عطشاناً؟ ... هل هو البخل، أم الكذب؟

ويرى الباحثان أن مفهوم «الماء العكر» قد يستخدم لوصف المجتمع الذي يعجُّ

بالمشاكل والفتن والخلافات والقييل والقال. ويكون الماء عكراً عندما يختلط الماء الصافي بمواد ملوثة كالأتربة والأوساخ وأية مواد أخرى تغير صفة النقاء فيه وتفسد صلاحيته للشرب والنظافة. كذلك المجتمع الذي تختل علاقاته الطبيعية القائمة على الود والتصالح والتعاون، فيتحول إلى مجتمع مضطرب تغزوه الخلافات والتناقضات بسبب الفتن التي يحييها شخص تسلل وبدا يثير الدسائس ويفتعل الخلافات، لذلك قالوا في المثل (بتصيد في المية العكرة) ، فتجده على الأعم الأغلب كاذباً، وغير مؤتمن، وثرثاراً، وسفيهاً، وحاقدًا، ومفترياً على الأبرياء، ومغتتاباً، ونماماً، وسيئ الظن، ولا يراعي جيرة، ولا يقدر صداقة. ويهرب منه الناس هروبهم من الطاعون، هو سيئ بكل ما تعني الكلمة من معنى.

والذي يتصيد في الماء العكر إنسان يحب ممارسة الخصومة التي نبهنا أبائنا منها، لأنها تمحق الدين، وتنقص المروءة، وتضيع اللذة. ويدخل في إطار الخصومة الفحش والسبّ وبذاءة اللسان والسخرية والاستهزاء وإفشاء الأسرار والغيبة والنميمة.

وهناك نوع آخر من البشر يتسم بالأخلاق الفكرية والقلبية والنفسية الراقية، والتعامل الحسن، ويسهم في نشر السلام المجتمعي أينما حل وحيثما أتجه، لا يتدخل فيما لا يعنيه، ومرحب به في كل مكان (بشرب مع المية العكرة) ، وهو إنسان يجسد الدواء لا الداء، بعكس ذلك الذي (يتصيد في المية العكرة) . ولعل استخدام الماء في هذه الأمثال يتضمن دلالة تؤشر إلى أهمية القضية المبحوثة، إذ إن فائدة الشخص لمجتمعه أو ضرره، متعلقة بالماء الذي يمثل الحياة ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ (الأنبياء 30).

أما المثل القائل (عطشان وحامل مية على ظهره) ، فقد يضرب في الإنسان الذي لديه إمكانيات وقدرات معينة لكنه لا يستثمرها الاستثمار الأمثل. فقد تجد إنساناً يحمل أعلى الدرجات العلمية لكنه عاجز عن التفاعل الاجتماعي مع عائلته أو مجتمعه، وقد تجده عاجزاً عن التكيف مع وسطه الوظيفي، وغير قادر على تقدير ذاته، وذي إرادة ضعيفة، وغير قادر على الانسجام، كما أنه غير ميال للمنافسة التي هي عامل مهم في تبوء المركز الذي يطمح إليه الإنسان، أي أنه مصاب بالقصور الذاتي بنسبة أو بأخرى، حيث لا قابلية لديه للتغيير ولا للتغيير. وقد ينطبق عليه المعنى الضمني للآية الكريمة ﴿مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ (الجمعة، 5).

وربما يؤشر المثل اتجاه أناس يملكون الثروات الهائلة لكنهم عاجزون لأسباب سيكولوجية عن الاستفادة منها، ومن هذه الأسباب وجود سمة البخل، حيث يقتصّر الإنسان على نفسه وعلى عياله، مع أن لديه الإمكانيات الكافية لتكون معيشتة من أرقى المستويات، كالعيس في البيداء يقتلها الظما..... والماء فوق ظهورها محمول.

ويتضمن المثل القائل (البير اللي تشرب منه لا ترمي فيه حجر) على معنيين

إيجابيين:

• **المعنى الأول:** وهو المعنى المباشر، إذ يتضمن المثل دعوة صريحة للمحافظة على مصادر المياه من التلوث، من خلال تجنب إلقاء القاذورات والحجارة في مصادر الماء كالآبار والينابيع، لأنه مصدر لحياة البشر والحيوان والنبات.

• **المعنى الثاني:** وهو معنى غير مباشر، ويحث على احترام وتقدير من يعمل لك معروفاً، وأن ترد المعروف بمثله، وأن لا تسيء إلى من وفر لك عملاً عنده بالمحافظة على الأمانة التي ائتمنك عليها، وأن تحافظ على حبل الود مع من احترمك وقدرتك وأحسن إليك. قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن، 60).

فإياك أيها الإنسان أن تردّ على المعروف بالمنكر، وعلى الإحسان بالإساءة، لأن هذا السلوك من سلوكيات الإنسان قليل التهذيب وغير الفاضل، والشكر طاعة من الطاعات التي يؤديها المؤمن، ولا يشكر الله من لا يشكر الناس.

ويصور المثل القائل (المية ما بتمر من عطشان) الإنسان الأناني والطماع بإنسان عطشان بحاجة إلى ماء كثير حتى يرتوي، وليس لديه استعداد لسقاء غيره قبل أن يرتوي، وربما لا يمرر ماء الشرب إلى غيره رغم ارتوائه، بسبب أنانيته وشحّه، وربما بسبب ضعف إيمانه بأن مصدر الرزق هو الله سبحانه وتعالى. والقضية ليست مرتبطة بماء الشرب وحده، وإنما هو شحيح في كل شيء، وليس لديه استعداد لمدّ يد المساعدة لأحد، ويعتقد بأنه مركز الكون، وأن قوته في تراكم الثروة وتجميعها بشتى السبل، دون أن يفيد أحداً غير نفسه، وربما يحرم نفسه ثم يموت ونفسه تشتهي شيئاً ما كان متوافراً لديه قبل أن يدهمه ملك الموت.

♦ ثانياً – الأمثال المتعلقة بالأرض والنباتات:

1. الأرض بتنقاس بالشبر. (الأرض تقاس بالشبر)
2. الأرض ما تُخبر عن اللي في بطنها (لا تخبر الأرض عما في داخلها).
3. اتعب على أرضك بتتعب عليك (بقدر تعبك يكون تعب الأرض عليك).
4. الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها (الأرض المنخفضة تشرب ماءها وماء غيرها).
5. اللي ما له أرض ما له عرض (من لا أرض له لا عرض له).

6. الأرض للي بيزرع ويفلح ويقلع (الأرض لمن يزرع المزروعات فيها ويحافظ عليها ويحصدها).

7. لأجل الورد يشرب العُليق (سقاية الورد بالماء تسقي العليق دون قصد مسبق).

8. الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة (قد تكون البنت طويلة لكن عقلها صغير مثل عقل بنت الماعز).

لقد جعل الله الأرض معاونة للإنسان على الحياة، وهياًها بكل ما تتطلبه هذه الحياة من مطالب، قال تعالى:

﴿وبارك فيها وقدرَ فيها أقواتها﴾ (فصلت، 10).

﴿وجعلنا لكم فيها معاش﴾ (الأعراف، 10).

﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ (الملك، 15).

﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تُميدَ بهم، وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون﴾ (الأنبياء، 15) .... (قطب، 1980).

للأرض أهمية خاصة في عقل ووجدان الإنسان الفلسطيني منذ قديم الزمان، فهي التي تمدّه بالغذاء، وعليها تقوم حياته، ولم يكن هناك مصدر آخر لمعيشته، في زمن كان فيه التخلف العلمي والتكنولوجي يزرع على صدور الناس، فلا صناعة، ولا عمل خارجي، فالأرض مصدر وحيد للارتزاق والعيش بكرامة.

وفي لحظات تاريخية معينة بلغت أهمية الأرض مبلغاً شغل الآباء عن متابعة أبنائهم في المدارس، بسبب عملهم في الأرض بهدف توفير لقمة العيش لهم. كما أن الأرض تعد مصدراً لمصاريف كثير من المتعلمين في المدارس والجامعات بعد بيع إنتاجها. لكن الأرض بالقابل كانت سبباً لكثير من الخلافات، مثل خلافات القسمة، والري الجائر، والتعدي الحدودي، وكثيراً ما أدت إلى حروب عائلية ربما لم تنته (حنا، 2000).

ويرى شكارنة (2000) أن ما يميز الإنسان الفلسطيني تفاعله مع الطبيعة، ويستوحي من هذا التفاعل مثله العليا، ومن هذه المثل (من لا أرض له لا هوية له)، فما المقصود بالهوية؟

إنها إثبات وجود على سطح الأرض ضمن نطاق معين محدود، وهذا يعني إثبات شخصه لا صورته على بقعة أرض معينة في وطنه.

إن للأمثال الشعبية الفلسطينية المتعلقة بالخضراء (الأرض والنباتات) في زمننا



أهمية خاصة، في ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، ومصادرة الأراضي وإقامة المستوطنات، وبالتالي أصبحت هذه الأمثال مصدر إلهام للناس من ناحية حب الأرض والتمسك بها، وعدم بيعها لأية جهة تحوم حولها الشبهات.

لذلك كانت الأرض مهمة جداً لدى الفلسطيني، ولشدة أهميتها فهي تقاس بالشبر. ولا نستغرب إذا رأينا بعض الفلسطينيين يرفض بيع أرضه أو أي جزء منها مهما كانت حاجته. وينصح المثل باستخدام الأرض لإخفاء ما يود الإنسان إخفاءه داخل الأرض. ولقد ثبت المقصود بهذا المثل في أجلى معانيه، عندما استخدمت المقاومة الفلسطينية في غزة سلاح الأنفاق لإيواء المجاهدين، وتخزين السلاح، وقواعد لقصف الصواريخ باتجاه الجانب الصهيوني في حرب عام 2014، بمهارة وحذق، وحققت نتائج باهرة في تكبيد العدو الصهيوني خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وقصفوا تل أبيب تحت سمع وبصر الطائرات التي كانت تجوب أجواء قطاع غزة بالعشرات، وحققوا النصر المبين بإمكانات عسكرية بسيطة مقارنة بما يملكه العدو من أرقى أشكال التكنولوجيات (الأرض ما يتخبر عن اللي في بطنها). ولا عجب في ذلك، ونحن نرى أشياء ثمينة وغير ثمينة خبئت في الأرض، ولم تُكتشف إلا بعد آلاف السنين، وربما هناك أشياء ما زالت مخفية ولم تكتشف حتى هذه اللحظة، وربما لن تكتشف إلى يوم القيامة. فالأرض حافظة لأسرار الإنسان، وعلاقته معها تتسم بالود والصدقة. ولعل المثل يود التأكيد على أن الإنسان هو الذي يفشي أسرار الناس، وبدون اطلاع الإنسان على الأسرار ستبقى طي الكتمان. وهناك مثل آخر منتشر في الدول القمعية يعاكس هذا المثل في المعنى وهو (انتبه في للحيطان آذان) ، ويتضمن هذا المثل تحذيراً للناس من الحديث في السياسة وكل ما يخالف الحكومة لأنه يؤكد أن الجدران لها آذان تسمع، لذلك يجب عليك أن لا تتكلم، وإلا فالعاقبة ستكون وخيمة. بينما في المثل السابق لا يوجد للأرض آذان، وهي لا تخبر عما في بطنها، وتشكل موضعاً يصلح لحفظ الأسرار أكثر فاعلية من البشر، وأكثر أماناً.

وتقدم الأرض لك بمقدار ما تقدم لها: (اتعب على أرضك بتتعب عليك، إكبر على أرضك بتكبر عليك) ، ومن الصعب أن تقدم لك شيئاً دون أن تبذل لها تعباً وعرقاً. فإذا حفرتها ستجد فيها الماء. وإذا حرثتها وسهلتها وزرعتها وسقيتها وحميتها من الديدان والحشرات، حينها ستجد الأرض مليئة بالفواكه والخضروات. أما إذا أهملتها فلن تجد فيها ما يسرُّك. لذلك شبه مثل آخر العلاقة بين الإنسان والأرض بعلاقة اثنين متحابين متعانقين ويتبادلان القبل (هو والأرض مباوسة). فهذا المثل يدعو للعمل والنشاط وحب الأرض، ويحذر ضمناً من الكسل والتراخي. ولا يستحق ملكية الأرض إلا من يتعب ويعرق ويشقى في خدمتها.

كما أن أهمية الأرض تختلف باختلاف موقعها والهدف من استخدامها، فالأرض الجبلية يمكن استخدامها للبناء وإقامة المؤسسات المختلفة، بينما الأرض المنخفضة وخاصة السهلية منها، تستخدم للزراعة، لأنها أرض ثرية بالمواد العضوية الغذائية والماء المتدفق إليها من الجبال، ولذلك قال المثل (الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها). وإذا نظرنا نظرة حرفية للمثل نجد أنه يصدق تماماً على الأراضي المنخفضة، إذ تأتيها حصتها من المياه ومعظم حصص غيرها من الأراضي الجبلية أو المرتفعة.

أما إذا أردنا استنطاق المعنى الضمني للمثل، فيمكننا الاستنتاج أن الأرض المنخفضة (الواطية) تصوير لأولئك البشر الذين يفضلون أن يعيشوا متطفلين على غيرهم، ولا يرجون سبل المعالي من خلالا الجهد الذاتي، فيبقون في الأسفل، يصفقون للسلطات الحاكمة، ويدعمونها مهما كان سلوكها بهدف الاسترزاق السهل. ويكررون السلوك نفسه حينما تتبدل السلطة، فيحاولون الاستئثار بكل مكتسبات السلطة الجديدة، على حساب فئة أخرى أثرت كرامتها وعزتها، ورفضت النزول للأسفل والسير مع القطيع.

ويقارن المثل الخامس أعلاه بين الأرض والعرض، معتبراً الأرض مساوية للعرض أو الشرف، فيقول (اللي ما له أرض ما له عرض).

ومن المعروف أن عرض الإنسان من وجهة نظر الفلسطيني لا يقدر بثمن، وكثيراً ما تم تفضيل الموت على انتهاك العرض. فكم من فتاة قتلت بحق أو بغير حق، بسبب اعتقاد ولي أمرها بأنه قد خُدش عرضها بطريقة أو بأخرى. فقضية العرض لدى الفلسطيني قضية حساسة جداً، ولأهمية الأرض، تمت معادلتها بالعرض.

وقد بذل الفلسطينيون تضحيات جمّة في سبيل المحافظة على أرضهم، وحمايتهم من غول الاستيطان الصهيوني منذ بدايات احتلال فلسطين، وهناك يوم فلسطيني مشهود سُمي بيوم الأرض، وهو يوم الثلاثين من آذار من كل عام، وكانت بداية اصطلاحه عام 1976 حينما ارتكب الإسرائيليون مذبحه بحق الفلسطينيين المدافعين عن أرضهم في قرية كفر قاسم الفلسطينية. وقد دأب الفلسطينيون على اعتبار هذه اليوم يوماً مميزاً تقام فيه الاحتفالات، وتشتد فيه المقاومة بمختلف أشكالها، ويسقط فيه الشهداء والجرحى... وما زالت المسيرة مستمرة حتى يأذن الله بأمر من عنده.

واعتبر الفلسطينيون أن الإنسان الذي يملك أرضاً فهو لا يستحقها إن لم يصلحها ويحراثها ويزرعها ويحصدها، ولذلك قالوا في المثل: الأرض للي بيزرع ويفلح ويقلّع (الأرض لمن يزرعها ويحافظ عليها ويجني ثمارها بتعبه).

وتكتسب عملية استصلاح الأراضي أهمية خاصة لدى الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي، الذي ما فتئ يصادر الأراضي وخاصة الأراضي البور (غير المزروعة). ولذلك يحاول الفلسطينيون بذل أقصى طاقتهم للمحافظة على أراضيهم من خلال استصلاحها وزراعتها بالمزروعات المناسبة، بهدف حمايتها من السرطان الاستيطاني المنتشر في أرجاء فلسطين كافة.

كما أن الزراعة في فلسطين تشكل عماد الاقتصاد المحلي، فإذا عزف أصحاب الأراضي عن زراعتها، فإن الاقتصاد سيتعرض لنكسة، مما يؤدي إلى اعتماد الناس على الاقتصاد الإسرائيلي، الذي يتحكم في العرض والطلب، ومن ثم يحدد السعر الذي يراه، في ظل وضع لا يُمكن معظم الفلسطينيين من الحصول على حاجتهم من الخضروات والفواكه التي يمكنهم زراعتها على ما تبقى لهم من أراضي، وإشباع السوق المحلي بها، وبأسعار مناسبة، ودون تحكّم من الخارج.

وهناك نقاشات تدور في الإطار الشعبي حول التمسك بالأرض، فهناك فئة من الناس تصر على أن تتمسك بملكية أرضها، وتعتبر من العيب المشين أن يتصرف بها أو المبادلة مقابل أي شيء آخر كالبناء أو السيارة حتى لو كان فيه فائدة كبيرة. وكثيراً ما أدت هذه القناعات إلى إشكاليات عائلية ترتب عليها خصومات ومشاجرات عنيفة بين الأقارب، لأن هناك طرف آخر لا يرى في التصرف في الأرض بيعاً أو مبادلةً أمراً معيباً، من هنا جاء مثل آخر يدعم وجهة نظر الفئة الثانية، حيث يقول: (إن جار عليك الزمن جور على الأرض). وهذا يعني أن الإنسان الذي لديه أرض، يمكنه أن يتخلص من مشكلاته المالية، وييسر حياته من خلال (الجور على أرضه)، فيبيع جزءاً من أرضه مقابل الاستغناء عن الحاجة إلى الناس؟

وهناك أمثال فلسطينية جاءت تتحدث عن جانب معين متعلق بالنباتات (الخضراء) ارتأى الباحثان تسليط الضوء على مضامين ودلالات اثنين منها في هذه الدراسة، لملائمتها أغراض الدراسة.

يرى قطب (1980) أن هناك صلة قربي بين الإنسان ونبات الأرض، فكلاهما نابت من الأرض، لقوله تعالى ﴿وَاللّٰهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (نوح، 17). وهذا يعني أن صلة الإنسان بالنبات هي صلة أصيلة وطبيعية وليست مصنعة، فالإنسان مجبر على التعامل مع قريبه، وعليه أن يحافظ على النباتات الحيوية كمحافظته على أبنائه وأقربائه. يقول أحد هذين المثليين: (لأجل الورد يشرب العليق). فما هي العلاقة بين الورد والعليق؟

يزرع الناس الورود، تلك النباتات الجميلة التي تريح النفس، وتضفي جملاً وبهاءً على البيئة، ويظهر بجانب الورود نباتات أخرى تنمو تلقائياً بسبب توفر الماء والتربة المناسبة، ومن هذه النباتات نبات العليق، وهو نبات شوكي له فوائد طبية، لكنه لا يزرع لأهداف جمالية. والمزارع يزرع الورود لأجل الورود، ولا يريد العليق، لكن العليق ينمو بجانب الورود مستفيداً من البيئة المناسبة لنموه.

وفي هذا المثل إشارة إلى بعض التعاملات البشرية، فقد تضطر إلى بذل المعروف إلى شخص معين تحبه، لكنك تكره أخيه أو ابنه أو زوجته، حينها تكون أمام أحد خيارين: فإما أن تقطع حبل الودّ وعمل المعروف مع من تحب، بسبب علاقته مع آخرين لا تحبهم، أو تستمر في عمل المعروف وأنت تعلم مسبقاً أن هذا المعروف سيصل إلى أناس آخرين لا تستلطفهم أو تكرههم. وفي هذا المثل دلالة تربوية وقيمية إيجابية، إذ يحث على عمل المعروف مع الناس المحتاجين له بغض النظر عن حيثيات علاقتك معهم. وفي المثل (اعمل معروف وارمي في البحر) نفس المعاني، إذ يحث المثل على عمل المعروف لجميع الناس سواء كنت تعرفهم أم لم تعرفهم.

ويأتي هذا المثل متوافقاً مع توجيهات الدين الإسلامي الذي أمرنا بإحسان التعامل مع جميع الناس، وأن نكون إيجابيين، وأن نصل من قطعنا، وأجرنا عند الله سبحانه وتعالى. واستخدم المثل النباتات للتمثيل والتشبيه، فقد شبه المرأة الطويلة بالنخلة، وشبه عقل المرأة الغبية الساذجة بعقل السخلة (بنت الماعز).

إننا كثيراً ما نُدع بمظهر إنسان معين، سواء كان ذكراً أم أنثى، فنحكم عليه من خلال صفات مظهرية (كالطول، والشكل، واللباس، واللون)، وعند اختباره في أي موقف نكتشف أننا أصدرنا حكماً خاطئاً، لأن المَخبِر يختلف عن المظهر. ولذلك يدعون المثل إلى اعتماد محكّات عديدة ومتنوعة عند تقييم شخصية الإنسان إلى جانب الصفات المظهرية، ومن هذه المحكّات: الذكاء، والفتنة، وسرعة البديهة، والشجاعة، وحسن التصرف، والكرم، والعلم..... الخ). فالعقل حسام قاطع، وهو متمم لدين الإنسان، والحكم القاطع لا يكون إلا للعقل والسلوك لا للصفات المظهرية كما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم - رواه مسلم.

♦ ثالثاً- الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن (الجمال والزين):

♦ ما زين إلا زين العين (الزين هو زين العين).

♦ لا يعجبك زينها وبياض خرقتها، بكرة بتيجي الحصيدا وبتشوف فعلتها (إياك أن تعجب من زينها وبياض ثيابها، غدا ستري فعلها الحقيقي في الحصيدا).

◆ العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينه (العقل في الرأس زينة، ومن فقدته تكون حزينه).

◆ اللي ما بتزينهاش زندها، ما بتزينهاش خندها (من لم تتزين بزندها، لن تزينها خندها).

◆ يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان. (يا من تأخذ المرأة البيضاء، ستقضي عمرك وأنت فرحان).

◆ زوق الصوصة تصير عروسة (إذا زوقت الصوصة فإنها تصبح عروسة).

قبل الخوض في الدلالات التربوية لهذه الأمثال، رأى الباحثان أن من الضرورة البدء بمقدمة أولية تتضمن إشارات قرآنية حول الجمال، كمقدمة للحديث لاحقاً في ثنايا التحليل عن وجهة نظر الإسلام في الجمال بمختلف أشكاله.

يعدّ الجمال من أوسع المنافذ إلى النفس... تهش له بفطرتها، وتلتقي روحها بروحه في أخوة واستجابة واشتياق. والجمال في هذا الكون مقصود كالكمال، بل إنهما اعتباران لحقيقة واحدة، فالكمال يبلغ درجة الجمال. وقد وجّه القرآن النظر إلى جمال السماوات بعد أن وجّه النظر إلى كمالها: ﴿ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح﴾ (الملك، 5).

إنه الجمال، الجمال الذي يملك الإنسان أن يعيشه ويتملاه، ولكن لا يجد له وصفاً فيما يملك من الألفاظ والعبارات. والحياة معجزة الخلق الكبرى، جميلة بكل صورها وأشكالها، والقرآن يوجه القلب إليها، ويعقد صلة القرى بين الإنسان وغيره من الأحياء في هذا الوجود، النبات والحيوان والطير قال تعالى: ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء، فأخرجنا منه خضراً منه حباً متراكباً، ومن النخل من طلعها قنواناً دانية وجنات من أعناب، والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابهه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾ [الأنعام 99].

يقول المولى عز وجل: انظروا إلى الجمال المبعوث في هذه الكائنات الحية، وتمتعوا بهذا الجمال في تلك اللوحة الطبيعية الحية المتناسقة البهجة! فالجمال هنا هدف مغذٍّ للروح. والجمال عنصر أصيل في بنية الكون والأحياء، وعنصر مطلوب، مطلوب ليستمتع به الناس، وموهبة يذكر الله بها الناس ليشكروه ويعبدوه. لذلك فإن كل واقع ينحرف عن مستوى الإنسان فهو خاطئ، ولا يمكن أن يكون صواباً لمجرد أنه هو الموجود. الإنسان في نظر الإسلام إنسان، لا هو بالحيوان، ولا هو بالملاك (قطب، 1980).

جاءت الأمثال المتعلقة بأهمية الوجه الحسن (الزين والجمال) متضاربة فيما يعلّق

باعتماد هذا المحك في الحكم على النساء، وربما على الرجال أيضاً في بعض المواطنين. فبعض الأمثال قدسّت جمال الوجه باعتباره محكاً وحيداً لاختيار الزوجة، والبعض الآخر اعتبر الجمال عنصراً ثانوياً في الحكم على النساء، مفضلة عناصر أخرى عليه، مع تأخير عنصر الجمال بوصفه عنصراً ثانوياً، يأتي في الترتيب بعد عناصر أكثر أهمية كالعقل والقدرة على العمل ورعاية البيت.

ومن الأمثال التي فضّلت عنصر الجمال على غيره المثل القائل (ما زين إلا زين العين) . ففي هذا المثل تم تفضيل جمال العيون باعتباره العنصر الأساس للحكم على النساء، والعين جزء من الجسم، ولكن المثل لم يتطرق إلى السمات الجسمية والقيمية الأخرى، فماذا لو كانت المرأة جميلة العيون، لكنها عرجاء أو غيبية أو سيئة الخلق، هل سيبقى قائل المثل متمسكاً بهذا المحك في الحكم النهائي والكلي على المرأة؟ ... أم أنه سيعتمد هذا العنصر بوصفه جزءاً من مجموعة عناصر أخرى يستخدمها في حكمه حسب الأولوية؟ .

ومن الأمثال التي تؤكد اعتماد محك واحد لتقييم النساء المثل القائل (يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان) ، أي أن من يتزوج المرأة البيضاء سيبقى سعيداً طوال حياته. وفي مثل آخر (خذها بيضة ولو أنها مجنونة) ، ويعني أن من يتزوج المرأة البيضاء سيبقى سعيداً طيلة حياته، حتى لو كانت مجنونة. فما مدى صحة هذا الرأي؟

يرى الخشت (1989) أن من الرجال من ينظرون إلى الجمال الأنثوي في رشاقة الجسم وانسيابه، بينما يركز آخرون على تناسق الوجه وبهائه في حين يجمع البعض في نظرهم بين اعتبار رشاقة الجسم وبهاء الوجه. وبعض الرجال يفضلون السمراء، وآخرون الشقراء، وطائفة أخرى البيضاء. وقد أشارت دراستان قام بهما وجنز Wiggins سنة 1968، وسالي بك Sally Beck في جامعة بتلر بأمريكا سنة 1979 إلى أن الفروق الفردية بين الرجال في اختيارهم للإناث تعكس خصائص الذكر وخلفيته الاجتماعية والثقافية والحضارية.

يتضح لنا مما سبق أن بياض البشرة هو محك يستخدمه بعض الرجال في تقييم المرأة، وليس جميع الرجال، ومن ثمّ يكون المثل السابق صحيحاً لفئة معينة من الرجال، ولا يجوز تعميمه. وقد نجد رجالاً آخرين يفضلون المرأة السمراء (سمرة ونقشة، ولا بيضة ووحشة) . وربما تكون السوداء من صاحبات العقول الذكية، والالتزام الديني والأخلاقي، وتكون عوناً لزوجها على تقلبات الدهر.

وينطبق نفس الكلام على المثل القائل (زوّق الصوصة بتصير عروسة) الذي يعني أن المرأة مهما كانت بشعة، فإن هذه البشاعة ستختفي عند تزويقها وتجميلها صناعياً. ومن الواضح أن المثل يركّز اهتمامه على الجمال الجسدي متجاهلاً الجوانب الأخرى للجمال،

والتي تكتسب أهمية أكبر لدى كثير من الناس، ويمكن اعتبار هذا المثل والأمثال التي تشبّهه من النوع السلبي الذي ينظر للموضوع من زاوية واحدة، متجاهلاً الزوايا الأخرى.

إن تركيز بعض الرجال على السمات المظهرية للأنثى ليس مستهجنًا من وجهة نظر بعض الدراسات المعاصرة، التي بينت أن تحريك السمات الجسدية الأنثوية للذكور أكبر من تحريك السمات الجسدية الذكرية للإناث، فالذكور غالباً ما يختارون الإناث على أسس جسمية، كنقطة ابتداء على الأقل. وهذا ما تؤكدُه أيضاً النصوص الأدبية والشعرية والأعمال الفنية.

وقد وجد ديون (1977) أن جاذبية الوجه تعد نقطة الارتكاز الأولى للجاذبية، وأنها تساعد صاحبها أو المتعامل معه، على إقامة علاقات اجتماعية أكثر استدامةً ووفقاً، كما أن لذلك أثراً بينا في توجيه السلوك نحو مسالك لا تتسم بالضعف والعدوانية. وأكدت بعض الدراسات أن الأفراد الأكثر جاذبية من ناحية الشكل يملكون في نظر من يتعاملون معهم خصائص إيجابية، بعكس الذين لا يملكون هذه الجاذبية فينظر إليهم على أنهم يحملون خصائص سلبية. وإن الناس عامة يتصفون بالكسل في حكمهم على جاذبية الغير، إذ لا يكلفون أنفسهم عناء التعمق، ويحكمون على الأشخاص من مظهرهم، ويبنون أحكاماً على أساس ملاحظات ضحلة، وهذا ما يحدث في مقابلات الدراسة والعمل والتوظيف، حيث يتأثرون بسرعة بمظاهر جسمية في شخص يروونه جذاباً، ويبنون أحكامهم النهائية على ذلك (الخشت، 1989).

وتتضمن عينة هذه الدراسة أمثالاً أخرى أكثر إيجابية من الأمثال التي تم الحديث عنها أعلاه، وهي:

- لا يعجبك زينها وبياض خرقتها، بكرة بتيجي الحصيدَة وبتشوف فعلتها.
  - اللي ما بتزيّنهاش زنودها، ما بتزيّنهاش خدودها.
  - العقل بالراس زينة، اللي عدتمته حزينة.
- فالمثل الأول يركّز على ضرورة عدم الانخداع بجمال بشرة المرأة، أو بلباسها، والأهم من كل ذلك التركيز على فعلها الإيجابي وتأثيرها في أسرتها ومجتمعها.
- والمثل الثاني يقلل من أهمية زينة الخدود، معتبراً فعل الزنود (الأيدي) أكثر أهمية، إذ ما الفائدة من مرآة جميلة من الناحية المظهرية، لكنها تفتقر إلى المهارات الحياتية اللازمة للولوج في الحياة اليومية، من مهارات علمية وبيئية واجتماعية واقتصادية ودينية.

بينما المثل الثالث يعتمد العقل بوصفه المعيار الأول في الحكم على النساء، وأن من لم تملك عقلاً راجحاً متالقاً في الحكم والتمييز وتسيير شؤون الحياة، تكون قد فقدت أمراً عظيماً من الصعب تعويضه بأية سمات مظهرية أخرى.

ويعتقد العطيّات (1990) أن أكثر الناس يجعل الشرط الوحيد عند اختيار الزوجة هو جمالها المظهري، في حين أن تأثير الشكل الخارجي مؤقت، منحصر في بداية التعارف، ولا يلبث هذا الشكل أن يُنسى مع الوقت، وتحلّ محلّه الصورة الشاملة المكونة من مجموع ما له علاقة بالشخص ومن ضمن ذلك الشكل، ولا يعود الشكل هو المكون الوحيد للصورة، بل يدخل في ذلك السلوك اليومي الذي هو الجوهر الداخلي للإنسان أكثر بكثير من المظهر الخارجي، ومن هنا فإن بناء الزواج على أساس هسّ كالجمال الخارجي هو بناء على أساس فاسد.

كما أن الجميل أو الجميلة إن لم يتصفا بصفات أخرى تحرس ذلك الجمال وتصونه، فإن ذلك الجمال يكون - عادة - نقمة على أصحابه. فالشخص الجميل يكون عادة معرضاً لمحاولات الغواية والفتنة من الناس، أكثر من غير الجميل، وفي هذه الحالة فإن احتمال وقوع المحذور يزداد كلما كان رأس مال الشخص جمالاً. فالجمال الداخلي والانسجام المبني على التفاهم الفكري والشعوري بين الطرفين، أمران مهمان إلى جانب الجمال المظهري.

وإن الإنسان لا يتزوج لإشباع الميل الجنسي فحسب، بل يفعل ذلك لأغراض متعددة، منها محاولة الحصول على السكينة والطمأنينة والمودة والصدقة، فهل يستطيع الجمال وحده أن يحقق هذه الأهداف، وهل يُسرُّ الرجل المثقف بزوجة جميلة لا تفرق بين عمر بن الخطاب وعمر بن أبي ربيعة، أو بين فلسطين وإسرائيل؟. وهل تفرح مثقفة واعية بزوجها الجميل الذي لا قضية له سوى بطنه وفرجه؟ أم هل يُسرُّ الرجل الذي يريد أن يصبح له بيت وأبناء بزوجة جميلة لا تعرف من الحياة سوى الحفلات والأزياء؟

ويرى قطب (1980) أنه حين يُنظر للإنسان بوصفه جسداً خالصاً، يصبح متعة حسيّة بعيدة عن كل إشراق، حين يصبح ضرورة غليظة، حين يصبح جوعة طعام أو شراب أو جنس لا تشبع ولا تهدأ، حين ينحصر في حدود ما تدرّكه حواسه لا يجاوزها إلى العالم الفسيح الذي تدرّكه الروح فيما وراء الوعي... لا يعود إنساناً، وإنما يرتكس إلى عالم الحيوان.

ويعتقد الخشت (1989) أن الوجود البشري يتألف من مقومات أخرى غير الجسد مثل: الروح، والعقل، والنفس. وهذه المقومات ليست منفصلة عن بعضها، وإنما تكون وحدة واحدة، وحدة روحية عقلية نفسية جسدية، وحدة الإنسان. ولا يستطيع أي إنسان



أن ينكر ما للعامل الجسدي من أهمية، لكن ليس منعزلاً عن غيره من العوامل الأخرى. فقد أشارت الدراسات إلى أن العامل الجسدي الشكلي هو أكثر العوامل تأثيراً في انجذاب الأطفال والفتيات إلى بعضهم البعض، فمن كان شكله جذاباً منهم، ذكراً أو أنثى، يحظى بقبول أكبر وحب أعظم.

وقد ظهرت إشكالية الاختيار على أساس العنصر الجمالي المظهري بقوة في النقاش الديني الإسلامي اليومي، وما رافقه من اختلافات في وجهات النظر تجاه تفسير بعض الأحاديث النبوية الشريفة. قال صلى الله عليه وسلم: «لا تنكح المرأة لجمالها فلعل الجمال يريدها، ولا لمالها فلعل مالها يطغيها، وانكح المرأة لدينها» رواه ابن ماجه. وقال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» رواه الشيخان. ويتساءل الخشت (1988): كيف يضع الرسول صلى الله عليه وسلم عنصراً من عناصر المرأة الصالحة ثم يستبعده في الحديث الثاني؟

ثم يرد: إن المقصود من الحث على الدين، وأن المرأة لا تنكح لجمالها، ليس النهي عن مراعاة الجمال وأخذه في الحسبان، وإنما النهي عن الاختيار على أساس الجمال المحض وحده دون النظر لسائر الجوانب، لأن المرأة إن كانت جميلة الجسد وليست جميلة الأخلاق، لا ينبغي الالتفات إليها، لأن بلاءها سيكون شديداً، وسيشق على الرجل مفارقتها، وستنغص عليه معيشتة، وتسود بين الناس وجهه، وتشوش الغيرة في قلبه. فهو إما أن يسلك سبيل الحمية والأنفة فيبقى متوتراً قلقاً، وإما أن يسلك سبيل التساهل معها فيكون متهاوناً ديوناً، فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها. فالجمال مع فساد الأخلاق وغياب سائر مقومات المرأة الصالحة نقمة لا نعمة، ويجب أن يؤخذ الجمال مع سائر العناصر وليس وحده، لكنه أحد عناصر تقييم المرأة. لذلك من المستحب النظر إلى المرأة عند الاختيار، فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة، فلينظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» رواه الترمذي. يؤدم بينكما: يؤلف بينكما.

وقد كان أسلافنا ينظرون إلى النساء قبل خطبتهن، حرصاً منهم على القيام بخطوة أولى وأساسية لإتمام زواج ناجح، واعترافاً عملياً منهم بأهمية الشكل الخارجي، إلى جانب الدين والأخلاق والمهارات العملية والذكاء، وغير ذلك من المحركات الضرورية. فقال الأعمش في هذا المضمون: كل تزويج يقع على غير نظر، فأخره هم وغم.

ويلاحظ أنه كلما زادت درجة تطور الإنسان الفكري والحضاري، فإنه لا ينظر للمرأة من بعد واحد فقط، كأن ينظر إليها من جهة جمالها فقط... وإنما ينظر إليها نظرة تكاملية من مختلف زوايا التقييم: العقل والجمال والأخلاق والروح الدينية. وظهرت هذه النظرة

التكاملية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سُئل: أي النساء خير؟ قال: التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره» رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن. وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء: المرأة الصالحة، التي إذا نظر إليها أسرتَّه، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته» رواه الطبراني عن عبد الله بن سلام بإسناد صحيح. التي تسر إذا نظر إليها: كناية عن الجمال وحسن المظهر. تطيعه إذا أمر: كناية عن توافق المرأة مع الرجل.

ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره: كناية عن حسن تدينها واستقامة أخلاقها. وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» - حديث حسن صحيح رواه الترمذي وأبو داود.

وقد وردت أمثال أخرى تؤكد أهمية التدقيق في اختيار الزوجة منها (يا ميخذ القرد على ماله، بروح القرد ويظل القرد على حاله)، ومعناه أن المال لن يرفع من مستوى القرد، والمراد من ذلك المرأة الغنية، فمعيار المال بمفرده ليس معياراً جيداً وصالحاً للاختيار لأن المال قد يزول في أية لحظة، وتبقى المرأة كما هي دون أي تقدم.

وفي مثل آخر (زينة البنات لا تؤخذ، دور على الأصيلة). وتحل الكارثة إذا فقدت المرأة الزين والعقل معا (لا زين فيها ولا عقل مواريتها).

وتؤكد بعض الأمثال على ضرورة تحري حقيقة أم العروس بحيث تكون من النوع الحر وشبهها المثل بالذهب (بنت الحرة زي الذهب في الصرة).

واللباس يجب أن لا يخدع الناس عند الزواج، لأن الجمال يكون ذاتياً، ولا يأتي من اللباس (اللي ما بتزينه عروقه، ما بتزينه خروقه)، ويلاحظ أن العروق قد استخدمت للدلالة على جمال الجسم.

وقد يخطئ الرجل في اختيار الزوجة من خلال انخداعه بالمظهر المصطنع، فيقع في مشكلة حياتية يصعب حلها إلا من خلال توضيحات كبيرة (بخت الرمايم قايم، وبخت الزينات نايم). وهل صحيح أن من يأخذ الجميلة يستريح (خذ مليح واستريح)؟ .. هو خطاب للمذكر مع أن المثل ينطبق على الجنسين. وهل الملاحه وحدها مدعاة للراحة؟

وهل الزواج من المرأة الجميلة يسمح للرجل بالجلوس في البيت والامتناع عن العمل (خذ الجميل واقعد في ظله)؟، والجواب لا، لأن هذه المرأة بحاجة إلى أن يشتغل الرجل ليلاً ونهاراً من أجل تلبية رغباتها، خاصة إذا كانت لا تملك من المؤهلات غير هذا الجمال.

ويحلل عطيات (1990) بعض الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن تحليلاً لطيفاً ارتأى الباحثان تضمينها في هذه الدراسة، لما تتميز به من عمق في التحليل، وتضيف لهذه الدراسة معاني جديدة، وقد تسهم الأمثال المضافة في زيادة توضيح معاني الأمثال المدرجة ضمن عينة الدراسة.

#### الأمثال:

- باخذ الغندور ولو سكني في القبور.
- خذي الحلو واتملي فيه، اغزلي واطعميه.
- خذ الحلو واقعد قبالة، وإن جعت شاهد جماله.

تحت هذه الأمثال على الزواج بجميل الشكل بغض النظر عن النتائج المترتبة على ذلك، كأن الزواج رحلة تستغرق يوماً أو بعض يوم. والزواج قفص حقيقي إن دخله المرء، أصبح من المحتم عليه أن يتكيف داخله، والتراجع عنه يؤدي إلى خسائر فادحة في الأموال والأعصاب وراحة البال.

إن الغندور الذي لا يملك سوى غندرته سيصيب زوجته بالجلطة تلو الجلطة نتيجة عطفه وحنانه على الأخريات اللواتي يُردن التمتع به مع استعدادهن لإسكانه لا بين القبور وإنما بين القصور. أما التي تاخذ الحلو لحلاوته ولو أدى الأمر إلى أن تغزل بيدها لإطعامه، ستعلم بعد حين أن الحلولن يبقى جالساً منتظراً حتى تبيع غزلها وتطعمه، لأن هناك من عندهن الاستعداد لإطعام هذا الطو التافه ما لذ وطاب. وإن الحلولن يظل جالساً قبال المرأة حتى تشبعه لأنه ليس بالجمال وحده يحيا الإنسان. ولما كنت قد اخترت الحلو لحلاوته وحسب، فالغالب أن مثل هذا الحلو لا تحكمه في السلوك مفاهيم راقية، بل تسيره المصلحة والمنفعة، ومن هنا فإنه يبحث عن تكافئه مقابل تمتعها بجماله، ولا يكفيه استعدادها للصوم مقابل ذلك. وإن كنا نعذر العجائز في اعتماد معايير الحسن والجمال فإننا لا نعذر الشباب المثقفين الذين يرتكبون نفس الخطأ.

وذكر الخشت في دراسته (1988) تسعاً وخمسين صفة للمرأة المثالية، تمحورت غالبيتها العظمى على صفات لا تتعلق بالجمال المظهري، وإن تحدث بعضها عن ضرورة حفاظ المرأة على مظهر لائق أمام زوجها. والصفات هي:

أن تكون منطقية في متطلباتها، وأن لا تنسى أنها أنثى، ولا تختلق النكد، وتحافظ على صورتها الحلوة التي رآها عليها الرجل أول مرة، واللباقة، والحرص على تحصيل خبرات جديدة، ومستقلة الشخصية، وتحسن معاملة أهل الزوج، وأن تكون نظيفة وتحافظ على

النظافة، ولا تفرط في الزينة، ومستقلة الشخصية، وتحسن معاملة أهل الزوج، ومخلصة لزوجها، وغير مسرفة في الاختلاط بالجيران، ولا تركز على ماضي زوجها، ولا تعتبر المال أصدق دليل على الحب، وليست مسرفة في طعامها وشرابها، وليست مهملة، وتقدر الأمور بقدرها، ولا تحمل سجلاً أسود لنقائص زوجها، وتتخذ موقفاً إيجابياً تجاه عيوبها وعيوب زوجها، وتتنزّه عن الشجار والجدال، ولا تدفع زوجها للتهوّر من خلال تهويل النزاع، ليست خداعة ومزيّفة للحقائق، وليست منّانة، وليست أنانة أو متمارضة، وغير ثرثارة أو متشدّقة، وغير برّاقة، وغير حدّاقة: أي لا تتطلع إلى ما يملكه الآخرون من مقتنيات جذّابة، ولا تضع نفسها في موضع التهم، وتتفهم الرجل وتحاول التكيف معه، وتحسن تدبير شؤون المنزل، ولا تضيع حق زوجها بحجة حق الله، ولا تفتشي سراً، وتشارك زوجها حلو الحياة ومرّها، وتوافق رغبات زوجها ولا تخالفه إلى ما يكره، وتجيد فن الحديث، وتعبر عن مشاعرها وتعطي زوجها الفرصة ليعبر عن مشاعره، وتشارك زوجها حلو الحياة ومرّها، وتوافق رغبات زوجها ولا تخالفه إلى ما يكره، وتجيد فنّ الحديث، وتعبر عن مشاعرها وتعطي زوجها الفرصة ليعبر عن مشاعره، وترضى بما قسم الله لها، وغير مفرطة في الغيرة، وليست متكبرة، وتتحدث بنعمة ربها أو على الأقل لا تنكرها، وليست لعوباً، وتعطي قبل أن تأخذ، وتتجنب التوافه، وليست مترددة، وليست لوّامة، ووفية بعهداها، وتحترم رغبات زوجها وذوقه، ولا تترك أولادها للخدم أو للشارع، وليست روتينية في حياتها، ومتجددة، ولا تحب إلا رجلاً واحداً، وتحسن الاستماع إلى زوجها، ولا تتبع الرجل كظله، وليست لحوحاً، وليست نزاعة للسيطرة، ومنظمة... لكن ليس إلى درجة الهوس، وصبورة، ولا تشوه صفاتها الجميلة... كالحنان، والوفاء، والوقار، والاستقرار، والتنظيم، والجلد.

ويرى الباحثان أن هذه الصفات جوهرية فعلاً، وأن عدداً كبيراً من هذه الصفات يجب أن تتوافر في الرجل المثالي أيضاً، وهي صفات يجب أن تطلبها المرأة في الرجل، مثلما يطلبها الرجل في المرأة، لأنها صفات إنسانية وليست مرتبطة بالجنس.

## مناقشة النتائج:

عرضت الدراسة تحليل المعاني المتضمنة في ظلال ستة وعشرين مثلاً شعبياً من الأمثال المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن، واستقراء دلالاتها الفكرية والتربوية.

والمتمعن بدقة في هذه الأمثال، يتوصل إلى الحقيقة القائلة بوجود معنيين للمثل الواحد، المعنى الظاهري والمعنى المجازي. وحتى المعنى الظاهري فإنه يمكن تفسيره

بأكثر من طريقة ووجهة نظر، كما هو الحال في المثليين الآتيين:

- المثل الأول: الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها.
- المثل الثاني: إن جار عليك الزمن جور على الأرض.

ويجد المتدبر لمعاني الأمثال أن الأمثال المدرجة ضمن موضوع واحد، يمكن أن تحتل معاني متضاربة، فالمثل (يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان) يعتبر بياض بشرة المرأة المحك الوحيد لاختيار الزوجة، بينما نجده يتناقض وأمثال أخرى تتحدث عن أسس اختيار الزوجة ومعايير جمالها كما في الحالات الآتية:

فالمثل (ما زين إلا زين العين) يركّز على جمال العين وليس على لون البشرة.

والمثل (لا يعجبك زينها وبياض خرققتها، بكرة تيجي الحصيدا وبتشوف فعلتها) يركز على قدرة المرأة على العمل، ويحتقر اعتماد جمال الجسم والثياب في تصنيف النساء. والمثل (العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينه) يعتبر المستوى العقلي للمرأة هو أساس المفاضلة وليس جمال الوجه.

أما المثل (زوّق الصوصة تصير عروسة) فيعطي الجمال المظهري الصناعي أهمية أكبر من الأهمية المتعلقة بالجمال الطبيعي أو المستوى العقلي والأخلاقي.

بينما نجد أن المثل (الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة) يشنع على من تمتلك الجمال الجسدي على حساب العقل.

ويعزو الباحثان تضارب الأمثال في معايير المفاضلة بين النساء، إلى نشوء الأمثال في بيئات فلسطينية متباينة ثقافياً، فينتشر مثل معين في بيئة معينة، ولا ينتشر في بيئة أخرى، وقد تكون البيئتان في نفس المحافظة.

وظهر للباحثين أن الأمثال قد تكون إيجابية في حثها على القيم الإيجابية البناءة للمجتمع، وقد تكون سلبية في تركيزها على بناء قيم هدامة وتؤدي إلى تأخر المجتمع. وقد يجد القارئ بعض المثل المتناقضة مع مضامين الدين الإسلامي الحنيف، بينما نجد أمثال أخرى تتفق معه، وبعضها الآخر يساعد على تثبيت الهوية الوطنية من خلال حثها على التمسك بالأرض الفلسطينية التي تتعرض يومياً للمصادرة، واعتبارها الأرض مكافئة للعرض، وحثها على خدمة الأرض وإصلاحها وزراعتها... فبمقدار خدمة الإنسان لها تخدمه.

والمتدبر للأمثال المتضمنة في عينة الدراسة، يجد أنها تحث على تمثّل بعض

القيم الإيجابية والمثل التربوية، ومنها:

1. ضرورة الاهتمام بمصادر المياه، واعتبار الماء سلعة استراتيجية للوطن وللبيئات المحلية، في ظل هجمة صهيونية شرسة للاستيلاء على مصادر المياه الفلسطينية.
2. من سمات الإنسان الفاضل: الصدق قولاً ووعداً، وأن يكون كريماً ومبتعداً عن البخل والسُّخ، فلا يكون كمن يرسل شخصاً للبحر ويرجعه عطشاناً.
3. الابتعاد عن إثارة الخلافات بين الناس، مع ضرورة التمسك بالقيم الدينية والوطنية، التي تحجز للإنسان محلاً محترماً في المجتمع.
4. على الإنسان أن يشكر من يقدم له معروفاً، ولا ينكر الجميل.
5. ضرورة اعتماد المحكّات الإنسانية والمضامين الجوهرية عند اختيار المرأة للزواج، كالعقل والعلم والذكاء والطلاقة اللغوية والدين، وتجنب الاقتصار على جمال الوجه، وطول القامة، إلا إذا اجتمعت هذه المحكّات في امرأة واحدة، حينها نحمد الله سبحانه وتعالى، ونكرر المثل (الخير خيرين)، أي أن الخير أصبح مزدوجاً ومضاعفاً.

## التوصيات:

يوصي الباحثان بما يأتي:

- ◆ أولاً: تضمين الأمثال في المناهج المدرسية والجامعية، لما لها من دور كبير في تحفيز خيال الطلبة، وتطوير لغتهم اليومية.
- ◆ ثانياً: إجراء دراسات أخرى حول الدلالة التربوية للأمثال أخرى متداولة على ألسنة العامة، أو موثقة في الكتب والموسوعات المتخصصة في الموضوع.
- ◆ ثالثاً: تشجيع الطلبة في المدارس والجامعات على دراسة الموروث الشعبي من الأمثال، من خلال تكليفهم بإجراء أبحاث وتقارير وإلقائها خلال المحاضرات والإذاعات المدرسية.
- ◆ رابعاً: على أصحاب القرار اتخاذ خطوات إيجابية في رسم السياسة العامة وتنفيذ الخطط المستقبلية، لتحقيق التكيف الفكري لشخصية الفلسطيني، وتلبية احتياجاته ضمن الواقع الذي يعيش فيه، عبر فهمه للمعاني العملية المكثفة والمختزنة في الأمثال الشعبية.

## مقترحات تربوية للمدرسة الفلسطينية:

يشكل التراث مكوناً مهماً من مكونات المجتمع، ويمثل تراكمًا تاريخياً له، وتعنى

دراسة التراث بالتركيز على عادات وقيم وفنون وثقافة المجتمع. وقد حرصت كثير من الدول المتقدمة مدنياً على إحداث نقلة تكنولوجية متقدمة دون المساس بتراثها، أي أنها قامت بالمزاوجة بين أصالتها والتطورات المعاصرة، ونجحت في ذلك إلى حد كبير، كما حدث في اليابان والصين سابقاً، وتركيا وماليزيا هذه الأيام.

والفلسطينيون اليوم بأمس الحاجة إلى المحافظة على تراثهم والاستفادة من إيجابياته، والولوج في باب المعاصرة والتحديث في الوقت نفسه، والمؤسسة التربوية تمثل ذلك الباب، إذ يتم البدء من المدرسة، تلك المؤسسة التربوية التي يبدأ فيها أطفالنا حياتهم التعليمية والتربوية.

ورأى الباحثان أن يضعوا مجموعة من المقترحات بين أيدي المسؤولين التربويين الفلسطينيين ومديري المدارس، والتي قد تسهم في انخراط المدرسة مباشرة على رأس الجهود التي تسعى للمحافظة على التراث، وتنقيته، والاستفادة من إيجابياته.

أ. تأسيس أجنحة تراثية دائمة في المدارس تضم كل ما يمكن جمعه من التراث المادي كأدوات الصناعة والزراعة، والأدوات التي كانت تستخدم لتسهيل حياة الفلسطيني اليومية، مع ضرورة تثبيت نشرات تعريفية بهذه الأدوات. كما تضم معارض للألبسة التراثية الفلسطينية.

ب. تشجيع طالبات المدارس والجامعات على ارتداء ألبسة التراثية، ليس بهدف الاستعراض في المناسبات فقط، وإنما لتكون ألبسة دائمة وعن قناعة راسخة، خاصة وأن الكثير من هذه الملابس تنطبق عليها شروط اللباس الشرعي.

ت. تنشيط المطبخ التراثي المدرسي، من خلال إعداد وجبات غذائية تراثية، وتشجيع الطلبة على تناولها.

ث. تدريب الطلبة على الفنون الشعبية التراثية كالدبكة والشعر الشعبي والغناء والعزف على الأدوات الموسيقية الشعبية كالشبابة وغيرها، وتشكيل الفرق الطلابية المهتمة بهذه الموضوعات، وإجراء المسابقات المتنوعة بين المدارس في هذا المضمار.

ج. تزيين الغرف الإدارية المدرسية والممرات بالأدوات والمواد والصور التراثية المتنوعة.

ح. تشجيع الرحلات المدرسية إلى المواقع والمعارض التراثية.

خ. تكليف طلبة المدارس بإجراء دراسات حول التراث الشعبي الفلسطيني بأشكاله كافة، على أن تتضمن مقارنات مع التراث اليهودي، بهدف دحض الادعاءات الإسرائيلية القائمة على مزاعم ملكية بعض أشكال التراث الفلسطيني وتهويدها تحت سمع وبصر العالم، وكذلك إجراء دراسات تحليلية للأمثال الفلسطينية والعربية.

د. تشجيع الطلبة على فهم وحفظ الأمثال العربية والفلسطينية خاصة، واستخدامها في خضم الحياة اليومية، مما يكسب الطلبة فهماً وفصاحةً وتشبيهات مميزة، مما قد يؤدي إلى تثبيتها في أذهانهم وتسهيل نقلها للأجيال التالية.

ذ. كتابة بعض الأمثال ذات المدلولات الإيجابية على جدران المدرسة أو على لوحات خاصة، لتبقى تحت بصر الطلبة، بهدف ترسيخها في عقولهم واستخدامها عند اللزوم.

ر. نشر ثقافة المحافظة على التراث الشعبي الإيجابي من خلال مجالات الحائط والمطويات والإذاعة المدرسية.

ز. اعتماد موضوعات التراث الشعبي ومنها القصص الشعبي في المناهج المدرسية، ضمن مواد اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، وتكليف الطلبة على شكل مجموعات بالقيام بمشاريع بحثية يُرصد لها درجات معينة، بهدف مشاركة جميع الطلبة في العمل الجماعي، وضمان اهتمامهم الجدي بالموضوع.

س. تثقيف الطلبة في مجال عدم الإسراف في استهلاك المياه، والتركيز على دعوة الإسلام للمحافظة على الماء، كما قال الرسول - عليه السلام - : "كلوا واشربوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة" رواه النسائي وابن ماجه. وكما نهى عن الإسراف في ماء الوضوء حتى لو كان الإنسان على نهر جارٍ، وغير ذلك من النصوص الشرعية والأدبية. كذلك إرشاد الطلبة إلى متابعة التسريبات المائية بمنازلتهم وإجراء الصيانة اللازمة، واستخدام أدوات الترشيح المائي.

ش. إشراك الطلبة في أعمال تطوعية لزراعة الأراضي الخاصة والعامّة، بهدف المساهمة في حماية الأرض الفلسطينية من سرطان الاستيطان، وغرس حب الأرض في قلوبهم، وترسيخ انتمائهم لأرض فلسطين المقدسة، وتعويدهم على العمل اليدوي خاصة ما يكون في الأرض.



## المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، زهير (2013). أدب الأمثال الشعبية في المأكولات النابلسية، دراسة مقدمة إلى المؤتمر الرابع للتراث الشعبي الفلسطيني في محافظة نابلس: هوية وانتماء، نابلس، جامعة القدس المفتوحة، 26 / 3 / 2013م.
2. إبراهيم، نبيلة (1974). أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط2، القاهرة: دار نهضة مصر.
3. الأشهب، رشدي (2000). حكايات شعبية من القدس.
4. بان، بطرس (بدون تاريخ). جواهر الحكم، عمان: المطبعة الاقتصادية.
5. البرغوثي، عبد اللطيف: القاموس العربي الشعبي الفلسطيني، الجزء الأول- الجزء الثالث، 1987-1993-1998م.
6. أبو زر، ماهر فؤاد (2004). أخطاء عقائدية في الأمثال والتراكيب والعادات الشعبية الفلسطينية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.
7. حداد، منعم (1989). المثل الشعبي والمثل الرسمي، الأسوار للأبحاث الفكرية والثقافية والوطنية، العدد الثالث، عكا.
8. الحمامده، محمد (1998). القصة الشعبية والتربية البدوية، مجلة التراث والمجتمع، العدد الثاني والثلاثين، البيرة- فلسطين.
9. حسن، عمر خليل (1988). المرأة والمثل الدارج في فلسطين، التراث والمجتمع، عدد 19، البيرة- فلسطين.
10. حنا، جبران سمارة (2000). نفحات عطرية من القصص التراثية، غزة: مؤسسة ي نابيع.
11. حوى، سعيد (1988). المستخلص في تزكية الأنفس، ط4، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
12. الخشت، محمد عثمان (1988). المرأة المثالية في أعين الرجال، القاهرة: مكتبة ابن سينا.
13. خليل، سميحة (1997م): حكاية من بلدي، مجلة التراث والمجتمع، العدد السابع، أيار.

14. سويلم، صالح (2011). صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 7، ص34-41.
15. صالح، أحمد رشدي (1959). فنون الأدب الشعبي، ج2، القاهرة: دار الفكر.
16. شكارنة، عمر (1999). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 34، البيرة- فلسطين.
17. شكارنة، عمر (1999). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد33، البيرة- فلسطين.
18. شكارنة، عمر (1998). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد31، البيرة- فلسطين.
19. شكارنة، عمر (1998). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد32، البيرة- فلسطين.
20. شكارنة، عمر (2000). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد35، البيرة- فلسطين.
21. شيبير، مينيكة (2004). النساء في أمثال الشعوب» إياك والزواج من كبيرة القدمين»، ترجمة هالة كمال ومنى إبراهيم، القاهرة: دار الشروق.
22. شمالان، إبراهيم أحمد (1972). الشعب المصري في أمثاله العامية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
23. عساف عبد وحمد، علي خليل (1998). حكايات فلسطينية للأطفال، نابلس.
24. العطيات، أحمد (1991). أمثالنا الشعبية في الميزان، ج1، ط1، عمان.
25. عمار، حارص. الأمثال الشعبية ودورها في تنمية التفكير الناقد والقيم لدى تلاميذ الحلقة الإعدادية من خلال تعليم الدراسات الاجتماعية وتعلمها. مجلة نهر العلم (kenana online. com) .
26. عرنيطة، يسرى جهورية (1968). الفنون الشعبية في فلسطين، بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية.
27. قباجي، مولود طه (1970). الأمثال التركمانية، قيمتها ودلالاتها التاريخية، مجلة التراث الشعبي العراقي، عدد 90.
28. قطب، محمد (1980). منهج الفن الإسلامي، الطبعة الرابعة، القاهرة: دار الشروق.

29. كراب، الكزاندر هجري (1967). علم الفولكلور، ترجمة رشدي صالح، القاهرة: دار الكتاب
30. كناعنة، شريف (1992). الدار دار أبونا- دراسات في التراث الشعبي، القدس: مركز القدس العالمي للدراسات الفلسطينية.
31. الكندري، لطيفة حسين ومالك، بدر محمد (2011). صورة المرأة في الأمثال الشعبية من منظور طلبة كلية التربية الأساسية في الكويت.  
[http:// latefah. net/ artic2/ %d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%85%d8%ab%d8%a7%d9%84. pdf](http://latefah.net/artic2/%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%85%d8%ab%d8%a7%d9%84.pdf)
32. المبيض، سليم عرفات (1986). الجغرافيا الفولكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
33. محمد عليان، محمد (2009). من صور التراث الشعبي في القدس: المثل المقدسي، دراسة مقدمة لمؤتمر التراث الشعبي الفلسطيني في القدس الشريف: هوية وانتماء، جامعة القدس المفتوحة- رام الله، 29 /12 /2009م. - كتاب وقائع المؤتمر.
34. مهدي، محمود (الماء في الدراسات التراثية). مقال على موقع الوعي  
[www. alwae. com](http://www.alwae.com)
35. نجم، منور عدنان وعلي، عزيزة عبد العزيز (2006). صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية. دراسة مقدمة للمؤتمر العلمي «التاريخ الشفوي: الواقع والطموح (15-16 أيار)، الجامعة الإسلامية، غزة.
36. نعيمة، عبد الفتاح ناصف (الماء تلك النعمة المهجرة). موقع المختار الإسلامي،  
[ar. islamway. net/ article.](http://ar.islamway.net/article)
37. النمورة، محمود طلب (1998). الفلكلور في الريف الفلسطيني، القدس: مطبعة الأمل.

## مواقع الكترونية:

1. ([kenana online. com](http://kenanaonline.com))
2. [www. alodaba. com](http://www.alodaba.com) [http:// latefah. net/ artic2/ %d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%85%d8%ab%d8%a7%d9%84. pdf](http://latefah.net/artic2/%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%85%d8%ab%d8%a7%d9%84.pdf)
3. [ar. islamway. net/ article](http://ar.islamway.net/article)
4. [tymaroc. ibd. a3. org/ t1- topic](http://tymaroc.ibd.a3.org/t1-topic)

## ملحق (عينة الأمثال):

♦ أولاً - الأمثال المتعلقة بالماء:

1. تاجر المية مش خسران.
2. وداه على البحر ورجعه عطشان.
3. بتصيد في المية العكرة.
4. بنشرب مع المية العكرة.
5. عطشان وحامل المية على ظهره.
6. البير اللي تشرب منه لا ترمي فيه حجر.
7. المية ما بتمر من عطشان.

♦ ثانياً - الأمثال المتعلقة بالأرض والنباتات:

1. الأرض بتنقاس بالشبر.
2. الأرض ما تخبر عن اللي في بطنها.
3. اتعب على أرضك بتتعب عليك.
4. الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها.
5. اللي ما له أرض ما له عرض.
6. الأرض للي بيزرع ويفلح ويقلع.
7. إن جار عليك الزمن جور على الأرض.
8. لأجل الورد يشرب العليق.
9. الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة.

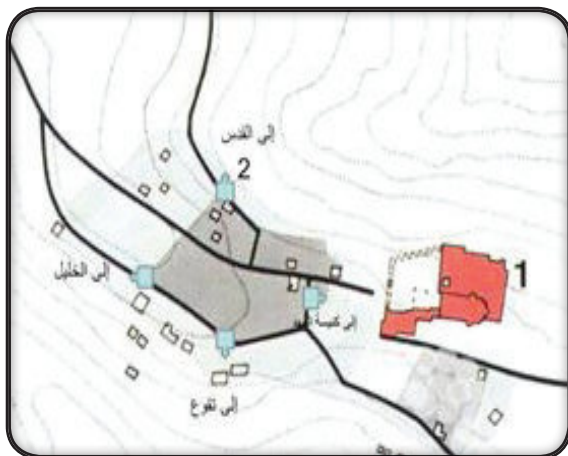
## ◆ ثالثاً – الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن (الجمال والزين):

1. ما زين إلا زين العين.
2. لا يعجبك زينها وبياض خرقتها، بكرة بتيجي الحصيدة وبتشوف فعلتها.
3. العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينة.
4. اللي ما بتزينهاش زنودها، ما بتزينهاش خدودها.
5. يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان.
6. زوق الصوصة تصير عروسة.

## مظاهر الحياة الاجتماعية والدينية والتراث في مدينة بيت لحم في مطلع القرن العشرين

أ. د قسطندي شوملي  
جامعة بيت لحم / فلسطين.

تعد مدينة بيت لحم من أهم المدن بالنسبة للعالم المسيحي، ذلك أنها مكان ولادة السيد المسيح. يحج إليها المسيحيون منذ القرن الرابع الميلادي، ويجلبها المسلمون بوصفها مسقط رأس السيد المسيح. وتتوافر داخلها مجموعة من المعالم الأثرية والدينية المهمة إضافة، إلى مجموعة أخرى في المنطقة المحيطة بها، مما يجعل منها مكاناً مهماً للسياحة الدينية. ولهذا كانت محط أنظار العالم منذ ألقى عام. تحتوي هذا الدراسة على عرض حول ملامح الحياة الاجتماعية والدينية والتراثية في مدينة بيت لحم في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من خلال مجموعة من الوثائق والخرائط والصور والمقاطع الفلمية لمشاهد من مدينة بيت لحم، صورت في بداية القرن العشرين.<sup>(1)</sup> تظهر هذه المشاهد حياة السكان في المدينة في مناسبات مختلفة.

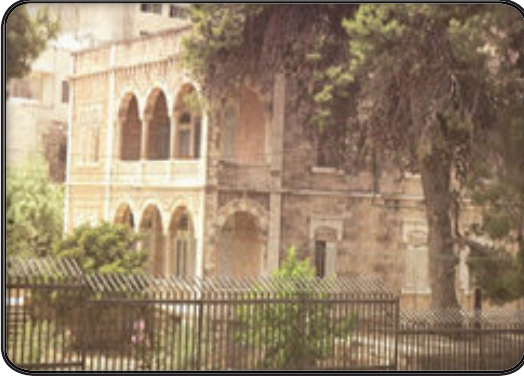


### تطور المدينة في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين:

كانت بيت لحم عبر تاريخها الطويل مدينة مسورة، إذ يحيط بها سور حجري له برجان للحراسة والمراقبة، الأول في الجهة الشرقية والثاني في الجهة الغربية. وكان موقعها قديماً على المرتفع المحصور بين درجات السوق اليوم حيث

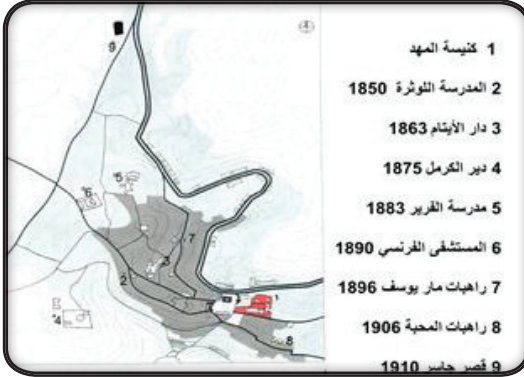
توجد كنيسة العذراء للسريان الأرثوذكس شرقاً، حتى ملتقى شارع السالزيان بشارع بولس السادس غرباً، ومن الجنوب شارع الفواغره، ومن الشمال طريق الحجاج الذي يسمى اليوم شارع النجمة. وكان يوجد في السور أربعة أبواب: الأول في الشمال الغربي بالقرب من دير راهبات الوردية في رأس افطيس ويؤدي إلى القدس، ويقع الثاني غرباً إلى جوار

الكنيسة اللوثرية ويؤدي إلى الخليل، ويقع الثالث في الشرق حيث درجات السوق اليوم في اتجاه كنيسة المهدي، ويقع الرابع نحو الجنوب، ويؤدي إلى تقوع وبرية بيت لحم. وكان سكان المدينة يبنون البيوت داخل السور، وبصورة خاصة على امتداد شارع النجمة المعروف بطريق الحجاج القادمين من القدس، وداخل قوس الزرارة.



بدأ البناء أواخر القرن التاسع عشر خارج أسوار المدينة القديمة، خارج قوس الزرارة في حارة التراجمة. وبدأت المدينة في الاتساع التدريجي إلى جهة الشمال والغرب بسبب بناء الأديرة والمستشفيات والميادين والمدارس ومراكز الإرساليات الدينية، حيث أقيمت سنة 1850 على حافة المدينة الغربية المدرسة اللوثرية، ونشأ مقابلها في

عام 1863 دار للأيتام، تحولت إلى مدرسة السالزيان الحرفية، التي تعلم صناعة الأحذية والملابس، وبنى في سنة 1875 في الجهة الغربية من المدينة دير راهبات الكرمل ودير آباء قلب يسوع، على نمط قلعة القديس انجلوا في روما، وفي سنة 1983 بنيت مدرسة الفير، جامعة بيت لحم اليوم، كما بُنيت الكنيسة اللوثرية في ساحة المدبسة ببرجها المخروطي الشكل عام 1886 بمساعدة لدفنج شنلر والإمبراطورة اوغستا فكتوريا، التي حصلت على



الإذن ببنائها من السلطات العثمانية عام 1886. وقام الإمبراطور الألماني وليهلم الثاني بزيارة الكنيسة عام 1898. ويوجد اليوم إلى جانب الكنيسة مدرسة لوثرية ودار الندوة الدولية وبيت جبران للحجاج. ثم بني المستشفى الفرنسي عام 1890 على الطريق المؤدي بين القدس والخليل، ثم بنت راهبات مار يوسف مدرسة في عام 1896

في منطقة الباطن. ويوجد لدى الراهبات الفرنسيات المعروفات براهبات البيض دير تم إنشاؤه عام 1906 قرب مغارة الحليب، وكان ملجأً للفتيات اليتيمات، وتأسست فيه أول حضانة في مدينة بيت لحم. وبنى كثيرون بيوتاً حول الهضبة الشمالية في جبل داود وفوقها. واختار آل جاسر بناء قصرهم على أرضهم الواقعة قرب قبر راحيل، واستغرق البناء أربع سنوات من عام 1910 إلى عام 1914. وأقيم عند المدخل الرئيس على الشارع

سبيل ليستقي منه السابلة من الناس والجمالة الذين كانوا ينقلون محاصيلهم وبضائعهم من مدينة الخليل وقراها محملة على الجمال إلى مدينة القدس.



وأخذ الناس يعيشون في الحقول المجاورة من خلال بناء منازلهم بجانب هذه الأديرة والمؤسسات؛ بعد أن أصبح السكن داخل المدينة صعباً من حيث الاكتظاظ وقلّة النظافة بسبب تربية المزارعين الأغنام والأبقار والدواب في زرائب تحت بيوتهم، والتي كانت تستعمل للحرثة ولنقل متوجات السكان الزراعية. وبعد عودة أبناء

بيت لحم المغتربين الذين كانوا يعملون في التجارة في بلدان أمريكا الجنوبية والبلاد الأوروبية في بداية القرن العشرين، باثروا ببناء بيوت جميلة في بساتينهم خارج بيت لحم القديمة، فأقيمت قصور وبنائات متأثرة بطراز البيوت الأوروبية، فأقام هؤلاء البيوت الكبيرة من الحجر الأحمر الذي تزيّنه حجارة بيضاء، وبنى بعضهم قصوراً تشبه القصور الأوروبية، مثل قصر سليمان جاسر الذي بني عام 1910، وقصر صالح جقمان، وبيوت سليمان حنضل وأنطون الجعار وبطرس أبوهرماس. وتطور نمط المعيشة للأهالي، وتنورت أفكارهم وتفتحت حياة السكان الاجتماعية حتى صارت معيشتهم أقرب إلى طريقة معيشة



سكان القدس، وبخاصة بعد أن هاجر عدد كبير من أبناء المدينة إلى بلدان أمريكا وروسيا وغيرها لبيع منتجاتهم من الصدف وخشب الزيتون. فقد شهدت بيت لحم في نهاية القرن التاسع عشر خروج جماعة من تجار بيت لحم حاملين معهم مصنوعاتهم الخشبية والصدفية، وسافروا من ميناء يافا قاصدين المشاركة في معرض الصناعات

في ولاية فلادلفيا في الولايات المتحدة، حيث عرضوا منتجاتهم في المعرض، وأصبح لمصنوعاتهم حديث وشهرة. وعمل المهاجرون في التجارة والأعمال المختلفة، حيث أثرى عدد كبير منهم، وعاد بعضهم واستثمر في بناء العمارات والقصور، مما أدى إلى تطور المدينة وتوسع الأهالي خارج حدود البلدة القديمة، ببناء البيوت والمحلات التجارية. وتطورت هذه الفكرة خلال العقد الأول والثاني من القرن العشرين، حتى أصبح الناس



يقلدون النمط الأوروبي في البناء بشكل كبير. وكانت مثل هذه البيوت خاصة بالعائلة الممتدة، وتتبع للجد الأكبر وتسمى بيت الحمولة. ونبغ في المدينة مع انتشار العمران عدد كبير من المهندسين منهم عبدالله خليل الياس زبلح الذي بنى مدرسة الفيرير-جامعة بيت لحم (1883)، ومرقص افندي نصار الذي كان أول مهندس رسمي في بيت لحم، وقد بنى دير راهبات أرتاس فكان آية في الإبداع، كما قام ببناء مجموعة فخمة لعدد من أغنياء بيت لحم، مثل قصر صالح جريس حقمان، وقصر سليمان حنضل، وقصر أنطون الجعار، وقصر أبو هرماس كما بنى الكازانوف للفرنسيسكان. وكانت هناك أيضاً أنواع أخرى من البيوت المؤقتة التي تبني حول المدينة في فترات الحصاد والزراعة مثل القصر أو المنطرة، وهو بناء حجري دائري الشكل ويبني من صخور كبيرة. وكانت العادة المألوفة عند بعض الأهالي، الانتقال من مساكنهم في بيت لحم لقضاء فصل الصيف في كرومهم وبساتينهم. وهكذا اتسعت المدينة، وبلغ عدد سكانها في عام 1910 ثمانية آلاف نسمة.

### منظر عام لمدينة بيت لحم للمصور كاميل سوفاجو:

يمثل هذا المقطع منظراً عاماً للمدينة، يبدأ بالمركز القديم ثم ينتقل إلى التلة التي تقع فوقها كنيسة المهد، ثم إلى تلة الملك هيرودس (الفرديس) الذي قتل 6000 من الأطفال الأبرياء في بيت لحم ومحيطها. ونلاحظ من خلال هذا المقطع أن المدينة تحتوي على أنواع مختلفة من الأبنية: يتمثل أولها في البنايات القديمة التي أقيمت بعد بناء كنيسة المهد في القرن الرابع الميلادي وما تلاه من عصور، حيث احتلت المدينة مكانة دينية مهمة، وأصبحت مركزاً من مراكز الحج. ولا يوجد بقايا من هذه البيوت سوى كنيسة المهد. ويتمثل النوع الثاني في البيوت التي شيدت خلال العهد العثماني، ويعود أقدمها إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر، ومنها الإنشاءات التي قامت بها الكنائس والأديرة المختلفة.



وقد جاء في مختلف كتب الرحالة الذين زاروا هذه المدينة قادمين من أقطار الغرب والشرق وصف كثير عن المدينة، يقول أحد الرحالة الذين زاروا مدينة بيت لحم في نهاية القرن التاسع وهو فيليكس بوفيه وذلك في عام 1870: ”إن مدينة بيت لحم تشبه في موقعها مدينة القدس، فهي تمتد فوق مرتفعين بارزين من الجهة الشرقية لسلسلة جبال القدس، ولذا فهي ترتفع كحصن على ارتفاع 750 متراً فوق سطح البحر

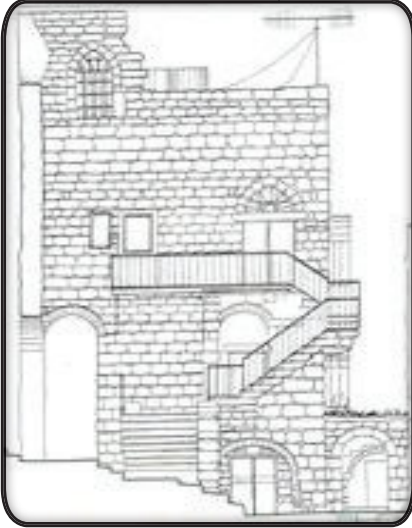
المتوسط. وقد بقيت المدينة منذ القديم حتى مطلع القرن الحالي في حجمها نفسه، قابضة فوق الجبل الذي تحيط به الأودية العميقة من جهاته الشمالية والشرقية والجنوبية. أما الجهة الغربية فكانت الأرض في ارتفاع تدريجي حتى يصل ارتفاعها في مناطق كثيرة إلى 850 متراً. وكان سبب بقاء المدينة بدون توسع للمحافظة على قوة الدفاع عنها بوجود الأودية حولها<sup>(2)</sup>. ولا يختلف هذا الوصف كثيراً عن وصف أحد الحجاج مدينة بيت لحم في القرن الخامس، الذي يقول: «تقع على قمة تلة طبيعية، تمتد من الشرق إلى الغرب، وتحيط بها الأودية من كل الجوانب، ويحيط بها سور دون أبراج، وتطل على أودية خصبة تحيط بها من كل جانب، وقد تجمعت البيوت حول المحور الرئيس، وتقع كنيسة المهد في الجانب الشرقي منها، وهي بناء ضخم مرتفع ويغطي مغارة طبيعية يسمى الجزء الداخلي منها مهد السيد المسيح»<sup>(3)</sup>. وقد تعرضت المدينة عبر التاريخ لغزاة قساة هدموا المدينة وأسوارها مراراً، فأعيد بناء المدينة وأسوارها تكراراً. وكانت المدينة على الدوام مطمع الكثيرين من الحكام والغزاة على مر الدهور، فهدمت مراراً وأعيد بناؤها في كل مرة وأعيد إليها الحياة.

## المركز القديم وفن العمارة المحلية :

وتتميز البلدة القديمة بطابعها المعماري الخاص، حيث تكثرت فيها البيوت القديمة التي تعود إلى مئات السنين. والتي تخفي خلف واجهات بيوتها المتهمة تراثاً غنياً ويوجد فيها إضافة إلى البنايات الدينية الجميلة والكنائس والمدارس والأديرة، عدد من البيوت الرائعة يتم الوصول إليها عبر طرق متعرجة ملتوية، ويقع عدد من هذه البيوت على الشوارع الرئيسة بواجهاتها الحجرية الجميلة، ونوافذها المزودة وحماياتها الحديدية. ويتميز المركز القديم أيضاً بأزقته الضيقة ومعابره المسقوفة، ولا ترتفع البيوت داخل المدينة إلى أكثر من طابقين أو ثلاثة، ويوجد في العديد منها



ساحات داخلية فسيحة، وتزدان جدرانها برسوم ملونه تمثل قصصاً دينية كالميلاد والمذود والمجوس. وكانت بيت لحم في أواخر القرن التاسع تعيش جو القرون الوسطى، بكل ما في هذا الجو من فقدان سلطة الحكومية المركزية، مما أدى إلى تنامي قوة الشيوخ المحليين وسلطتهم، ونتيجة لذلك فإن أسلوب البناء في المدينة كان يعتمد على تلاصق المباني إضافة إلى البنية الاجتماعية التي تركز على الحمولة، مما جعل المدينة تبدو مثل كتلة من المباني المتجاورة التي لا يفصلها سوى زقاق هنا وهناك. وكان يسكن في كل كتلة مجموعة بشرية تنتمي للعائلة نفسها. وكانت الشوارع في تلك الفترة مرصوفة بالحجارة، ويعلو العديد منها أقواس تستند إلى جدران البيوت المتقابلة، كما تشاهد النوافذ الجميلة للبيوت التي تطل على الشوارع بفن عمارتها القديم.



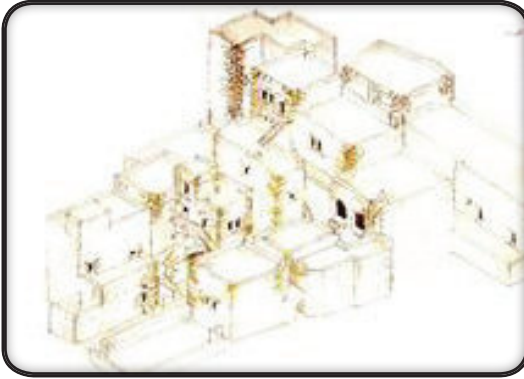
يعطي أسلوب فن العمارة في المركز القديم المدينة طابعاً مميزاً، فقد بنيت المنازل من حجارة بيضاء من نوع «المن». وكانت مكونات البناء هي الحجر الناري والتراب والشيد، وكان الحجر ينسجم مع الشيد والتراب ويحصل تماسك بينها، ويصبح البيت كتلة واحدة متماسكة. وكانت الحجارة توضع بطريقة هندسية بحيث يكون موضع كل حجر يعتمد على موضع الحجارة الأخرى. وسميت البيوت ببيوت الحجر، وكانت تؤخذ من الصخور المحيطة بالبلدة مثل الصليب والدهيشة. وكان يتم إحضار الحجارة بوساطة الجمال، ثم تعد للبناء بشكل تصلح لبناء مداميك، حيث

كانت تدق باليد. وتبدأ عملية البناء بتكوين البيت من عدة مداميك. والمدماك عبارة عن وضع حجرين مستطيلين الواحد يقابل الآخر، ويستمر وضعها بهذا الشكل حتى تمتد إلى أمتار عدة يتكون منها محيط البيت، ويوضع بين الحجرين نوع من التراب الأبيض. ويقدر عرض المدماك بثمانين سنتماً، وقد يصل إلى متر. وكانت الموالى عريضة حيث توضع حجارة كبيرة لكي تمسكها بدل الحديد والباطون، وهذا يجعلها ذات متانة وقوة من جهة، ويحفظ البيت رطباً في الصيف ودافئاً في الشتاء. وكان (الكلين) العريض يحمي سكان البيت من البرد لقارص في الشتاء، والحر اللافح في فصل الصيف. إضافة إلى أن النافذة في هذا الحائط العريض، تفسح المجال للجلوس والتفرج منها على الشارع إذا كان ذلك ممكناً، أو لوضع بعض أصص الأزهار عليها أو أباريق الماء عليها حتى تبرد. وكان الحائط العريض يعطي الفرصة لإقامة فتحات كبيرة وعريضة فيه مثل الخزانة، أو تستخدم لوضع

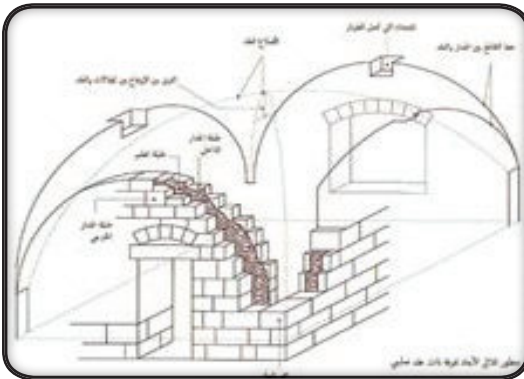
الفرشات واللحف والوسائد التي تستعمل للنوم، كما يمكن استعمال هذه الفتحات لخرن بعض المواد أو وضع الرفوف لاستعمالها لأغراض مختلفة.

وكان الحائط يبني بوضع الحجارة من الخارج والداخل ويصب في الوسط الطينة التي تتكون من الحور والتراب معاً، وكانت تخلط معها الحجارة المسماة بالدبش. وأما طريقة بناء القوس عبارة عن بناء الحجارة فوق بعضها مع تقاربها كل ما ارتفعت إلى نقطة الالتقاء في الأعلى بحسب حجم القوس، إلى أن تجتمع في الأعلى عند نقطة الصفر. وتعتمد القبة على مبدأ القوس نفسه، ولكنها تتشكل من أربعة أركان بدل ركنين، وتبدأ بحجارة ضخمة من الأسفل مستقيمة من الخارج ومن الداخل، تبدأ من أربعة أركان، وتميل حتى تلتقي بنقطة الصفر في وسط البيت، بحيث تأتي قطعة ضخمة من الحجر في الوسط تسمى العروس. وان ما يزيد من تماسكها الحجر الناري الذي يمتاز بعدم قابليته للانزلاق. وعندما يتقابل حجران على شكل اسفين، فانهما لا ينزلقان ويوضع فوقها تراب وشيد وحجارة نارية.

وقد استمر استخدام الحجر في بناء الأسقف في الأبنية التقليدية، وكانت تبني



هذه العقود باستخدام الحجر المتوافر في المنطقة. وكانت البيوت تعقد بالعقد الصليبي الذي يعتمد على توزيع الحمل من السقف إلى زوايا الغرفة الأربعة بواسطة قوسين متقاطعين. ويتم تحميل العقد الصليبي على أربعة دعائم في زوايا الغرفة الأربعة تعرف بالركب، وهي بروزات ذات قوة عالية التحمل، إذ تشبه إلى حد ما الأعمدة، وتكون أضلع العقد الصليبي امتداداً لهذه الركب. وفي الحالات التي يتكون فيها الفراغ من عقد صليبي، يتم بناء ركب في وسط الغرفة في المسافة بين العقدين، بحيث تكون محملة على وسط الجدار، وتعرف الركبة المتوسطة باسم البغلة، وتكون عادة ضعف عرض الركبة الموجودة في زاوية الغرفة المعروفة بالقرنة. كما كانت الأسقف تعقد من خلال



عقدة ”الجمالون“ أو العقد ”البرميلي“ الذي يعتمد على تكرار وحدة القوس على طول الفراغ. وهي تتكون من حجارة تُصَف بشكل قوس، وتغطي طبقة من اللتون. ويتطلب ذلك أيدي عاملة عديدة عند العقد. ويمكن إنزال بعض الركائز إلى منتصف زوايا الغرفة، وتصمم هذه الزوايا حتى تساعد الواجهة العريضة على تحمل ثقل العقد الكلي. وعادة ما يكون العقد على شكل مصلب أو مقعر. وكان سقف البيت يعقد بطريقة الجمالون لعدم توافر جسور الحديد أو الخشب في ذلك الوقت، وكانت العقدة على شكل قبة حتى لا تبقى الأمطار على ظهر الحائط، ولكي تمنع الصوت من الوصول إلى الأسفل إذا بني فوقها، وتعطي القوة لتماسك البيت. وكانت العقدة القديمة تتم على أربع مراحل وعلى شكل صليب أو تربيعة. وكانت تنزل من الجوانب على شكل أربع ركب امتازت بعرضها الأعلى، ثم تبدأ تضيق كلما نزلت إلى الأسفل. ويرتفع السقف في البيت أربعة أمتار لكي يجعل الهواء نقياً ومتجدداً، ويجعل الهواء دافئاً في الشتاء وبارداً في الصيف، وهو على شكل قبة تثبت فيه حلقات من الحديد لكي تعلق عليها المأكولات، ولكي تجفف الخضروات مثل ورق الدوالي وبعض الثمار كالكطين والثوم. وإن ارتفاع السقف واتساع الغرف وشكلها الجميل يوفر جواً أكثر ملاءمة للراحة النفسية، وعدم نقل الأصوات والضوضاء. وكانت الشبائيك عريضة وتوضع عليها الجوادل للجلوس بدل المقاعد، وتبنى الخزائن في الحائط وتغلق بشراشف وتوضع فيها الملاحف والشراشف ويطلق عليها المعزل، وأحياناً توضع الخوابي لخرن الطعام. وكانت الأرضية بلاطاً من الحجر من الصخر الصلب، وتكون بحجم كبير تصل إلى متر وسمك 20 سم، وكانت الأرض في بعض البيوت ترصف بالبلاط الذي تغطيه الرسومات الجميلة والملونة. كانت البيوت تتكون من طابقين أو ثلاثة، يسمى الأول منها بالراوية ويخصص للحيوانات، وكان يتم الوصول إليه من المدخل، وبعد صعود عدة درجات تصل إلى مكان السكن العائلي، الذي يقع في ساحة كانت تجري فيها الحياة الجماعية للأسرة. ويوجد فيها حاجز يفصل الأماكن الخاصة عن مكان الجلوس. وكانت ”المعازل“ تتوافر في الجدران وتحتوي على الفراش واللحف أثناء النهار، وكانت هذه تفرش عند المساء. وعندما كان البيت يتكون من ثلاثة



أدوار، كان الأكثر ارتفاعاً يسمى بالعلية، وهو يستعمل للنوم. وكان انحدار الأرض في بيت لحم يجعل للبيوت أبواباً مشرفة على ممرات ضيقة أو ساحات صغيرة. وعندما كان البيت يحتوي على شبك مزدوج ”المسمى بالمجوز“ كانت النساء تجلس فيه كما تجلس في شرفة صغيرة،

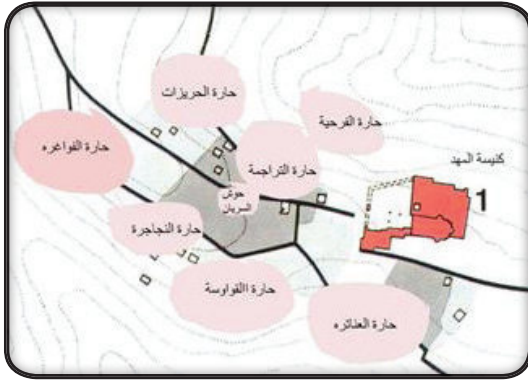
من أجل التطريز أو قتل الشعيرية. وكان كل بيت - بسبب انحدار الأرض - يحتوي على طابق أرضي يستعمل لإيواء الحيوانات، ويعلوه طابق آخر، وكان الطابق السفلي غالباً دون نوافذ في حين كانت الطوابق العليا تحتوي على شباك واحد أو أكثر، وكانت تعلو النوافذ أقواس دائرية مزخرفة. وخلال قرون طويلة عاش سكان بيت لحم في بيوت كان جزء منها مبنياً، في حين كان الجزء الآخر محفوراً في الصخر على شكل مغارة. وكانت الحيوانات تتقاسم هذا البيت مع أفراد العائلة مما يعطي دفناً لطيفاً في فصل الشتاء. ولهذا فإنه من الممكن أن يكون القديس يوسف قد سكن مع العذراء مريم في مثل هذا البيت عند قدومه إلى بيت لحم، فتكون بذلك العذراء قد وضعت طفلها في الطابق الأرضي<sup>(4)</sup>. وقام الاتحاد النسائي العربي في بيت لحم بشراء بيت مجاور لمتحف بيتنا التلحمي يمثل هذا النموذج فن العمارة المحلية، وألحق بالمتحف، وهو يقع على بعد 50 متراً من ساحة المهد.

يوجد للبيت مدخل صغير له باب من حديد أو الخشب المقوى للحماية. له قفل ومفتاح حديدي كبير، إضافة إلى زند من الداخل يمنع فتح الباب من الخارج مهما كان الضغط عليه. وهو قطعة من الحديد طويلة ومعقوفة في طرفها على شكل زاوية حادة يثبت أحد أطرافها بالحائط بوساطة حلقة حديدية، ويثبت الطرف الآخر المعقوف في نصف حلقة أخرى مثبتته داخل الباب. وتوجد بعد المدخل ساحة كبيرة مكشوفة، ويوجد في أحد أطرافها خرزة البئر. فقد كانت البيوت غالباً ما تزود ببئر داخلية، ويحيط بها عدد من الغرف. وهناك مطبخ مشترك لجميع أفراد العائلة، وكذلك مرافق صحية بسيطة. وتكاثرت في القرن التاسع عشر البيوت التي تستعمل لسكن العائلات الكبيرة، وتتألف العديد من هذه البيوت من مجموعة من الغرف المعقودة التي تطل على ساحة مركزية تسمى الحوش. فعندما أصبحت العائلات كبيرة أو عائلات ممتدة تسكن معاً، قام السكان ببناء غرف إضافية متداخلة مع أقواس وأدراج حول الساحة. وكان يجلس في الحوش كل أفراد العائلة ويستقبلون فيه ضيوفهم.

## الحياة الاجتماعية في المركز القديم:

الحارات: كانت المدينة في أواسط القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين تتكون من الأحياء السكنية التي كانت تسمى الحارات. وقد نشأت هذه الحارات وتطورت داخل المركز القديم فيها وحول كنيسة المهد. وتمثل هذه الأحياء التاريخ الحي لسكان بيت لحم، كما أنها تمثل جزءاً من تراثها الثقافي، حيث تشكل تلك الأحياء مجتمعة لوحة فسيفسائية متنوعة تحيط بساحة المهد. ونميل إلى القول بأنها كانت أقرب إلى التكتلات الطائفية التي تجمعت في منطقة أو حي، أطلق عليها فيما بعد حارات باسم العائلات التي ينحدر منها قاطنوها. ومن الحكايات المتوارثة جيلاً بعد جيل أن أصل سكان المدينة هم

خمسة من الأخوة الذين اعتنقوا الدين المسيحي منذ أول بزوغ المسيحية، وهم دويري وفقوسه وعصفوره وصليبي وشحاده. وجاءت مع مرور الأيام عائلات عديدة وسكنت في المدينة وتأسست عبر تاريخ طويل مجموعة من الأحواش والحارات تمثل حياة المدينة والثقافة الموجودة فيها. وكان ممثلو هذه الحارات يشرفون على سير الحياة في المدينة. وتتألف بيت لحم من سبعة حارات تضم الأحياء المسيحية لحارة النجاجة، وحارة الفراحية، وحارة العناترة، وحارة التراجمة، وحارة القواوسة وحارة الحريزات. وفي عام 1780، أنشئ أول حي إسلامي، حيث تعاون عدد من القرويين المسلمين مع المسيحيين في بيت لحم، ورفضوا دفع الجزية للسلطان العثماني، وقام هؤلاء الذين هجروا قرية فاغور قرب برك سليمان بإنشاء حارة الفواغرة على تلة غرب المدينة. وفيما يلي عرض لأهم هذه الحارات:



♦ **حارة النجاجة:** وتقع غربي ساحة المهد وهي أقدم الحارات وسكانها من سلالة الغساسنة من شمال اليمن من المنطقة التي تدعى نجران، وهم من أولى القبائل التي اعتنقت المسيحية. وتعد حارة النجاجة أول الأحياء السكنية القديمة في بيت لحم، وكانت البيوت فيها تحيط بالسوق

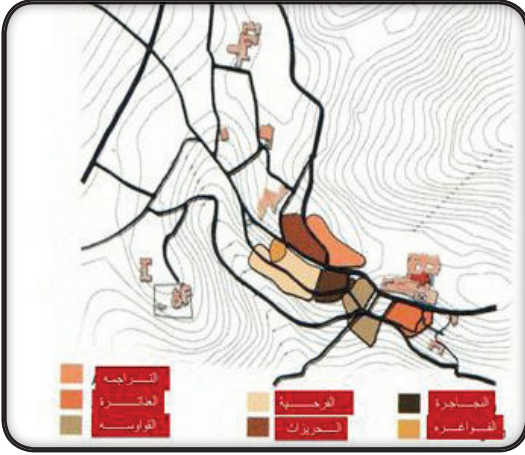
القديم لمدينة بيت لحم من الجهة الشمالية والشرقية. ووفقاً للروايات الشعبية فإن سكان هذه الحارة ينحدرون من الغساسنة، الذين يعدون من أوائل القبائل المسيحية في المنطقة. وانضمت قبيلة النجاجة لعدد من العائلات تدعى الغثابرة، وكانت قد قدمت إلى بيت لحم من اليونان مع بدايات ظهور الديانة المسيحية.

♦ **حارة الفرحية:** وتقع شمال غرب ساحة المهد وعلى طريق الحجاج القديم (شارع النجمة). وكان جدهم الأول فرح من سلاسل القبائل الأولى التي اعتنقت المسيحية في فترات المبكرة، وهي من أكبر الحارات في المدينة. فحارة الفرحية، نسبة للبطيريك فرح، وهي تشبه حارة النجاجة من حيث انتساب سكانها للقبائل المسيحية الأولى التي قدمت من وادي موسى على الجانب الآخر من نهر الأردن.

♦ **حارة التراجمة:** وتقع شمال ساحة المهد مباشرة، وعمل أكثر سكانها كمترجمين لدى الرهبان الفرنسيين لمرافقة مجموعات السياح والحجاج الذين جاءوا لزيارة الأرض المقدسة، وقد حصل بينهم وبين هؤلاء الحجاج اختلاط وتزاوج، حيث أقام قسم من الحجاج في المدينة. ويقال أن اثنين من مدينة البندقية في إيطاليا قد وصلا إلى بيت لحم للعمل

كمترجمين مع الآباء الفرنسيين، حيث كانا يتقنان اللغة العربية، وقد سكنا في بيت لحم وتزوجا بفتاتين من سكان المدينة، فصار الناس يسمون أبناء العائلة بالترجمة.

أسست ثلاث قبائل أخرى خلال فترة الحكم العثماني أحياء سكنية جديدة في بيت لحم، وهي حارة العناترة التي أسستها قبيلة عنتر في مكان يقع جنوب كنيسة المهد مباشرة، وقد سكن فيها العديد من العائلات التي جاءت من تل عنتر إلى الجنوب من الفرديس. وتعد حارة العناترة الحارة الرابعة من حارات بيت لحم. أما القبيلة الثانية فقد قدمت من تقوع واستقرت جنوب ساحة المهد بإنشاء حارة القواوسة. وكانت تقوع في القرون الأولى للمسيحية من أكثر المناطق ازدهاراً. وهي خامس حارة في بيت لحم، وسميت كذلك نسبة إلى القواس، حيث كان عدد كبير من أبناء حارة القواوسة يعملون قواسين. والقواس هو رجل طويل القامة يرتدي بدلة خاصة موشاة بالقصب وعلى رأسه طربوش أحمر، ويحمل بيده عصا طولها متر ونصف وفي طرفها دبسة من الحديد، يقرع بها الأرض عندما يسير أمام قنصل أو سفير أو بطريك ليفتح لهم الطريق لمرور مواكبهم في المناسبات والاحتفالات. ولقد اشتهر بعض رجال هذه العائلة أيضاً بصياغة الملابس وخرط الخرز لعمل المسابح وصناعة مشارب السجائر وأقلام الكتابة والمحابر. هذا في حين جاء سكان حارة الحريزات والتي تقع شمال ساحة المهد، من قرية أم طوبا جنوبي القدس. واختلط سكان هذا الحي بعائلات جاءت من جنوب شرق القدس وشمال جبل أبو غنيم.



#### ◆ حارة الفواغرة: وهي تقع على

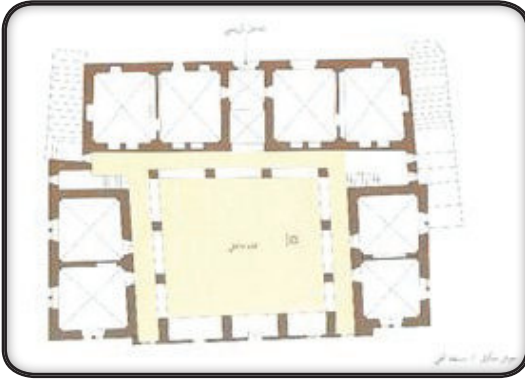
تلة غرب مدينة بيت لحم، وقد جاء قسم من سكان هذا الحي من كردستان العراق مع جيش صلاح الدين، وسكنوا فاغور جنوب غرب برك سليمان، واستوطنوا المدينة من العهد التركي، وتعاونوا مع مسيحي بيت لحم للتخلص من حكم واستبداد الديرية. وكانت هي الحارة التلحمية المسلمة الوحيدة. وقد عاش السريان في بيت لحم منذ زمن الآراميين وكانت لغتهم الآرامية لغة البلاد

في زمن السيد المسيح. وقد ازداد حضورهم في بيت لحم عام 1860، حيث اشتغلوا بالبناء والزراعة، ولكن زادت هجرة السريان إلى بيت لحم عام 1915 على اثر مذابح الأتراك للسريان الأرمن في بلادهم في تركيا، فهرب العديد من العائلات إلى القدس وبيت لحم. وقد أقاموا في المكان المعروف بحوش السريان.



في الوقت ذاته، كانت تقوم في المدينة آنذاك ساحات لكل حارة أو حمولة، يجتمع فيها الأهل، لبحث شؤونهم الخاصة ومشاكلهم العامة لمعالجتها وفض الخلافات، وإجراء المصالحة بين المتخاصمين، للحيلولة بذلك دون وصول هذه الأمور للسلطات المحلية. ويقول أيوب مّسلم في مذكراته: أن هذه الحارات أصبحت ناظماً مسكياً وعرفياً لأهل المدينة في تشكيل واتخاذ القرارات، حيث رأى أن « مجلس البلدية ببيت لحم » يشكل من أعضاء أو مختاير هذه الحارات بعدما انتظم السريان في حارة قائمة بذاتها»<sup>(5)</sup>.

#### ♦ الحوش:



يتكون المركز القديم في بيت لحم من مجموعة من الحارات أو الكتل السكنية. وكانت كل كتله سكنية مقسمة إلى أحواش، كان الحوش عبارة عن وحدة سكنية واجتماعية واقتصادية في آن واحد، يستجيب لحاجات السكان الاقتصادية والأمنية والاجتماعية. وقد

جاء تصميم الأحواش على شكل كتل معمارية متلاصقة تعكس بشكل طبيعي المفاهيم الثقافية الموروثة والتركيبية الاجتماعية السائدة خلال تلك الفترة. كما عكست الأوضاع الاقتصادية والأمنية المعاشة لقطاع واسع من السكان في تلك الفترة. ولذلك اتخذ بناؤه نمطاً يتفق وهذه الحاجات، لئلا يلجأ السكان إلى أماكن أخرى لخزن غلالهم وأدوات عملهم وحيواناتهم. ولهذا كان البعد بين الحارات قليلاً؛ إذ كان الشارع يكفي لمرور حمارين محملين يمر أحدهما إلى جانب الآخر دون أن يصطدما. ولقد ارتبطت الأحواش ببعضها بعضاً من خلال شبكة الطرق الرئيسية الممتدة من الغرب إلى الشرق باتجاه ساحة المهدي. كما ارتبطت بالأراضي الزراعية من خلال الأدراج التي انحدرت إلى الشمال والجنوب باتجاه الأراضي. وكانت هذه الأزقة ملتوية وضيقة، ولكنها توصل المرء إلى حيث يريد. وكثيراً ما نجد القناطر مبنية فوق الأزقة وقد حملت مبنى علوياً فوقها. وكانت السطوح ملتصقة، مما دعا الناس إلى التضامن في الحفاظ عليها لأن الخطر الذي يهدد حائطاً يؤثر على جيرانه.

وتشكل الأحواش نواة الحارات السبع التي تكونت نتيجة التوسع المستمر، ولتلبية حاجات الأسرة أو العائلة بطريقة تراكمية. وكان الحوش يتألف من مجموعة من البيوت الموجودة حول ساحة رئيسية شبه خاصة، ويتم الدخول إليه من الشارع الرئيس عبر الساحة الرئيسية التي تحتوي على بعض المرافق المشتركة مثل بئر الماء والطابون والراوية أو



الإسطبل لإيواء الحيوانات، إضافة إلى بستان صغير. وقد يختلف حجم الحوش حسب عدد الأسر القاطنة فيه، وحسب وضعهم وقدرتهم الاقتصادية على إنشا بيوت جديدة. ويسكن في الحوش أبناء الحامولة الواحدة. لهم شيخ أو مختار، وكانت علاقاتهم مع بعضهم بعضاً متماسكة، وذلك حماية لمصالحهم. وقد اشترك في الحوش الواحد ذوو القربى

من العائلة نفسها، وحرصوا على عدم السماح للآخرين مشاركتهم في الحوش، لكي يتمكنوا من الحفاظ على خصوصياتهم الاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى توزيع الكتل السكنية في التجمع العمراني الواحد إلى أحواش حسب رابطة الدم. وكثيراً ما اشتقت أسماء الأحواش من أسماء قاطنيها من الحمائل والعائلات، وكانت مغلقة في وجه أبناء الحارات أو الأحواش الأخرى. وكلما اتسعت أراضي الحامولة أو كثرت بيوتها دل ذلك إلى علو مقامها الاجتماعي وقدمها في الحوش. وكان لكل عائلة بيت عام يجتمعون فيه يسمى المقعد يلتقون فيه بالليالي للنظر في شؤون الحامولة.



وكانت لكل حوش بوابة مصفحة بالتنك أو الحديد لئلا تكون عرضة للكسر من أي معتد خارجي. وكان في بعض البوابات فتحات تكفي أن يدخل منها شخص واحد وهو منحنى القامة وتسمى بالخوخة، وتكون عليها يد حديدية يدق بها على الباب، وكانت هذه للحماية. وكانت البيوت في الحوش متلاصقة، وتفصل بينهما جدران عالية. وكانت الطرق والممرات فيها ضيقة ومتعرجة، وقد تكون ملتوية للحماية من الحر الشديد والغبار والجفاف. وقد تظلل بقناطر أو أقواس تبني فوقها بيوت للسكن. وإذا لم يكن هناك قناطر، تكون البيوت عالية لتظلل الزقاق من كلا الطرفين. وكانت البيوت تقع في حوش أو ساحة تجري فيها الحياة



الجماعية للأسرة، وفيه حاجز يفصل الأماكن الخاصة عن مكان الجلوس. تميزت العلاقات بين أهالي الحوش بالمودّة والأخوة والنخوة، حيث كانوا مثل الأسرة الواحدة، ولا تفصل بينهم سوى المحرمات. وكثيراً ما كانوا يجتمعون في الساحة يتسامرون معاً، ويعدون الطعام معاً ويأكلون معاً. وكانوا يوزعون الأدوار فيما بينهم عند إعداد الطعام وغيرها من المتطلبات. يشعلون النار بالحطب في وسط الساحة للتدفئة في الباطية، وأحياناً في «اللكن»، ويتسامرون ويتناولون الطويات والمشروبات، ويروون القصص وينشد شاعرهم على الربابة. ومن الألعاب التي كانوا يمارسونها الورسن. وكانت تنتهي الأمسيات عادة بأن يقوم أحد الشيوخ بتلاوة بعض الحكايات العربية القديمة، حيث كان يستمر ذلك حتى منتصف الليل. وكانت حفلات الأعراس تقام في الساحات الواسعة في الأحواش. وكانت هذه الحفلات تجمع جميع أهالي البلدة على اختلاف مذاهبهم حيث تميزت العلاقة بكونها علاقة العائلة الواحدة. وكانت الأفراح تستمر 15 يوماً تبدأ قبل أسبوع من حفل الزفاف وتنتهي بعده بأسبوع. وكان شيوخ البلدة يجتمعون صباحاً ومساءً لسماع الشاعر على الربابة والمشاركة في أهازيج السامر، وكان الشباب يمارسون طقوس حفلة تهكمية خاصة بحلاقة العريس في اليوم الذي يسبق الزفاف، حيث يتعرض العريس «لبهدلة» طريفة ليلة زفافه. وكان يتم إحضار شاعر يعزف على الربابة ويغني ويقوم الشباب بعمل حلقات الرقص، وكان أهل العريس يحضرون الخبر والعنب لمدة أسبوع على الفطور لإطعام الناس، وفي نهاية الأسبوع ينقُط العريس بعشرة قروش من كل واحد.

وقد قام الاتحاد النسائي العربي في بيت لحم عام 1970 بترميم الطابق الأرضي من بيت قديم كان يستعمل مركزاً للتطريز، من أجل صيانتها وعرض نماذج من قطع التطريز والصناعات الحرفية، التي تمثل التراث الثقافي الفلسطيني. ويقع البيت في أحد الأحياء القديمة لمدينة بيت لحم المجاورة لساحة المهدي، ويمثل نموذجاً قديماً لفن العمارة في المدينة. وقامت العديد من العائلات في المدينة بتقديم ما لديها من ممتلكات تراثية قديمة من أجل عرضها في هذا المكان. ويسمى هذا البيت "بيتنا التلحمي"، وهو يحتوي اليوم على مجموعة متنوعة من الملابس والحلي، وقطع الأثاث التي كانت تستعمل في بيت لحم في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وتوجد فيه أيضاً العديد من الصور والوثائق التي تمثل تاريخ المدينة. وتوجد هذه المعروضات في غرف عدة، تمثل: الليوان وغرفة النوم والمطبخ والطابون، وتوجد في الممرات العديد من الصور القديمة والأدوات المختلفة.

ويوجد في الغرفة الرئيسية ديوان عربي مع وسادات ومقعد خشبي اسمه الدوشك. أما السجادة الكبيرة الحمراء فهي من صنع محلي، تقوم النساء بحياكتها على النول الأرضي. ويوجد في الجدار معزل، على شكل قوس، ويحتوي على الفراش واللحف أثناء النهار.

وتصنع اللحف من القطن المغطى بالستان، وتفرش في المساء فوق السجادة والحصيرة على الأرض. ويوجد في هذه الغرفة سرير مصنوع من الحديد على شكل أرجوحة لينام عليه الطفل، أما الصندوق الخشبي المطلي بالأخضر فيسمى صندوق العروس، وهو مزخرف بالصدف. وتوجد قرب المدخل أدوات موسيقية شرقية، وهي الربابة والعود والكمنجة والشبابة، وكانت تسمع أصواتها في الأعراس والسهرات. أما الداميجان الزجاجية المغطاة بأغصان القصب، فتستعمل لحفظ النبيذ ومشروب "العرق". ويوجد في هذه الغرفة نماذج محلية للتطريز مثل الوسائد والشراشف والحقائب وغيرها بأسعار معقولة وتقوم مجموعة من النساء الفلسطينيات بتطريز هذه المصنوعات في البيوت.



وتوجد في المطبخ العديد من الأدوات، منها أدوات الطبخ التقليدية المصنوعة من مواد مختلفة، مثل الفخار والخشب والقش والنحاس والبرونز. وكانت معظم البيوت مزودة بالجاروشه، وهي رحي من الحجر لطحن الحبوب والبقول الناشفة والحنطة والذرة، وطاحونة القهوة وأدواتها المختلفة، كالمحمص الذي يتم قلي البن فيه، والهاون

الحجري الذي يستعمل لطحن الحبوب. وغالبا ما كانت البيوت القديمة تُزود ببئر داخليه موجودة في المطبخ. وقد استعمل الدلو لاغتراف الماء، وهو وعاء مصنوع من الجلد، أما الخطافة فهي حلقة من المعدن يتصل بها كلاب، تستعمل للعثور على الدلو عند سقوطه في البئر. وكانت "النملية" تستعمل لخنز الطعام. ويوجد في الممر المؤدى إلى المطبخ نول للنسيج، وغرفة صغيرة ذات سقف مائل يوجد فيها الطابون، وهو فرن لصنع الخبز البلدي، مصنوع بشكل مخروطي تقريبا من اللبن المخلوط بالقش، وكانت النساء تصنعه باليد. ويوجد في الجزء العلوي منه فتحة وغطاء، تسمح بإدخال الخبز فيه ووضعه على (الرضف) . وكان الطبق يستخدم لتقديم الطعام وحمل الخبز بعد خبزه في الطابون، أو عمل الشعيرية المفتولة من العجين، والتي تجفف في الشمس ثم تُحمّص لاستعمالها مخلوطة بالأرز عندما تطبخ العائلة الأرز المفلفل. وكان يتم الصعود من غرفة إلى أخرى عن طريق درجات خارجيه ملتوية. وكانت البيوت تزود بمنفذ سري للهرب مخفي في عقد القبة السميكة، وكان الشباب ومن خلاله يهربون أيام الغزو والتجنيد خلال فترة الحكم العثماني، ويقفزون من سطح بيت لسطح بيت آخر نتيجة لتقارب البيوت.



## الساحات العامة:

كانت ساحة المهد الحالية تحتوي في عهد الرومان على قناة مائية، وهذا التفسير يتناسب مع ما قاله القديس جوستين الثاني في عام 160 ميلادية "تجاور مغارة الميلاد قرية يفصلها ممرائي". وكانت هذه القناة جزء من القناة التي بنيت في

عهد بيلاطس البنطي ونقلت الماء من برك سليمان إلى القدس. وتحول المكان عبر العصور إلى ساحة تصل بين التلة التي أقيمت عليها كنيسة المهد والتلة المجاورة التي تقع عليها المدينة القديمة اليوم. وعندما تولى العثمانيون على بيت لحم، أخذت المدينة بالتطور في قطبين مختلفين: يتمثل الأول في مجمع الأديرة المحيطة بكنيسة المهد وحرارة العناترة إلى الجنوب، ويتمثل الثاني بحارة التراجمة وغيرها من الحارات إلى الغرب، مما خلق في الوسط بينهما ساحة فارغة هي المكان الذي تحول إلى مقابر للمسيحيين، ثم تحولت إلى ساحة عامة بعد أن قرر الحكومة العثمانية عام 1905 إيقاف الدفن في هذه المقابر لأنها تشوه منظر كنيسة المهد وتقع عند مدخل الكنيسة، وتحولت المقابر إلى حقل يقع شرق مغارة الحليب. وكانت ساحة المهد هي المكان الذي تقام فيه الأسواق العامة ويحط بها الحجاج عند وصولهم إلى المدينة، ويتجمع فيها المواطنون، حيث يتناولون فيها أمور حياتهم الخاصة والعامة. ولهذا فإن ساحة المهد أصبحت تعكس التطور الكمي والكيفي للتحويلات الاجتماعية التي حدثت في الفضاء المحيط بها.

وقد اشتهرت فلسطين في مطلع القرن بالأسواق الشعبية، والسوق الشعبي هو مكان تجمع تجاري تقليدي يعبر عن عادات وتقاليد المنطقة التي يتواجد فيها السوق، وهي تسمى بأسمائها الاعتيادية، لكن قد يطلق عليها أسماء أخرى بأسماء الأيام التي تقام بها، مثل سوق الخميس أو سوق الأحد. فسوق اللد كان يقام يوم الاثنين وسوق الناصرة يوم الأربعاء وسوق القدس وغزه يوم الجمعة، أما في بيت لحم فكان السوق يقام يوم الجمعة ثم تحول إلى يوم السبت. وكان سوق الجمعة في بيت لحم يقام في البداية في ساحة المهد، ثم انتقل بعد ذلك إلى منطقة مجاورة للساحة تسمى "العين"، كما يظهر في الشريط المصور. وكانت هذه الأسواق معارض تجارية يتبادل فيها الناس ما يحتاجون إليه إضافة إلى أنها كانت مكانا من أجل اللقاء. وكانت سوق بيت لحم سوقا متواضعة ولم تشهد أي تطور أو عناية تذكر، فكانت حالتها سيئة بالنسبة للمنطقة المحيطة بها، حيث كان السكان

يتاجرون بالحبوب والفواكه والزيتون والماشية. ولم يجر تغيير واضح على وسائل النقل حتى منتصف العشرينات من القرن العشرين، فاستمر اعتماد المواطنين على "القروصة" وهي العربة التي كانت تجرها الخيول ويسمونها البعض الحنطور. ولم تعرف السيارة إلا بعد وصول الإنجليز إلى فلسطين كما ظهر في بداية الشريط الذي تم تصويره في عام 1918. وقد امتلكت عدد من العائلات في بيت لحم في أواخر العشرينيات سيارات فاخرة.



## الملابس التقليدية:

نشاهد في هذا المقطع<sup>(6)</sup> مجموعة من المصلين يخرجون من كنيسة المهد من الباب الصغير الذي كان يسمى «باب التواضع» (عرض 78سم - طول 130سم)، وهو باب صغير يجب الانحناء عند الدخول منه، كأنما تدخل إلى مغارة حقيقية. وقد

أغلق اثنان من الأبواب الثلاثة الأصلية التي كانت موجودة في الواجهة الأمامية لكنيسة المهد التي أعاد بناءها الإمبراطور جوستنيان في القرن السادس الميلادي، حيث يقع



الأول إلى اليسار وأغلق في القرن السادس عشر بوساطة دعامة حائط، ويقع الثاني إلى اليمين أغلق بعد بناء دير الأرمن. أما الباب الأوسط، فقد جرى تصغيره في عهد الصليبيين، ببناء قوس ما يزال ظاهراً حتى اليوم أسفل كورنيش الباب الذي بني في عهد جوستنيان. وبني الباب الصغير الحالي في القرن السابع عشر لمنع الجنود الأتراك من الدخول بخيولهم إلى الكنيسة. ويوجد ثلاثة مفاتيح لهذا الباب الصغير واحد بحوزة الرهبان الكاثوليك والثاني بحوزة رجال الدين الأرثوذكس والثالث مع الأرمن.



ونلاحظ في هذا المقطع عدداً من النساء والرجال يلبسون الثياب التقليدية والثياب الأوروبية الحديثة. ونلاحظ

أن عددا من النساء يلبسن الثوب التلحمي التقليدي «ثوب الملك» الذي يتكون من الثوب والتقصيرة ولباس خاص بالرأس يسمى الشطوة. وكانت النساء في مدينة بيت لحم كما هو الحال في معظم المدن الفلسطينية يقضين أغلب أوقات الفراغ في التطريز، فقد كان التطريز يؤدي دورا مهماً في اللباس التقليدي الذي اخذ لسوء الحظ يسير نحو التلاشي.

وكان ثوب الملك يطرز بثراء ويحتوي على أكمام طويلة، وهو يصنع من القطن والحريز المخطط بلون برتقالي واخضر وبنفسجي واسود. وكانت القبة وهي قطعة من الثوب للصدر تطرز بخيوط الحريز والذهب والفضة في تشكيلات زخرفية هندسية متنوعة. ويوجد حول الأكمام وأطراف الثوب السفلية قطع بأشكال ثلاثية، ومطرزة بألوان زاهية حمراء أو خضراء. وكان ثوب الملك يستعمل للعروس وكان معروفاً بجماله، ويأتي الناس من المناطق البعيدة لشراؤه من المطرقات المشهورات، وكان يلبس في كل المناسبات الهامة. وتعدُّ «الشطوة» من عناصر اللباس النسائية المهمة الأخرى، وهي قبعة للرأس تلبسها النساء المتزوجات، وتتكون من جميع قطع كثيفة من النسيج المطرز من الخارج. وكان يضاف إلى التطريز قطع من المرجان والعملة الذهبية والفضية. وكان يوضع فوق الشطوة لباس يسمى «التربيعة»، أو «الخرقة» وهي غطاء يغطي الكتفين ويمتد فوق الظهر، وهي من القماش الأبيض المصنوع من الحريز أو الصوف.

وكانت قطع الحلي الفضية الثقيلة وخاصة الزناق (وهو مجموعة من السلاسل الفضية المزينة بالعملة) تلبسه المرأة في عنقها ويتصل بالشطوة، وتلبس في معصمها سواره فضية غير مكتملة الاستدارة، وتمثل صداق المرأة أو المهر. وكانت النساء تضع فوق الثوب المشدود على الخصر بشال من الكشمير أو الصوف المنسوج، جبة قصيرة تسمى «تقصيرة»، وكانت تطرز بالحريز عندما كانت تلبس في الأيام العادية، وتطرز بخيوط الذهب أو الفضة في أيام الأعياد والمناسبات. وكانت النساء تلبس معطفاً من الصوف المخطط باللون الأحمر والأسود في فصل الشتاء. ويظهر جمال هذه الثياب بصورة خاصة مع حذاء من الجلد الأحمر «الصرماية». وكانت المرأة تلبس ثوباً بسيطاً في الأيام العادية، وكانت الأكمام ذات الأطراف المقرنة ترفع وتربط إلى الخلف، لكي تسمح بالتفرغ للأعمال اليومية العديدة. وكانت أطراف هذا الثوب المتقاطعة تطرز بألوان متعددة وجميلة، وكان هذا الثوب يصنع دائماً من القماش الأسود.

ونلاحظ أن الرجال يلبسون الثياب التقليدية التي أُستبدلت تدريجياً باللباس الأوروبي في أواخر القرن التاسع عشر. وكان الرجال في العهد التركي يلبسون الثياب الشعبية، وكان زي الرجل يتكون من الكبر أو القمباز وهو عبارة عن زي طويل يغطي جسم الرجل من أعلى كتفيه إلى أطراف قدميه، وهو مصنوع من الحريز الشامي أو من الصوف، ويمكن أن يلبس



فوقه معطفا قصيرا «الجاكيت». وكان الرجل يلبس على الرأس الكفية، وهي عبارة عن لفة على رأس الرجل بغض النظر عن الدين، وهي تتكون من القماش الثقيل يلف ليصبح بشكل وعاء أجوف من الداخل ليناسب حجم الرأس، وغالبا ما يلبسها الرجال الكبار في السن. ويلبس الرجل أيضا الطربوش الأحمر ذات «الذباحات» السوداء المتدلّية من أعلاه.

وقد توقف اعتبار الطربوش غطاء للرأس في أثناء ثورة 1936، وذلك بقرار من قيادة الثورة آنذاك. أما الشباب فكانوا يرتدون الحطة والعقال، الذي كان يسمى حينها أيضا بالمرير، وهو أسود اللون مبروم النسيج، قوي ويعمر طويلا. أما الحزام فيكون قشاطاً جليداً أو «شملة» وهي أما بيضاء أو سوداء وعريضة، يتم لفها لفات عديدة لتأخذ شكل المستطيل الطويل، ويكون عرض الشملة عشرة سنتمترات تقريبا. وقد سمح للرجال أيضا لبس «الفيصلية» والتي كانت معروفة في بلاد الشام، وكان الهدف منها هو تمييز الرجل العربي عن غيره من مسافة بعيدة. وتوجد مجموعة كبيرة من الملابس التقليدية والمجوهرات النسائية في



متحف «بيتنا التلحمي» المجاور لكنيسة المهد. ويقع المتحف في شارع بولس السادس على بعد خطوات من ساحة المهد. ويوجد المتحف في واحد من أقدم البيوت في مدينة بيت لحم.

وكان أبناء حارة التراجمة أول من أدخل النمط الغربي في الملابس والمعيشة إلى بيت لحم، فالرجال استبدلوا الكمباز والشخشير والعباية بالملابس الإفرنجية، واستبدلوا الكوفية والعقال ولفة الراس بقبعة الرأس "البرنيطة". واستبدلت النساء الثوب الفلاحي المطرز والتقصيرة المقصبة، بالفستان الفرنسي الذي كان طويلاً حتى رمانة الرجل ويرتفع ثلاثة سنتمترات عن الأرض، والأكمام حتى الرسغ. واستبدلن





لبلباس الرأس التلحمي التقليدي الذي هو الشطوة وفوقها التربيعة البيضاء بالبرنيطة. وكان الناس يقولون في البداية أن امرأة فلان تلبس طبقا على رأسها. وكان للاتصال المستمر بين سكان المدينة والحجاج القادمين من العالم الغربي، اثر في التعرف على عاداتهم وتقاليدهم. وكان للإرساليات الدينية التي أقامت المدارس والميادم والمستشفيات والأديرة دور في تطور نمط المعيشة، حيث تنورت أفكار السكان وتفتحت حياتهم الاجتماعية، حتى صارت معيشتهم أقرب إلى طريقة ونمط معيشة أهالي القدس.

## الحياة الدينية:

ويعد عيد الميلاد أهم مناسبة في بيت لحم، ويتم الاحتفال به ثلاث مرات، الأولى في 25 كانون الأول عندما تحتفل به الطوائف الكاثوليكية والبروتستنتية، والثانية في 6 كانون الثاني عندما تحتفل به الطوائف الأرثوذكسية، والثالثة في 18 كانون الثاني عندما تحتفل به الطائفة الأرمنية. وتمتلئ الكنائس بالمتعبدين والحجاج. وتجتمع جماهير السكان في الساحة عند استقبال موكب رجال الدين التقليدي الذي ينطلق من القدس، ويبدأ بالسير من قبة راحيل حتى ساحة المهد عبر الطريق التقليدي القديم الذي يمر وسط المدينة (شارع النجمة) حتى ساحة المهد، حيث يجري استقبال الموكب في ساحة المهد من قبل رجال الدين المحليين، في حين يحتشد في الساحة والشوارع التي يمر بها الموكب الألوف من سكان المدينة والزوار الذي يجتمعون لمشاهدة الموكب. ويمثل هذا المشهد<sup>(7)</sup> في هذا الشريط المصور مجموعة من الرهبان الفرنسيين ورجال الدين ورجال المدن ننتظرون في ساحة المهد يوم الرابع والعشرين من كانون الأول الكاردينال دي بوا (Du Bois)، كاردينال مدينة روان في فرنسا. وقد جاء إلى مدينة بيت لحم لترأس الاحتفالات الخاصة بعيد الميلاد. وكان الطقس مطرا كما نلاحظ من الصور. ويشترك في الاستقبال حشد كبير من المواطنين رغم رداءة الطقس. وتدخل زيارة الكاردينال دي بوا في إطار الصراع الإنجليزي الفرنسي حول تقسيم منطقة الشرق الأوسط، فقد كانت فرنسا تطمح بسوريا الكبرى فعارضت وعد بلفور، الذي كان يدعو إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين. وكانت الحكومة الفرنسية تسعى إلى كسب الرأي العام الفلسطيني، ولهذا جاءت رحلة الكاردينال دي بوا في احتفالات عيد الميلاد، لإظهار الرغبة في ربط فلسطين بسوريا وحماية الأراضي المقدسة، والحد من الهجرة اليهودية.

وكان يشرف على احتفالات عيد الميلاد في بيت لحم الرهبان الفرنسيون. وكان القديس فرنسيس الأسيزي (1182-1226) مؤسس هذه الرهبنة قد زار الشرق عام 1219 وأسس إرسالية الأرض المقدسة، واستقر مع بعض رهبانه في عكا. وقد حصل الرهبان

الفرنسيين على مرسوم في عام 1333 من سلطان مصر يسمح لهم بالإشراف على الأماكن المقدسة في القدس وبيت لحم. وتقول الروايات الفرنسية، أن القديس فرنسيس قد قام بزيارة للأراضي المقدسة للحفاظ على مغارة المهد في بيت لحم والجلجلة في القدس وغيرها من الأماكن المقدسة، واستبقى بعض رهبانه فيها. وكان الرهبان الفرنسيون المتواجدون في عكا قد رافقوا البطريرك إلى القدس من غير أن تكون لهم صلاحيات في إدارة شؤون البلاد الدينية أو الأماكن المقدسة. وكانوا تحت إشراف بطريرك القدس أسوة بغيرهم من رجال الدين، وفي عام 1240 بعد انتهاء الهدنة بين السلطان الكامل وفرديريك الثاني<sup>(8)</sup> وخروج البطريرك من القدس، عهد الكرسي الرسولي (البابا) للرهبان الفرنسيين العناية بالأقلية الباقية من اللاتين في فلسطين بجانب إشرافهم على الأراضي المقدسة.

## التذكارات الدينية:



وكان سكان بيت لحم يجيدون لغات أجنبية عدة لم يتعلموها في المدارس، بل تعلموها من المخالطة مع الحجاج والسياح الأجانب القادمين لزيارة الأماكن المقدسة. وأصبح تجار حوانيت التذكارات الدينية مضرب المثل في الذكاء والتجارة، وكانوا بارعين في فنون النقش، وتعلموا هذه الصناعات من مشاغل الصدف التي كانوا يعملون فيها. إذ كان لمعظم العائلات مشاغل تنتج أجمل المصنوعات الصدفية المنقوشة والمخرمة لبيعها للحجاج والسياح، بالإضافة إلى العقود

وحلق الأذنين والبروشات وعلب حفظ المصاغ، وكانوا يعملون تحفاً أخرى من الحجر الأسود الذي كانوا يأتون به من منطقة النبي موسى. وكان يبيع التذكارات الدينية من



أهم مصادر عيش قطاع مهم من السكان. إضافة إلى الصدف والحجر الأسود، كان السكان يصنعون من خشب الزيتون ابدع التحف والتمائيل. يأخذون كتلة من جذع الزيتون وينقشون ويحفرن ما يشاءون على واجهة هذه القطعة، ويتركون الجهة الخلفية بقشور جذع الزيتون على طبيعتها.

وبرز في مدينة بيت لحم بسبب احتكاك الكثيرين بالسياح بالإضافة إلى كثرة أسفارهم للتجارة خارج البلاد رجال مميزون بالفهم والمعرفة، منهم حنا منصور أبو خليل الذي كانت له تجارة كبيرة في فرنسا، وصار هو وعائلته وأبناؤه يعيشون في بيوتهم على الطراز الغربي. وفي عام 1895 اجتمع أهالي بيت لحم على انتخابه رئيساً للبلدة فقام بوظيفته خير قيام، وكان صارماً في أحكامه وتطبيق الأنظمة والقوانين على أبنائه وأقاربه قبل تطبيقها على الآخرين. وكان أول عمل قام به عندما تولى رئاسة بلدية بيت لحم أن علق في الشوارع والأزقة أكثر من 60 مصباحاً وقودها الكاز، ليضيء الطريق للسالك ليلاً، ولكي يقلل من فرص سطو اللصوص على المتاجر والبيوت ليلاً. وعين موظفاً خاصاً يحمل سلماً خشبياً يستعمله عند إنارة المصابيح قبل غروب الشمس وإطفائها مع شروق الشمس، بالإضافة إلى تزويد المصابيح بالكاز حسب ما يلزم. وكان الأهالي يسمون هذه المصابيح بالفنيار، واستمرت هذه المصابيح تستعمل في بيت لحم حتى عام 1933 عندما زودت المدينة بالكهرباء من شركة الكهرباء التي تأسست في القدس عام 1926. وقد اشتهر في المدينة في هذه الفترة أيضاً أنطون عبدالله كنداري الذي كان يداوي الناس بالأعشاب على الطريقة العربية حتى صار مقصد الناس من كل منطقة بيت لحم من القرى والعريان. وكان يستعمل في علاجه تشريم الأذنين والفسادة لمن عندهم بدانه أو صداع الراس أو ضغط الدم ويعمل للمريض كاسات الهواء المعروفة لدى الناس.

## الهجرة من بيت لحم:

في أواخر القرن التاسع عشر شارك بعض أفراد عائلات بيت لحم بالمعارض الدولية لعرض مصنوعاتهم التقليدية المعروفة من صدف وخشب الزيتون ومسابع وتطريز وغيرها. وقد لاقت هذه المعروضات رواجاً كبيراً، وسارع الناس إلى شرائها بأسعار خيالية تبركا بها كونها من بيت لحم مدينة ميلاد السيد المسيح. ونتيجة لذلك بدأ العديد من الشباب بالذهاب إلى الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية من أجل تسويق هذه التذكارات الدينية. وما لبث الحال حتى تحولت الفكرة إلى هجرة عامة، وخاصة في نهاية العهد التركي، حيث تردت الأوضاع وساءت الأحوال من الناحية الاقتصادية والثقافية، فوجد الشباب المنفذ الوحيد لبناء حياة مستقرة بالهجرة إلى الأمريكتين.

ولقد زادت الأحوال سوءاً نتيجة انتشار مرض الجدري في عام 1901، والزلازل في عام 1903، وحدثت الجفاف والقحط في البلاد، ثم غزو الجراد إلى جنوب فلسطين الذي قضى على جميع المحاصيل الزراعية والأشجار، ولم يبق عرق أخضر ولا زهرة، حتى القواير في البيوت لم تسلم. وامرت السلطة كل ذكر من سن 12 وما فوق أن يقوم بمقاومة

الجراد وقتله، وأجبرت كل شخص على إحضار 3 كيلو من بيض الجراد وتقديمها للحكومة. وقد أدى ذلك إلى انتشار الأوبئة والأمراض المعدية، وزيادة المصائب على الناس. وأعظم ما أبتلي به الناس دخول تركيا الحرب العالمية الأولى، حيث باشرت الحكومة التركية بتجنيد إجباري على جميع السكان بما فيهم المسيحيين، ولذلك باشر الشباب بالهجرة إلى الخارج عن طريق ميناء يافا. وقامت السلطة العثمانية بإجراءات وممارسات عديدة من إجبار الأهالي على القيام بالأعمال الشاقة والمرهقة، مثل بناء الطرق وحفر أساسات خطوط السكة الحديدية. وأصبحت البلاد مسرحاً لعمليات الجيش الرابع بقيادة جمال باشا، الذي لم يدخر جهداً ولا سيلة للتنكيل بالناس والشخصيات الوطنية، والاعتداء عليهم ونهب أموالهم وأرزاقهم وتسخيرهم في الأعمال الإجبارية. هذا عدا عن تجنيدهم عنوة في الجيش، ونقلهم إلى خطوط الجبهة، وإجبار الفلاحين على ترك أراضيهم ونقلهم إلى الجبهة لحفر الأنفاق. وقد أجبرت هذه الأمور السكان على الهروب إلى الجبال والبلدان القريبة، وزادت من تسارع هجرة الأهالي وترك بيوتهم أملاً في مستقبل أفضل في مكان آخر. وكانت هذه من الأسباب التي أدت إلى هجرة أعداد كبيرة من سكان بيت لحم إلى أقطار أمريكا اللاتينية. وهكذا خسرت مدينة بيت لحم أعداداً كبيرة من الشباب والعائلات الذين هاجروا منها. وكانت الهجرة تكبر وتزداد وتتسع حلقاتها مع مرور الزمن، حتى أصبح أعداد أهالي بيت لحم في المهاجر ما يقارب 350 ألف نسمة.

## الخاتمة:

مدينة بيت لحم اليوم أصبحت مهددة بفقدان رونقها بسبب عامل الكثافة السكانية والعمرانية، والوضع الاقتصادي المتردي، والتلوث الناتج عن ازدحام السيارات والحافلات في ساحاتها الضيقة، مما جعل الحجارة تتآكل والبيئة تتعرض للخطر. ومن أجل عودة المدينة إلى سحرها الخلاب، وإعادة نسيجها المعماري وتراثها الحضاري، لاستقبال الحجاج والزوار، بخطة متكاملة هندسياً ومعماريًا ترميمًا وصيانة لتجميل المدينة وتوسيعها، نحن بحاجة إلى رؤية استراتيجية محلية لإنقاذ معالم المدينة التراثية والمعمارية داخل المدينة التاريخية وضواحيها. وأرى أن يخرج هذا المؤتمر ببناء إلى بلدية بيت لحم والسلطة الوطنية الفلسطينية من أجل وضع خطة عاجلة لتطوير هذه المدينة التي لا مثيل لها في العالم أجمع، لمكانتها الدينية والتاريخية، فهي تراث عالمي يجب الحفاظ عليه.

## الهوامش:

1. قام بتصويرها مصور فرنسي اسمه لوسيان لوسان (Lucian Le Saint 1881-1931) والمصور الفرنسي كميل سوفاجو (Camille Sauvageot 1889-1961) في شهر نيسان عام 1918. بدأ لوسيان حياته الفنية في العمل في شركة جومون Gaumont للإنتاج السينمائي، ثم التحق بقسم التصوير السينمائي في الجيش الفرنسي عام 1918-1917، فزار فلسطين وسوريا ولبنان. وكان كميل سوفاجو يعمل مصورا خلال الحرب العالمية الأولى، ثم التحق بالعمل في متحف البير كان (Albert Kahn) في مدينة باريس الخاص بالصور الفوتوغرافية والأفلام السينمائية، وأصبح من فريق التصوير في قسم "أرشيف العالم" Archives de la Planete حيث وجدت هذه المقاطع الفلمية خلال زيارة قمت بها لهذا المتحف عام 1996.
2. Hamilton, R.W. A Guide to Bethlehem, Jerusalem, Azriel Press, 1939 -
3. المرجع السابق.
4. جوليا دبدوب، البيوت في مدينة بيت لحم، نشرة صادرة عن متحف بيتنا التلحمي، 1999
5. أيوب مسلم. "شذرات من كتاب بيت لحم في بطون التاريخ وعلى السنة الرحالة والمؤرخين". مجلة مدينة بيت لحم، الجمعية الأنطونية، 1995، ص 23
6. زمن المقطع الأول هو دقيقة واحدة وقام بتصويره لوسيان لوسان
7. زمن هذا المقطع دقيقة ونصف وهو للمصور لوسيان لوسان.
8. معاهدة فردريك - الكامل هي اتفاقية سلام وقعها فردريك الثاني (Frederick II) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة والصقيليتين و الملك الكامل محمد بن العادل سلطان مصر في 18 فبراير 1229. وكان من بنودها: تسليم القدس للإمبراطور فردريك الثاني وتسليم بيت لحم و الناصرة وطريق الحجاج من بيت المقدس حتى يافا على الساحل للصليبيين. وتسرى المعاهدة لمدة عشرة سنين من وقت توقيعها.

## المصادر والمراجع العربية:

1. بنورة، توما. تاريخ بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور. القدس: مطبعة المعارف 1982
2. جقمان، حنا عبدالله. جولة في تاريخ بيت لحم من أقدم الأزمنة حتى اليوم. القدس: مطبعة بطريركية الروم الأرثوذكس، 1984
3. دليل الحفاظ على المركز التاريخي لمدينة بيت لحم. مركز حفظ التراث الثقافي، بيت لحم، 2014
4. سمور، جورج. بيت لحم عبر التاريخ. بيت لحم، مركز وئام الفلسطيني لحل النزاعات، 2007
5. مصطفى، وليد. قصة مدينة بيت لحم. المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، د.ت

## المصادر والمراجع باللغات الأجنبية:

1. *Anatreh Quarter: Un Urban and Architectural Study of Bethlehem Quarter. Center for Cultural Heritage Preservation, Bethlehem, 2012*
2. *Dory, Vincent. Bethlehem. Imprimerie Edouard Dory. Bruxelles, 1901.*
3. *El-Ali, Geris. Bethlehem the Immortal Town. Jerusalem, 1991.*
4. *Franciscan in Bethlehem, 1347-1947. Franciscan Printing Press, Jerusalem, 1947.*
5. *Hoade, Eugene. O.F.M. Guide to the Holy Land. Jerusalem, Franciscan Printing Press, 1996.*

ملاحظة:

يلحق بهذه الدراسة أسطوانة رقمية تحتوي على المقاطع الفلمية التي تم ذكرها في هذه الدراسة.



# البيان الختامي والتوصيات

في هذا اليوم العشرين من شهر نيسان من العام 2015 افتتحت جامعة القدس المفتوحة برعاية كريمة من سيادة الرئيس محمود عباس رئيس دولة فلسطين المؤتمر الخامس للتراث الشعبي الفلسطيني في محافظة بيت لحم «هوية وانتماء»، وذلك ضمن جهود عمادة البحث العلمي في الجامعة لإصدار موسوعة التراث الشعبي الفلسطيني، وقد جاء المؤتمر في جلستين علميتين إضافة إلى جلسة الافتتاح التي تحدث فيها كلٌّ من ممثل رئيس دولة فلسطين د. حسين الأعرج، والأستاذ الدكتور يونس عمرو رئيس الجامعة، والدكتور ضيف الله عثمان مدير فرع بيت لحم.

وقد قدمت في جلسات المؤتمر اثنتا عشرة ورقة علمية، ناقشت في مجملها التراث الشعبي في بيت لحم، إن اللجنة التحضيرية للمؤتمر إذ يشرفها أن ترفع لسيادة الرئيس محمود عباس أسمى آيات الشكر والعرفان على تفضله برعاية هذا المؤتمر وإلى الأستاذ الدكتور يونس عمرو رئيس الجامعة على اهتمامه ومتابعته ومشاركته في جلسات المؤتمر، وإلى الباحثين كافة والمشاركين، وبخاصة ضيفينا من تركيا الأستاذ الدكتور إبراهيم يلماز والأستاذ الدكتور سيف الله قورقماز حضورهم لما قدموه من جهد علمي مميز ومتخصص بالتراث الشعبي، وما توصلوا إليه من نتائج وتوصيات تعمل على إحياء التراث والمحافظة عليه، وبعد أن أنهى المؤتمر جلساته، فإن المؤتمرين يوصون بالآتي:

♦ أولاً: ضرورة اعتبار التراث الشعبي من الموارد القومية والخروج به من المفهوم التقليدي الضيق، وإعداد مخططات تنموية تتعامل ضمن معايير وأسس وأنظمة مع المساكن القديمة، تراعي خصوصيتها وبعدها وأهميتها وعدم التعامل معها كعناصر ثانوية موجودة في المدن الفلسطينية القديمة.

♦ ثانياً: المحافظة على مباني بيت لحم التاريخية وحاراتها والاعتناء بها وترميمها وإشغال المباني المتروكة منها وتوظيفها كمتاحف ومؤسسات ثقافية لإعادة الحياة إليها.



- ◆ **ثالثاً:** العمل بشكل جماعي وممنهج لحماية التراث الشعبي من القرصنة والتزوير والطمس، وتشجيع الباحثين على زيادة إنتاجهم في هذا المجال، والعمل على إدراج جمالية التراث الفلسطيني في المناهج الفلسطينية في مراحلها المختلفة.
- ◆ **رابعاً:** تخصيص الأموال لتأسيس مركز وطني يعنى بالتراث الشعبي الفلسطيني وارشفته وتوثيقه للحفاظ عليه وحمايته من الضياع، وتوجيه الرحلات المدرسية والسياحية إليه.
- ◆ **خامساً:** تشكيل لجنة فلسطينية تركية مشتركة للتحضير لمؤتمر تراث شعبي مشترك بين فلسطين وتركيا ينظم في العام القادم، والعمل على ترجمة المؤلفات ذات العلاقة من اللغة التركية إلى اللغة العربية وبالعكس.
- ◆ **سادساً:** العمل على إقامة ندوات ومحاضرات دورية متخصصة في التراث الشعبي بهدف تعريف طلبة المدارس بالتراث الشعبي الفلسطيني، وذلك بالتعاون مع المراكز والمؤسسات الثقافية المختلفة ذات العلاقة.
- ◆ **سابعاً:** منع استيراد العنب الإسرائيلي، والعمل على التوسع في زراعة الكرمة بأنواعها المختلفة في الأراضي الفلسطينية من أجل تصدير الصناعات القائمة عليها.
- ◆ **ثامناً:** تشكيل لجنة خاصة تعالج البعد التراثي الشعبي لمدينة بيت لحم ضمن التحضير لاحتفاليات بيت لحم عاصمة الثقافة العربية في العام 2019.
- ◆ **تاسعاً:** تعميم الزي الفلسطيني المقترح للمدارس الفلسطينية بلمسات من التطريز الشعبي واعتماده كزي رسمي لطالبات المدارس.
- ◆ **عاشراً:** استحداث مساق التراث الشعبي الفلسطيني ليدرس كمساق اجباري في الجامعات الفلسطينية كجزء من المحافظة على التراث الشعبي وحمايته من الطمس والمصادرة والتهميد والانتحال.



جامعة القدس المفتوحة  
تحت رعاية السيد الرئيس / محمود عباس (أبو مازن)  
**المؤتمر الخامس للتراث الشعبي الفلسطيني**  
**في محافظة بيت لحم**  
**هوية وانتماء**



الأيام: 2015/ 4/ 20  
قصر المؤتمرات - بيت لحم  
برنامج المؤتمر

عريف المؤتمر: د. يوسف ذياب عواد

التسجيل: 9:00 - 9:30

الإفتتاح: 9:30 - 10:45

- تلاوة من الذكر المصنوع
- السلام الوطني وقرابة الفاتح على أرواح الشهداء
- كلمة اللجنة التحضيرية للمؤتمر: ضيف الله عثمان
- كلمة رئيس جامعة القدس المفتوحة: د. بونس عمرو
- كلمة سيادة الرئيس محمود عباس - أبو مازن
- عرض فيلم عن التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة بيت لحم
- الغنية بيت لحم: تاريخ وقياس
- افتتاح المعارض

الأيام: 2015/ 4/ 21

10:45 - 11:00

رئيس المؤتمر: د. محمد فرحات

التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة بيت لحم: قيم وأصالة وانتماء

عنوان البحث	الباحث
مداخلات الأدب العربي في عيون الأتراك	ضيف المؤتمر: د. إبراهيم يلماز جامعة أتاتورك، تركيا
مكتسبات الهد والعقائد الشعبية والدينية المتعلقة بها	د. قسطنطين شوملي
حارات بيت لحم القديمة	د. إبراهيم أبو ليميس
خصائص المساكن القديمة في مدينة بيت لحم	د. محمد الخطيب
الأزياء الشعبية النسائية التراثية في محافظة بيت لحم بين الشمس والاحياء	د. نطال أبو جيون
زراعة أشجار الحكمة والصناعات القائمة عليها في بيت لحم في العصر الفرنسي 1099 - 1187م	د. سعيد المشاوي
سائق التراث في بيت لحم: توفيق بشارة مكتنغان الحوري البيتلجالي 1882 - 1964م	د. ادريس جرادات

الأيام: 2015/ 4/ 22

12:45 - 12:30

رئيس المؤتمر: د. محمد حماد

التراث الشعبي الفلسطيني وتجلياته في محافظة بيت لحم

عنوان البحث	الباحث
مداخلات الثقافة التركية والثقافة الفلسطينية	ضيف المؤتمر: د. سيف الله قوزقماز جامعة أوجيساس، تركيا
العادات والتقاليد في الأعياد المسيحية مقاربة وتأصيل	د. عمر عتيق
لونا للذك: رثوب عربوس بيت لحم	د. نها السقا
العرق الشعبي في مدينة بيت لحم صناعة الحظ على غيب الزيتون والصدف نموذجا	د. طالب الصوافي
التشبهات الشعبية الفلسطينية: ماضيها، تصنيفاتها ودلالاتها	د. مفيد أبو عرقوب
رغمق بيت لحم وعرب التعمارة نموذجا	د. جمال بنورة
فولكلور الشعبي الفلسطيني: تقاليد وأغاني الأعراس	د. جمال بنورة
الدلائل الخرونية للأعمال الشعبية	د. زهير الحروب

الأيام: 2015/ 4/ 23

2:45 - 3:00



بدعم من



جامعة القدس المفتوحة



تحت رعاية السيد الرئيس  
محمود عباس (أبو مازن)

## مهرجان التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة بيت لحم

بيت لحم / قصر المؤتمرات  
الاثنين 2015/4/20م

برنامج المهرجان

عريف المهرجان: أ. حنين زيادة وأ. محمد صبح

### الافتتاحية 4:00 - 4:15

	السلام الوطني الفلسطيني
	كلمة رئيس اللجنة التحضيرية أ.د. حسن السلواي
	كلمة عطوفة محافظ محافظة بيت لحم اللواء/ جبرين البكري

### فعاليات المهرجان الفني 4:15 - 6:25

٤:٤٥ - ٤:١٥	عرض (١١) ثوبا من محافظة بيت لحم بإيه العرس الفلسطيني / مها السقا
٥:٠٠ - ٤:٤٥	فرقة وطن / جامعة القدس المفتوحة
٥:٢٠ - ٥:٠٠	كوزال من ثلاث طوائف في بيت لحم
٥:٣٥ - ٥:٢٠	ديكة تعرضها فرقة دلال
٥:٥٥ - ٥:٣٥	فقره السامر - الرماية
٦:١٥ - ٥:٥٥	فرقة نغراس
٦:٢٥ - ٦:١٥	أغنية وطنية / المطرب الشاب يعقوب شاهين













